نيـل شسـتـرمـان

NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة

مكتبة ياسمين

مُكتمل ١٧

UNDIVIDED

السلسلة الأكثر مبيعًا بقائمة «نيويورك تايمز»



ترجمة: علا سمير الشربيني

مكتبة
t.me/soramnqraa

مكتبة ياسمين
t.me/yasmeenbook

مُكتمل
UNDIVIDED





● العنوان الأصلي: UnDivided
● العنوان العربي: مُكتمل
● طُبِع بواسطة:
Published by arrangement with Simon & Schuster Books For Young Readers, An imprint of Simon & Schuster Children's Publishing Division

● تأليف: نيل شسترمان
● ترجمة: علا سمير الشربيني
● تحرير: محمد المتيم
● تدقيق لغوي: نهال جمال
● تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
● الطبعة الأولى: يناير/ 2025م
● رقم الإيداع: 26869/2024م
● الترقيم الدولي: 978-977-992-449-6

نيل شسترمان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة

مكتبة ياسمين

مُكتمل
UNDIVIDED



السلسلة الأكثر
مبيعًا بقائمة
«نيويورك تايمز»

ترجمة: علا سمير الشربيني

إلى المحرر والصديق ديفيد جيل.

إلى جميع المسؤولين والوكلاء الميدانيين في

هيئة الأحداث:

مهمتنا حاسمة، والوقت قصير. على مدى الأشهر القليلة الماضية، أصبحت أقلية متزايدة من الشباب الجانحين تشكل خطرًا واضحًا وقائمًا على السلامة العامة. فيما يلي بيان مرجعي يوضح كيفية إخضاع فئات مختلفة من الشباب الفاسدين لولايتنا القضائية، بالإضافة إلى أفراد محددين على رأس قائمة أولوياتنا.

المُعَرَّضون للتقسيم

هؤلاء هم المراهقون الذين لهم تاريخ من السلوك المنحرف، لكن آباءهم -لأي سبب- رفضوا التوقيع على أمر التفكيك. هؤلاء يجب معاملتهم مثل أي مواطن آخر، ولا يجوز تهدئتهم إلا دفاعًا عن النفس. فيما عدا ذلك أعيدوهم إلى عائلاتهم إذا قُبِضَ عليهم. يجب على الضباط تشجيع هذه العائلات بلطف على البحث عن حل تقسيمي.

الجانحون

ما زال المراهقون غير القابلين للإصلاح -الذين غادروا منازلهم وأصبحوا "جانحين"- يتمتعون بحقوق أي مواطن آخر. الجانحون الذين يَثبُت عنفهم يمكن

تهدئتهم لسبب عادل، ثم نقلهم بعد ذلك إلى مراكز الاحتجاز لحين العثور على الوالدين وإخطارهما، أو حتى يتغير القانون، مما يسمح بتفكيكهم دون موافقة الوالدين.

الهاربون من التفكيك

وُقِّعَت أوامر التفكيك لجميع الهاربين من التفكيك قبل هروبهم أو تهربهم من الاحتجاز، مما يعني إلغاء جميع حقوقهم حتى بلوغهم سن السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة، إذا أُلغيَ قانون «كاب-17». لذلك، لا يعتبر الهاربون من التفكيك أكثر من مجرد مجموعة من الأجزاء، ويمكن التعامل معهم على هذا النحو. يجب تهدئتهم حال رؤيتهم، وإحضارهم إلى أقرب مخيم حصاد. ومع ذلك، يرجى السعي لتحقيق الحد الأدنى من الصدمات الجسدية في أثناء أسرهم، حيث إن أجزاءهم لها قيمة أكبر من شخصهم.

المُصفقون

بتعديل تركيب دمائهم وجعلها متفجرة، يمثل هؤلاء الإرهابيون العدميون أكبر تهديد دائم للأمن العام. رغم أن المصفقين يمكن أن يكونوا في أي سن، فإنهم غالبًا هاربون من التفكيك أو جانحون أو شباب يشكلون خطرًا على الانقسام. إذا واجهتَ مصفقًا، تذكر أن تحافظ على مسافة بينكما، وأن تستخدم الرصاصات الخزفية المعتمدة لتحييد التهديد قبل أن ينفجر المصفق.

استخدام الرصاصات الخزفية سيؤدي إلى سقوط المصفق دون التعرض لخطر الانفجار.

جيش المنقولين

تشير الإحصائيات إلى أن المنقولين (أي الرضع الذين يُترَكُون على عتبات الأبواب) يشكلون نسبة كبيرة غير متوازنة من عمليات التفكيك، لكن ذلك لا يبرر حالة الهياج القاتل التي يمارسها مايسون ستاركي وجيش المنقولين التابع له، بل يؤكد الحاجة إلى برنامج تفكيك أقوى. ومن أجل حماية مخيم الحصاد من هجمات مايسون ستاركي القاسية، فإننا نعمل على زيادة الأمن وتحديث الأسلحة في جميع مرافق الحصاد. إذا واجهتَ جيش المنقولين، لا تشتبك معه، بل أبلغ عن رؤيته إلى أقرب مكتب ميداني حتى نتمكن من إرسال هجوم جوي سريع للقضاء على الجيش بأكمله.

كونر لاسيتر وريسا وورد

رغم أنه من المعتقد أن "إوُول آكرون" -أي كونر لاسيتر- قد حصل على حق اللجوء من قِبَل قبيلة «هوبي»، فإننا لا يمكن أن نتجاهل احتمال أن هذا الاعتقاد مجرد خدعة، وقد يوجد في مكان آخر تمامًا. ربما عاد إلى أوهايو. أي ضابط يتعرف لاسيتر، مكلف بإحضاره حيًّا أو ميتًا. يُعتَقد أنه ربما سافر مع ريسا وورد، التي -كما تتذكرون- حصلت على عمود فقري جديد من خلال المواطنة الاستباقية، إحدى المنظمات

الخيرية الرائدة في البلاد، لكنها خانت المنظمة وحَرَّضت المراهقين الآخرين على العنف.

ليفي جديديا كالدر "المعروف أيضًا باسم ليف جاريتي"

لقد انتهك هذا العُشر -الذي تحول إلى مصفق- شروط إقامته الجبرية، وظل مختبئًا لعدة أشهر. وفيما يسود اعتقاد بأن منظمة المصفقين قد فجَّرت منزله في محاولة لقتله، فإن موقفنا هو أنه من نفذ ذلك التفجير بنفسه، وأنه يعمل الآن مع المصفقين.

كامو كومبري

في حين أن إعادة تجميع المفككين ليست اهتمامنا المباشر، فقد طلبت منا منظمة المواطنة الاستباقية أن ندعم جهودها، وبخاصة في ضوء خيانة ريسا وورد. لذلك، عليك أن تتحدث عن كامو كومبري -والتجميع عامة- بعبارات أكثر إيجابية. سواء اعتبرته إنسانًا أم لا، فهذا غير ذي صلة.

قراصنة الأعضاء

رغم تزايد نشاط السوق السوداء المعنية بالمفككين في السنوات الأخيرة، فإن نجاحها يرتبط ارتباطًا مباشرًا بفشلنا في القبض على الهاربين من التفكيك والتعامل معهم. ونحن نعتقد اعتقادًا راسخًا أنه مع زيادة اليقظة والتمويل الفيدرالي، فإن عدد الهاربين من التفكيك

المفقودين بفعل قراصنة الأعضاء سينخفض، وتسقط معه عصابات السوق السوداء.

قضية شعب المحظوظين

لقد أصبح من الواضح بشكل متزايد أن قبائل سكان أمريكا الأصليين -"شعب المحظوظين"- تعمل لأغراض متعارضة مع أهدافنا، وبخاصة أبناء قبيلة «أراباتشي»، المعروفون بمنح حق اللجوء السري للهاربين من التفكيك بانتظام. هؤلاء الهاربون من العدالة يوجدون خارج نطاق سلطتنا، ما داموا على الأراضي القبلية. لا تشتبك في أي نوع من الصراع المباشر مع أبناء شعب المحظوظين إلى أن تسقط المعاهدات الحالية ويُتخذ ضدهم إجراء عسكري.

إننا نخطو خطوات كبيرة بشأن التوصل إلى حل دائم للتهديدات التي يشكلها الشباب العنيف. بفضل جهودنا، انهارت منظمة المقاومة ضد الانقسام. أعتقد أننا نستطيع أن نتطلع إلى يوم خالٍ من الخوف من فئة الأحداث، حيث يمكن لأفضل وأذكى شبابنا أن يزدهروا مثل شجرة قُلِّمَت بشكل صحيح. أنتم يا أعوان ومسؤولي هيئة الأحداث من ستحققون ذلك. أشكركم على خدمتكم.

هيرمان شاربلي

أمين شؤون الأحداث

الجزء الأول

مقدسات الغرض

"لو شَعُرتَ بما أشعر به، لاخترقت السقف بقبضتك".

- كلمات من أغنية «أحرِقها» لفرقة «إوُول ناشن»

1 - هارب من التفكيك

مرت رصاصة تهدئة على مقربة شديدة من رأسه، حتى سُلِخَت شحمة أذنه بسبب الاحتكاك. ومرت أخرى تحت إبطه مباشرة -لقد رآها في الواقع تضيء- وتصيب سلة المهملات في الزقاق أمامه محدثة صوتًا رتيبًا.

إنها تمطر. لقد هبت من السماء عاصفة صيفية متأخرة ذات أبعاد شبه توراتية، لكن العاصفة هي أفضل صديق له اليوم، لأن السيول التي لا هوادة فيها تعيق رجال شرطة الأحداث في المطاردة. تساقط المطر يجعل من الصعب إحكام التصويب عليه.

هتف أحد شرطيي الأحداث: "الجري سيؤدي فحسب إلى زيادة الأمور سوءًا بالنسبة إليك يا بني".

لو أنه قادر على التقاط أنفاسه، لضحك على قوله. لو قُبِضَ عليه، فسوف يفكَّك؛ أيوجد ما هو أسوأ من ذلك؟ ويدعوه "ابنًا"؟ كيف يجرؤ شرطي أحداث على إطلاق لقب "الابن" عليه، في الوقت الذي لم يعد فيه العالم يراه كصبي بشري. لقد أصبح في نظر الإنسانية شيئًا، كيسًا ناضجًا من المادة الحيوية حان قطافه.

يطارده اثنان -وربما ثلاثة- من رجال شرطة الأحداث. لن يلتفت ليحصيهم؛ عندما تهرب للنجاة بحياتك، في محاولة يائسة للبقاء مكتملًا، لا يهم لو أن شرطيًّا واحدًا أو عشرة أو مئة خلفك. كل ما يهم هو أنهم يطاردونك، وأنك تزيد من سرعة عدوك.

مرت رصاصة تهدئة أخرى، لكنها ليست قريبة كالأخريات. أصبح شرطيو الأحداث مهملين في تصعيدهم. هذا جيد. مرَّ بسلة قمامة ملأى فقلَبَها، آملًا أن تبطئ من ملاحقتهم أكثر. بدا الزقاق ممتدًّا إلى الأبد. لم يتذكر قط أن شوارع ديترويت احتوت على أزقة خلفية طوال هذا الوقت. ظهرت النهاية أخيرًا على بُعد خمسين ياردة تقريبًا، وبدأ يتخيل الحرية فعلًا. سوف ينطلق خارجًا من الزقاق وسط حركة المرور في المدينة. ربما يتسبب في حادث سيارة، مثل حادث إوُول آكرون. ربما سيجد عُشرًا لاستخدامه كدرع بشري كما فعل. ربما يجتمع في نهاية الأمر برفيقة جميلة أيضًا. منحت هذه الأفكار جسده المتعب دافعًا، فتسارعت خطواته. تخلف فريقُ شرطة الأحداث عن الركب كثيرًا، والآن اندلعت بداخله شرارة من أثمن ما يمكن أن يمتلكه هارب من التفكيك: الأمل. إنه شيء نادر بالنسبة إلى أولئك الذين اعتُبِروا لا يستحقون مجموع أجزائهم. ومع ذلك، اختفى هذا الأمل في لحظة، بسبب ظلال اثنين آخرين من رجال شرطة الأحداث، منعا خروجه من الزقاق. لقد حاصروه. استدار ليرى الآخرين يقتربون من خلفه. ما لم يتمكن من إنبات أجنحة والطيران، فقد انتهى الأمر بالنسبة إليه.

ثم سمع من المدخل المظلم بجانبه صوتًا يقول: "أنت! تعال إلى هنا!".

أمسك أحدهم ذراعه، وسحبه إلى الداخل من خلال باب مفتوح، في اللحظة نفسها التي انطلق فيها وابل من رصاصات التهدئة.

أغلق منقذه الغامض الباب، ليمنع دخول شرطيي الأحداث، لكن ما الفائدة من ذلك؟ أن تجد نفسك محاصرًا في مبنى أمر سيئ تمامًا مثل محاصرتك في زقاق.

قال الرجل الذي أنقذه: "من هنا. اتجه إلى أسفل".

قاده ليهبطا الدرج المتهالك، وصولًا إلى قبو رطب. استغرق الهارب لحظة لتحديد حجم منقذه في الضوء الخافت. بدا أكبر منه بثلاث أو أربع سنوات؛ عمره ثمانية عشر، وربما حتى عشرون عامًا. إنه شاحب ونحيف، ذو شعر دهني خفيف داكن، وسالفين ضعيفين، يتوقان إلى أن يصبحا لحية، لكنهما فشلا في سد الفجوة.

قال الرجل: "لا تخف. أنا أيضًا هارب من التفكيك".

بدا هذا غير منطقي، لأنه يبدو أكبر عمرًا، لكن من ناحية أخرى، يميل الصبية الذين ظلوا هاربين لمدة عام أو أكثر إلى اكتساب مظهر أكبر من عمرهم الحقيقي، كما لو أن الوقت يمر بسرعة مضاعفة بالنسبة إليهم.

في القبو، وجد غطاء بالوعة مجاري صدئًا مفتوحًا، وتنبعث من الحفرة المظلمة -التي لا يمكن أن يزيد عرضها على قدم- رائحة كريهة.

قال الرجل دهني الشعر، المبتهج كسانتا على وشك النزول في المدخنة: "اذهب إلى أسفل!".

- أتمازحني؟

من الطابق العلوي أتى صوت ركل الباب، وفجأة لم يبدُ النزول في فتحة البالوعة هذه فكرة سيئة. اعتصر جسده بداخلها، واضطر إلى تحريك فخذيه وكتفيه لتتناسب الفتحة مع حجم جسده. بدا وكأن ثعبانًا قد ابتلعه. انزلق الرجل دهني الشعر بعده، ثم سحب غطاء البالوعة

ليغلقه بكشط المعدن على الخرسانة، مما أدى إلى عزلهما بعيدًا عن رجال شرطة الأحداث، دون ترك أي أثر للمكان الذي ذهبا إليه.

قال منقذه الغريب بثقة جعلت الهارب من التفكيك يصدقه: "لن يجدونا هنا أبدًا". أشعل الشاب مصباحًا يدويًّا لإضاءة المساحة المحيطة بهما. إنهما داخل أنبوب صرف صحي أسطواني يبلغ طوله ستة أقدام، ومبلل بماء المطر الناتج عن العاصفة، لكنه لم يبد قيد الاستخدام فعلًا. ما زالت رائحته كريهة، لكنها ليست سيئة كما تبدو من الجانب الآخر.

قال الشاب ذو الشعر الخفيف المشعث: "أخبرني، ما رأيك؟ إنه هروب يليق بكونر لاسيتر، أليس كذلك؟".

همهم الصبي الهارب: "لا أعتقد أن إوُول آكرون يمكن أن ينزل إلى أنابيب الصرف الصحي".

تبسم الآخر، وقاده إلى مكان ينكسر عنده خط الصرف الصحي، وتسلقا إلى أنبوب خرساني معلق بالأسلاك ومبطن بأنابيب البخار الساخنة، مما جعل الهواء لافحًا.

سأل الهارب منقذه: "أخبرني إذن، من أنت؟".

قال الشاب: "اسمي آرجان".

مد يده لمصافحة الهارب من التفكيك، ثم استدار وقاد الطريق خلال القناة الضيقة الملأى بالبخار، قائلًا: "من هنا، لقد اقتربنا".

- اقتربنا من ماذا؟

- لقد أعددت أشياء جميلة للغاية؛ طعامًا ساخنًا ومكانًا مريحًا للنوم.

- هذا يبدو جيدًا جدًّا لدرجة يصعب تصديقها.

منحه آرجان ابتسامة لزجة تكاد تشبه شعره الدهني، وقال: "أعلم، أليس كذلك؟".

- ما قصتك إذن؟ لماذا تخاطر بحياتك من أجلي؟

هز آرجان كتفيه، قائلًا: "لا توجد مخاطرة كبيرة عندما تعلم أنك تفوقهم ذكاءً. على أي حال، أعتقد أن هذا واجبي المدني. لقد هربت من قرصان أعضاء منذ مدة، والآن أساعد الآخرين الأقل حظًّا مني. ولم يكن مجرد قرصان أعضاء عادي ذلك الذي أفلتُّ منه، بل هو شرطي الأحداث السابق الذي هدأه كونر لاسيتر بمسدسه. لقد طردوه من الخدمة، وهو الآن يبيع الصبية الذين يصطادهم في السوق السوداء".

تذكر الهارب الاسم: "أتعني ذلك الرجل، نايلسون؟".

صحح له آرجان: "بل نيلسون، جاسبر تِ. نيلسون. وأنا أعرف كونر لاسيتر أيضًا".

قال الهارب من التفكيك في شك: "حقًّا!".

- أوه، نعم، وهو تحفة نادرة حقًّا. فاشل تمامًا. لقد أكرمته كما أعاملك، وفي المقابل فعل هذا بوجهي.

الآن فقط رأى الهارب الجروح والأضرار البالغة التي تعرض لها النصف الأيسر من وجه الشاب، التي ما زالت تتعافى.

- أمن المفترض أن أصدق أن إوُول آكرون هو من فعل ذلك؟

أومأ آرجان برأسه، مؤكدًا: "نعم، عندما حل ضيفًا في قبوي".

- حسنًا.

بدا واضحًا أن الرجل يختلق كل هذا، لكن الهارب من التفكيك لن يتحداه أكثر من ذلك. من الأفضل عدم عض اليد التي توشك على إطعامه.

قال آرجان: "لقد كدنا نصل. هل تحب شريحة اللحم؟".

- ما دام يمكنني الحصول عليها.

أشار آرجان إلى وجود ثغرة في الجدار الخرساني يتسرب من خلالها الهواء البارد، الذي تفوح منه رائحة العفن الطازج، بدلًا من رائحة العفن القديم، وقال: ”تفضل، وأنا بعدك“.

تسلق الهارب، ليجد نفسه في قبو. يوجد آخرون هنا، لكنهم لا يتحركون. استغرقه الأمر لحظة حتى يحلل ما يراه؛ ثلاثة مراهقين ممددين على الأرض، مكممين ومقيدين كالخنازير.

- مهلًا، ماذا...

لكن قبل أن يتمكن من إنهاء عبارته، أتى آرجان من خلفه وخنقه بوحشية لم تسد قصبته الهوائية فحسب، بل منعت أيضًا كل الدم الذي يصل إلى دماغه. وآخر ما خطر على ذهن الهارب من التفكيك قبل أن يغيب عن وعيه هو الإدراك الكئيب بأن ثعبانًا قد ابتلعه في النهاية.

***

2 - آرجان

إنه على قمة العالم. إنه في ذروة لعبته. لا يمكن أن تسير الأمور على نحو أفضل بالنسبة إلى آرجان سكينر، قرصان الأعضاء المتدرب، الذي يتعلم المهنة من جاسبر تِ. نيلسون، الأفضل على الإطلاق.

لم ينضم آرجان إلى خدمة نيلسون في أفضل الظروف، لكنه بالتأكيد استفاد من الأجواء التي أُتيحت له. لقد أثبت أنه ذو قيمة كبيرة، حتى إن نيلسون لم يجد أمامه خيارًا سوى الاحتفاظ به. الدليل على قيمة آرجان مقيد خلفه.

حلت الشاحنة الصغيرة -المسروقة- محل سيارة أخرى تركاها مهجورة في ساحة انتظار سيارات «وول مارت» في الضواحي. لم يشعر "آرجان" بالقلق من تعقبهما بسبب هذه السرقات الصغيرة التافهة، لأن نيلسون أستاذ حقيقي في التهرب مما يسمى بالعدالة والمراقبة. نظرًا لأنه عمل شرطي أحداث لسنوات عديدة، فإن نيلسون يعرف كل الزوايا، وكل الخيارات. إنه يعرف كيف يتزلج بسلاسة على سطح القانون الأملس.

نيلسون هو بطل آرجان الجديد. وجد كونر لاسيتر-بطله المقدس سابقًا- مخيبًا للآمال. الآن يتحد كل من آرجان ونيلسون في الكراهية

ضد إوُول آكرون، ويمكن أن تصبح هذه الكراهية قوة ترابط قوية مثل الحب.

استدار آرجان ليلقي نظرة أخرى على الصبية في صندوق الشاحنة الـ«يو-هاول» خلفه: أربعة منهم مقيدون ومكممون، وملفوفون عمليًّا كهدايا معدة للتسليم. الهاربون جميعهم مستيقظون ومرتبكون. بكى البعض، لكن بصمت وسرية، لأنهم لا يريدون إثارة غضب آرجان، الذي هدد بصب جام غضبه عليهم عدة مرات. كل هذا طبعًا مجرد إرهاب، لأن نيلسون لن يسمح له بإيذائهم جسديًّا.

أوضح نيلسون: "الكدمات تقلل من قيمتهم السوقية. وديفان يكره أن تفسد ثماره. سيغضب فعليًّا لأنه سيحصل مني على شحنة على سبيل المواساة، بدلًا من الجائزة الكبرى".

والجائزة الكبرى هي طبعًا كونر لاسيتر.

يستطيع نيلسون تهدئة ضحاياه لكي يصمتوا، لكنه لن يفعل، فقد قال لآرجان: "يجب أن أحافظ على ذخيرتي. رصاصات التهدئة باهظة الثمن".

ومع ذلك، يبدو أن هذا القول لا ينطبق على آرجان، الذي حاول ذات مرة رفع مستوى صوت المذياع، فهدأه نيلسون لذلك السبب. وهذه ليست المرة الأولى أيضًا، فيبدو أن نيلسون يستمتع كثيرًا عندما يُفقِد آرجان وعيه.

قال نيلسون: "إن الأمر يشبه توجيه صدمة إلى القرد، لتعليمه ألا يأخذ الموز". الأغنية التالية التي انسابت من المذياع كانت "صدمة القرد"، فاقتنع آرجان بأن نيلسون وسيط روحاني.

الآن، تذيع محطة الأغاني -المعنية بكلاسيكيات ما قبل الحرب- أغنية لفرقة «بيرل جام» بصوت منخفض جدًّا؛ مسموع بالكاد، وهو المفضل

لدى نيلسون ويستلذ بسماعه. يجب على آرجان أن يقاوم باستمرار رغبته في رفع صوت الموسيقى المنخفضة إلى حد الإزعاج.

بينما ينظر آرجان إلى الهاربين من التفكيك الموجودين في الخلف، تواصل معه بصريًّا آخر صبي قبض عليه. إنه فتى قاسي الوجه له عينان كهرمانيتان لطيفتان تتعارضان مع قسوة وجهه. حملت عيناه توسلًا إلى آرجان، ولكن من أجل ماذا؟ إطلاق سراح؟ رحمة؟ تفسير لماذا وصلت حياته إلى هذا الوضع؟

قال له آرجان: "توقف عن ذلك! كل ما تريده، لن تحصل عليه".

همهم بشيء غير مفهوم من خلال كمامته.

صاح آرجان بصوت هادر: "لن نتوقف للذهاب إلى دورة المياه! تحمَّل حتى نقرر التوقف، ولا ترنُ إليَّ بعيني الجرو هاتين، إلا إذا أردت أن تزينهما باللونين الأسود والأزرق بعد أن تصيبهما لكماتي".

إنه مجرد تهديد أجوف آخر، لكن الصبي لم يعرف ذلك، فخفض عينيه إلى أرضية الشاحنة المبللة بالهزيمة، الأمر الذي أبهج آرجان، وجعله يلقي دعابة سمجة تعتمد على التلاعب بالألفاظ، فسأله نيلسون: "ألا تتوقف شفتاك عن الحركة أبدًا؟".

- إنني أستمتع ببعض المرح فحسب.

اضطر آرجان إلى الاعتراف بأنه يجد شيئًا مرضيًا للغاية في التحدث إلى من لا يستطيعون الرد.

قال آرجان لنيلسون: "اسمع! أعتقد أنك سترغب في الحصول على عيني هذا الصبي. إنهما أجمل من هاتين اللتين تملكهما الآن".

وبعد لحظة من الصمت غير المريح، قال نيلسون: "يوجد زوجان اثنان فقط من الأعين أريدهما".

ودون حتى أن يخبره نيلسون، عرف آرجان من يريد أن تصبح عيناه بمنزلة الجائزة النهائية بالنسبة إليه. أشار آرجان: "كما تعلم، إحداهما ليست عينه حتى. لقد حصل كونر جبريًّا على عين جديدة مع ذراعه الجديدة".

صاح نيلسون: "هذا لا يهم. لا يعنيني إلى من تنتمي في الأصل العينان اللتان سأحصل عليهما؛ ما يعنيني هو الشخص الذي سأحصل على عينيه".

- نعم، أفهم ذلك. إذا رأيت بعينيه، فهذا يعني أنه لم يعد يرى بهما بعد الآن.

ثم ابتسم آرجان، مضيفًا: "إضافة إلى ذلك، من يريد جائزة على الرف في مكان ما، عندما تستطيع وضعها في وجهك مباشرة. أتفهمني؟ في وجهك؟".

تجاهل نيلسون قوله تمامًا، ولم يعره أي اهتمام، قائلًا: "لا أريد سماع صوتك بعد الآن. لا تهدر طاقتي لمجرد أن حياتك معدومة الفائدة".

- حقًّا؟ حسنًا، لقد عثرَت هذه الحياة معدومة الفائدة على أربع من الغنائم الرئيسية التي يمكنك بيعها لصديقك في السوق السوداء.

التفت إليه نيلسون، كاشفًا عن النصف وافر الصحة من وجهه؛ النصف الذي لم يحترق عندما غاب عن الوعي تحت شمس أريزونا. وهنا برز شيء آخر يربط بينهما، إضافة إلى كراهيتهما المشتركة: كلاهما يملك نصف وجه. ضع النصف الأيسر لوجه نيلسون مع النصف الأيمن لوجه آرجان، وستحصل على وجه كامل. وهذا يثبت أنهما ينتميان إلى بعضهما، ويشكلان معًا فريقًا واحدًا.

قال نيلسون: "إنه ليس صديقي! ديفان تاجر لحوم البشر الأول في العالم الغربي. حتى إنه يتنافس بشراسة مع مخيم الحصاد البورمي

«داه زي». إنه رجل نبيل يقدر الرسميات، وعندما تقابله، ستعامله على هذا النحو".

قال آرجان: "أيًّا كان الأمر".

ثم سأل: "هل يتعامل ديفان هذا مع المفككين كما يفعل داه زي؟ دون تخدير وأشياء من هذا القبيل؟".

أثار قوله آهات وتنهدات مكتومة من الخلف، فألقى نيلسون نظرة حادة على آرجان، قائلًا: "أيجب عليَّ حقًّا تخديرك مرة أخرى لتصمت؟".

زمَّ آرجان -الذي يكره التهدئة الشبيهة بموت قصير، والصداع الذي يليها- شفتيه، عازمًا على البقاء هادئًا طوال مدة الرحلة.

أخبره نيلسون أن عملهما لم ينتهِ بعد، وقال: "سنلتقط هاربًا آخر من التفكيك قبل أن نأخذهم إلى ديفان. ما دمت لم أُحضِر له لاسيتر، أريد أن أظهر أمامه بحمولة كاملة".

ثم نظر إلى آرجان مرة أخرى، مضيفًا: "أريد أن أعرف أنك ستفي بوعدك بمجرد وصولنا".

ازدرد آرجان لعابه، وشعر فجأة أنه مقيد، تمامًا مثل الصبية في الخلف، وقال: "طبعًا. أنا رجل يحفظ وعده. سأعطيك رمز التتبع في اللحظة التي نفرغ فيها «البضائع»".

أومأ نيلسون موافقًا، وقال: "من الأفضل لك أن تأمل أن تظل شريحة التتبع المثبتة بجسد شقيقتك نشطة، وأنها ما زالت مع لاسيتر".

قال له آرجان: "إنها كذلك. جرايس كالبرنقيل[1]. بمجرد أن تلتصق بأحدهم، لا يستطيع إلا الرب إبعادها عنه".

قال نيلسون: "أو إصابة من مسدس في الرأس".

(1) - البرنقيل: كائن بحري يعيش في المياه المالحة. "المترجم".

سرت قشعريرة باردة في جسد آرجان عند التفكير في الأمر. صحيح أنه غاضب من جرايس لوقوفها إلى جانب كونر ضده، لكن هل سيقتلها كونر للتخلص منها؟ رغم كل شيء، ما زال آرجان لا يعتبره من النوع الذي يفعل شيئًا كهذا. ومع ذلك، فهو شيء لا يفضل التفكير فيه، لذلك ترك أفكاره تنجرف إلى شيء مبهج أكثر.

- هل يملك هذا الرجل ديفان أي أبناء؟ ربما مثلًا ابنة في مثل عمري؟

تنهد نيلسون، مخرجًا مسدسه، وأطلق منه سهم تهدئة منخفض الجرعة على آرجان، الذي شعر بالألم عندما أصابه السهم في تفاحة آدم. قبض على العلم الصغير، منتزعًا السهم من عنقه، لكن ليس قبل أن يستقبل جرعته كاملة.

قال نيلسون: "سأخصم ثمن هذا من راتبك"، وهي مزحة لأن آرجان لا يتلقى أي أجر من نيلسون. لقد أوضح أن هذا نوع من التدريب غير مدفوع الأجر. لكن لا مشكلة. حتى التخدير أمر جيد، لأن الحياة جميلة في نظر آرجان سكينر.

وفيما يوشك على الغوص في النوم، شعر بالارتياح لعلمه المطلق أن كونر لاسيتر سيسقط نائمًا قريبًا هو الآخر، لكن على عكس آرجان، لن يستيقظ كونر أبدًا.

***

3 - كونر

في زاوية مغبرة من متجر تحف مزدحم في شارع جانبي مملوء بالحشائش في مدينة آكرون بولاية أوهايو، انتظر كونر لاسيتر أن يتغير العالم أمام عينيه.

قالت سونيا وهي تنقب في كومة من الأجهزة الإلكترونية القديمة: "أعلم أنها موجودة هنا في مكان ما". تساءل كونر هل عاشت المرأة العجوز بما يكفي لتشهد ولادة وموت كل تلك التكنولوجيا.

سألتها ريسا: "هل يمكنني المساعدة؟".

أجابتها سونيا: "لست عاجزة!".

التفكير في أنهم على وشك رؤية الشيء الذي يتوقف عليه المستقبل بأكمله، أمر مذهل حقًّا. مستقبل التفكيك. مستقبل القبضة الحديدية لهيئة الأحداث على الصبية أمثاله. ثم نظر إلى ريسا، التي تنتظر بالترقب المرتجف نفسه، وفكر: "مستقبلنا. واجهتنا صعوبة في التفكير في مفهوم الغد، عندما تمحورت الحياة حول البقاء أحياء اليوم".

فركت جرايس سكينر -الجالسة بجوار ريسا- يديها بقوة حتى كاد الاحتكاك يشعل نارًا، وسألت: "أهي أكبر من صندوق الخبز؟".

قالت سونيا: "سترين قريبًا جدًّا".

لا يعرف كونر ما هو صندوق الخبز، لكنه مثل أي شخص لعب لعبة الـ «عشرين سؤالًا»[1]، يعرف حجمه الدقيق. بينما هذا كل ما يمكنه فعله حتى لا يفرك يديه أيضًا، ينتظر الكشف عن الجهاز.

عندما بدأت سونيا سرد قصة زوجها، اعتقد كونر أنه قد يحصل -في أحسن الأحوال- على بعض المعلومات؛ أدلة على سبب خوف منظمة المواطنة الاستباقية ليس فقط من الرجل، بل أيضًا مما يذكره العالم كله عنه. لقد مُحي جينسون وسونيا راينشيلد -الحائزان جائزة نوبل في الطب- من التاريخ. اعتقد كونر أن سونيا قد تمنحه معلومات، لكنه لم يتوقع هذا قط!

- ماذا لو اخترعت طابعة يمكنها بناء أعضاء بشرية؟

هذا ما قالته سونيا بعد أن أخبرتهم بخيبة الأمل التي أودت بحياة زوجها في النهاية.

- ماذا لو بعتَ براءة الاختراع لأكبر شركة تصنيع أجهزة طبية في البلاد؟ وماذا لو أخذوا كل هذا العمل.. ودفنوه؟ وأخذوا المخططات وأحرقوها؟ وأخذوا كل طابعة وحطموها، ومنعوا أي شخص من معرفة وجود التكنولوجيا؟

ارتجفت سونيا من الغضب الشديد وهي تتحدث، وبدت أكبر بكثير من حجمها الضئيل، وأقوى بكثير من أي من الصبية المحيطين بها.

قالت سونيا: "ماذا لو أخفوا الحل الذي سيقضي على التفكيك، لأن العديد من الناس استثمروا الكثير من المال في الحفاظ على الأمور.. كما هي.. بالضبط؟".

---

(1) لعبة الـ «عشرين سؤالاً»: أشبه بلعبة «عروستي» المعروفة في مصر، وفيها يفكر أحدهم في شيء ما، ثم يسأله اللاعبون عددًا من الأسئلة -لا يزيد على 20 سؤالًا- لمعرفة هذا الشيء. ومن أشهر الأسئلة المطروحة في هذه اللعبة «هل هذا الشيء أكبر أم أصغر من صندوق الخبز؟». «المترجم».

كانت جرايس -المصابة بضعف القشرة الدماغية- هي التي اكتشفت إلى أين يقود هذا.

قالت: «وماذا لو بقيت طابعة أعضاء واحدة مختبئة في زاوية متجر تحف؟“.

بدا أن الفكرة تمتص كل الهواء من الغرفة. في الواقع، شهق كونر، وأمسكت ريسا يده، كما لو أنها بحاجة إلى التشبث به للتخلص من الدوار العقلي الذي تعانيه.

أخيرًا، أخرجت سونيا صندوقًا من الورق المقوى بحجم تخيَّلَه كونر تمامًا لصندوق الخبز. أفرغت مساحة على طاولة مستديرة صغيرة من خشب الكرز، ووضعت الصندوق عليها برفق، ثم قالت له وهي تلهث قليلًا بفعل المجهود: ”يمكنك إخراجها“.

مد كونر يده إلى الداخل، واضعًا أصابعه حول الجسم المظلم، ثم رفعه خارج الصندوق ووضعه على الطاولة.

قال جرايس، بخيبة أمل واضحة: ”أهذا كل شيء؟ إنها مجرد طابعة“.

قالت سونيا بنوع من الفخر المتعجرف: ”بالضبط. إن التكنولوجيا التي تهز الأرض لا تصاحبها أجراس وصفارات صاخبة، بل تحصل على ذلك لاحقًا“.

بدت طابعة الأعضاء صغيرة، لكنها ثقيلة بشكل مخادع، وملأى بالإلكترونيات المعدلة لغرضها الخاص. تبدو للناظر رمادية اللون، وكما لاحظت جرايس فعلًا، فهي غير مميزة على الإطلاق. تبدو كطابعة عادية ربما صُنِعَت قبل ولادة كونر، ومن المحتمل أن جسمها الخارجي نفسه جاء من طابعة عادية.

قالت لهم سونيا: "مثل أشياء كثيرة في هذا العالم، ما يهم هو ما بداخلها".

سألت جرايس وهي تقفز عمليًّا على مقعدها: "أرِينا تجربة ناجحة. دعيها تطبع لي عينًا، أو شيئًا من هذا القبيل".

أجابتها سونيا: "لا أستطيع"، وشرحت أن الحبارة يجب أن تمتلئ بالخلايا الجذعية متعددة القدرات، ثم أضافت: "لا يمكنني إخبارك بالمزيد. فلتُصبني اللعنة لو أنني أعرف كيف يفعل هذا الشيء ما يفعله؛ إن موطن قوتي هو البيولوجيا العصبية، وليس الإلكترونيات. لقد صنعها جينسون".

قالت ريسا: "يجب علينا إجراء هندسة عكسية لتلك الطابعة، حتى يمكن إعادة إنتاجها".

يحتوي النموذج الأولي الصغير على طبق إخراج كبير بما يكفي لإيصال العين التي طلبتها جرايس، لكن من الواضح أن هذه التكنولوجيا يمكن تطبيقها على آلات أكبر حجمًا. الفكرة ذاتها جعلت عقل كونر يترنح، وهو يفكر: *إذا تمكن كل مستشفى من طباعة الأعضاء والأنسجة لمرضاه، فسوف ينهار نظام التفكيك برمته!*

مالت سونيا إلى الخلف وهزت رأسها ببطء، قائلة: "لن يحدث الأمر بهذه الطريقة. لن يحدث ذلك أبدًا". حرصت على النظر إلى كل واحد منهم في أثناء حديثها، للتأكد من إيصال الفكرة إليهم: "لا يوجد شيء واحد يمكنه إنهاء التفكيك. سوف يتطلب الأمر مزيجًا من الأحداث العشوائية التي تجتمع معًا بالطريقة الصحيحة وفي الوقت المناسب تمامًا لتذكير المجتمع بأن له ضميرًا". ثم ربتت على طابعة الأعضاء بلطف، مضيفة: "طوال هذه السنوات، انتابني الخوف من إعلان هذا الأمر، لأنهم إذا دمروا هذا، فلن يوجد خيار آخر. التكنولوجيا تموت مع الآلة. لكن الآن أعتقد

أن الوقت مناسب. إن إعلان وجودها لن يحل كل شيء، لكنه قد يصبح العمود الفقري الذي يربط كل تلك الأحداث الأخرى معًا".

ثم ضربت كونر بعصاها بقوة يمكن أن تصيبه بجرح، وقالت: "فليساعدني الله، لكني أعتقد أنك الشخص الذي سيتولى مسؤولية ذلك. آلة جينسون هي طفلك الآن. لذا اذهب وأصلح العالم".

إعلان

أنت لا تعرفني، لكنك تعرف قصتي، أو قصة تشبهها تمامًا. لقد صدم صبي في السادسة عشرة من عمره ابنتي بسيارة في أثناء استمتاعه بالقيادة. وبعد ذلك، اكتشفت أن هذا الصبي قد واجه فعلًا مشكلات قانونية ثلاث مرات، وأُطلِق سراحه. لقد عاد الآن إلى الحجز، وقد يحاكَم كشخص بالغ، لكن هذا لن يعيد ابنتي. ما كان ينبغي له قط أن يظل طليقًا حتى يسرق تلك السيارة، لكن رغم سجله الإجرامي، ورغم ميله الواضح إلى السلوك المتهور والعنيف، فقد رفض والداه تفكيكه. «مبادرة مارسيلا» -التي سميت على اسم ابنتي- سوف تضمن عدم تكرار مثل هذه الأمور مرة أخرى. إذا وافق الناخبون على «مبادرة مارسيلا»، سيصبح إلزاميًّا التخلص من المراهقين غير القابلين للإصلاح في سن التقسيم؛ تلقائيًّا بعد ارتكاب جريمة ثالثة. يرجى التصويت لصالح «مبادرة مارسيلا». ألا نَدين بذلك لأطفالنا؟

- موّله ائتلاف أولياء الأمور من أجل غد أكثر أمانًا.

أخذ كونر الجهاز العلمي السري على الفور إلى الغرفة الخلفية. لطالما تمتع دائمًا بمهارة خارقة في الميكانيكا، لكن هذه المرة، لم يجرؤ حتى على فتح الغلاف خوفًا من ارتكاب خطأ لا يمكن إصلاحه.

قال كونر: "علينا وضع هذا الجهاز في الأيدي الصحيحة، يَدَي من يعرف ماذا يفعل به".

أشارت ريسا: "وغير مرتبط بالنظام الحالي كي لا يميل إلى تدميره لمنع استخدامه".

قالت جرايس: "ستحدث خدعة ما".

دخلت سونيا الغرفة الخلفية، ورأت الثلاثة وهم ما زالوا يحدقون إلى الطابعة، فأعلنت: "إنها ليست حفرية دينية. تغلبوا على انبهاركم بها".

قالت ريسا: "حسنًا، إنها مقدسة بطريقتها الخاصة".

لوحت سونيا بيدها رافضة، وقالت: "الأدوات ليست شيطانية ولا إلهية. الأمر كله يتعلق بمن يستخدمها". ثم أشارت بعصاها إلى الصندوق القديم، مشيرةً إلى أن الوقت قد حان للنزول إلى ظلال قبوها.

دفعت جرايس الصندوق جانبًا، قائلة: "ماذا يوجد في هذا الشيء على أي حال؟ رصاص؟".

نظرت ريسا إلى كونر، فأشاح ذلك الأخير بنظره بعيدًا. كلاهما يعرف ما يوجد بداخله، حتى إن كونر شك أن ريسا تعرف مدى ثقل ذلك الأمر على قلبه. أثقل بكثير من وزن الرسائل الموجودة بالصندوق. تساءل كم عدد الرسائل بالداخل، ومن كم صبي؛ كي يصير الصندوق ثقيلًا إلى هذا الحد.

عندما ابتعد الصندوق عن الطريق، أزاحت سونيا السجادة المفروشة أسفله، لتكشف عن الباب السحري، فمد كونر يد إلى أسفل ورفعه ليُفتَح.

قالت لهم سونيا: "سأفتح متجري الآن. سواء راقكم ذلك أم لا، يجب أن أكسب رزقي، لذا اهبطوا أنتم. إنكم تعرفون التعليمات. لا تُصدِروا ضجيجًا، ولا تظنوا أبدًا أنكم أذكى من أن يكتشف أحد أمركم".

ثم أشارت إلى الطابعة، مضيفة: "وخذوا هذه معكم. لا أريد أن يتجول أحد الفضوليين هنا، ويراها مصادفةً".

لم يدخل كونر قبو سونيا منذ ما يقرب من عامين. لقد جاء إلى هنا في اليوم الثاني لهروبه من التفكيك. أخذ العُشر كرهينة، وهاجم شرطي أحداث بسلاحه الخاص، وتشابك مساره مع فتاة يتيمة هربت من حافلة متجهة إلى مخيم الحصاد. أي مجموعة من الحمقى مختلفة فيما بينها كان ثلاثتهم! ما زال كونر يشعر بحماقته من آن لآخر، لكن تغير به الكثير، فهو بالكاد يتذكر الصبي المضطرب الذي كانه من قبل. الآن أصبح ليف -الصبي البريء الذي غُسِلَ دماغه حتى يرغب في تفكيك جسده- روحًا عجوزًا في جسد توقف عن النمو. ريسا -التي سعت في البداية إلى النجاة- شاركت في برنامج المواطنة الاستباقية على التلفاز الوطني، بعد تحطم عمودها الفقري، واستبداله رغمًا عنها. أما بالنسبة إلى كونر، فقد تولى مسؤولية أكبر ملاذ سري في العالم للهاربين من التفكيك، ليكتشف في النهاية فحسب أن الأمر لم يكن سريًّا قط. ما زالت ذكرى تدمير المقبرة جرحًا مفتوحًا في روحه. لقد حارب بكل ما أوتي من قوة -ببسالة، كما قد يقول البعض- لكن في النهاية، انتصرت هيئة الأحداث وأرسلت مئات الصبية إلى مخيم الحصاد. صبية مثل أولئك الذين يشغلون الآن قبو سونيا تمامًا. يعرف كونر أن هذا جنون، لكنه شعر أنه خذل أولئك الصبية أيضًا بطريقة ما، في ذلك اليوم في المقبرة. عندما نزل إلى القبو خلف ريسا، شعر بالخوف وبنوع غامض من العار الذي أغضبه. لا يوجد ما يخجل منه. ما حدث في المقبرة خرج عن إرادته. ولا يمكن إغفال دور ستاركي، الذي خدعه وطار مع المنقولين في وسيلة الهرب الوحيدة. لا، كونر ليس لديه ما يخجل منه... لكن لماذا، عندما بدأ الصبية يخرجون من ظلال القبو، لم يستطع النظر إلى عينَي أيٍّ منهم؟

عندما سمعته يتنفس بعمق مرتجف، سألته ريسا: "أتشعر أنك قد رأيت كل ذلك وعشته من قبل؟".

- شيء من هذا القبيل.

تعرف ريسا -التي أمضت بضعة أسابيع في مساعدة سونيا- جميع الصبية الموجودين بالقبو، فحاولت تمهيد الطريق أمام كونر. الأولاد إما يشعرون بالذهول وإما التهديد لوجوده. سارع أحد نزلاء القبو -وهو صبي طويل القامة شديد النحول يُدعى بو- إلى إثبات وجوده، قائلًا: "أنت إذن إوُول آكرون؟ اعتقدت أنك ستبدو... بصحة أفضل".

لم يعرف كونر بالضبط ما يعنيه ذلك، وربما الصبي أيضًا. وفيما يمكن لكونر قضاء وقت ممتع في تحدي إحساس بو الزائف بتفوق هرمون التستوستيرون، قرر -على العكس- أن الأمر لا يستحق كل هذا العناء.

- ما هذا الذي تحمله؟

جاء هذا السؤال من صبي بريء في الثالثة عشرة، مُذكرًا كونر قليلًا بليف في الأيام الخوالي، قبل أن يطول شعره ويصبح منهكًا.

قال كونر: "مجرد طابعة قديمة". ضحكت جرايس من قوله، لكنها لم تفصح عما تعرفه، بل بادرت بتقديم نفسها ومصافحة الجميع، حتى من يفضلون عدم مصافحة أحد.

قال بو: "طابعة قديمة؟ كما لو أننا بحاجة إلى المزيد من القمامة هنا".

- حسنًا.. في الواقع، إن لها قيمة عاطفية.

همهم بو في استخفاف، فقمع كونر رغبته في مد قدمه إلى الأمام في طريقه، ليتعثر.

وضع كونر الطابعة على الرف، مدركًا أنه إذا تعامل معها بقدر كبير من العناية والاهتمام، فإن الصبية الأكثر ذكاءً سيكتشفون أهميتها. في الوقت

الحالي، من الأفضل أن يعرف الحقيقة أقل عدد ممكن من الأشخاص. على الأقل حتى يتمكنوا من الوصول إلى طريقة لإعلام الجميع بالأمر.

قالت ريسا لكونر: "إنهم صبية طيبون. لديهم مشكلاتهم طبعًا، وإلا لما جاؤوا إلى هنا".

بغض النظر عن مدى حبه لريسا، لم يسعه إلا أن يغضب قليلًا، وقال: "أعرف كيفية التعامل مع الهاربين من التفكيك. لقد فعلت ذلك طويلًا، وحتى الآن".

استغرقت ريسا لحظة لإلقاء نظرة فاحصة عليه، وسألته: "ماذا يزعجك؟".

ورغم أنه لم يتمكن بعد من التعامل مع الأمر، فقد وجد عينيه تتجهان فورًا إلى سمكة القرش الموشومة على ذراعه. آخر مرة وُجِدَ فيها في هذا القبو، كانت تلك الذراع جزءًا من رولاند. التقطت ريسا تلك النظرة، وكما هي الحال دائمًا، قرأته بشكل أفضل مما يقرأ نفسه.

- إن وجودنا هنا قد يبدو وكأننا عدنا إلى حيث بدأنا، لكن هذه ليست الحقيقة.

اعترف كونر: "أعلم ذلك، لكن معرفة ذلك والشعور به شيئان مختلفان. توجد الكثير من.. الأشياء.. وجودي هنا يذكرني بها".

سألته: "وجودك هنا؟ أم وجودك في بلدتك؟".

ذكَّرها: "آكرون ليست بلدتي. ربما يطلقون عليَّ اسم "إوُول آكرون" لأن كل شيء حدث هنا، لكنها ليست بلدتي".

تبسمت له في لطف، مذيبةً على الأقل بعضًا من إحباطه، وقالت: "كما تعلم، إنك لم تخبرني قط باسم بلدتك".

تردد، وكأن التصريح باسمها سيجعلها أقرب، وهو غير واثق هل يريد ذلك أم لا. أخبرها أخيرًا: "كولومبوس".

فكرت قليلًا، وقالت: "إنها تبعد ما يقرب من ساعة ونصف من هنا، أليس كذلك؟".

- تقريبًا.

أومأت برأسها، قائلة: "إن ملجأ الولاية الذي قضيت فيه معظم حياتي أقرب من ذلك بكثير، لكن أتعرف؟ إن الأمر لا يهمني إطلاقًا". وابتعدت، تاركةً كونر غير واثق هل كلماتها محاولة للمواساة، أم صفعة لطيفة على وجهه.

ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر:

مع كل المعلومات المربكة الموجودة، من الصعب معرفة ما يجب التصويت له. لكن ليس عندما يتعلق الأمر بالإجراء "إف" أو "مبادرة الوقاية". الإجراء "إف" بسيط؛ إنه توفير أموال خاصة لتشكيل ذراع جديدة لهيئة الأحداث؛ ستراقب الآلاف من المراهقين المعرضين للخطر، وتقدم المشورة والعلاج والخيارات البديلة لمستقبلهم قبل أن يصلوا إلى سن التقسيم. إضافة إلى ذلك، فإن الإجراء "إف" لن يكلف دافعي الضرائب سنتًا واحدًا! سيموَّل بالكامل من عائدات مخيمات الحصاد.

التصويت بنعم على الإجراء "إف". أليست الوقاية خير من العلاج؟

- ***برعاية تحالف اليوم المشرق***

في قبو سونيا، من الصعب أن تعرف متى يحل الليل. توجد نافذة صغيرة عالية في الزاوية الخلفية البعيدة، لكنها خلف متاهة من القمامة، وعلى المرء أن يجتهد لاكتشاف أي ضوء يدخل من خلال الزجاج المصنفر. الساعات القليلة الموجودة بين القمامة في القبو لا تعمل، ولا التلفاز، ومن بين عشرات الصبية الموجودين هناك، لا يملك

أحد ساعة. إما أنهم استبدلوا بها الطعام قبل أن يهبطوا إلى هنا، وإما اعتادوا استخدام هواتفهم كساعات، ولم يقتنوا ساعة قط. وهكذا، فإن الهواتف -التي يمكن تتبعها- هي أول شيء يتخلص منه الهارب من التفكيك الذكي. طبعًا، لم يكن كونر ذكيًّا للغاية في أولى لياليه كهارب. لقد تعقبوه عن طريق هاتفه، وكادوا يلقون القبض عليه. ومع ذلك، فقد عاد إلى رشده بسرعة.

بينما ينتظر الجميع أن تحضر سونيا لتقديم العشاء -وهو ما لن يحدث أبدًا وفقًا لأي جدول زمني يمكن التنبؤ به- حكت جرايس قصة الليلة السابقة مع إضافات مثيرة، وازدادت حيوية عندما أدركت أنها تحظى باهتمام معظم الصبية.

قالت: "كنا في الطابق العلوي في منزل إحدى السيدات، ورأيت هؤلاء الرجال من القوات الخاصة يرتدون ملابس سوداء، ويتسللون فوق العشب في منتصف الليل. ربما تدربوا على القتل، فأصبحت أيديهم أسلحة فتاكة؛ شيء من هذا القبيل". تذمر كونر من إضافاتها التجميلية للقصة. عندما تحكيها في المرة القادمة، سوف يسقطون على المنزل من طائرة مروحية.

- سمعتهم يتهامسون هناك. شيء ما في كلماتهم والطريقة التي يتحدثون بها جعلني أدرك أنهم لا يسعون خلف كونر أو ريسا أو خلفي؛ لقد جاؤوا من أجل كامو كومبري! إنهم يريدون المُجَمَّع، وهم لا يعرفون حتى أن بقيتنا موجودون هناك!

صمتت مؤقتًا لتضفي على القصة تأثيرًا دراميًّا، ثم واصلت: "فجأة، اقتحموا الباب الخلفي، ودخلوا من الباب الأمامي، وكنا جميعًا في الطابق العلوي، فأخبرت كام أنه انتهى، لكن لا داعي لأن ننتهي نحن أيضًا معه. ثم دفعت ريسا تحت السرير، وانزلقت خلفها، وطلبت من كونر التظاهر

بالنوم على السرير ووجهه إلى أسفل، واقتحموا الغرفة، وهدَّؤوا كونر، وأخذوا كام معهم، ولم يدركوا قط أنهم أضاعوا فرصة القبض على إوُول آكرون، وكل ذلك لأنني اكتشفت هدفهم!".

بدا بعض الصبية متشككين إلى حد ما، وشعر كونر بمسؤوليته عن دعم جرايس. ففي النهاية، يجب نسبة الفضل إلى من يستحق. قال لهم: "هذا صحيح. لو لم تكشف جرايس نواياهم بهذه الطريقة، لقاتلتُهم، وربما تعرَّفوا عليَّ وقبضوا عليَّ".

قال جاك، الفتى الشبيه بليف: "لكن انتظر لحظة. لماذا تركهم يأخذونه دون تسليم بقيتكم أيضًا؟ أعني أنكم يا رفاق تمثلون صيدًا كبيرًا، فمن المحتمل أن يعقد لنفسه صفقة أو شيئًا من هذا القبيل".

ظهرت ابتسامة واسعة للغاية على وجه جرايس، وأدرك كونر ما ستقوله، فتمنى لو أنها لم تحكِ هذه القصة قط.

قالت جرايس: "لأن كامو كومبري يحب ريسا!".

وتركت كلماتها معلقة في الهواء. نظر كونر إلى ريسا تلقائيًّا، لكنها لم تواجه نظراته.

قال صبي آخر: "لكني لا أفهم ذلك. ظننت أن ما ذكره الإعلام برمته حول كونهما ثنائيًّا مزيف".

ظلت ابتسامة جرايس ثابتة كما هي، وقالت: "ليس بالنسبة إلى كام".

ريسا هي التي وضعت حدًّا لذلك أخيرًا، قائلة: "هذا يكفي يا جرايس. اتفقنا؟".

انكمشت جرايس قليلًا، وأدركت أن لحظتها في دائرة الضوء قد انتهت، فقالت دون إضافاتها الدرامية السابقة: "على أي حال، هذا ما حدث. قبضوا على كام وحده، ونجونا نحن".

قال جاك: "رائع، من يمكن أن يظن أن المُجَمَّع سيصبح بمنزلة بطل من نوع ما؟".

- بطل؟

التفتوا جميعًا إلى بو، الذي وقف في مكان آخر من القبو، متظاهرًا بعدم الاستماع، لكن يبدو أنه فعل.

- كم دستة من الصبية أمثالنا استلزم الأمر لصنع واحد من نوعه؟ لا يوجد شيء "بطولي" بشأنه.

لم يستطع كونر منع نفسه من الرد: "أتفق معك تمامًا".

أومأ بو لكونر، ليجد نفسه أخيرًا يقف مع إوُول آكرون على أرضية مشتركة.

ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر:

لا تنخدع بالإجراء "إف"!

يدعي مؤيدو ما يسمى بمبادرة الوقاية أن الأمر كله يتعلق بحماية الصبية المعرضين للخطر، لكن اقرأ التفاصيل الدقيقة! يسمح الإجراء "إف" لهيئة الأحداث بتحديد وتتبع الصبية غير القابلين للإصلاح، بغرض تفكيكهم بمجرد بلوغهم سن الثالثة عشرة، وهو ما سيصبح قانونيًّا حال إقرار مشروع قانون "تجاوز الوالدين".

ومن ناحية أخرى، يمول الإجراء "جي" هيئة الأحداث من خلال تقديم حوافز نقدية للقبض على الهاربين من التفكيك، والذين أثبتوا بالفعل أنهم يشكلون تهديدًا للمجتمع.

صوِّت بـ"لا" على "إف"! وبـ"نعم" على "جي"! فليكن خيارك عقلانيًّا!

- موَّله التحالف من أجل أمة خالية من الهاربين من التفكيك.

في وقت لاحق من ذلك المساء، عندما هدأ الجميع ليلًا، وضع كونر كبسولة نومه بجوار سرير ريسا في الركن شبه الخاص نفسه الذي

نامت فيه ريسا عند حضورها إلى هنا أول مرة. إنه بعيد عن الصبية الآخرين، ونقل كونر المكتبة الطويلة لتخفي هذا الركن وتزيد من خصوصيته. راقبته ريسا وهو يصنع عشهما المنعزل ولم يغمض لها جفن. أخذ كونر نفسًا عميقًا مملوءًا بالترقب. قد تكون هذه هي الليلة التي تصطف فيها نجوم علاقتهما أخيرًا. لقد تخيل ذلك طويلًا بالتأكيد. تساءل هل تخيلت هي أيضًا ذلك. رقد كونر بجوارها مؤقتًا، قائلًا: "تمامًا مثل الأيام الخوالي".

- نعم، لكن في آخر مرة كنا هنا، تظاهرنا فحسب بأننا ثنائي، لإبعاد يدي رولاند عني.

مد يده، مداعبًا وجنتها بلطف بأصابع رولاند، وقال: "ومع ذلك، ما زالت يده توضع عليكِ".

قالت مازحة: "ليس على كامل جسدي". ثم تقلبت مبتعدة، لكنها في خلال ذلك أمسكت بالذراع التي لمستها، ولفتها حول نفسها كالغطاء، وسحبتها بإحكام، حتى التصق صدره بظهرها. وفي هذه اللحظة سرى بينهما ما يشبه شحنة كهربائية، وعلم كلاهما أن كل شيء ممكن أن يحدث بينهما الآن. لا يوجد ما يعوقهما، ما عدا هذا.

قالت ريسا: "لا أستطيع التوقف عن التفكير في كام، وكيف ضحى بنفسه من أجلنا".

سحبتها ذراع كونر المزروعة بقوة أكبر. تمنى أن تكون ذراعه، لكنها ليست في اتجاه نومهما، وقال: "كام هو آخر ما أفكر به الآن".

- لكن بعد ما فعله من أجلنا، أشعر أنه يجب علينا... تكريمه بطريقة أو بأخرى.

قال كونر مبتسمًا، رغم أنها لا تراه: "في الواقع، إنني أؤدي له التحية الآن، ألا ترين؟".

قهقهت ريسا.

عندما ساد الصمت، شعر بنبض قلبها من خلال ذراعه وهو يعانقها. كما سرت نبضات قلبها إلى صدره الملتصق بظهرها، وهذا يكاد يتجاوز قدرته على الاحتمال. أراد أن يلعن كام لأنه ما زال موجودًا بينهما، بغض النظر عن مدى قربهما. سألها: "بِمَ ندين إليه إذن؟ بضبط النفس الأبدي بيننا؟".

قالت ريسا: "لا.. بل بترددنا.. فحسب".

لم يقل كونر شيئًا لبعض الوقت. تكونت خيبة أمله من طبقات متعددة، لكن مع ذلك، داخل تلك الطبقات، أيحتمل عدم وجود شعور بالارتياح أيضًا؟ استسلم للواقع الذي يقول إن شيئًا لن يحدث الليلة، واضعًا أمله ورغبته على مسافة، قريبة بما يكفي كي يظل على علم بها، لكن بعيدة بما يكفي كي لا تعذبه بشدة.

قال لها: "حسنا، هذه الليلة لكام. فلنواصل ترددنا".

ضحكت بلطف، وقضيا الليل في هدوء، مكتفيين بالإحساس بجرارة جسديهما، ونبضات قلبيهما حتى الفجر.

لا يتذكر كونر أحلامه، بل يشعر فحسب بأن تلك الأحلام قد راودته، وأنها قوية. لا توجد كوابيس، إنه واثق من ذلك. لقد دارت أحلامه حول الإنجاز والتمكين، فهذا ما شعر به عندما لامس ضوء الصباح الخافت المنتشر نافذة القبو الصغيرة خلفهما.

أن تغفو، وتستيقظ وذراعك ملتفة حول الفتاة الوحيدة التي أحببتها حقًّا...

لتعلما أنكما تمتلكان في حوزتكما جهازًا مدمرًا كالصاروخ...

أن تشعر بأنك لا تُقهَر، ولو للحظة عابرة...

هذه الأشياء كافية لإيقاف العالم في مساراته وبدء دورانه في اتجاه جديد. على الأقل هذا ما شعر به كونر. حتى الآن ظل متمسكًا بأمل ضعيف، لكن الآن يبدو أن هذا الأمل قد اكتمل.

لم تمر لحظة في حياة كونر يمكن أن يصفها بالكمال، لكن هذه اللحظة، مع ذراعه المخدرة بسبب لفها حول ريسا طوال الليل، وعطر شعرها الذي احتل أنفه بالكامل؛ هذه اللحظة هي الأقرب إلى الكمال الذي لم يدركه من قبل. حتى القرش بدا مبتسمًا.

لكن مثل هذه اللحظات لا تدوم طويلًا.

وسرعان ما استيقظ كل الصبية الآخرين، ونقل بو المكتبة التي منحتهما مستوى معينًا من الخصوصية، مدعيًا أنها تسد الطريق إلى الحمام، وبدأ اليوم. لقد أصبح الصبية المقيمون هنا كائنات روتينية تفعل ما اعتادته أو لا تفعله، وكأن شيئًا لم يتغير. ومع ذلك فقد حدث تغيير. إنهم لا يعرفون ذلك. لقد انقلب العالم للتو رأسًا على عقب، أو بتعبير أدق، اعتدل وضعه إلى الجانب الأيمن بعد أن انقلب لفترة طويلة.

في غضون دقائق قليلة، سُمع دوي الباب السحري وهو يُفتَح عندما وصلت سونيا حاملة وجبة الإفطار، وطلبت: "بعض المساعدة اللعينة هنا".

ولأنها تعلم أن لا شيء أقل من نداء الواجب سيبعد كونر عنها، اقترحت ريسا بلطف: "لِمَ لا تساعدها؟".

في الطابق العلوي، أحضرت سونيا ما يكفي من البقالة لإطعام الجمع. وبجهد بو وكونر وجرايس -التي قدمت المساعدة بقوة اليوم- نزلت الإمدادات في رحلتين، ولم يجد كونر ما يحمله في المرة الثالثة التي صعد فيها الدرج.

اليوم، دُفِع صندوق التخزين القابع أعلى الباب المسحور بزاوية خطِرة، فاصطدم بسلة قمامة بلاستيكية صغيرة اعترضت طريقه.

هذا الصندوق هو المشكلة الكبرى في نظر كونر منذ وصوله، رغم أنه لم يجرؤ على التحدث عن محتوياته. التفت، فرأى سونيا تغادر لإيقاف سيارتها في الضواحي في مكان قانوني.

وأصبح وحده مع الصندوق.

عجز عن مقاومة جاذبيته، فركع أمامه. إنه شيء ثقيل وقديم. أثريٌّ؛ لو أردنا الدقة. تزينه ملصقات السفر القديمة، وقد تقشرت عمليًّا عن السطح. لم يستطع كونر أن يعرف هل ذهب صندوق السفينة البخارية القديم فعلًا إلى تلك الأماكن، أم إن الملصقات مجرد زخارف وُضعَت عليه بعد توقفه عن السفر وتحوله إلى قطعة أثاث.

لم يجرؤ على فتحه، لكنه يعرف ما بداخله. رسائل.

مئات الرسائل.

كل منها كتبها هارب من التفكيك سكن قبو سونيا. كتب معظمهم إلى والديه. إنها رسائل الحزن وخيبة الأمل. الغضب والسؤال الصارخ "لماذا؟" لماذا فعلت؟ كيف استطعت؟ متى ساءت الأمور إلى هذا الحد؟ حتى أيتام ملاجئ الولاية -غير المحبوبين، لكنهم تربوا بسماحة من جانب إحدى المؤسسات- وجدوا شيئًا يقولونه إلى شخص ما.

تساءل هل أرسلت سونيا رسالته، أم إنها ما زالت هناك، مدفونة بين الأصوات الغاضبة الأخرى. وتساءل عما سيقوله لوالديه الآن، وهل سيختلف قوله عما كتبه سابقًا. بدأت رسالته بمدى كرهه لهما لما فعلاه، لكن بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى النهاية، بكى، وأخبرهما أنه يحبهما رغم كل ما بدر منهما. الكثير من الارتباك. الكثير من التناقض. مجرد كتابة الرسالة ساعدته على فهم ذلك، وساعدته على فهم نفسه

أكثر قليلًا. لقد قدمت له سونيا هدية في ذلك اليوم، وهي كتابة الرسالة، وليس إرسالها. لكن رغم ذلك...

رفعت سونيا عصاها، مشيرةً إلى درجات السلم شديدة الانحدار والمؤدية إلى القبو: "أريد أن أطلب منك إعادة الصندوق إلى مكانه، لكن يجب أن تقف على الجانب الآخر من الباب السحري قبل أن أفعل ذلك".

- حسنًا. سأفعل، لا تستخدمي عصاكِ.

لم تضربه بعصاها، لكن في أثناء هبوطه، نقرت بها بلطف على رأسه لجذب انتباهه، قائلة برقة: "عاملها بلطف يا كونر. ولا تسمح لبو باستفزازك. إنه يحب أن يكون الرجل الكبير فحسب".

- لا تقلقي.

نزل، فأغلقت الباب السحري بأعلى. انبعثت من القبو رائحة روح المراهقين، كما تقول الأغنية القديمة قبل الحرب. للحظة وجيزة، استرجع شريط ذكريات دون كلمات أو صور -مجرد شعور متنامٍ- أعاده إلى المرة الأولى التي نزل فيها هذا الدرج قبل عامين. عندما استيقظ شعر أنه لا يُقهَر، لكن هذا الإحساس قل الآن، بفعل تلك الذكرى الباردة المكثفة.

جلست ريسا في مركز إسعافاتها الأولية الصغير تعالج شفة فتاة منتفخة ودامية قليلًا. قالت الفتاة بأسلوب دفاعي: "لقد عضضت شفتي في أثناء نومي، إذن؟ هذا يعني أنني أعاني كوابيس إذن؟".

حال الاعتناء بالفتاة، جلس كونر على كرسي العلاج، قائلًا: "أعاني مشكلة في لساني أيتها الطبيبة".

سألته ريسا بحذر: "وما المشكلة؟".

- لا أستطيع إبعاده عن أذن صديقتي.

نظرت إليه كأنما تقول: "أرجوك، ارحمني"، وكانت أجمل نظرة رآها في حياته، وقالت: "سأتصل بشرطة الأحداث لتقطع لسانك. أثق أن هذا سيحل المشكلة، وسيمنح روحًا مسكينة أخرى عضوًا حسيًّا موهوبًا للغاية".

ضحكت للمرة الأخيرة، ثم تأملته بضع لحظات.

وأخيرًا قالت: "أخبرني عن ليف".

انزعج بعض الشيء بعد أن دمرت تمامًا المرح الذي ساد محادثتهما.

سألها: "ماذا عنه؟".

- ذكرتَ أنك ظللت معه لفترة. كيف حاله الآن؟

هز كونر كتفيه في لا مبالاة، قائلًا: "أصبح مختلفًا".

- مختلف بالمعنى الجيد أم السيئ؟

- حسنًا، في آخر مرة رأيتِه، أخذ يخطط لتفجير نفسه، لذا فإن أي شيء غير ذلك يعتبر تحسنًا.

أتى صبي آخر إلى ريسا؛ مصاب بما يشبه الشظية في إصبعه، ورأى الاثنين يتحدثان، فابتعد، ليعالجها بنفسه.

أدرك كونر أنه لا يستطيع إنهاء هذه المحادثة، لذلك أخبر ريسا بما يستطيع: "لقد مر ليف بالكثير منذ حادث مخيم الحصاد. إنكِ تعلمين هذا، أليس كذلك؟ حاول المصفقون قتله. وأمسك به ذلك الأحمق نيلسون، لكنه هرب".

فوجئت ريسا تمامًا، وقالت: "نيلسون؟ شرطي الأحداث الذي هدأته؟".

- لم يعد شرطيًّا. أصبح قرصان أعضاء، وهو مجنون، وصبَّ جنونه عليَّ أنا وليف. وربما يَصُبُّه عليكِ أنتِ أيضًا، إذا تمكن من العثور عليك.

قالت ريسا: "رائع، سأضيفه إلى قائمة الأشخاص الذين يريدون قتلي".

فجأة، مع ظهور شبح نيلسون في المحادثة، وجد كونر أن العودة إلى الحديث عن ليف أصبحت الآن أمرًا مريحًا: "على أي حال، لم ينمُ أي جزء من ليف، باستثناء شعره. لا يروقني ذلك. لقد تجاوز كتفيه الآن".

قالت ريسا: "أشعر بالقلق عليه".

- لا تقلقي. إنه في أمان بمحمية أراباتشي، ويشارك شعب المحظوظين حياتهم وشعورهم.

- يبدو أن هذا لا يسعدك للغاية.

تنهد كونر. عندما غادر المحمية مع جرايس، ترك ليف وقد امتلأ رأسه بكل هذا الحديث المجنون حول إقناع أراباتشي باتخاذ موقف ضد التفكيك، كما لو أنهم فعلوا ذلك في أي وقت مضى. في بعض الجوانب، يراه ساذجًا تمامًا مثل اليوم الذي أنقذه فيه من تنفيذ نذر العُشر.

قال كونر لريسا: "ليف يقول إنه يريد محاربة التفكيك، لكن كيف يمكنه فعل ذلك من محمية منعزلة؟ الحقيقة هي أنني أعتقد أنه يريد الاختباء في مكان آمن فحسب".

- حسنًا، إذا وجد السلام، فأنا سعيدة من أجله، ويجب أن تسعد أيضًا.

اعترف كونر: "أنا سعيد من أجله. ربما أغبطه فحسب".

تبسمت ريسا، قائلة: "لن تعرف ماذا تفعل بالسلام إذا وجدته".

بادلها كونر الابتسام، قائلًا: "أعرف بالضبط ما سأفعله"، ثم انحنى ليهمس، فاقتربت لتسمع، لكنه لعق أذنها بدقة تكفي لأن تصفعه، فيتقبل الصفعة بسعادة، آملًا أن يبعدها ذلك عن الموضوع، لكن هذا لم يحدث.

قالت: "أفتقد ليف. إنه في منزلة الأخ بالنسبة إليَّ. لم أحظَ بأخٍ قط، أو على الأقل لا أعرف إن كان لي أخ".

قال لها كونر: "لديَّ أخ".

لم يعرف سبب اختياره للتطوع بهذا التصريح. لم يتحدث عنه مطلقًا مع ريسا. ذكر حياته قبل أمر التفكيك يبدو بطريقة ما من المحرمات، أو أشبه بتحضير الأرواح.

سألته ريسا: "إنه يصغرك ببضع سنوات، أليس كذلك؟".

- ثلاث سنوات.

قالت: "حسنًا، تذكرت الآن".

فاجأه قولها، لكن بعد ذلك أدرك أن لا ينبغي له الإحساس بالمفاجأة على الإطلاق، فقد شرَّحت وسائل الإعلام حياة إوُول آكرون بأكملها منذ اليوم الأول لهروبه.

سألته ريسا: "ما اسم شقيقك؟".

قال لها: "لوكاس"، ومع ذكر الاسم ضربته موجة من الأحاسيس أقوى من استعداداته لمواجهتها. شعر بالندم، وأيضًا بالاستياء، لأن والديه فضلا لوكاس عليه واختاراه. يجب أن يُذكّر نفسه بأن ذلك ليس خطأ أخيه.

سألته ريسا: "هل اشتقت إليه؟".

هز كونر كتفيه بعدم ارتياح، مجيبًا: "لطالما أزعجني".

تبسمت ريسا، قائلةً بإلحاح: "هذا لا يجيب عن السؤال".

نظر كونر إلى عينيها الخضراوين شديدتي الجمال، اللتين ما زالتا عميقتين ومعبرتين تمامًا كما كانتا في لونهما الطبيعي.

اعترف كونر: "نعم، أحيانًا".

قبل أن يتخليا عنه، اعتاد والدا كونر مقارنته بلوكاس باستمرار؛ من حيث الدرجات الدراسية وممارسة الرياضة، بغض النظر عن أن كونر هو من علَّم لوكاس ممارسة كل الرياضات. عندما لم يلتزم كونر قط بالبقاء في فريق لمدة موسم كامل، تفوق لوكاس، مما أسعد والديهما دائمًا. وكلما ازداد سطوع لوكاس، بدا لهما ضوء كونر خافتًا.

قال لها كونر: "لا أريد التحدث عن هذا حقًّا". وبهذه السهولة، احتفظ بحياته القديمة وذكريات عائلته في مكان بعيد وآمن تمامًا، كما هو الحال مع رسالته إلى والديه الموجودة في صندوق سونيا.

***

4 - ليف

ليف لا يشعر بالسلام أبدًا.

إنه على رؤوس الأشجار مرة أخرى. الليل في أهدأ وأظلم أوقاته، لكنه مملوء بالحيوية، فيما تتدحرج مظلة الغابة مثل سحب الزبرجد تحت ضوء القمر الأزرق.

إنه يتبع الكينكاج[1] مرة أخرى، ذلك المخلوق ذا العينين الكبيرتين الذي يشبه القرد. رائع لكنه قاتل. إنه يعلم الآن أن روحه هي التي تطارده. أخذ يقفز سريعًا أمامه فوق فروع الغابة المطيرة الكثيفة، ويجذبه نحو شيء يشبه القدر، لكنه ليس محددًا تمامًا كالقدر. ليس شيئًا لا مفر منه، لكن ليف يمكن أن يجعله حقيقيًّا.

يحلم بالكينكاج وهذه الرحلة عبر الأشجار في كثير من الأحيان. كل زيارة إلى هذا المكان الرمزي المميز تغذي عزيمته وتدعمه، وتُذكِّره بوجود هدف يستحق الجهد خلف الأمور التي يدفع نفسه إلى فعلها.

أحلامه حية بشكل ملحوظ، وهو يتذكرها دائمًا. وهذه في حد ذاتها هدية تشعره بالامتنان. حيوية المشاهد ليست فقط ما يجعلها واضحة للغاية، لكن كذلك أصوات النقيق والصراخ والغناء في الحياة الليلية من

(1) راجع «مُفَرَّغ» الجزء الثالث من دستوبيا التفكيك. «المترجم».

حوله. رائحة الأشجار والأرض في الأسفل ترابية للغاية، لكنها ليست أرضية رغم ذلك. ملمس الفروع على يديه وقدميه وذيله. نعم، ذيله، لأنه تمكن من اللحاق بالكينكاج الآن. لقد أصبح هو نفسه المخلوق، وهذا جعله مكتملًا.

إنه يعرف ما سيأتي بعد ذلك. حافة الغابة، حافة العالم. لكن هذه المرة يوجد شيء مختلف. بدأ إحساسٌ ما يتدفَّق بداخله. نذير شؤم مألوف جدًّا في حياته، لكنه غير معروف هنا، حتى الآن.

شيء لاذع يندفع نحوه الآن مع النسيم. رائحة الدخان. الضوء الأزرق المهدئ من حوله يشوبه البنفسجي ثم البني المحمر. التفت خلفه ليرى نيران الغابة تمتد كجدار مشتعل في المسافة خلفه. ربما ما زال اللهب على بعد ميل واحد، لكنه يلتهم الأشجار بسرعة مثيرة للقلق.

وهكذا تحولت أصوات الحياة إلى صرخات تحذير ورعب. اندفعت الطيور بشكل محموم إلى السماء، لكن النيران تشتعل فيها قبل أن تتمكن من الهرب. أدار ليف ظهره إلى العاصفة النارية التي تقترب، وقفز من فرع إلى آخر محاولًا تجاوزها. ظهرت الفروع أمامه أينما أرادها بالضبط، وعلم أنه قادر على تجاوز تلك النيران بصرف النظر عن طبيعتها، وحتى لو أن مظلة الغابة بلا نهاية. لكنها ليست كذلك.

وسرعان ما وصل إلى المكان الذي تنتهي فيه الغابة عند منحدر يتدرج هبوطًا إلى غياهب النسيان، وفي السماء أمامه، بدا القمر بعيد المنال.

أَنزِلهُ يا ليف.

علِم أنه يستطيع ذلك! إذا قفز عاليًا بما يكفي، فيمكنه أن يحفر بمخالبه في القمر ويسحبه من السماء. وعندما يسقط، فإن الموجة

التصادمية التي سيحدثها ستطفئ اللهب كنفخة الرب التي تطفئ الشمعة.

استجمع ليف شجاعته فيما تلفح ظهره الحرارة الحارقة. يجب أن يتحلى بالإيمان. يجب ألا يفشل. قفز إلى السماء وقد أمسكت به النيران، ولدهشته أمسك القمر، لكن مخالبه لم تحفر بعمق كافٍ لتضمن له السيطرة.

انزلق القمر من يديه فسقط، فيما تلتهم النار خلفه آخر الغابة. هبط من ذلك العالم إلى زاوية غير مكتملة من الكون لم تصل إليها حتى الأحلام.

***

اصطكت أسنان ليف بلا سيطرة، وارتجف جسده من قوة التشنجات.

قال شخص يقف أمامه: "هل ستعزف «الكاستانيت» الليلة يا أخي الصغير؟".

في اللحظة التي سبقت استقرار الزمان والمكان في ذهنه، ظن صاحبة الصوت إحدى أخواته الأكبر، وأنه في المنزل، طفل أصغر سنًّا بكثير وأكثر براءة. لكن في لحظة أدرك أن هذا ليس صحيحًا، بعد أن تبرأت منه أخواته وبقية أفراد عائلته. إن هذه أخته من قبيلة أراباتشي، أونا.

- لو باستطاعتي إيقاف تشغيل مكيف الهواء لفعلت، لكنه يعمل آليًّا مثل كل شيء آخر في فندق «آي موتيل» الرديء هذا، ولسبب ما يعتقد منظم الحرارة أن درجة الحرارة تبلغ اثنتين وتسعين درجة.

شعر ليف ببرودة شديدة أعجزته عن الحديث حتى الآن. ضغط على أسنانه بقوة حتى تتوقف عن الاصطكاك، لكنه نجح جزئيًّا فحسب.

أحضرت أونا بطانيته من حيث سقطت على الأرض وغطته بها. ثم أخذت غطاء السرير وغطته به أيضًا.

أصبح أخيرًا قادرًا على إحداث صوت، فقال: "شكرًا لك".

سألته: "أهي مجرد نزلة برد أم أنك تعاني الحمى؟"، ثم تحسست جبهته. لم يجد أحدًا منذ ما يقرب من عامين ليجسَّ جبهته عند إصابته بالحمى. أثار هذا موجة من الأحاسيس غير المرغوب فيها، لكنه لم يستطع التأكد من ماهية تلك الأحاسيس.

- كلا، لا توجد حمى. إنك مصاب بنزلة برد فحسب.

قال لها: "أشكرك مرة أخرى. إنني في حال أفضل الآن".

أصبح اصطكاك أسنانه متقطعًا، وفي النهاية بدأ يتلاشى، واعتدلت حرارة جسده بفعل الأغطية. تعجب من مدى بُعد حلمه عن العالم الحقيقي، وكيف تحولت حرارة اللهب الحارقة سريعًا إلى برودة غرفة في فندق على جانب الطريق في منتصف المسافة بين مجهولين. لكن الحرارة والبرودة وجهان لعملة واحدة، أليس كذلك؟ وكلاهما قاتل. أغمض ليف عينيه، محاولًا العودة إلى النوم، وهو يعلم أن جسده يحتاج إلى أكبر قدر ممكن من الراحة في الأيام المقبلة.

في الصباح، استيقظ على صوت إغلاق الباب. ظن أن أونا قد غادرت، لكن لا، لقد خرجت وعادت للتو.

قالت: "صباح الخير".

أجابها بهمهمة غير مفهومة؛ ما زال لا يملك ما يكفي من الطاقة للحديث. ما زالت الغرفة باردة، لكن في وجود أغطية مزدوجة، شعر بالدفء.

حملت أونا كيسين يحملان شعار أحد مطاعم الوجبات السريعة المشهورة، قائلة: "ما خيارك، نوبة قلبية أم سكتة دماغية؟".

تثاءب وجلس، قائلًا: "لا تقولي لي إن مخزون السرطان قد نفد".

هزت أونا رأسها، قائلة: "آسفة، لا يقدمونه إلا بعد الحادية عشرة والنصف".

أخذ كيس الطعام من يدها اليسرى، فوجد بداخله شطيرة بيض لذيذة جدًّا لدرجة تؤكد كونها قاتلة. حسنًا، إذا أرادت قتله، فعليها أن تصطف خلف هيئة الأحداث والمُصفِّقين، وطبعًا نيلسون.

سألت أونا، فيما يلتهم ليف بقية وجبة الإفطار: "ما الخطة يا أخي الصغير؟".

- كم نبعد عن مينيابوليس؟

- ما يقرب من ثلاث ساعات.

مد ليف يده، مخرجًا من حقيبة ظهره صور قرصانَي الأعضاء اللذين يطاردانهما. أحدهما فقد أذنه، والآخر قبيح مثل الماعز، وسألها: "أتحتاجين إلى إلقاء نظرة أخرى؟".

قالت أونا، دون محاولة إخفاء اشمئزازها من التفكير فيهما: "لقد حفظت كل شبر من هذين الوجهين، لكني ما زلت لا أعتقد أن ذلك سيحدث فرقًا. مينيابوليس وسانت بول مدينتان كبيرتان. من المستحيل العثور على خاسرَين لا يريدان العثور عليهما".

منحها ليف أضعف ابتساماته، قائلًا: "من قال إنهما لا يريدان العثور عليهما؟".

جلست أونا على السرير المجاور له، ونظرت إليه من كثب، قائلةً مرة أخرى: "إذن ما هي الخطة يا أخي الصغير؟".

***

تشاندلر هينيسي ومورتون فريتويل. القرصانان الباقيان على قيد الحياة من الذين تسللوا إلى منطقة أراباتشي، وأسروا ليف ومجموعة من الصغار في الغابة.

ويل تاشين -حب أونا الوحيد- هو من أنقذهم. لقد قدم نفسه مقابل حياة ليف والآخرين، وعقد القراصنة الصفقة لأنه امتلك شيئًا من شأنه أن يجلب لهم ثمنًا باهظًا. امتلك ويل موهبة في يديه، وأجزاء دماغه التي أتقنت ما يجيده قلة من الناس، وهو العزف على القيثارة. أخذوه وتركوا ليف يواجه العواقب. لقد عجز عن منع ويل من التضحية بنفسه، ومع ذلك ألقت قبيلة أراباتشي اللوم عليه. كان ليف دخيلًا، مثل قراصنة الأعضاء.. لاجئًا من العالم المكسور نفسه. حتى أحاسيس أونا تجاهه حملت قدرًا من التناقض. قالت له: "أنت نذير الهلاك". ووجدها على حق. أينما يذهب ليف، يبدو أن الأشياء الفظيعة تتبعه دائمًا. ومع ذلك، ما زال يحلم بأنه قادر على كسر هذا النمط. بالتأكيد سيكون الأمر أسهل من إسقاط القمر.

ترك تفكيك ويل تاشين جرحًا في شعب أراباتشي أدرك ليف أنه لا يستطيع مداواته، لكن ربما يمكنه تهدئة هذا الجرح. ستظل الندبة موجودة دائمًا، لكن إذا نجح ليف في تحقيق مراده، فسيعيد هو وأونا سارقَي اللحم البشري ليواجها عدالة أراباتشي. وهنا، ينبغي للمجلس القبلي الاستماع إليه، والنظر في التماسه لاتخاذ موقف علني أخيرًا ضد هيئة الأحداث.

لن يؤدي اصطياد هينيسي وفريتويل إلى إسقاط القمر تمامًا، لكن لو أمكن إشراك قبيلة أراباتشي -التي يمكن القول إنها أكثر قبائل شعب المحظوظين تأثيرًا- في المعركة ضد التفكيك، فسيصبح ذلك حدثًا أكبر من مجرد إسقاط القمر.

***

5 - ستاركي

لم يهتم مايسون مايكل ستاركي كثيرًا في السابق بما تفعله -أو لا تفعله- بعض قبائل شعب المحظوظين. إنه لا يحتاج إلى دعمهم المثير للشفقة، لأنه خاض معركته ضد التفكيك مباشرة في معقل العدو، في هيئة ماسورة بندقية حُشِرَت في حلق هيئة الأحداث. وفي نظره، أي شيء أقل من ذلك يعد إخفاقًا. يعرف ستاركي أنه مستعد للوصول إلى العظمة. في الواقع، لقد حقق ذلك فعلًا. المسألة الآن تتعلق فحسب بدرجة تحقيقه للهدف.

قال: "أعلى قليلًا.. نعم، هناك".

لقد هرب مع المنقولين من المقبرة قبل أن يتمكن رجال شرطة الأحداث من القبض عليهم، ثم نجا من حادث تحطم طائرةِ هروبهم. والآن أصبح ستاركي بطل حرب. لم تُعلَن أي حرب رسمية، لكن لا تهتم؛ لقد أعلنها هو، وهذا كل ما يهم. إذا اختار الآخرون التصرف وكأن هذه ليست حربًا، فهم يستحقون ما سيصيبهم.

قال: "أنا لا أشعر بذلك. اضغطي أكثر قليلًا".

ستاركي هو منقذ المنقولين. لقد تحول الآن هو وأتباعه -من الرُّضَّع غير المرغوب فيهم الذين كبروا وأصبحوا صبية غير مرغوب فيهم- إلى

جيش ينفجر بغضب مُبرَّر ضد نظام يريد أن يسكتهم إلى الأبد. المجتمع يريد تفكيكهم، واستخدام أجزائهم "لخدمة الإنسانية". حسنًا، إنهم الآن يمنحون البشرية نوعًا مختلفًا قليلًا من الخدمة.

- إنكِ لا تجيدين هذا، أليس كذلك؟

- إنني أحاول! أفعل كل ما تقوله!

رقد ستاركي على طاولة التدليك ووجهه إلى أسفل في غرفة كانت في السابق بمنزلة المكتب التنفيذي لمحطة الطاقة. لقد دُمِّرت المحطة منذ سنوات مضت، ولم يتبق منها سوى صَدَفة صدئة داخل سياج من السلك المفرغ الشبيه بخلية النحل، على بعد أميال من أي مكان يريد أي شخص أن يوجد فيه. إنه ركن مملوء بالعشب في شمال المسيسيبي، وهي منطقة متضخمة وغير محبوبة إلى أقصى درجة. مكان الاختباء المثالي لجيش قوامه ستمئة مقاتل.

دفع ستاركي نفسه إلى أعلى على أحد مرفقيه. أشاحت مُدَلِّكَتُه -وهي فتاة جميلة لا يستطيع تذكر اسمها- ببصرها بعيدًا، لأنها خائفة للغاية من رؤية عينيه.

قال لها ستاركي: "التدليك الجيد للظهر يجب أن يؤلم بقدر ما يسبب الاسترخاء. عليكِ العمل على نقاط الضغط في عضلات ظهري. عليكِ أن تنجزي عملكِ وتجعليني طليقًا ورشيقًا وجاهزًا لمهمتنا التالية. هل تفهمين؟".

أومأت الفتاة برأسها، وقالت في طاعة مفرطة وحماس شديد لإرضائه: "أعتقد ذلك".

- لقد قلتِ من قبل إنك فهمتِ.

قالت له: "أعرف. أردت فقط الفرصة...".

تنهد ستاركي. هكذا تسير الأمور من حوله الآن. يتسلقون فوق بعضهم مثل الفئران ليتقربوا منه. لينعموا بنوره. لا يمكنه إلقاء اللوم عليهم حقًّا. يجب عليه أن يشيد بهذه الفتاة لطموحها، لكن كل ما يريده الآن هو تدليك جيد.

قال لها: "يمكنك الذهاب. أنا آسف".

ظلت واقفة، وأخذ هو يتأمل اللحظة. يعرف ستاركي أن بإمكانه الالتفاف على الأمور عصر اليوم، وربما يحصل على شيء آخر غير التدليك من هذه الفتاة المتحمسة؛ كل ما يريد، فهو يعلم أنها ستطيعه، لكن حقيقة أنه يستطيع الحصول عليها بهذه السهولة تقلل كثيرًا رغبته فيها.

قال لها: "اذهبي فحسب".

انسلت مبتعدة، وحاولت فعل ذلك بهدوء، لكن مفصلات الباب الصدئة أصدرت صريرًا عندما فتحته. وحتى لا يصدر الباب صريرًا آخر، تركته مفتوحًا. سمعها ستاركي وهي تصعد السلالم المعدنية، وربما تبكي بسبب فشلها في إرضائه.

أصبح بمفرده الآن؛ حرك كتفه اليسرى وفحص الضمادة الموجودة هناك. أصيب برصاصة في آخر عملية تحرير مخيم حصاد. حسنًا، ليست إصابة جدية. لقد خدشته الرصاصة بشكل طفيف، ولا يمكن حتى تسمية ذلك جرحًا. صحيح أنه نزف بعض الدماء، ونعم، سيترك ندبة، لكن لو صنفه على مقياس الجروح، من واحد إلى عشرة، سيقع هذا الجرح في مكان ما بين واحد وخمسة. ما زالت الضمادة تجعل الأمر يبدو أسوأ، لذا يرتدي قميصًا بلا أكمام يُظهر بوضوح الضمادة الموجودة أعلى ذراعه، ليراها جميع المنقولين. إصابة حرب أخرى تذهب إلى الذراع نفسها، بعد يده المدمَّرة. اليد التي حطمها ليحرر نفسه من الأصفاد في مقبرة

الطائرات. وكسْر يده أنقذه. لقد حرره ليهرب مع المنقولين ويبدأ حربه. وبالنظر إلى أنه كان ذات مرة يتجه سريعًا إلى التفكيك، فإن التخلي عن يد واحدة بدا كصفقة رابحة. وهو الآن يبقيها داخل قفاز «لوي فيتون» باهظ الثمن. حدث ذلك في المقبرة في بدايات يوليو، والآن جاء سبتمبر. لقد مر أقل من ثلاثة أشهر. رغم إحساسه أن عمرًا قد مضى، فإن جسده يقيس الوقت بشكل صحيح، حتى لو لم يفعل عقله ذلك. ما زالت يده المكسورة تتألم، وتنزف، وتحتاج إلى جرعة لا بأس بها من مسكنات الألم بين الحين والآخر. لن تشفى بشكل صحيح أبدًا. لن يستخدم تلك اليد أبدًا مرة أخرى، لكن هذا لا يهم كثيرًا. لديه المئات من الأيدي الأخرى للعمل نيابة عنه.

نظر من النوافذ المتشققة والمتسخة التي تطل على طابق محطة توليد الطاقة سابقًا، الذي تكسوه الآن أغطية الأسرَّة، والطاولات القابلة للطي، ومختلف أساسيات الحياة البدوية لجيش المنقولين.

- أتراقب أتباعك؟

التفت، ليرى بام -التالية بعده في القيادة- تدخل الغرفة حاملة بعض الصحف، وقالت: "بعض الصحف الشعبية تقول الآن إنك من ذرية الشيطان. تزعم امرأة في مدينة بيوريا أنها رأت ابن آوى وهو يلدك".

ضحك ستاركي، قائلًا: "لم أذهب إلى بيوريا قط".

قالت: "لا بأس. لا أعتقد بوجود أي ابن آوى في بيوريا أيضًا".

ألقت الصحف على طاولة التدليك. سعد ستاركي بوجوده في الصفحة الأولى من كل جريدة. لقد رأى وجهه في نشرات الأخبار وعلى سحابة التخزين العامة، لكن رؤية وجهه مطبوعًا له تأثير عميق للغاية على نفسه.

- لا بد أنني أفعل الصواب، ما دام المجانين يرونني قويًّا كالمسيخ الدجال.

أخذ يتصفح الصحف. اتخذت الصحف الرسمية موقفًا رسميًّا أكثر بشأنه، لكن لم تغفل أي جريدة الحديث عن مايسون مايكل ستاركي. يحاول الخبراء استعراض التحليل النفسي لدوافعه. تغضب هيئة الأحداث عند ذكر اسمه، وفي المدارس بجميع أنحاء البلاد، تندلع أعمال الشغب بين المنقولين وغير المنقولين. في كل مكان، يطالب صبية آخرون مثله بمعاملة متساوية في عالم يفضِّل رحيلهم.

يصفه الناس بالوحش لأنه أعدم "العمال الأبرياء" في مخيمات الحصاد. يطلقون عليه اسم القاتل، لأنه أعدم بوحشية الأطباء الذين يُجرون عمليات التفكيك. فليدعوه ما يريدون. كل تسمية تضيف فقط إلى أسطورته المتنامية.

قال لبام: "ستأتي إمدادات جديدة من الذخيرة اليوم. وربما بعض الأسلحة الجديدة أيضًا"، ثم راقبها من كثب ليرى رد فعلها. ليس ما ستقوله، لكن ما تشعر به؛ لغة جسدها. رأى بوضوح أنها متوترة.

- إذا أمدنا المصفقون بالأسلحة، فربما يمكنهم تعليم هؤلاء الصبية كيفية استخدامها حتى لا يفجروا أدمغتهم على سبيل الخطأ.

أضحك قولها ستاركي حقًّا، فذكرها: "إنهم يرسلون الأطفال لتفجير أنفسهم من أجل قضيتهم. أتعتقدين حقًّا أنهم يهتمون إذا أطلق القليل من المنقولين النار على أنفسهم؟".

قالت بام: "ربما لا. لكن عليك أنت أن تهتم. إنهم منقولوك المحبوبون".

صمت ستاركي مفكرًا في قولها، لكنه حاول عدم إظهار ذلك، وقال مصححًا: "منقولونا".

- لو أنك تهتم بهم بقدر ما تقول، فسوف تتخذ إجراءات لحمايتهم من أنفسهم... ومن بعضهم.

لكن ستاركي عرف ما تفكر فيه حقًّا. *لو أنك تهتم بهم*، توقف عن *مهاجمة مخيمات الحصاد*.

سألها: "كم عدد المنقولين الذين ماتوا في الهجوم الأخير؟".

هزت بام كتفيها، قائلة: "كيف لي أن أعرف؟".

قال ستاركي مقرًّا الحقيقة ببساطة: "لأنك تعرفين". إنه يعلم أنها تتابع مثل هذه الأمور لاستخدامها ضده، أو ربما لتعذيب نفسها فحسب.

تواصلت بام معه بعينيها، لكن جهلها المزعوم خذلها، فقالت: "سبعة".

سأل ستاركي: "وكم منقولًا أضفناه إلينا؟".

بدا واضحًا أن بام لا تريد الإجابة، لكنه انتظر حتى أقرَّت مرغمة: "ثلاثة وتسعون".

- ثلاثة وتسعون منقولًا.. وحررنا مئتين وخمسة وسبعين شخصًا من غير المنقولين من جحيم مخيم الحصاد. أعتقد أن هذا يستحق الأرواح السبعة التي فقدناها، أليس كذلك؟

لم تجبه، فسألها مُلِحًّا: "أليس كذلك؟".

في النهاية، نظرت من النافذة إلى مئات الأطفال على أرضية محطة توليد الطاقة، واعترفت: "بلى".

- لماذا إذن نثير هذا الجدل؟

قالت بام وهي تستدير لتغادر المكان: "إننا لا نتجادل. لا أحد يجادلك يا مايسون. لا جدوى من ذلك".

فيما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر:

لا يوجد شك في أن هذه أوقات مخيفة. المصفقون يُرهبون أحياءنا. المنقولون الهاربون من التفكيك يقتلون الأبرياء. يهدد المراهقون المتوحشون بحدوث انتفاضة عنيفة ومميتة. وفيما توجد إجراءات مختلفة بشأن صناديق الاقتراع على مستوى الولاية وأنظمة التصويت المحلية للمساعدة في كبح جماح الشباب الفاسد، فإن هذه التدابير ليست كافية. وما نحتاج إليه هو سياسة وطنية شاملة تعمل على إخراج العناصر غير القابلة للإصلاح من المعادلة، قبل أن تلقي بظلالها على أحداث الغد.

إن خيار التقسيم للصالح العام -المعروف أيضًا بقانون تجاوز الوالدين- سيفعل ذلك تمامًا! وسوف يحدد أخطر المراهقين ويسمح بتفكيكهم، ويأخذ القرار بعيدًا عن الآباء المهملين ويضعه في أيدي هيئة الأحداث، حيث ينتمي.

اكتب إلى عضو الكونجرس وأعضاء مجلس الشيوخ. أخبرهم أنك تدعم "تجاوز الوالدين". لن تصبح عائلتك آمنة حتى يصبح تجاوز الوالدين قانونًا.

- مَوّله مواطنون من أجل الصالح العام

عندما بدأ غروب الشمس، وبدأت النوافذ المغطاة بالأوساخ تلقي ظلالًا طويلة على أرضية محطة توليد الطاقة، نزل ستاركي ليختلط بالجماهير. رحب به العديد من الصبية، فيما خشي آخرون بشدة مجرد النظر إليه. تحرك بين الحشد بلا صعوبات، ودون أن يشكو أحدهم إليه مشكلاته. هذه طريقة أخرى يقود بها سفينته بشكل مختلف عن كيفية إدارة كونر للمقبرة. غرق كونر باستمرار في التفاصيل اليومية. المراحيض الاحتياطية، ونقص الإمدادات الطبية، وأشياء من هذا القبيل. لكن هنا، يعرف الصبية ضرورة عدم إضاعة وقت ستاركي. إذا واجهتهم مشكلة، فإما أن يتعايشوا معها وإما يعتنوا بها بأنفسهم. لا يمكن إزعاجه، فلديه حرب ليخوضها.

مع تأخر العشاء لخمس عشرة دقيقة، فحص مطبخهم المؤقت، حيث تصبَّبَ هايدن أبتشيرتش وفريق إعداد الطعام المعاون له عرقًا، بسبب نقل أوعية ضخمة الحجم من لحم الخنزير المُصنَّع.

قال هايدن: "مرحبًا بك أيها القائد العظيم".

- أين العشاء؟

- انتظرنا التسليم من "قسم التصفيق"، لكن يبدو أن المصفقين أرسلوا بنادق وذخيرة فقط، ولم يرسلوا طعامًا. لذا يجب علينا الليلة أن نكتفي بلحم الخنزير المعلَّب.

بدا هايدن مسرورًا للغاية بهذه الحقيقة، فسأله ستاركي: "لماذا تبتسم؟ لحم الخنزير المعلَّب بشع".

- أتمازحني؟ يا إلهي! إن لحم الخنزير المعلَّب هو الطعام الوحيد الذي يمكن أن يؤكل نيئًا أو مقليًّا. إنه طعام مقدس.

أكثر ما يزعج ستاركي بشأن هايدن هو أنه لا يستطيع أبدًا فهم نواياه؛ هل يتصرف بعدم احترام، أم إنه يسخر بحكم العادة؟ لفترة، مثَّلَ هايدن مشكلة، لأنه رفض تنفيذ أعمال الكمبيوتر التي احتاج إليها ستاركي لاختيار أهدافه. لكن يبدو أن هايدن قد التزم بالنظام مؤخرًا. والآن بعد تخفيض رتبته مرة أخرى إلى الإشراف على خدمة الطعام، فإنه يؤدي عمله بكفاءة مشجعة، وإن كان لاذعًا إلى حد ما. ما زال ستاركي لا يشعر بثقة حقيقية تجاه هايدن، لكن لا يوجد أي شخص آخر منظم بما يكفي لوضع الطعام على الطاولة ثلاث مرات يوميًّا لجميع الستمئة منقول. إن هايدن أبتشيرتش شر لا بد منه.

- قدِّم الطعام خلال عشر دقائق، وإلا سأبحث عن بديل لك.

قال هايدن: "تلقيت الإنذار"، ثم واصل عمله.

وجد ستاركي بام في مخزن الأسلحة، تفرغ الصناديق المجهولة التي تسلموها من شاحنات لا تحمل أي علامة مميزة. لا يبخل المتبرعون عليهم فيما يخص منحهم أفضل أسلحة وذخيرة على الإطلاق.

سألها ستاركي: "ما الذي حصلنا عليه؟".

قالت بام: "انظر بنفسك. المزيد من البنادق الهجومية والمدافع الرشاشة. ومجموعة كاملة من مسدسات «جلوك» الألمانية الخفيفة. أعتقد أنهم قرروا أننا بحاجة إلى مسدسات لعب للأطفال".

قالتها بصوت يقطر سخرية لاذعة، تفوقت كثيرًا على تلك التي حملها صوت هايدن.

- أتفضِّلين أن يذهبوا إلى بيئة معادية وهم عزَّل؟

لم تجبه، لكن عندما غادر الصبية الذين يساعدونها لتناول العشاء، قالت بام: "ألا يزعجك على الإطلاق أننا نتلقى التمويل والتسليح من قِبل الأشخاص أنفسهم الذين يمولون حركة المصفقين؟".

أدار عينيه. إنه لم يشعر قط بأي قدر من التناقض بشأن هذا الأمر.

- لا تنتقد أبدًا هدية تلقيتها، بغض النظر عن مصدرها.

- هوِّني عليكِ، ليس الأمر وكأننا نفجر أنفسنا!

- ليس بعد. لكن من يدري ما الذي سيطلبونه مقابل كل ما يقدمونه لنا؟

- هل خطر بذهنك أنه كلما زاد تمويلهم لنا، قلَّت أموالهم المخصصة للمصفقين؟

ضحكت بام في مرارة، قائلة: "هذا أفضل تبرير لديك حتى الآن! مايسون ستاركي يصرِّح: إنقاذ العالم من المصفقين بدولار في المرة الواحدة!".

خرجت لتناول العشاء، تاركة ستاركي غاضبًا لأنها صاحبة القول الأخير. رغم كونه سيد مجاله بلا منازع، فإن ستاركي يشعر دائمًا ببعض الضعف بعد مواجهة بام وجهًا لوجه. لا يوجد شك في أنها مصدر قوة -فهي رائعة في السير على خطاه، والحفاظ على سير الأمور بسلاسة- لكن عصيانها بدأ يتجاوز الحدود، ولا يمكن التسامح مع ذلك. يعرف ستاركي أنه يحتاج إليها في عملية تدمير مخيم الحصاد القادمة. لكن بعد ذلك، يوجد مجال للتغيير. يوجد الكثير من المنقولين المؤهلين، الذين يمكنهم أداء عمل بام. الصبية الذين يمكن أن يثق بهم حقًّا، الذين لن ينتقدوا أفعاله أو يصيبوه بالضيق.

إن مخيم الحصاد التالي الذي سيهاجمونه كبير. يحميه الكثير من رجال الأمن، والكثير من الأسلحة النارية. من يدري هل ستعود بام من مثل هذا المكان حية؟

***

6 - كونر

حالة من الركود تخدره، وتبلّد حواسه وزمن استجابته. إنها تستنزف دوافعه. المهمة أمامهم هائلة جدًّا، ولا يعرف من أين يبدأ. الآن، بعد أن أصبحت الطابعة معهم، يحتاجون إلى وضع الخطط، لكن قبو سونيا ما زال كما هو دائمًا، مثل ثقب أسود يعيدهم إلى عقلية الانغلاق باعتباره ملاذًا آمنًا للهاربين من التفكيك. تهتم ريسا بالخدوش والمشكلات الطبية المختلفة، وتمثل دورها ببراعة كطبيبة نفسية لكل هؤلاء الصبية الذين يحتاجون إلى شخص ما يتحدثون إليه، رغم أنهم ليسوا جميعًا على استعداد للتحدث. أما بالنسبة إلى كونر، فيوجد الكثير من الأجهزة المعطَّلة، ويجد الوقت يمر بسهولة شديدة في أثناء إصلاحه لها. هذا أسهل من التصرف استباقيًّا مع الطابعة، لأن العالم بالخارج عبارة عن حقل ألغام. خطأ واحد وينتهي كل شيء.

يعرف كونر أنه فيما يعجز هو عن إحراز أي تقدم، تلقي المواطنة الاستباقية تعويذاتها الهائلة على المجتمع. المزيد من الإعلانات لتشويش وإرباك العامة. هل الناس حقًّا خراف يمكن خداعهم؟ ربما. أو ربما في وجود الكثير من وسائل الإعلام المتضاربة، تتعطل عقول الناس. ربما هذا هو الهدف. وتواصل حركة الإطاحة بقانون «كاب-17» كسب المؤيدين. إن التدابير التي تدعو إلى إنشاء المزيد من مخيمات

الحصاد، والمزيد من الطرق لتفكيك "الأشخاص غير القابلين للإصلاح" قانونًا، تستمر في اكتساب المزيد من الاهتمام. يطلق النقاد على ذلك في الواقع اسم "عامل ستاركي". ما بدا واضحًا لكونر، ظهرت الآن معالمه رسميًّا. ينشر ستاركي والمنقولون المزيد والمزيد من الرعب مع كل مخيم حصاد يدمرونه، لكن بدلًا من توجيه ضربة إلى التفكيك، تدفع تلك الهجمات الدموية الوحشية عامة الناس إلى احتضان أي شيء وأي شخص يعِد باختفاء ستاركي من العالم.. إلى لأبد.

تدور هذه الأحداث القاسية في العالم الخارجي، لكن في قبو سونيا تختلط الأيام بالليالي، التي تمتزج مرة أخرى مع الأيام. من الصعب ألا تنجذب إلى الخمول عندما تجد ملاذك خالدًا في طي النسيان.

شرحت ريسا، مبرِّرة سبب عدم فعلهم أي شيء سوى الانتظار: "انشغلت سونيا بمحاولة العثور على ملاجئ آمنة جديدة لهؤلاء الأطفال، لكن الشبكة القديمة انهارت، ومن دون المقبرة، لا توجد وجهة بعد الآن".

بدا واضحًا لكونر -حتى قبل مغادرته المقبرة- أن مقاومة الانقسام لم تعد قادرة على مقاومة أي شيء. يبدو أن منظمة مقاومة الانقسام قد انهارت تمامًا. لقد اختفى لاعبوها الرئيسيون. وتقول الشائعات إن عددًا منهم قُتلوا في هجمات تصفيق "عشوائية". جعل هذا كونر يتساءل هل الفوضى التي ينشرها المصفقون لها أجندة أعمق ليست فوضوية على الإطلاق. وما دام قد طرأ على ذهنه هذا التساؤل، فلا بد أن آخرين يتساءلون أيضًا. الكثير من الآخرين. لكن كيف يجدهم؟ أو، بشكل أدق، كيف يمكنه حشدهم للعمل؟

قال لريسا: "لن ننقذ هؤلاء الصبية بنقلهم في رحلات مكوكية". لم يستطع منع نفسه من النظر إلى طابعة الأعضاء القابعة في سكينة،

تغطيها قطعة من القماش في الركن القريب من مكان نومهما. توجد إجابة، لكن الإجابة لا تعني شيئًا إذا لم يسمع العالم السؤال أولًا.

سيحتاجون إلى المساعدة. مساعدة من الخارج.

إنها جرايس، بعقلها المتحمس للاستراتيجيات، التي تمنحهم غذاء الفكر. قالت: "لو سألتني -وهو ما لم يحدث- فما عليك فعله طبعًا هو العثور على شخص متصل لا سلكيًّا".

- أتقصدين نوعًا من وسائل الإعلام الشعبية المنتشرة؟

قالت جرايس: "الأمر أشبه بالأسمدة التي تجعل الجذور تنمو بطريقة صحية نوعًا ما".

هنا، فكر كونر فورًا في هايدن. سيكون أول من يدعو إذاعة "راديو فري هايدن" سمادًا. ففي نهاية المطاف، لم يتجاوز نطاق "محطته" قط حدود مقبرة الطائرات، لكن بيانه الصغير عند اعتقاله أصبح رمزًا مميزًا بين المحرومين من حقوقهم. إذا بث إذاعته الآن -أو حتى صرخ من أعلى أحد المباني- فإن الناس سيستمعون إليه. لسوء الحظ، لا يعرف كونر مكانه، أو هل ما زال حيًّا.

عندما يطرحون على سونيا سؤالًا عن خطوتهم التالية مع طابعة الأعضاء، تمنحهم النصيحة نفسها يوميًّا.

تقول لهم: "لا تتخذوا قرارًا بشأنها الآن"، وهذا مثير للغضب. أمن الممكن أنها تشعر بالرعب مثلهم من برميل البارود الذي يجلسون عليه؟

إعلان

أتعرف ماذا تنوي ابنتك أن تفعل؟ هل تعلم أين يقضي ابنك وقته؟ في عالمنا المحموم، لا يمكننا دائمًا مراقبة تصرفات أبنائنا المراهقين، لكن الآن يوجد تطبيق «تعقَّب مراهقًا»، الذي يستخدم أحدث برامج التوقيع الحيوي. يتعرف تطبيق «تعقَّب مراهقًا» على

طفلك على جميع كاميرات المرور والكاميرات الأمنية، مما يجعل من المستحيل على ابنك المراهق حتى عبور الشارع دون علمك. استمع إلى ما يقوله الناس!

"لقد جنح ابني منذ أكثر من عام. اعتقدنا أننا فقدناه إلى الأبد، ولكن بفضل «تعقّب مراهقًا»، تمكنا من تحديد مكانه وإدخاله في برنامج العلاج المعرفي للأشخاص غير القابلين للإصلاح، قبل أن نضطر إلى اللجوء إلى أمر التفكيك".

"اعتادت ابنتي الخروج في وقت متأخر كل ليلة. اشتبهنا أنها تُطعم الهاربين من التفكيك وتتورط في أنشطتهم الإجرامية. باستخدام تطبيق «تعقّب مراهقًا»، تمكنا من العثور على مكمنهم وتنبيه السلطات، التي ألقت القبض على أولئك الهاربين من التفكيك، والآن أصبحت ابنتنا في أمان".

"كان ابننا طالبًا نموذجيًّا، وابنًا مثاليًّا. لم ندرِ أنه قد تورط مع عصابة كوبية تتاجر بالتبغ. لولا «تعقّب مراهقًا» لما تمكنا من إنقاذه في الوقت المناسب".

تذكّر أن قانون "تجاوز الوالدين" يلوح في الأفق. لو أن طفلك مضطرب وفي سن التفكيك، فقد يصبح «تعقّب مراهقًا» أمله الأخير. لا تتأخر! مع «تعقّب مراهقًا»، راحة البال لا تستلزم سوى تحميل التطبيق!

أصلح كونر تلفاز القبو المعطل في يومه الثاني هناك. يصر بو على تشغيل قنوات الترفيه فحسب، ويرفض الأخبار تمامًا.

قال بو: "إننا نعرف ما يحدث هناك، ولا شيء جيد به. من الأفضل أن نضحك جميعًا، ونحاول أن ننسى همومنا لبعض الوقت".

حسنا، تبًّا لذلك. إنها المرة الوحيدة التي استعرض فيها كونر عضلاته ورفض مشاهدة البرنامج. تحلى بو بما يكفي من الحكمة كي لا يشتبك معه في قتال. لذا سمح له بمشاهدة الأخبار، واستخدم ذلك لإظهار مدى كرمه كقائد.

الأخبار لا تجعل أي شخص يشعر بالارتياح، لكن بالنسبة إلى كونر، هذه طبيعة الأمور. عندما تكون سجينًا في المجتمع، يجب ألا تلهو في أثناء هروبك. على الأقل حتى تتمكن حقًّا من الهرب من مصيرك.

لقد بدأ سبتمبر. لم يبق سوى أقل من شهرين على يوم الانتخابات، وبدأ الساسة -الذين عادة ما يترددون في مناقشة القضايا المطروحة للحل- يتخذون مواقف تتجاوز كل الخطوط الحزبية، وذلك لأن الأحزاب منقسمة. شاهد كونر أحد أعضاء الكونجرس في برنامج حواري بواشنطن يتحدث عن "الضرورة الاجتماعية لتفكيك غير المرغوب فيهم".

رغم دفء القبو، لاحظ كونر أن ريسا عقدت ذراعيها وهي تشاهد، وتفركهما كمن تحمي نفسها من الريح.

- لن أفهم أبدًا كيف يمكنهم دمج جرائم القتل في الوعي المجتمعي.

قال كونر، محاكيًا بإقناع صوت مذيع جدير بالثقة: "إنها ليست جرائم قتل، ألا تعلمين؟ إنه ألطف ما يمكننا فعله للشباب المضطربين الذين يعانون اضطراب التفكك البيولوجي".

حدقت إليه جرايس -التي بدا أنها تسمع كل ما يدور بينه وبين ريسا- وقالت: "إنك تمزح، أليس كذلك؟".

لو صدر هذا عن شخص آخر، لما برر كونر السؤال بإجابة، لكنه غمز لجرايس، فضحكت بارتياح.

قال كونر: "نحتاج إلى المضي قدمًا في هذا الأمر".

يجب أن يخرجوا من هنا بحثًا عمَّن يمكنهم استخدام الطابعة فعلًا، أو على الأقل يحاولون معرفة هل تعمل أم لا. لقد أخذ زمام المبادرة،

لكنه لم يتخذ أي إجراء بعد. هذا ليس من شيَمه، وتمنى أن يعرف ما الذي يعيقه.

سأل بو، وهو يدس أنفه في المحادثة: "المضي قدمًا في ماذا؟".

لم يخبروا أيًّا من الصبية ساكني القبو عن الطابعة، لأن الثقة بين الهاربين من التفكيك يجب كسبها. لا أحد يعرف أين سينتهي الأمر بهؤلاء الصبية، وما الصفقات التي سيعقدونها لإنقاذ حياتهم.

قال كونر: "إعداد الغداء. هل ستطهون اليوم؟".

أدرك بو أنه يكذب، لكنه أيضًا لم يحاول الإلحاح، ربما لأنه يعلم أنه لن يحصل على أي معلومات من كونر، ما دام ذلك الأخير لا يرغب في تقديمها. من الأفضل تجنب الضغط، بدلًا من الضغط ومواجهة الفشل. يختار بو معاركه جيدًا: فقط تلك التي يملك فرصة جيدة للفوز بها. في الواقع، يجد كونر ذلك أمرًا رائعًا. ألا يضيع الصبي وقته في أمور لا طائل من ورائها. يمكن أن يصبح في الواقع قائدًا لائقًا إذا تغلَّب على نفسه.

في تلك الليلة، عندما نزلت سونيا لتوصيل اللحوم الباردة والخبز غير الطازج حتى يتناولوا العشاء، تمكن كونر من التحدث معها على انفراد، فيما انشغل بو والصبية الآخرون بتوزيع الشطائر عليهم.

- إنك تدركين حاجتنا إلى وضع أيدينا على بعض تلك الخلايا الجذعية التي تحدثتِ عنها، والتأكد من أن الطابعة ما زالت تعمل قبل أن نطرح أمرها على العامة.

قالت سونيا وهي تحدق إليه: "حسنًا، سأشتري بعضًا منها من «وول مارت» غدًا".

وعندما أصرَّ كونر، تنهدت، قائلة: "إنك على حق، لكن الأمر ليس سهلًا. لا يوجد سوى عدد قليل من الجامعات البحثية في الغرب الأوسط

التي ما زالت تعمل على هذا النوع من الأبحاث. المنظمات الكبرى ترفض تمويله، لأن الناس يعتقدون أن أبحاث الخلايا الجذعية لها علاقة بالأجنَّة، ويخشى الناس من أنها قد تشعل من جديد قضايا «حرب الجوهر». وحتى مجرد ذكره يجلب احتجاجات ودعاية سلبية. وبطبيعة الحال، لا علاقة للخلايا الجذعية البالغة متعددة القدرات بالخلايا الجذعية الجنينية، لكن الحقائق لا تمنع الجهلاء أبدًا من ضرب العلم في مقتل".

ابتسم كونر، قائلًا: "حسنًا، بمجرد أن نجعل هذا الشيء يعمل، ونضعه في أيدٍ أمينة، يمكننا إعادة توجيه تلك الضربات كي تصيب هيئة الأحداث والمواطنة الاستباقية!".

تقول سونيا: "آمل أن أعيش حتى أرى ذلك اليوم"، وربتت وجنته كما تفعل أي جدة. كونر -الذي يرفع عادةً شعار "لا تلمسني"- وجد الأمر مريحًا بغرابة.

قالت له: "سأجد لنا مكانًا به مخزون من الخلايا. الجزء الصعب هو الحصول عليها".

***

تركت سونيا الباب السحري مفتوحًا لفترة أطول قليلًا من المعتاد لتهوية القبو، الذي أصبح مزدحمًا بشكل ملحوظ، فاستغل كونر -الذي ينتهز كل فرصة متاحة للهروب من القفص- ذلك، وصعد إلى الطابق العلوي ليجد جرايس عند صندوق التخزين القديم. لقد فتحته وتناثرت المظاريف في كل مكان.

- ماذا تفعلين بحق الجحيم؟ توقفي! ألديك أي فكرة ما هذه؟

- أنا آسفة، أنا آسفة، لم أقصد ذلك، لم أقصد ذلك!

حاولت جرايس بشكل محموم إعادة الرسائل إلى الداخل، لكن الصندوق امتلأ عن آخره، حتى إن المظاريف سقطت مرة أخرى. الأمر يشبه محاولة إعادة معجون الأسنان إلى الأنبوب.

ندم كونر على الفور على صراخه في وجهها، وركع إلى جوارها، قائلًا: "اهدئي يا جرايس".

- أردت فقط أن أرى ماذا يوجد بداخله، وبدأ الكل يتساقط. لم أقصد ذلك!

- أعلم أنك لم تقصدي ذلك. كل شيء على ما يرام. اذهبي إلى القبو، وسأتدبر الأمر.

لم تحتج جرايس إلى مناشدة أخرى، وقالت: "يجب أن أتوقف عن لمس الأشياء. الفضول قتل القطة. يجب أن أتوقف عن لمس الأشياء".

نزلت جرايس الدرج، مبتعدة عن المشهد، تاركة كونر وحيدًا مرة أخرى مع الصندوق، لكن هذه المرة أصبح «صندوق باندورا» مفتوحًا على مصراعيه. لم يعرف أين سونيا، وماذا ستقول إذا رأت ما حدث!

توجد المئات والمئات من المظاريف، أكثر بكثير مما كان موجودًا عندما أودع كونر رسالته. معظم المظاريف بيضاء ومزخرفة بنقوش بارزة من اللون نفسه، لكن توجد أيضًا بعض المظاريف الملونة، كما لو أن سونيا شعرت بالملل وبدأت في توزيع مظاريف أكثر إشراقًا على الصبية. كل مظروف كُتِب عليه العنوان بخط اليد.

الآن بعد أن بدأ، وجد كونر أنه لا يستطيع التوقف. بدأ يفتش بحر المظاريف بحثًا عن عنوان مألوف، بخط يد مألوف. كان مظروفه أبيض بسيطًا، ومن الصعب استخراجه من عاصفة المراسلات الثلجية هذه.

قالت سونيا وهي تقترب من خلفه، فيما غرق في صندوق التخزين: "لن تجده هناك أبدًا".

رفع يديه، وهو يشعر بالذنب تمامًا كما شعرت جرايس، وجلس على الأرض المغبرة، قائلًا: "ألم ترسلي أيًّا منها؟".

قالت سونيا بحزن: "ولا واحدة. لم يُطِعني قلبي كي أرسلها".

- هل جاء أيٌّ من الصبية الناجين ليأخذ رسالته؟

قالت سونيا مرة أخرى: "لا أحد. أعتقد أن لديهم أشياء أكثر إلحاحًا لفعلها. هذا لو أن أيًّا منهم قد نجا".

طمأنها كونر: "لقد نجا الكثيرون. أعلم ذلك، لأنني تركت الكثير منهم يرحلون عندما وصلوا إلى سن آمنة".

قالت سونيا: "تركتهم يرحلون؟ أعتقد أنني يجب أن أسألك عما فعلته طوال هذا الوقت، لكنني أعتقد أنك لا تفضِّل الحديث عن ذلك".

تبسم كونر. إنها على حق.

- إنك لست متورطًا مع ذلك الفتى الفظيع ستاركي، أليس كذلك؟

تجهم كونر ولم يستطع تحمل نظراتها، وقال: "إنه في الواقع خطئي. إنه مريضي النفسي الصغير".

وبمنتهى الرحمة، لم تسأله سونيا عن التفاصيل، وقالت: "مم... ربما تكون قد جرحته، لكنه لا يتبع أوامر أي شخص سوى نفسه. إننا جميعًا لدينا وحوشنا العرضية".

نظر كونر إلى الصندوق المملوء بالرسائل، وفهم أخيرًا سبب بقائه هنا، وما الذي يعيقه.

سألها: "هل سترسلينها يومًا؟".

جلست سونيا خلف مكتبها، ومالت إلى الأمام، متكئة على عصاها، وقالت: "أفترض أنه إذا حان الوقت المناسب للكشف عن الطابعة، فقد يصبح الوقت مناسبًا أيضًا لإرسال الرسائل".

صمتت مؤقتًا، وتأكدت من عدم خروج أحد من القبو، ثم بدأت تقرأ أفكار كونر.

- لكنك لا تريدني أن أرسل رسالتك، أليس كذلك؟

- لا.. لا أريد.

- لأنك تعتقد أنك قد تسلمها بنفسك.

أخذ كونر نفسًا عميقًا، وأخرجه ببطء، وهو يسألها: "أيعني هذا أنني أسعى إلى تدمير ذاتي مرة أخرى فحسب؟".

- لا أستطيع أن أجزم بذلك.. لكن يبدو لي أن الرغبة في إنهاء الأمر ليست تدميرًا للذات.

نظر إلى الصندوق مرة أخرى، وسألها: "ما الفائدة؟ كما ذكرتِ، لن أجد رسالتي بداخل الصندوق أبدًا على أي حال".

- لا، لن تجدها.

ثم فتحت درج مكتبها العلوي، وأخرجت منه مظروفًا واحدًا، مضيفة: "لأنها هنا".

لو أنها أخرجت إصبعًا من الديناميت، لما شعر بخطورة أكبر من ذلك.

- لقد بحثتُ عنها داخل الصندوق ليلة عودتك. اعتقدت أنك قد ترغب في الحصول عليها في نهاية الأمر.

سلمتها إليه. وجد على المظروف خط يده، والعنوان الذي نشأ فيه. وعلى ظهره تموُّج سبَّبه اللعاب الجاف حيث لعقه ليغلقه منذ عامين. وما زال لا يعرف حتى الآن هل هذه الرسالة عدو أم صديق.

لكن الآن بعد أن أمسكها بيده، أدرك شيئًا دون أدنى شك.

- ساعدني يا إلهي... قبل أن ينتهي كل هذا، سأواجههما. سأواجه والديَّ...

***

الجزء الثاني

هنا يكمن الخطر

من جريدة «التلجراف»:

فتاة هُرِّبَت إلى بريطانيا لـ "حصد أعضائها"

بقلم ستيفن سوينفورد، كبير المراسلين السياسيين - 18 أكتوبر 2013، 10:00 مساءً بتوقيت جرينتش

كُشِف عن أول حالة تهريب طفلة إلى بريطانيا لحصد أعضائها.

أُحضِرَت الفتاة -التي لم يذكر اسمها- إلى المملكة المتحدة من الصومال بهدف إزالة أعضائها وبيعها لمن هم في أمسِّ الحاجة إلى عملية زرع...

وظهرت هذه القضية في تقرير حكومي كشف أن عدد ضحايا الاتِّجار بالبشر في المملكة المتحدة ارتفع بنسبة تزيد على 50 بالمئة العام الماضي ووصل إلى مستويات قياسية...

وقد حذرت جمعيات حماية الطفل الخيرية الليلة الماضية من أن العصابات الإجرامية تحاول استغلال الطلب على زراعة الأعضاء في بريطانيا.

وقالت بهارتي باتيل، الرئيس التنفيذي لـ (Ecpat UK)، وهي مؤسسة خيرية لحماية الطفل: "يستغل المهربون الطلب على الأعضاء وسهولة الوصول إلى الأطفال لضعفهم. ومن غير المرجح أن يُقدِم أحد المهربين على هذه المخاطرة لجلب طفلة واحدة فقط إلى المملكة المتحدة، لذا من المرجح وجود مجموعة أخرى من الأطفال".

ووفق منظمة الصحة العالمية، يَحصُل المهربون كل عام على ما يصل إلى 7000 كلية بشكل غير قانوني من جميع أنحاء العالم.

وفيما توجد سوق سوداء لأعضاء مثل القلب والرئتين والكبد، فإن الكلى هي أكثر الأعضاء المرغوبة لإمكان استئصالها من المريض دون أي آثار مَرَضية.

وتشمل العملية عددًا من الأشخاص، بما في ذلك المُجنِّد الذي يحدد هوية الضحية، والشخص الذي يرتب نقلها، والأطباء المتخصصون الذين يجرون العملية، والبائع الذي يتاجر بالأعضاء...

يمكن العثور على المقال كاملًا على:

http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/crime/10390183/Girl-smuggled-in-to-Britain-to-have-her-organs-harvested.html

7 - فارس السماء

مشكلة في العالم، ومشكلة في المنزل. كيف يتوقعون أن يركز المرء في عمله وسط كل هذا العناء؟ يتسبب الهاربون من التفكيك في إحداث الفوضى في كل مكان، والمصفقون يفجرون الأشياء، وبعد ذلك -طبعًا- توجد ابنتي. ظننت أنها أفاقت أخيرًا، وتعقَّلت، والآن تفعل هذا؟ فيمَ تفكر؟

ارتفع صوت رئيس العمال عبر جهاز الاتصال الداخلي، مما أذهله: "من الأرض إلى فرانك! هل أنت على هذا الكوكب اللعين؟".

- نعم أنا هنا. هل نحن مستعدون؟

- مستعدون؟ إننا ننتظر هنا منذ مدة في ملل. ابدأ تشغيل الرافعة، هيا!

- شغَّلتُ الرافعة. أخلِ المنطقة المحيطة بالحمولة.

- المنطقة خالية. سأخطر وسائل الإعلام.

ضحك فرانك، لأن رئيس العمال لا يمزح؛ إنه يخطر وسائل الإعلام حرفيًّا. لقد تجمعوا حول جزيرة الحرية، ووجهوا الكاميرات إلى أعلى نحو التمثال المختبئ داخل سقالات البناء. قد تكون هذه مناسبة بالغة

الأهمية بالنسبة إليهم، لكن بالنسبة إلى مشغل الرافعة، فهي محض مهمة أخرى.

فيمَ تفكر ابنتي بحق الجحيم؟ كيف يمكنها مواعدة مثل هذا الفتى الواضح إخفاقه للعيان؟ إنها بالكاد في الرابعة عشرة من عمرها. كيف تواعد مراهقة في الرابعة عشرة من كوينز جانحًا في السادسة عشرة من برونكس؟ تقول لي «إنه يتمتع بقلب طيب»!

حسنًا. فلننتزع هذا القلب من جسده إذن، ونضعه في جسم شاب آخر يستحق اهتمامها.

أصبحت الكابلات مشدودة، وتحركت الذراع الجديدة على البارجة ببطء وسلاسة. هذه ليست مهمة تُنجَز بسرعة وعجرفة، فتلك هي أفضل طريقة لقطع الكابلات، وقتل زملاء العمل، وانهيال الدعاوى القضائية. الكثير من الدعاوى القضائية. بدأت الذراع في الارتفاع، كما لو أن ساحرًا يرفعها. أدار فرانك أدوات التحكم في الرافعة، وشعر بالكابلات المتصلة بالجسم الضخم غير العملي كما لو أنها أعصابه، والرافعة نفسها مجرد امتداد لجسده.

حبيب ابنته لم يتجاوز سن التفكيك. ليس بعد. ذلك الفتى عديم الشخصية لن يبلغ السابعة عشرة قبل بضعة أشهر على الأقل. وبعد ذلك، إذا ألغوا قانون «كاب-17»، فسيوجد عام كامل من التفكيك المحتمل الذي سيلاحق حياته البائسة. المشكلة هي أن والدَيْ هذا الوضيع لن يُقدِما على تفكيكه. لن يفعلا ذلك طبعًا! ربما يدمنان المخدرات أو ما هو أسوأ. لا رقابة ولا حدود. إذا لم تُربِّ طفلك تربية سليمة، فإنه يتحول إلى عشبة ضارة يجب اقتلاعها. إن كل هذا الموقف اللعين خطؤهما!

- فرانك! يا إلهي! ماذا يحدث هناك؟ أبقِ الذراع ثابتة!

- أعمل على ذلك. إنها الرياح.

- عوِّض تأثيرها! آخر ما نريده هو أن تنسحق تلك الذراع الغريبة عند قاعدة التمثال الغريبة كحوت غريب ميت!

توجد كاميرات مثبتة على الرافعة، وعلى الأرض، وعلى التمثال نفسه لمراقبة الذراع في أثناء ارتفاعها، لكن أجهزة المراقبة لا تحكي قصة واضحة مثل رؤية الشيء فعليًّا. مال فرانك إلى الجانب، ونظر من النوافذ الزجاجية الضخمة للرافعة المروحية، ليرى الذراع وهي تلتوي وتدور وسط الرياح في الأسفل. ضبط شد الكابلات، الشبيه بالتلاعب بزوجين من الستائر المعدنية، لجعل الشعلة واليد تتخذان زاوية قدرها خمس وأربعون درجة. والآن ارتفع مع ارتفاع الشعلة قليلًا عن بقية الذراع، وعند هذه الزاوية التقط الرياح بشكل مختلف، وارتفع بثبات أكبر. وفي دقيقة واحدة، تجاوز ارتفاع قاعدة التمثال. الآن أخذ يسحب إلى الداخل، مما جعل الكابل أقرب إلى التمثال.

تربية حثالة لحثالة مثلها، لن تسفر إلا عن حثالة. ما ينطبق على سباق الخيل ينطبق على البشر أيضًا. ربما والدا ذلك الفاشل يدمنان المخدرات أو الخمور لدرجة تجعلهما عاجزين حتى عن توقيع أمر التفكيك. في بعض الأحيان لا يمكن ترك هذه الأشياء للوالدين، وبخاصة لو أنهما من النوع الذي كان عليه تفكيك نفسه قبل أن يبدأ في التكاثر. من الجيد أنهم يتحدثون عن التفكيك الإلزامي للأحداث غير المرغوب فيهم. إذا مُرِّرَ القانون، فربما تحل المشكلة نفسها. وإذا لم يحدث هذا، فلي ابن عم يعرف شخصًا، الذي بدوره يعرف شخصًا، ويمكنه أن يوصلني بقرصان أعضاء. سيأتي أحدهم ويأخذ الصبي ويتولى أمره. الأمر هو أنني أعلم أنني لا أملك الشجاعة لإجراء المكالمة.

- إنها تبدو جميلة من هنا. كيف حالك يا فرانك؟

قالها رئيس العمال وضحك. (يقصد كيف يسير الأمر، لكنه قال كيف حالك!) ربما لم يلاحظ مزحته إلا بعد أن قالها.

قال له فرانك: "أحتاج إلى مساعدة"، فضحك رئيس العمال أكثر. زاد فرانك الزاوية إلى ثمانين درجة. أصبحت الشعلة في وضع مستقيم تقريبًا الآن حيث تتدلى من مجموعات متعددة من الكابلات الموجودة على الرافعة الضخمة.

من دون ذراعه اليمنى، بدا التمثال إلى حد ما أشبه بتمثال «فينوس دي ميلو». متجهمًا وعاجزًا في غموض. لم يمثل رؤية الحرية التي رآها المهاجرون الأوائل قبل النزول في جزيرة إليس القريبة، لكنهم اضطروا إلى إزالة الذراع الأصلية التي تحمل الشعلة، لأن الغلاف النحاسي والإطار الداخلي لها ثقيل للغاية وأصبح شديد الضعف على مر السنين. وبدلًا من ترك الذراع تستسلم للإجهاد المعدني في عاصفة أو أخرى، تقرر استبدال سبيكة أخف وأكثر ثباتًا بالشعلة والذراع، مصنوعة من الألومنيوم أو التيتانيوم؛ شيء من هذا القبيل. المشكلة الوحيدة هي أن الذراع البديلة لونها رمادي يميل إلى الفضي، وليس أخضر شاحبًا. من المفترض أن العقول في مكتب التصميم كان لديها خطة لرسم الذراع بحيث تتناسب مع بقية التمثال، لكن هذه ليست مشكلة فرانك.

لا، إن الحقير الذي يواعد ابنتي هو مشكلتي. وزوجتي تصرخ في وجهي وكأن هذا خطئي. كأنني أستطيع فعل شيء حيال ذلك: "ينبغي ألا تدعها تتمتع بهذا القدر من الحرية يا فرانك. وماذا لو حملت؟ ماذا سنفعل عندئذ؟".

ماذا؟ ستتخلى عن طفلها، هذا ما سيحدث. ستتعلم الدرس بالطريقة الصعبة. أو تتزوج ذلك المعتوه. ستحدث مجموعة من الكوابيس.

ناداه رئيس العمال: "تمهَّل الآن! فقط ضعها في مكانها يا فرانك".
هنا، شغَّلَ نظام التوجيه بالليزر واسترخى في مقعده.

لقد خرج الأمر من يديه الآن. وكما هو الحال مع عملية إرساء مركبة فضائية، فإن الأمر كله يحدث بالكمبيوتر بدقة جراحية تصل إلى المليمتر. راقب على شاشات مختلفة الذراع وهي ترسو في الشقوق المقطوعة في الطيات النحاسية لثوب الآنسة حرية، مع قعقعة عميقة، لكن لطيفة، واهتزاز شعر به يتوغل في عظامه. أتبع ذلك تصفيق من طاقم البناء بأكمله.

وهنا، تولى فريق التجميع المهمة -مجموعة من بناة السفن- لأن في هذه المرحلة، يكون ربط الذراع أشبه بربط مقدمة السفينة. سيستلزم الأمر أسبوعًا من اللحام والنحاس والترابط الجزيئي، لدمج الفولاذ والنحاس في السبيكة الجديدة. مرة أخرى، هذه ليست مشكلته. غدًا سيعود إلى العمل في مبنى شاهق فاخر في الجانب الغربي العلوي. فارس سماء عادي يدير رافعة بسيطة، ويرفع العوارض إلى الطابق الثامن والثمانين. مكانة بسيطة وتوتر أقل.

الآن، لو أمكنه فحسب التخلص من حبيب ابنته المعتوه وتقليل التوتر في المنزل، سيمكنه التركيز في العمل.

***

8 - كام

كامو كومبري شاب سعيد للغاية، لكنه تَعِس.

كامو شاب مندفع للغاية. لكنه غير واثق من أنه هو الذي يقود حياته.

جلس وحيدًا في شرفة مرتفعة مطلة على المحيط، أعلى منحدر مولوكاي، وأخذ يفكر في وجوده الذي بدأ قبل بضعة أشهر. قبل ذلك كان جزءًا من تسعة وتسعين طفلًا آخرين، رغم أنه يشتبه في أن العدد أكبر. تسعة وتسعون رقم يحمل جناسًا جميلًا. جيد لوسائل الإعلام. جيد للدعاية. عندما يتعلق الأمر بكام، فإن "حياته" بأكملها تدور حول الدعاية العامة، ولم يعرف السبب بعد. لماذا تدعمه المواطنة الاستباقية بالكثير من المال؟ لماذا "اشتراه" الجيش الأمريكي وكأنه أحد الممتلكات؟ إنه قيِّم، نعم، لكنه ملكية رغم ذلك. اعتاد ذلك أن يزعجه، لكن ليس بعد الآن، لسبب ما.

إنه يحب وجوده في مولوكاي، ربما لأنها الأخت غير المحبوبة لسلسلة جزر هاواي. كانت في السابق مستعمرة للجذام، والآن تثير الفضول فحسب، فهي موطن لمُجَمَّع ضخم تملكه وتديره منظمة المواطنة الاستباقية. علم كام أن القصر الواقع على جانب الجرف ليس سوى جزء

من المجمع. مثل كل شيء آخر يتعلق بالمنظمة، فإن مجال تأثيرها يمتد إلى ما هو أبعد من الانطباعات الأولى.

خرجت روبرتا إلى الشرفة لتنضم إليه حول الطاولة، قائلة: "إنك لا تأكل يا كام".

روبرتا - صانعته أو بانيته- أيًّا كان المصطلح الذي يطلقه المرء على الشخص الذي أحضره إلى العالم. ربما، إذن، ينبغي أن يدعوها "أمًّا"، رغم كرهه استخدام الكلمة.

نظر إلى المقبِّلات غير الشهية التي أمامه، قائلًا: "انتظرتك. وعلى أي حال، لدي عدد قليل جدًّا من محبي كبد البط في مجتمعي الداخلي. سأنتظر طبق الأضلاع".

- كما تريد.

أجابها بدعابة سمجة اعتمدت على الجناس الناقص لكلماتها، فمنحته ضحكة واهنة بعينيها، وبدأت تلهو بلطف بكبد البط ذي المظهر الكريه الذي يزين مقبلاتها الإيطالية. وكما يتذكر كام، للحصول على وجبة الكبد هذه، يُطعَم البط قسرًا حتى يصاب بالسمنة المفرطة، ويتضخم كبده حد الانفجار. يا لها من حيل رائعة تلك التي تعلمها الجنس البشري! عاد كام ينظر إلى البحر.

- يستعد الجنرال بوديكر للترحيب بك في «ويست بوينت» الأسبوع المقبل.

- أتعشم ألا توجد كلمات ترحيب.

- غير رسمية فقط. نخب عند اللقاء وترحاب. سيحضر خلال أيام قليلة لإطلاعك على التفاصيل.

قال كام: "لماذا لا يستطيع رجال الجيش إخبار الناس الأشياء بالتفصيل؟ لماذا يجب عليهم الإيجاز؟".

- اعتقدت أنك -من بين كل الناس- ستُقدِّر الرسميات اللغوية.

- ألا تقصدين "أنت من بين كثير من الناس"؟ من المبالغة القول إنني مصنوع من كل الناس.

لقد حصل كام على توضيح بشأن تجربته الوشيكة في «ويست بوينت»، التي ستمتد طوال حياته كما يبدو. سيُدرج سريعًا في تدريب الضباط، وفي الوقت نفسه تُلتقَط له الصور التذكارية، ويصبح "وجه الجيش الأمريكي الحديث"، أيًّا كان معنى ذلك. لقد كره الفكرة في البداية، لكن رأيه تغيَّر بوضوح.

يجب أن يعترف بأنه يبدو رائعًا في الزيِّ الرسمي، الذي يجعله يبدو مهمًّا، جزءًا من شيء أعظم من نفسه. إنه يتخيل جميع الأشخاص رفيعي المستوى الذين سيصافحهم -ليس فقط كاختراع جديد، وإنما كضابط فخور في مشاة البحرية الأمريكية- لأنهم قالوا إن بإمكانه اختيار القطاع الذي ينضم إليه، واختار مشاة البحرية. عندما يفكر في مستقبله المجيد، يشعر بسعادة غامرة. لكنه تعيس.

أخيرًا، حوَّل نظره بعيدًا عن المحيط، قائلًا: "دعينا نتحدث عن الشخص الذي جعلتِني أنساه. فلنتحدث عن الفتاة".

انتهت روبرتا من تناول كبد البط، وقالت دون أن تنزعج: "أنت تعلم أنني لن أناقش هذا الأمر، فلماذا تسأل؟".

- لأني سأصل إلى أقرب نقطة من التذكر، لو أجبرتك على التذكر.

جاء خادمهما ليأخذ المقبلات ويحضر طبق أضلاع اللحم الرئيسي. وجد كام نفسه متلهفًا لتناول هذا الطبق، لكنه ليس جائعًا بما يكفي للبدء على الفور، وقال: "ما زلت أشعر بالدودة في دماغي".

- إنها ليست دودة حقيقية. إنها مجرد قطعة ذكية من تكنولوجيا «النانو»، وأي شيء تشعر به تصنعه مخيلتك ليس إلا.

بدأ يقطِّع اللحم، متخيلًا كيف وُجِّه دماغه المجزأ بواسطة جيش من آليات النانو المجهرية التي تزحف بطول محاوره العصبية، وتقفز بين التشعبات، وكلها مضبوطة للبحث عن أنماط ذاكرة محددة للغاية. في اللحظة التي يصطدم فيها فكره الواعي بالذاكرة المستهدفة، فإنها تُمحى بسرعة. لا فوضى ولا إزعاج. في الأيام القليلة الأولى بعد هذا الإجراء، عانى كام هذا الإحساس بوجود كلمة ما على طرف لسانه، حيث أخذ يبحث عن اسم ووجه اعتقد أنه يتذكره منذ لحظة، لكنه اختفى بعد ذلك. لقد تقلص هذا الإحساس، لكن ظل انزعاجه من الغياب. حسنًا، ليس تمامًا، لأن آليات النانو مصممة أيضًا لتعديل مستقبِلات السعادة لديه عندما يفكر في أي شيء متعلق بالجيش. إنها تملأ الفجوات كما يفعل معجون التحضير في جدار من الجص المتشقق.

إن الأشياء السطحية التي ما زال يعرفها هي التي تجعل من الصعب عليه للغاية التخلي عن حياته الماضية. إنه يعلم أنه ذهب إلى آكرون. يتذكر مساعدة كونر لاسيتر، لكن التفاصيل غامضة. يعرف كام أيضًا أنه اختار أن يصبح بطلًا في نظر "فَتاتِه"، وليس بطل المواطنة الاستباقية. كان بإمكانه تسليمهم جميعًا وتقديم خدمة جليلة للأمة من شأنها أن تضمن مكانته في التاريخ، لكن الفتاة ستكرهه لبقية حياته لو فعل. لذلك اختار أن يصبح بطلًا في نظرها، بطريقة تتفوق على أي شيء فعله كونر على الإطلاق. وبعد ذلك ربما.. ربما.. عندما تمل من

إوُول آكرون، ترى نقاء ما فعله من أجلها، وتقع الفتاة في حبه. اختار كام سياسة النفس الطويل، واستعد للانتظار. لكنه الآن لا يستطيع تذكر وجهها أو اسمها أو أي شيء عنها. لم يتخيل قَط إمكانية سرقتها بالكامل من داخله.

- أتروقك أضلاع اللحم يا كام؟

- لا بأس بها.

- لا بأس بها؟

- إنها ممتازة. أيجب عليكِ دائمًا الاستفسار عن براعم تذوقي؟

تنهدت روبرتا، قائلة: "من فضلك يا كام، لا أريد الشجار. إنه أسبوعنا الأخير معًا. أريد أن نستمتع به".

- ألن تأتي معي؟

لا يعني سؤاله أنه يريدها أن ترافقه، ولكن باعتبارها "المتصرفة" في جميع شؤونه العامة، فقد افترض فحسب أنها ستذهب معه.

قالت: "لا أحد يريد أمًّا شغوفة في «ويست بوينت»".

فاجأ قولها كام، كما بدا أنه قد فاجأ روبرتا أيضًا. زلة لسان لم تقصدها. إنها المرة الأولى التي تستخدم فيها كلمة أم فعليًّا. شعر كام دائمًا أن علاقتهما كأم وابن مشوهة، لكن استخدام كلمة الأم صراحةً اعتُبر دائمًا من المحرمات غير المعلنة.

ازدردت روبرتا لعابها، ومسحت شفتيها بمنديلها، قائلة: "إضافة إلى ذلك، يوجد الكثير من العمل الذي عليَّ فعله هنا بعد رحيلك".

أثار هذا اهتمام كام، فسألها: "أي نوع من العمل؟".

- ليس شيئًا تحتاج إلى الاهتمام به.

عِلِم أنها ستحاول المراوغة. فكرة اهتمامها بشيء آخر سواه أثارت بداخله موجة غير متوقعة من الغيرة، وسألها: "هل ستجمعين الأجزاء المختارة للنسخة الجديدة والمحسنة مني؟".

لاحظ كام الطريقة التي تقطع بها روبرتا اللحم في طبقها. قطعته بنعومة وسلاسة، بالطريقة نفسها التي أجابت بها سؤاله: "لقد قلتها بنفسك ذات مرة يا كام، قلت إنك سيارة اختبارية، تصميم مثالي. قمة يجب السعي لتحقيقها".

وضعت قطعة من اللحم في فمها ومضغتها وابتلعتها، قبل أن تتحدث مرة أخرى: "اطمئن، لا يمكننا تحسينك، ولن نحاول حتى. أنت نجمنا، وستظل كذلك دائمًا".

- حسنًا، ماذا إذن؟

- استنتج بنفسك، لو اضطررت إلى ذلك. لكن عملي سري، مثلما يصنف عملي معك. لن أناقش الأمر.

قال كام مبتسمًا: "نعم، لكن مصطلح "العيون فقط" يأخذ معنى جديدًا عندما تنتزعينها جراحيًّا من المفككين".

- إننا نأكل يا كام. حديثك بعيد كل البعد عن محادثة مناسبة للغداء.

- أعتذر عن حماقتي.

فكر كام، واستنتج. السيارة الاختبارية غير عملية.

إنه غير عملي. ليس ما يحتاج إليه العالم.

أتت الحلوى، وانتقلت محادثتهما إلى الأمور العادية، لكن بقي السؤال في مؤخرة ذهنه: لو أنه ليس ما يحتاج إليه العالم، فماذا يحتاج؟ أو ما الذي يمكن أن تحتاج إليه المواطنة الاستباقية؟

***

إعلان

ماذا لو أخذنا أفضل ما فينا وقطّرناه إلى أنقى صورِه؟ ذكاء.. إبداع.. قوة.. حكمة... ماذا لو استطعنا التخلص من القمامة غير المرغوب فيها، تاركين فقط ما هو مكتمل، ونقي؟ حسنًا، ما استحال تصوره قبل جيل مضى، أصبح موجودًا اليوم. في المواطنة الاستباقية، نحن لا نحلم بيوم أكثر إشراقًا فحسب، بل نبنيه قطعة تلو الأخرى. المواطنة الاستباقية: التفكير المستقبلي من أجل الإنسانية.

انجرفت أفكار كام ليلًا نحو أونا. إنها ليست الفتاة التي يحبها. إنه يعرف ذلك، لكن التفكير فيها يُغضِب الشعور بالغياب في دماغه. أونا لم تقابل الفتاة قط. إنه يعرف ذلك، لأن أيًّا من أفكاره حول أونا لم ترتبك، وعندما ترتبط الفتاة بذكرى، فإنها تتحول لحظيًّا إلى الثبات. ثم، عندما يسترجع الذكرى مرة أخرى، تُزال الفتاة منها جراحيًّا. يتذكر المحادثات، لكن لا شيء من حركاتها. يتذكر أنه تحدث إلى شخص ما، لكن في ذاكرته، تحدث إلى جدار، أو مدخل، أو مساحة فارغة.

هذا لا يحدث عندما يفكر في أونا، لذلك وجد بعض الراحة في الأمر. أونا تحتقره طبعًا. كيف لا يمكنها ذلك؟ لقد حصل على يدي حبيبها الحقيقي. يمتلك كام الجزء من دماغه الذي يشعر بالعاطفة، ويمكنه التعبير عنها بصوت قيثارة مفعم بالحيوية، لكن كام ليس ويل تاشين، ولن يكونه أبدًا. ولذا فهي تكرهه لسبب وجيه.

فيما يرقد كام على فراشه الوثير في غرفة نومه الفخمة، امتلأ عقله بالأفكار ليس فقط عن أونا، لكن أيضًا عن كل شخص التقاه منذ تجميعه. الحرس الذين اعتنوا به قبل أن يفهم طبيعته. الجنرال بوديكر والسيناتور كوب، اللذين رأيا فيه شيئًا يستحق دفع المال من أجله. الغيور إوُول آكرون والفتاة ضعيفة القشرة الدماغية التي سافر معها. ما اسمها؟ آه..

نعم، جرايس. ملأ كام عقله بكل شخص شغل جزءًا من حياته القصيرة، على أمل أن يحدد وجودهم شكل الفتاة -مثل الضوء حول صورة ظلية- مما جعل شكل غيابها واضحًا تمامًا وعليه تركيز مثالي.

من المثير للدهشة أن المواطنة الاستباقية اعتقدت حقًّا أن محو الفتاة التي أحبها من ذاكرته سيؤدي إلى أي نتيجة سوى أن يكره المنظمة أكثر مما يفعل فعلًا. من غير المعقول أنهم يعتقدون في الواقع أن تحفيز مراكز المتعة لديه عند التفكير في الحياة العسكرية من شأنه أن يؤدي إلى أي شيء سوى الاستياء الخبيث. نعم، يتوق كام الآن لمستقبله في مشاة البحرية، لكنه يحتقر تمامًا الأشخاص الذين زرعوا هذا الشوق بداخله.

ليس الأشخاص، بل الشخص. روبرتا.

في نظر كام، روبرتا هي المواطنة الاستباقية.

إن إسقاط المنظمة يعني إسقاطها، وإحراقها.

لكنها طبعًا يجب ألا تعرف ذلك. في الوقت الحالي، يجب أن يبدو ولدها المثالي. سوف يلمع كالكيان المقدس الذي صمموه بعناية ليصيره. العجل الذهبي الذي يجب أن تعبده البشرية جمعاء. وسترضيه للغاية رؤية الدهشة الحائرة في عينَي روبرتا عندما يدمر كل شيء.

• • •

الجنرال بوديكير لا يحتاج إلى حاشية. إنه بمفرده شخصية مهيبة دون فريق من المتملقين. يبدو كما لو أن الهواء من حوله يتجمد بحضوره المهيب. تبدو أزهار المدخل -التي تذبل بسبب رطوبة هاواي- منتصبة في انتباه شديد عند مروره.

يتبعه رجل واحد. مساعده الشخصي. نحتاج إلى المزيد من المصطلحات العسكرية الرسمية لوصف مساعده الشخصي، أو بشكل

أدق تابعه، لأن الرجل النحيل العصبي الغامض يلبي في تملق أبسط طلبات الجنرال. ومع ذلك، فهو زائد على الحاجة هنا، لأن في مجمع مولوكاي التابع للمواطنة الاستباقية يوجد العديد والعديد من الخدم، حتى إنهم يحتاجون إلى من يرشدهم إلى طريق الخروج.

بإصرار من روبرتا، ارتدى كام زِيَّه الرسمي الأنيق وهو يؤدي التحية للجنرال عند مدخل القصر الكبير. لم يرفض كام طلبها لأنه يحب الزيَّ الرسميَّ. حتى التفكير في الأمر يثير بداخله نوعًا من المتعة الشخصية العميقة التي تقترب من النشوة بطريقة مزعجة للغاية. إنها مجرد استجابة عاطفية أخرى عدَّلتها روبرتا وفريقها من المهندسين المعرفيين. وهذا سبب آخر جعله يكرهها.

قال الجنرال، وهو يومئ برأسه لكل منهما على حدة: "يوم سعيد يا آنسة جرايسوولد. ولك يا سيد كومبري". صافحهما تابعه بدلًا منه، وكأن جزءًا من وظيفته إعفاء بوديكر من تجشم العناء.

قال كام، بهولندية مثالية: "يوم سعيد يا جنرال. تسعدني رؤيتك".

أبدى الرجل دهشته أكثر من إعجابه: "أهي اللغة الهولندية؟".

أجابت روبرتا بدلًا من كام: "نعم، لقد عكف على دراستها، وأضافها إلى اللغات العديدة التي يعرفها فعلًا".

- فهمت.

سأله كام: "إنك تنحدر من أصول هولندية، أليس كذلك؟ أعني أن اسمك هولندي".

قال بوديكر: "بلى. «أصول» هي مفتاح الأمر. تحدث والداي الهولندية، لكنني لم أتعلمها قط".

بدا متحفظًا ويرفض التفاعل. وفجأة، شعر كام وكأنه طفل يحاول إبهار والده الذي يعامله ببرود. إنه يكره هذا الإحساس، لكنه عجز عن منعه.

سأله كام: "أتريدني أن أمنحك جولة في المكان؟".

قال بوديكر باستخفاف: "ربما لاحقًا".

ثم نظر إلى تابعه الذكي المتشوق لخدمته، الذي خطا إلى الأمام، قائلًا بحماس: "أريد هذه الجولة".

مرت لحظة من الصمت المحرج، حتى استجاب كام: "بالطبع. لنبدأ بالحديقة".

للحظة، انزعج كام من تحويل بوديكر مسار اهتمامه به إلى خادمه. لكن عندما غادر هو والتابع لبدء الجولة الكبرى، نظر كام إلى الخلف، ملاحظًا مدى اهتمام بوديكر بالحديث إلى روبرتا، كما لو أن كام ليس مركز اهتمام الجنرال على الإطلاق.

إعلان

جديد! بطل الحركة الرسمي كامو كومبري!

إنه آلة حاسبة! إنه مدرس!

يتحدث عشرة آلاف عبارة بتسع لغات! وهو مُجمّع وأصلي!

عينان مزودتان بخاصية التتبع!

ألوان بشرة واقعية متعددة الثقافات! يتحرك في الأوضاع كافة وقابل للبرمجة! مواضع التحامه تتوهج في الظلام!

الكميات محدودة! انقر هنا للطلب!

* نضمن تجميع الدمية من أجزاء عشرين من أبطال الحركة الآخرين على الأقل.

مر باقي اليوم بسلاسة، في نعومة طلاء تبييض الأسنان الذي لم يجف بعد. يبدو للعين لامعًا وناعمًا، لكن عند لمسه، تجده لزجًا وغير سار.

وجبة المساء عبارة عن علاقة شكلية متقنة حول طاولة كبيرة جدًّا لا تتسع لأربعة أشخاص فقط، في غرفة طعام مصممة خصيصى لاحتساء النبيذ وتناول الطعام مع ذوي السلطة والنفوذ مثل الجنرال.

قال بوديكر، قاطعًا الصمت الصاخب فقط بصوت الأواني الفضية: "تحياتي لطاهيكما".

قال تابعه: "نعم، نعم، كل شيء لذيذ".

عرف كام أنه سيقول ذلك، لأنه لديه عادة مزعجة في استعارة أي شيء يقوله الجنرال.

في أثناء مجاملات الوجبة، شعر كام بصوت خفيض لم يستطع تحديده. كما يحدث عندما يوجد وتر قيثارة غير متناغم قليلًا مع باقي الأوتار. ربما الفتاة التي لا يستطيع تذكرها هي السبب. أو ربما هو السبب فحسب.

قال كام، مترقبًا رد فعل الجنرال: "إنني أتطلع حقًّا إلى «ويست بوينت»".

- نعم. حسنًا، أنا واثق أن مسؤوليها يتطلعون إلى وصولك أيضًا.

قال كام تلقائيًّا: "مونتريسور[1]!".

---

(1) - مونتريسور: هو الغادر غير الموثوق بحديثه، وقد ظهر في قصة قصيرة لإدجار آلان بو عام 1846 بعنوان «برميل أمونتيلادو». بعد تعرضه للإهانة على يد صديقه فورتوناتو، يخطط مونتريسور لمؤامرة انتقامية تعتمد على خداع فورتوناتو الساذج، واجتذابه إلى مقبرة تحت الأرض ودفنه حيًّا. «المترجم».

لم يقصد ذلك، لكن ما زالت تلك الروابط الغريبة في دماغه تثير بين الحين والآخر إشارات مرجعية لا يمكنه السيطرة عليها.

قال الجنرال: "عفوًا؟".

قال كام، محاولًا التستر على الأمر قدر الإمكان: "آه.. السيد مونتريسور، طاهينا. سأحرص على إبلاغه أن شرائح اللحم التي أعدها نالت رضاك".

حدجته روبرتا بنظرة صارمة، لكنها لم تتخلَّ عنه. ربما لأنها تعرف بالضبط ما يعنيه انفجاره، فقالت: "نعم، الطعام الذي يقدمه دائمًا فوق الممتاز".

ولأن الجنرال ليست له اهتمامات أدبية، تقبل الأمر كما هو، فيما انشغل تابعه للغاية بتناول البازلاء، فلم يشعر بالكذبة.

***

غادر بوديكر في صباح اليوم التالي دون أن يقول وداعًا، أو على الأقل دون أن يقولها لكام. بمجرد رحيله، تجول كام في الأرجاء بمفرده، وتوقف في الحديقة الخلفية، في المكان المطل على البحر حيث نظر هو والفتاة إلى النجوم. لقد أعطاها درسًا في علم الفلك، لكن ذاكرته جعلته مستلقيًا على العشب وحده، يحصي النجوم لنفسه. هذه هي الطريقة التي يعلم بها أنها كانت جزءًا من الذكرى. إنه يتذكر التحدث بصوت مرتفع إلى لا أحد. الآن لا توجد نجوم مرئية في الصباح باستثناء الشمس، لكنه لا يحتاج إلى نجوم لتجميع مجموعات من المعاني من زيارة الجنرال.

في اليوم السابق، وفيما اضطر كام إلى منح خادم بوديكر جولة في المكان، لاحظ أن الجنرال ركب عربة جولف مع روبرتا إلى جزء بعيد

من المجمع. كام واثق تمامًا أنهما لم يذهبا لاستكشاف حقول القصب والقلقاس التي ما زالت منظمة المواطنة الاستباقية تزرعها للحفاظ على ما يشبه الحياة الطبيعية. يدرك كام جيدًا وجود مبانٍ أخرى داخل المجمع الضخم؛ مخفية بالنمو الكثيف للنباتات. لم يسبق له أن رآها في الواقع، لكنه يعلم أنها هناك.

وهو يعلم أيضًا أنه إذا سأل روبرتا عنها، ستتنكر كما تفعل دائمًا. إن المراوغة التي تقترب من الخداع هي أفضل ما تجيده، وهي تؤديها جيدًا، حتى إنها أصبحت شكلًا من أشكال الترفيه بالنسبة إلى كام.

لكن الجنرال بوديكير ليس ماهرًا للغاية. أكاذيبه تبدو واضحة مثل الشارات على زِيِّه العسكري.

مونتريسور-في الواقع- هو ملك الكذب، إنها الشخصية الأحقر لدى بو، حيث يدَّعي الصداقة حتى وهو يدفن فورتوناتو حيًّا في قبر سري. هل كام فورتوناتو إذن؟ وهو يشاهد الآن أحجار لعنته توضع الواحدة فوق الأخرى؟ أو ربما هذا الأمر كله في مُخيِّلَتِه. ففي النهاية، شخصية كام عبارة عن مزيج من المفككين، ولا بد أن جنون العظمة انتشر في العديد منهم. ومع ذلك، لا يسعه إلا أن يشعر أن الأمر كله يرجع إلى رحلة روبرتا الجانبية الصغيرة مع الجنرال بالأمس. المكان الذي ذهبا إليه -أيًّا كان- يحمل الإجابة على سلوك الجنرال الهادئ البارد. ربما حان الوقت للتعرف على مجمع مولوكاي -المملوك للمواطنة الاستباقية- بتعمق أكبر.

قال بصوت مرتفع: "هنا يكمن الخطر"، لكن لم يسمعه أحد، لأن الحديقة الخلفية لم يكن بها سواه.

***

9 - أونا

أمِلت أن تجد هي وليف هينيسي وفريتويل. وأملت أيضًا ألا يفعلا. لأنها تعرف أنهما لو عثرا عليهما، فستمزق القرصانين إلى قطع صغيرة. ليس بالمعنى المجازي، بل بالمعنى الحرفي. ستُقَطِّع جسديهما شيئًا فشيئًا، وتستمتع بعذابهما وهم يموتان. هل لديها القدرة على فعل شيء كهذا؟ لقد كادت تفعل ذلك مع كامو كومبري. أخذت منشارًا، وكادت تقطع هاتين اليدين الجميلتين اللتين انتمتا إلى ويل في السابق. إنها تعلم أنها لو فعلت ذلك، لندمت عليه إلى الأبد، لأن كام ضحية مثل ويل. لم يطلب تجميعه قط. من ناحية أخرى، اختار ويل أن يسلم نفسه لإنقاذ الآخرين. لقد فضَّل التفكيك على الخيار البديل. لو أنها استعادت يدي ويل من كام، لتحولت إلى وحش، ولا سبيل للتراجع عن ذلك.

لكن تمزيق تلك الهوام البشرية أمر مختلف.

سيكون عادلًا، ومرضيًا. ربما.

هل يريدها ويل أن تفعل ذلك، لو أنه سيشعرها ببعض السلام؟ أم أنه يريد أن تسود عدالة ليف؟ هل يريد القبض على قرصاني الأعضاء وتسليمهما إلى مجلس قبيلة أراباتشي؟ إن إعادتهما حيين تستلزم ضبط نفس وصبر بلا حدود من جانب أونا. حتى لو لم تكن قاسية بما

يكفي لتمزيقهما إربًا، فهي لا تشعر بأي توتر إزاء إطلاق النار عليهما وقتلهما. لذلك تأمل أن يعثرا عليهما، وتأمل في الوقت نفسه ألا يفعلا.

***

حلَّ الليل في أحد أحياء مينيابوليس سيئة السمعة. ربما ليس بمستوى سوء سمعة أحياء أخرى في مدن أخرى، لكن حتى مينيابوليس بها مناطق سيئة وسفلية. سارت أونا وحيدة بالضرورة، لأن ليف -رغم شعره الطويل- ما زال يسهل تعرفه للغاية.

قال قبل أن تُعرِّض نفسها للخطر لأول مرة: "أتمنى أن أذهب معك إلى هذه الأماكن".

أجابته: "لا يمكنك ذلك على أي حال. كلها حانات، وأنت قاصر".

قبل ستة أشهر من عيد ميلادها الحادي والعشرين، ما زالت أونا قاصرة أيضًا طبعًا، لكن بطاقة هويتها تشير إلى خلاف ذلك.

دخلت إلى الحانة الثالثة هذا المساء، وهي الحانة الثانية عشرة منذ وصولها إلى المدينة. ربطت شعرها الأسود الطويل إلى الخلف بشريط ملون، وهو النوع الذي اعتاد ويل فكه دائمًا، لأنه أحب انسدال شعرها بحرية. يوجد مسدس في حقيبتها. صغير وأنيق، عيار 22,0. إنها تفضل بندقيتها كثيرًا، لكنها ليست بالضبط ما تأخذه معك إلى الحانة، حتى إن كانت قذرة كهذه.

لثلاث ليالٍ، أخذت تتجول في هذه البقع، حيث يلتقي الأوغادُ المزيدَ من الأوغاد وربما يحالفهم الحظ. لكن الحظ لم يحالف أونا. لم تصادف أي علامة على قرصانَي الأعضاء اللذين تبحث عنهما.

لقد فقد هذا المكان -«صالون وات أليس يا»- بريقه منذ فترة طويلة، رغم أنه لم يكن براقًا للغاية منذ البداية. أقسام طُلِيَت بمادة لامعة،

وثبتت فيها المقاعد الجلدية الداكنة معًا من خلال شريط لاصق يتوافق لونه معها. أرضية يكسوها مشمع ربما حمل يومًا اللون الأزرق. ضوء منخفض بما يكفي لسرقة ما تبقى من لون في المكان. الشيء الوحيد الأكثر بؤسًا من المكان هو عملاؤه، المتناثرون والمتجهمون في الغالب.

جلست أونا عند البار، وجاء إليها النادل، وهو رجل يتمتع بمظهر جيد استثنائي حطمته الحياة الصعبة. قبل أن يطلب منها، أظهرت له هويتها، وأبرزت رخصتها الطبية لتناول الكحول. في وقت ما خلال «حرب الجوهر»، جعلوا الكحول مادة خاضعة للرقابة. إذن كل شخص لديه الآن رخصة طبية لتناول الكحول. يبيعها السماسرة في زوايا الشوارع، ويمكنك حتى شراؤها من آلات البيع الطبية. من الصعب إبعاد البشرية عن رذيلتها المفضلة.

سألها النادل: "ماذا تطلبين؟".

- نصف لتر من البيرة الأيرلندية.

رفع حاجبه، قائلًا: "إننا نتشارك الذوق نفسه". قالها بلهجة تكساس المنغمة، التي لا مكان لها في ولاية مينيسوتا.

منحته أونا ابتسامة كالحة، وقالت: "أحضر لي البيرة فحسب".

عندما عاد إليها بالمشروب، احتسته ببطء، فيما تراقب الناس من حولها. يوجد رجلان موشومان يلعبان لعبة الأسهم، ولا يبدو أنهما يكترثان بالسكارى الذين يقطعون طريقهما وهما يطلقان مقذوفاتهما الحادة. في أعماق أقسام الجلوس المعتمة، يوجد شركاء يعقدون صفقات لا تريد سماعها. يجلس معها عند البار مجموعة يمكن التنبؤ بها من ذوي القلوب الوحيدة ومدمني الكحول. ذلك الذي يجلس في أقصى نهاية البار دفع ثمن مشروب أونا دون إذنها، وأشار لها بإصبعين، مبتسمًا بأسنانه الصفراء التي تقول إن عيد جميع القديسين مستمر

طوال العام. ردت أونا بوضع أموالها على الطاولة عندما مر النادل، قائلة: "خذ، وأعد للهيكل العظمي جاك[1] ماله".

النادل -الذي يرى مثل هذه التبادلات بانتظام بالتأكيد- أسعدته طاعتها، معبرًا عن ذلك بضحكة مكتومة. لم تعرف هل أسعده اعتمادها على نفسها، أم إنه يستمتع فقط بسوء حظ السكير في هذا الأمر.

عندما بدا أن النادل يملك لحظة فراغ، طرحت أونا بدقة الموضوع الذي أتى بها إلى هنا. حاولت أن تبدو أكثر تهذيبًا مما تشعر به فعلًا، وبادرته قائلة: "ربما يمكنك مساعدتي. إنني أبحث عن «سيِّدين» يكسبان رزقهما من تجارة لحوم البشر".

ضحك النادل من قولها، وأجاب: "إنها المرة الأولى التي أسمع فيها من يدعو قراصنة الأعضاء "سادة". يؤسفني إحباطك يا عزيزتي، لكن قراصنة الأعضاء لا يتفاخرون إلا أمام بعضهم. إنهم لا يخبرون أمثالي عن أعمالهم".

تجاهلت أونا قوله، وواصلت: "إنهما يُدعَيان هينيسي وفريتويل". ثم نظرت إلى النادل، منتظرة أن يخبرها بشيء عنهما.

قال: "لم أسمع بهما قط".

ثم تابع عرضيًّا عمله المتمثل في غسل الكؤوس المتسخة، لكن أونا رأته يغسل كوبًا نظيفًا فعلًا. لقد أصابت الهدف!

هذا أقرب ما يكون من الحصول على طرف خيط بعد ثلاثة أيام. الآن، الأمر كله متروك لها. يجب أن تستغل هذا بعناية. تساءلت ما الذي يقلِق هذا الرجل. أهو فقط لا يريد التورط في أعمال لا تخصه؟ هل يعتقد أنها

(1) - الهيكل العظمي جاك: الشخصية الرئيسية في الفيلم الأمريكي (The Nightmare Before Christmas) أو «كابوس في عيد الميلاد»، وهو فيلم رسوم متحركة خيالي من إنتاج عام 1993، وإخراج هنري سيليك. «المترجم».

عميلة تابعة للمباحث الفيدرالية، وجاءت لقمع رُعاته؟ حسنًا، أيًّا كان سبب صمته، ربما يمكنها إغراء حافظة نقوده.

قالت: "يا للخسارة! سمعت أنهما من يجب أن يلجأ إليهما المرء عندما يوجد صيد ثمين".

تجنب النادل النظر إلى عينيها، قائلًا: "لا أعرف أي شيء عن ذلك".

أضافت أونا: "لقد خططت لتقديم مكافأة جيدة لمن يمكنه مساعدتي في التواصل معهما".

ثم أنهت كأسها، ودفعت الكوب الفارغ في اتجاهه، ووضعت خمسين دولارًا تحته.

نظر إلى الورقة المالية، لكنه لم يأخذها.

قالت أونا: "طبعًا، هذا فقط نظير تقديمي إليهما. إذا عُقِدَت الصفقة فعلًا، ستحصل على الكثير".

ذهب إلى مكان أبعد من الحانة وقدَّم إلى امرأة حزينة المظهر مشروبًا، من المحتمل أن يدفع ثمنه الهيكل العظمي جاك. عاد النادل، بعد أن استغرق ما يكفي من الوقت للتفكير في اقتراحها. أخذ كأس أونا والدولارات الخمسين، وأخفاها كما لو كان ساحرًا. نظر حوله، ثم مال مقتربًا منها، وتحدث بصوت منخفض للغاية، حتى إنها بالكاد سمعته.

قال: "لو أنهما من خطرا على ذهني، فمن المحتمل أنك لن تصادفيهما هنا. لا أعرف شيئًا عن هينيسي، لكن فريتويل يقضي وقته في ممارسة لعبة البلياردو بحانة «آيرون مونارك»، في شارع نيكوليت. لكن انتبهي، إنه رجل حقير، وذلك المكان حقير. يجب أن تفكري مرتين قبل الذهاب".

لم تستطع أونا منع ضحكتها، وقالت: ”أتعني وجود مكانٍ أحقر من هذا؟“.

لم يشعر بالإهانة من هذه الملاحظة، وظل جادًّا للغاية، وهو يقول: ”يوجد الكثير. توجد حفر عادية، وتوجد جحور ثعابين. إنني أؤكد لك، هذا المكان يحمل سمومًا إضافية“.

ارتجفت أونا لا إراديًّا، وقالت: ”يمكنني التعامل مع الأمر“.

إنها تعرف أن هذا صحيح، لكن حدة عيني هذا الرجل جعلت ثقتها بنفسها تهتز قليلًا. نهضت من مقعدها عند البار، قائلة: ”إذا نجحت الصفقة، ستسمع مني“.

قال بابتسامة مستسلمة وبلهجة رجل خبير، وهو شيء لا يستهان به في هذا الحي: ”أشك بشدة في ذلك“.

قالت أونا: ”حسنًا، أسوأ السيناريوهات هو أنك لن تراني مرة أخرى، وقد ربحت خمسين دولارًا“.

تقبَّل تقييمها للوضع، وقال ناصحًا: ”خذي حذرك الآن“، ثم غادرت أونا للبحث عن جحر للثعابين يسمى «آيرون مونارك».

***

10 - فريتويل

إن وصف مورتون فريتويل بأنه قبيح كالخطيئة لهو إهانة خطيرة للخطيئة. إنه يعرف هذا. لقد أمضى حياته كلها للتأقلم مع الأمر. تسعة وعشرون عامًا، على وجه الدقة استلزمها تطور فريتويل عبر الأنواع المقارنة المختلفة. بدأ حياته كطفل بوجه خفاش، ثم نما ليصبح صبيًّا بوجه ذئب، ثم نضج أخيرًا ليصبح رجلًا بوجه ماعز.

لكن بدلًا من أن يندب طبيعته غير الجذابة، اختار أن يحتضنها، بل ويستمتع بها أيضًا. إن قبحه هو ما يميزه، فماذا يمكن أن يحدث من دونه؟ عندما حصل هو وهينيسي على صبي من شعب المحظوظين وباعاه مقابل ثروة صغيرة، بلغت حصة فريتويل ما يكفي ليختار لنفسه ملامح وجه جديدة ولطيفة، إذا أراد ذلك. لقد فكر في الأمر، لكن ليس طويلًا. وفي النهاية، أنفق المال على بعض أفضل الأشياء في الحياة التي حرمه منها وجهه عادةً. لكن الآن نفدت هذه الأموال، وعاد إلى التجول اليومي في الشوارع لبيع المفككين لأولئك الذين سيدفعون.

فيما يلعب البلياردو بمفرده في زاوية «آيرون مونارك» لاحظ الفتاة. في الواقع، لقد لاحظها منذ ولوجها المكان، وبدت ككوب لطيف من الماء في الصحراء. لكنه انتبه الآن إلى أنها تلاحظه بدورها.

إنها شابة في الحادية والعشرين، وربما أصغر. تجلس في قسم بمفردها، وتوجد بالفعل نسور ترصدها في أرجاء الحانة. شعرها داكن، مربوط بإحكام إلى الخلف. عندما دخلت، لاحظ طول شعرها، الذي يصل إلى نهاية ظهرها. إن فريتويل ينجذب إلى الفتيات ذوات الشعر الطويل.

إنها لا تلاحظه فحسب، بل تواصلت معه بالعينين الآن. ربما توجد ابتسامة خفيفة على وجهها، لكنه لا يستطيع أن يجزم بذلك في الضوء الخافت للحانة.

تأملها من الناحية العرقية. من الصعب تحديد أهي من أصل إسباني، أم حتى من شعب المحظوظين. وفي كلتا الحالتين، توجد هالة نقية حولها توضح أنها لا تنتمي إلى هنا. أو على الأقل لا تنتمي إلى هنا بعد. من الواضح أنها فتاة جيدة "تتخبط" وتبحث عن حب دنيء. ولا يوجد من هو أدنأ من مورتون فريتويل.

كسر التواصل البصري أولًا، مسددًا كرته التالية برمية قوية أوقعتها في الحفرة بسهولة. اهتمام هذه الفتاة الجميلة به يعزز سحره إلى حد ما. الفتيات اللاتي يبحثن فعلًا عن رجل مثله قليلات ومتباعدات، لذلك أسرع في اتخاذ خطوته. أمسك عصا ثانية، واتجه نحو القسم الذي تجلس فيه.

قال لها: "اسمي مورتي، أتلعبين البلياردو؟".

أجابته وهي تحرك عصا تقليب المشروب الذي بدا واضحًا أنها لم تمسه: "قليلًا".

منحها إشارة: "هيا، سأُسْقِط جميع الكرات".

لم تخبره باسمها بعد. إنه واثق أنها ستفعل. قادها عائدًا إلى طاولة البلياردو. ترك لها ضربة البداية، التي سددتها بثقة، وأرسلت الكرات إلى أقصى نهاية الطاولة، محدثة صوتًا قويًّا. يمكنك معرفة الكثير عن

أحدهم من خلال طريقة لعبه للبلياردو. هذه فتاة تعرف ماذا تريد، وفريتويل عازم على معرفة ما تريده بالضبط.

سألها: "هل أنت وافدة جديدة إلى المدينة؟".

- مرور عابر فحسب.

تبسمت له، فمرر لسانه على أسنانه ليتحقق من عدم وجود بقايا بيتزا عالقة، قبل أن يبادلها الابتسام. ثم سدد الكرة رقم سبعة مستهدفًا الكرات «السوليد» ذات اللون الواحد، لكنه أضاع التسديدة التالية عمدًا ليمنح الفتاة فرصة القتال.

- من أين أنتِ؟

قالت مازحة: "لا يهم، بقدر ما يهم إلى أين سأذهب".

ابتلع فريتويل الطعم عن طيب خاطر، وسألها: "وأين ستذهبين؟".

نفذت تسديدة ناجحة أسقطت بها الكرة الثانية عشرة، مجيبة: "إلى النصر".

قال بابتسامة: "لطيف".

أخطأت تسديدتها التالية، ووضعها هو في حجمها الحقيقي بإسقاطه لثلاث كرات متتالية، مضيفًا: "ربما عليكِ العمل لبلوغه، رغم ذلك".

تأرجح ذيل حصانها الطويل أمامه وهي تنزلق لتؤدي التسديدة التالية. أصابه المشهد برجفة. وما زالت لم تخبره باسمها. ربما هذا لا يهم.

- هل أتيتِ إلى هذه الحانة لسبب محدد؟

قالت: "العمل".

- أي نوع من الأعمال؟

مسحت طرف عصاها بالطباشير، مجيبة: "العمل الذي تمارسه".

قرر أنه ليس من الضروري أن يعرف اسمها. وضع العصا على الرف، قائلًا: "أتريدين الخروج من هنا؟".

- قُد الطريق.

حاول السيطرة على حماسه. يجب أن يبدو هادئًا أمامها. يجب أن يحاول التطابق مع الصورة التي رسمتها له في ذهنها أيًّا كانت. فتى شقي سيئ النوايا، لكنه سهل المعشر. نعم. يمكنه أن يكون ذلك.

قال لها: "السيارة تنتظر في الخلف".

لم يرمش لها جفن، فأحاطها بذراعه وقادها إلى الخارج من الباب الخلفي، فيما يتسابق عقله لأميال إلى الأمام. وحال تأرجح الباب خلفهما، تغير كل شيء بسرعة كبيرة، ووجد عقله المتسارع نفسه بلا طريق ولا قوة. فجأة، انتزعته قوة أكبر من قوة فتاة بهذا الحجم، وألصقته بجدار الزقاق المبني من الطوب. شعر بالألم عندما ألصقت مسدسها بعنقه، أسفل أذنه اليمنى مباشرةً، وصوبته إلى أعلى. إنه سلاح صغير، لكن عندما يُصوَّب نحو مركز دماغك، فالحجم لا يهم.

لم يجرؤ على التحرك أو المقاومة، وكل ما استطاع قوله هو: "مهلًا يا فتاة". لقد تخلَّى عنه سحره.

قالت ببرود أكبر مما تحدثت به في الحانة: "فلنتحدث بوضوح. عندما قلتُ العمل، هذا بالضبط ما قصدته، لذلك إذا لمستني مرة أخرى، سأطلق النار على كل إصبع من أصابعك واحدةً تلو الأخرى. هل فهمت؟".

قال: "نعم، نعم". خشي أن يومئ برأسه، فتضغط هذه الحركة إصبعها الموضوعة على الزناد.

- هذا جيد. والآن، لقد تصادف أن حصلت على جائزة صغيرة رائعة، وقيل لي إن لديك أفضل العلاقات في السوق السوداء.

تنفَّس الصعداء، مدركًا أنه قد ينجو بالفعل من هذه المواجهة، وقال في موافقة مبالغة فيها بعض الشيء: "نعم، أفضل الاتصالات. مع أوروبيين، وآخرين من أمريكا الجنوبية، وحتى «داه زي» البورمي".

قالت: "يسعدني معرفة ذلك. ما دمت تملك اتصالًا واضحًا بمن يدفعون أموالًا حقيقية مقابل سلع فريدة من نوعها، سنحظى بعلاقة عمل سعيدة للغاية".

تراجعت قليلًا، لكنها أبقت المسدس مصوبًا نحوه تحسبًا لهروبه، وهو ما لا يخطط له. أولًا، إذا حاول الهرب، فمن المحتمل أن تطلق النار. وأيضًا لأن جشع مورتي فريتويل بدأ يحل محل خوفه. ماذا يمكن أن تعني بـ "سلع فريدة من نوعها"؟

جرؤ على طرح هذا السؤال، آملًا ألا يتسبب في إصابة أي جزء من جسده برصاصة: "ما.. الذي حصلتِ عليه إذن؟".

قالت بابتسامة مخيفة بعض الشيء: "ليس ماذا، ولكن من!".

بدأ يلعق شفتيه لا إراديًّا. لا يوجد سوى القليل من الأشخاص الذين يمكن أن تقصدهم، حفنة من الصبية الذين قد تساوي أجزاؤهم ثروة. لو أنها ليست مخادعة، فقد يصبح هذا أكثر يوم سيكسب فيه أموالًا.

- إذن، من؟

- ستعرف ذلك قريبًا جدًّا. رتب لقاءً بيني وبينك وبين صديقك عديم الأذنين.

نجحت حيلتها في استدراجه وإثارة أعصابه! قال فريتويل: "إنه ليس عديم الأذنين. ما زال يملك واحدة".

- اتصل به.

أخرج فريتويل هاتفه لكنه تردد، ظنًّا منه أنه مهم بما يكفي في هذه المعادلة ليحظى الآن ببعض القدرة على المساومة.

- لن أتصل به حتى تخبريني من لديكِ.

أطلقت زفرة قصيرة غاضبة، ثم قالت: "المُصفق الذي لم يُصفق".

وفجأة تسابقت أصابع فريتويل على الهاتف لإتمام الاتصال.

***

11 - ليف

إنها حاوية شحن قياسية. عرضها ثمانية أقدام، وارتفاعها ثمانية أقدام ونصف، وعمقها أربعون قدمًا. خلال النهار، يظهر الشفق دائمًا في الداخل، مع وخزات من الضوء تخترق ثقوب الصدأ في الزوايا. رائحة الحاوية كالحليب الحامض الممتزج بقليل من النفايات الكيميائية. شك ليف في وجود فئران، لكن الفئران لا تتردد إلا على الأماكن التي يوجد بها شيء تحصل عليه.

إنه ينبض بالحياة، بحيث لا يمكن أن يصبح لقمة سائغة للقوارض المقيمة في ساحة الشحن.

قُيِّدَ معصما ليف بأسلاك قوية تصل إلى الجدار البعيد للحاوية الطويلة. اضطرت أونا إلى شراء مشابك وتثبيتها بالجدار بمادة الإيبوكسي، لأن الجدار لم يحتوِ على وسيلة متأصلة لتقييده بشكل يبدو مقنعًا. لقد طلب من أونا أن تصيبه بجرح صغير بسكين جيبها في قاعدة إبهامه الأيسر. ليس عميقًا بما يكفي لإحداث أي ضرر حقيقي، لكنه كافٍ لتلطيخ معصمه وقيوده بالدماء. إنه يعلم أن اللمسات الصغيرة مثل تلك ستضفي مصداقية وتجعل حيلتها تبدو حقيقية. لقد وضعا أيضًا أجزاء مختلفة من النفايات التي عثروا عليها في ساحة الشحن حول الحاوية

بشكل استراتيجي، لإخفاء بندقية أونا، التي ثبتاها في ظل عميق على خزانة ملفات صدئة.

إن قيوده منخفضة للغاية حتى يبدو مقيدًا في ألم عندما يقف، لكن عندما يركع، تصبح يداه أعلى من رأسه في وضع يبدو مؤلمًا، لأنه كذلك فعلًا. الشاب المقدس الأشقر الصغير مقيد بإحكام داخل صندوق فولاذي كبير. ترك رأسه يسقط تمامًا حتى يكمل الصورة الخادعة.

قالت أونا عندما أمعنت النظر إليه: "أنت تبدو عاجزًا بإيجابية، لكنك ما زلت نظيفًا بعض الشيء، حتى في وجود الدم على معصمك".

لذا أخذ يتلوى ويتمرَّغ، حتى غطى الصدأ والأوساخ جميع ملابسه، وخلع حذاءه ليبدو كما لو أنه فقده خلال معاناته.

قال لها: "سأواصل ما أفعله حتى أتصبب عرقًا"، وهو ليس أمرًا صعبًا نظرًا لأن الأجواء داخل الحاوية حارة جدًّا.

ذهبت أونا لتلتقي ضحيتيهما، وبقي ليف وحيدًا مع الرائحة الكريهة وأفكاره.

لقد مضى أكثر من ساعة.

ظل وحيدًا هنا طويلًا جدًّا.

لقد حلَّ الظلام الآن. أفسح نصف الضوء المتسرب عبر فتحات الصدأ المجال لظلام سميك كالقطران. شعر بلحظة من الذعر عندما تخيل المستحيل، أن القرصانين قد قتلا أونا. إنه لا يستبعد أن يفعلا ذلك. وهذا من شأنه أن يترك ليف مسجونًا هنا حقًّا دون أي وسيلة للهروب. وإذا حدث ذلك، فإن هذه الحاوية ستصبح قبره. وعندئذ ستأتي الفئران.

لكن لا. يجب ألا يسمح لنفسه بالتفكير بهذه الطريقة. أونا ستعود. كل شيء سيسير وفقًا للخطة.

إلا إذا لم يحدث ذلك.

هز رأسه في الظلام، طاردًا أفكاره القلقة. بسبب وضع ذراعيه غير المريح، علم أن الوقت يبدو وكأنه يمضي ببطء أكبر بكثير مما هو عليه في الواقع. وتذكر مرة أخرى أنه قُيِّدَ يومًا بهذه الطريقة، ولفترة أطول. حدث هذا عندما احتجزه نيلسون مع ميراكولينا في كوخ معزول. قيده في قائم سرير بقيود معدنية مشابهة لتلك الموجودة على معصميه الآن، لكن وقتها كان الأمر حقيقيًّا. لعب نيلسون لعبة الروليت الروسية معهما. وضع في سلاحه خمس رصاصات تهدئة، والسادسة مميتة. لا توجد طريقة ليعرفا متى ستأتي الرصاصة القاتلة. ومع ذلك، لم يطلق نيلسون النار على ليف، بل على ميراكولينا في كل مرة يمنحه فيها ليف إجابة لا تروقه، وفي كل مرة تغيب ميراكولينا عن الوعي مرة أخرى.

في صمت الحاوية الفولاذية، انتقل عقل ليف الآن إلى حقائق بديلة. ماذا لو قتل نيلسون ميراكولينا؟ ماذا كان سيفعل حينها؟ هل سيتخذ ذلك دافعًا يمكِّنه من الهرب، أم إن عبء موتها سيثقل كاهله لدرجة قد تصيبه بالشلل؟

وأين سيوجد كونر الآن لو لم يتحرر ليف من نيلسون؟ سينتهي أمره ميتًا أو في السجن، على الأرجح. أو في مخيم الحصاد، منتظرًا إقرار أحد القوانين المقترحة التي تسمح بتفكيك المجرمين.

لكن ميراكولينا نجت وساعدته في الوصول إلى مقبرة الطائرات. لقد أنقذ كونر من شرطة الأحداث ومن نيلسون.

لقد أحسن فعلًا. تمنى أن يتمكن من إخبار ميراكولينا بكل الخير الذي فعله، لكن ليس لديه أي فكرة عن مكانها، أو هل هربت.

ما زال يهتم بميراكولينا، ويفكر بها كثيرًا، لكن حدث الكثير في الأسابيع التي تلت آخر مرة رآها فيها، ويبدو الأمر وكأنه حياة أخرى.

إنها من الأعشار، مما يعني أنها ربما فُككت الآن، لو أنها تمسكت بالقيَم التي اعتنقتها عندما التقيا لأول مرة. لم يملك ليف إلا أن يأمل أن تأثيره عليها قد أدى إلى تآكل تصميمها الخطِر على التضحية بنفسها، لكن لا توجد طريقة لمعرفة ذلك. ربما في يوم من الأيام سوف يتعقبها ويكتشف ما حدث لها، لكن الفضول الشخصي ترف لا يستطيع تحمله الآن. في الوقت الحالي، يجب أن تظل ميراكولينا روزيلي على قائمته التي تحمل عبارة "ربما يومًا ما".

سمع صوت فتح مزلاج الحاوية، وصرير المفصلات الثقيلة. فُتحت الأبواب في مقدمة الحاوية بما يكفي ليتسرب شعاع من ضوء القمر الشاحب، ودخل ثلاثة أشخاص. تراخى ليف متظاهرًا بالغياب عن الوعي. من خلال عينيه المغمضتين، شعر بوهج المصباح اليدوي على وجهه.

- هذا ليس هو، انظر إلى شعره!

- الشعر يطول أيها المعتوه.

تعرف على صوتيهما على الفور: فريتويل الكئيب، وهينيسي، زعيم العصابة وحيد الأذن والمتأثر بالمدرسة الإعدادية. لقد قابلهما مرة واحدة فقط، لكن هذين الصوتين محفوران في ذاكرته السمعية بما يكفي لملئه بقشعريرة غاضبة. فتح ليف عينيه، تاركًا اشمئزازه ورعبه يظهران على وجهه، لأن ذلك يخدمه.

قال هينيسي وهو يميل ليفحصه: "أعتقد أنه حقًّا ليفي كالدر".

همهم ليف: "بل جاريتي!".

قال هينيسي بابتسامة عدائية: "ادعُ نفسك ما تريد، لكن بالنسبة إلى العالم، ستظل دائمًا ليفي كالدر، العُشر الذي تحول إلى مصفق".

بصق ليف في وجهه لأنه قريب منه للغاية، ولأن ذلك منحه ارتياحًا كبيرًا. ولدهشته، تدخلت أونا وضربت ليف على وجهه بصفعة وحشية بظهر يدها، كاد رأسه يدور من قوتها.

قالت أونا في مرارة: "أظهر الاحترام لمالكيك الجديدين".

أجاب بالبصق عليها هي أيضًا، فتقدمت أونا إلى الأمام وكأنها ستضربه مرة أخرى، لكن هينيسي منعها، قائلًا: "كفي! ألم يعلِّمك أحد قط عدم إتلاف البضائع؟".

تراجعت أونا، ووضعت مصباحها اليدوي على خزانة الملفات الصدئة، لتصبغ المساحة بظل مائل قاس. وقفت بعيدًا بما يكفي كي تغمز إلى ليف دون أن يراها الرجلان. أجابها ليف بالعبوس فحسب، لأن هذا شيء يمكنهما رؤيته. عرف ليف أن الصفعة هي مفتاح خداعهما، حتى لو بدت حقيقية ومؤلمة. وتساءل هل نالت أونا -على أي مستوى- بعض الرضا من ذلك.

الآن حان دور فريتويل للتهكم. اقترب أكثر، قائلًا: "ما كان لنا أن نسمح لك بالرحيل في المرة الأولى. حدث ذلك طبعًا قبل أن تصبح مصفقًا. كنت نكرة حينها".

قال هينيسي: "وما زال نكرة حتى الآن".

ثم التفت إلى أونا، مضيفًا: "سنعطيكِ خمسة آلاف مقابله، ولن نزيد سنتًا واحدًا".

غضبت أونا، وشعر ليف بالإهانة على أقل تقدير. صرخت أونا: "أتمازحني؟ لا بد أن قيمته تبلغ على الأقل عشرة أضعاف ذلك!".

عقد هينيسي ذراعيه أمام صدره، قائلًا: "ويحك! لا داعي للجشع. لقد تضررت أعضاء الصبي بسبب المحلول المتفجر، وتوقف نموه،

وربما أصبح عقيمًا. إننا تجار لحوم بشر يا عزيزتي. جسده ليس له قيمة جوهرية".

قمع ليف رغبته في الجدال. أعضاؤه ليست مثالية، لكنها تؤدي وظيفتها، ولن ينمو، لكن الأطباء لم يقولوا قط أي شيء عن إصابته بالعقم. كيف يجرؤون؟ لكن الجدال حول قيمته لن يفيد.

قالت أونا: "لست غبية. يوجد هواة جمع مستعدون لدفع مبالغ كبيرة مقابل قطعة من المصفق الذي لم يصفق".

نظر ليف إليهم جميعًا بازدراء مطلق، قائلًا: "هل أصبحتُ إذن من التحف التي تُجمع؟".

قال فريتويل ضاحكًا: "ليس أنت، بل أجزاؤك!".

ألقى هينيسي نظرة احتقار على فريتويل، وهي بمنزلة توبيخ غير لفظي لأنه أعاق مفاوضاته.

قال هينيسي: "ربما، وربما لا. لكن هواة الجمع متقلبون. من يدري ما الذي سيريدون دفع المال للحصول عليه".

ثم أمسك ذقن ليف، وأدار رأسه إلى اليسار واليمين، ناظرًا إليه كما لو أنه حصان يوشك على شرائه، وأضاف: "سبعة آلاف وخمسمئة نقدًا. العرض الأخير. إذا لم يعجبك ذلك، فحاولي بيعه بنفسك".

نظرت أونا إلى الرجلين، وهي تشعر بالاشمئزاز، ثم قالت: "حسنًا".

أومأ هينيسي إلى فريتويل، قائلًا: "فُكَّ وثاقه".

بينما أخرج فريتويل سكينًا، وانحنى يقطع قيد يد ليف اليمنى، أخرج هينيسي حافظة نقوده. في اللحظة التي أصبحت فيها يد ليف حرة، مد يده خلفه، وأمسك سهم تهدئة محمولًا باليد، وغرسه في عنق

فريتويل، الذي صاح: "ساعديني أيتها الأم المقد..."، ثم سقط غائبًا عن الوعي قبل إكمال عبارته.

وبسرعة البرق، أمسكت أونا بندقيتها وصوبتها إلى وجه هينيسي، قائلة: "أصدر حركة واحدة. هيا، أعطني سببًا لقتلك".

لكن هينيسي فكر بسرعة. ألقى المال في وجه أونا، متحركًا بسرعة. الإلهاء يكفي لمنحه بداية ثانية. سقطت أوراق النقد عن وجهها، فصوبت بندقيتها.

- لا يا أونا!

أطلقت النار لكنها أخطأت التصويب، مما أحدث ثقبًا في الباب الأمامي للحاوية، فيما هرب هينيسي.

أسرعت خلفه، صائحة: "عليك اللعنة!"، وحاول ليف اللحاق بها، لكنه أدرك في ألم شديد أن يده اليسرى ما زالت مثبتة بالحائط.

- أونا!

لكنها رحلت، وعليه البحث عن سكين فريتويل الموجودة في مكان ما في الظلال.

***

12 - أونا

أونا سريعة، لكن الرجل الذي يركض للنجاة بحياته أسرع. لقد خرج من ساحة الشحن في ثوانٍ، وعلمت أونا أنه إذا خرج من مجال بصرها، فسيختفي إلى الأبد. إنها لن تسمح بذلك. الإمساك بأحدهم فحسب لا يكفي. أسرهما ليس كافيًا لتعويض تفكيك ويل أيضًا، لكنه يقترب من تحقيق ذلك.

إنه يحمل مسدسًا. إنها واثقة من ذلك. لم تره، لكنها تعلم أنه بالتأكيد يحمل واحدًا، لأن أمثاله يفعلون دائمًا. ربما سبقها واختبأ، منتظرًا لينصب كمينًا لها، لذلك يجب أن تطارده خلسة. إنها بحاجة إلى تتبعه أكثر من مطاردته، لكن لا يمكنك تتبُّع شخص يعرف بالفعل أنك تلاحقه. وهكذا أبطأت أونا سرعتها، ومنحت نفسها فرصة للتفكير. في المحمية، علمها بيفان الصيد، وأظهرت مهارة في ذلك. إذا رأت الأمر كعملية صيد، فستنتصر.

بتصميمها المسطح الخالي من الروح، قد توفر جدران المباني الصناعية القديمة الواقعة خارج ساحة الشحن غطاءً لهينيسي، لكنها توفر لها أيضًا غطاءً جيدًا. توقفت بالقرب من أحد الأركان، وبقيت في الظل أمام الحائط، وأصاخت السمع. لا بد أنه يفعل المثل، منتظرًا لحظة الحرية. لكن ما الذي سيعتبره حرية؟

اعتقدت أونا أنها تعرف.

على بعد مبنى واحد، تنتهي المنطقة الصناعية عند نهر المسيسيبي، وعلى بعد أقل من ربع ميل جنوب النهر، يوجد جسر للمشاة له قوس حجري. لم يعد مستخدمًا، ولا يحتوي على مصابيح إضاءة علوية. إذا تمكن من عبور هذا الجسر، فقد يختفي وسط مدينة مينيابوليس. هذا الجسر هو حريته.

شقت أونا طريقها نحو الجسر خلسة قدر استطاعتها. ثم اختبأت في ظل صندوق بريد ربما لم يستقبل رسالة منذ سنوات، وانتظرت.

بعد ثلاثين ثانية، انطلق القرصان من شارع جانبي، متجهًا نحو ذلك الجسر. علمت أنها لن تستطيع اعتراض طريقه إذا ركضت، لكن ليس عليها الركض. ربما يسود الظلام، لكنها استطاعت رؤيته وهو يُخرِج مسدسه الفضي الأنيق الذي ينعكس عليه ضوء القمر جيدًا. بمجرد وصوله إلى الجسر، حددت الهدف وأطلقت النار على مستوى منخفض. بكى من الألم وسقط. أسرعت أونا نحو الجسر لترى الضرر الذي أصابه. أمكنها رؤيته بوضوح في الأضواء الخافتة التي ما زالت تتناثر على الجسر. أصابته الرصاصة في ركبته اليسرى، مما جعله غير قادر على الحركة تقريبًا. أطلق النار عليها، لكن هدفه لم يعد في مكانه. انقضت عليه بسرعة وركلت المسدس من يده. ثم تراجعت ورفعت البندقية.

لهث هينيسي، وبصق، وهو يجُرُّ نفسه نحو حاجز الجسر الحجري.

- هذا بسبب صبي المحظوظين، أليس كذلك؟

تذمَّرت أونا، وهي تضع إصبعها على الزناد، وتغري نفسها بالضغط عليه، قائلةً: "إن له اسمًا! أعطني سببًا لقتلك فحسب". لكنها تملك الكثير من الأسباب فعلًا. أضافت: "اسمه ويل تاشين. أريدك أن تقول ذلك".

نظر إلى ركبته الممزقة، وقال متجهمًا: "ما الفائدة؟ إنك ستقتلينني على أي حال. افعلي إذن!".

أيمكن أن يوجد أي شيء أكثر إغراء من تلك الدعوة؟ قالت للرجل: "أمامك خياران. يمكنك أن تحاول الهرب، وسأقتلك. أو يمكنك الاستسلام والتقدم لمواجهة عدالة أراباتشي".

قال: "ماذا لو وُجِدَ خيار ثالث؟"، ودون سابق إنذار، ألقى هينيسي نفسه من فوق سياج الجسر إلى النهر. الجسر ليس مرتفعًا لهذه الدرجة. يمكن لأي رجل -حتى لو أنه جريح- أن ينجو بسهولة من السقوط ثم يهرب. لم تفكر أونا في ذلك، وشعرت بالغضب من نفسها، حتى سمعت صوتًا خافتًا من أسفل.

وعندما نظرت خارج حاجز الجسر، لم تر الماء، بل شاطئ صخري. أخطأ هينيسي الحكم بشدة واصطدم بصخرة. الآن لديه كل الخيارات المتاحة لرجل ميت.

سمعت أونا صوت خطى تقترب، ورأت ليف قادمًا على الجسر.

- ماذا حدث؟ سمعت طلقات نارية. أين هو؟

ثم نظر إلى الدم على الأرض، مضيفًا: "لم تقتليه، أليس كذلك!".

لفتت انتباهه إلى حاجز الجسر، مجيبة: "لم أفعل. فعلها هو".

أخرج ليف المصباح اليدوي وسلطه على الصخور، مما جعل المشهد أوضح. كُسِر العمود الفقري لهينيسي بعد اصطدامه بالجزء الخلفي من صخرة حادة على بعد بضعة أقدام من بداية الماء.

ارتجف ليف، فشعرت أونا وكأن رجفته موجة سببتها صدمة. علمت أنها يجب أن تشعر بالاشمئزاز أيضًا، لكن كل ما أمكنها الإحساس به هو خيبة الأمل، لأنها لم تعد قادرة على الانتقام من الرجل.

نزل ليف وأونا معًا إلى الشاطئ للتأكد من وفاة هينيسي. ثم حملا جسده المحطم إلى الماء، وقلباه على وجهه، ثم دفعاه ليحمله التيار بعيدًا.

قال ليف: "على الأقل ما زال لدينا فريتويل. إنه يكفي".

وافقته أونا: "يكفي لكسب تأييد شعب أراباتشي، لكن هل يكفي لدفع المجلس القبلي إلى اتخاذ موقف ضد التفكيك؟".

قال ليف: "سيجعلهم يستمعون إليَّ. وبعدها يأتي دوري لإقناعهم".

رغم أنهما لم يرتكبا أي جريمة قتل اليوم، فإن أيديهما تلطخت بالدماء بعد سحبهما جثة هينيسي إلى الماء. غسلا أيديهما في النهر قدر الإمكان، ثم قال ليف: "هيا، من الأفضل أن نعود إلى فريتويل. لقد قيدته، لكن يجب أن نصطحبه ونتخذ طريق عودتنا إلى المحمية، قبل أن يزول عنه أثر المخدر".

قبل مغادرتهما، ألقت أونا نظرة أخيرة على الصخرة المسننة التي أودت بحياة هينيسي. كم هو غامض، ومثالي هذا الكون! لقد انتُزِعَت تلك الصخرة من جبل بواسطة نهر جليدي ربما قبل مئة ألف عام، ثم وُضِعَت هنا بعناية وصبر، وانتظرت كل هذه السنوات لتكسر العمود الفقري لذلك المجرم إلى قسمين. كل الأشياء لها هدف. هذا شيء يمكن أن يشعرها وليف بالارتياح.

***

13 - هايدن

يراقب هايدن أبتشيرتش نمو حملة ستاركي المميتة، إنها كالسرطان المتشبث بجدران أطلال محطة توليد الطاقة: قبيحة وسامة، ولن تتوقف عن التهام كل الخير الذي بقي في هؤلاء الصبية حتى لا يتبقى شيء. سيزج ستاركي بجيش منقوليه في جبهة حربه الدموية إلى أن تغتالهم رصاصات أُطلِقَت في المعركة، أو تموت أرواحهم بسبب الأشياء التي رأوها وفعلوها. يعرف هايدن أن هجمات مخيمات الحصاد هذه لا طائل منها. إن حرب ستاركي على التفكيك لن تسفر عن الخلاص المجيد للمنقولين والهاربين من التفكيك، بل ستدينهم.

"هنا إذاعة «فري هايدن»، التي تُبَث إليكم من مكان مظلم وقذر، تفوح منه رائحة الشحوم القديمة ورائحة العرق الحديثة. إذا سمع أي شخص هذا البث الصوتي فعليًّا، فيجب أن أعتذر أولًا لأنني لست مرئيًّا. عرض نطاقي الترددي هو المعادل الرقمي لعربة تجرُّها البغال. لذا، نشرت صورة هذه اللوحة الرائعة للفنان نورمان روكويل[1] بدلاً

(1) - نورمان روكويل (1894 - 1978): رسام أمريكي مشهور، يطلق عليه فنان الشعب الأمريكي في القرن العشرين بلا منازع. انتهج أسلوبًا سهلًا ميسرًا في تسجيل خواطره ومشاهداته وآرائه، وقد تربع على عرش هذا التخصص الفني الجماهيري بلوحاته الواقعية. "المترجم".

من فيديو. ستلاحظ كيف يقف الطفل الزنجبيلي المسكين البريء على الكرسي، فيما يوشك "طبيب الريف اللطيف" على تهدئته في مؤخرته. شعرت أن الصورة مناسبة إلى حد ما.

توجد شائعات مفادها أن المتبرعين لستاركي سيمدونه بالمصفقين، للهجوم على مخيم الحصاد التالي. هل سيبقى أي أحد لا يخاف الصبية أمثالهم حال انتهاء ستاركي من عمله؟ يريد ستاركي نشر هذا الرعب، فهو يتغذى عليه. ومع ذلك، كيف لم يدرك أن الكثيرين -ممن ربما تعاطفوا مع القضية يومًا- يلجؤون الآن إلى هيئة الأحداث كي تجد حلًّا للعنف. والحل لدى هيئة الأحداث هو: سلام الانقسام المبارك. البقاء الأبدي للتفكيك. سيصبح هذا إرث مايسون ستاركي، نهاية للمقاومة، ونهاية للتمرد، والإسكات المطلق للجيل الأخير الذي يمكن أن يخرِج القطار الجهنمي الذي استقلته الحضارة عن مساره.

أثق أنكم رأيتم دعوتي الرائعة والصادقة لانتفاضة جديدة للمراهقين. يجب أن أعترف أن ضربة الشمس والجفاف الناتجين عن ساعات محاصرة داخل قاذفة قنابل من الحرب العالمية الثانية حولاني بالكامل إلى داعية. أثق أن والديَّ فخوران، أو مرعوبان. أو ربما يتجادلان بمرارة حول حقيقة إحساسهما، أهو الفخر أم الرعب، ولا بد أنهما قد استعانا فعلًا بمحامين لحل النزاع".

جاء تسجيل هايدن بأكمله همسًا، وبدا أكثر يأسًا مما أراد له أن يبدو، لكن يجب أن يتحدث بهدوء. لا يمكنه الوصول خلسة إلى "مركز الكمبيوتر" الخاص بستاركي إلا في منتصف الليل. إنه موجود في غرفة بأحد أركان محطة توليد الطاقة، لكن لا يوجد باب، لذا فهو مفتوح على باقي المكان. يمكنه سماع غطيط الصبية، مما يعني أن أي مستيقظ منهم يمكنه سماعه إذا تحدث بصوت مرتفع للغاية.

”ماذا قصدت بدعوتي إلى التضامن؟ حسنًا، توجد أنواع من الانتفاضات. أريد أن أوضح تمامًا النوع الذي أتحدث عنه. أنا **لا** أؤيد تنفيذ القانون بأيدينا وتفجير الناس، وحرق مركبات مختلفة ومتنوعة، وأن أصبح ذلك النوع من ”الفاسدين“ الغاضبين الذين يجعلون المجتمع يفكر: ”نعم، ربما يكون التفكيك فكرة جيدة“. يوجد أشخاص معينون – دون ذكر أسماء– يعتقدون أن العنف يعزز قضيتنا. لا. كما أنني لا أدعو إلى اعتصام شبابي، أو إضراب عن الطعام مثلما فعل غاندي. تنجح المقاومة السلبية فقط لو لم تستعِد الشاحنة لدعسك، وهذه الشاحنة مستعدة لذلك. ما نحتاج إليه هو شيء بينهما. نحتاج إلى أن نصبح مرتفعي الصوت وأقوياء بما يكفي لكي يسمعونا، لكن يجب أن نتحلى بما يكفي من العقل حتى يستمع الناس. تريدنا هيئة الأحداث أن نصدق أننا لا نحظى بأي دعم، لكن هذا كذب. حتى استطلاعات الرأي تظهر أن المقترحات والمبادرات المختلفة المتعلقة بالتفكيك في صناديق الاقتراع هذا العام، إضافة إلى مشروعات القوانين التي يمررها الكونجرس، أكثر هامشية بكثير مما تعترف به هيئة الأحداث. لكن العنف سيقلب الأمور ضدنا“.

بمجرد نشر هذا التسجيل الصوتي، لن يوجد أي مجال للتراجع. لن يغير رأيه. ستنكشف نواياه السرية. ستاركي يمكنه اكتشاف الأمر ببساطة. ومن المحتمل أن يفعل، وبسرعة كبيرة أيضًا. تساءل هايدن هل سيقتله ستاركي بسبب ذلك؟

”لذا، سواء كنتَ منقولًا، أو هاربًا من التفكيك، أو صبيًّا تخشى على مستقبلك -أو حتى بالغًا تخشى على مستقبل أطفالك- فلدينا فرصة لتوجيه ضربة قاتلة إلى التفكيك. علينا فقط أن نعرف كيف نفعل ذلك. أتمنى أن أعرف الإجابة، لكني لست ذكيًّا بما يكفي لأكتشفها بنفسي.

لذلك أنا أتوجه إليكم. أيكم. جميعكم. في اعتقادكم، ما الذي يجب علينا فعله؟ تواصلوا معي على (RadioFreeHayden@yahoo.com) بأفكاركم العبقرية. سأنظر في جميع الأفكار، حتى الغبية منها. انتهى بث هايدن أبتشيرتش. تمنياتي لكم بالصحة العقلية والبقاء مكتملين".

حام إصبعه فوق زر "النشر"، وطال تردده. بدا كمن يعجز عن تحريك إصبعه، وتعجب كيف يمكن أن تُختَزل حياة الإنسان بأكملها في الضغط على زر واحد.

ثم سمع هايدن ضجيجًا. شيء ما يتحرك خلفه، فالتفت في مقعده.

لا بد أنه فأر.. أرجوك يا إلهي، فليكن فأرًا!

لكنه لم يكن فأرًا. إنه جيفان.

توقف قلب هايدن عن النبض لحظة، ثم عوض ذلك بنبض قوي متسارع يمكن الإحساس به من خلال عنقه وفي مقلتي عينيه.

حاول أن يبدو غير مبالٍ، وسأله: "أما زلت ساهرًا يا جيفان؟".

لكن محاولته لم تقنع الصبي. جيفان -البالغ من العمر خمسة عشر عامًا فقط- هو عبقري التكنولوجيا لدى ستاركي، لكنه في المقبرة، اعتاد استخدام براعته لصالح هايدن. لمن ولاؤه الأكبر إذن؟ يعرف هايدن أن جيفان لا يعطي ستاركي أفضل ما لديه، فهو يعمل بكفاءة ومهارة أقل كثيرًا مما يعرفه هايدن عنه. إنه شكل من أشكال المقاومة، لكن المقاومة شيء، والانقلاب على "ملك المنقولين" شيء آخر مختلف.

قال جيفان وهو يقترب بضع خطوات: "لقد سمعت ما قلته. سمعت كل شيء".

تنفس هايدن بصمت وبطء، قبل أن يتحدث. لا فائدة من تنميق الكلمات الآن: "هل ستخبر ستاركي؟".

لم يجب جيفان سؤاله، بل قال: "سنذهب بعد غد، هل تعلم؟ الهجوم القادم على مخيم الحصاد. يوجد صبية يراهنون على كم منا سيُقتل هذه المرة. من يقترب من عدد الوفيات الفعلي هو الفائز. إلا إذا أصبح بين القتلى طبعًا. وقتها تذهب الجائزة إلى أقرب شخص نجا فعلًا".

- هل راهنت؟

هز جيفان رأسه نفيًا، وقال: "لا. فلو اتضح أنني محق، سأشعر بطريقة ما أنني مسؤول جزئيًّا". للحظة بدا جيفان أصغر من عمره بكثير، وأكبر سنًّا في الوقت نفسه. أضاف: "أترى هذا التفكير غبيًّا؟".

- لو أنه كذلك يا جيفز، فهذا يفوقه غباءً بمراحل.

نظر كلاهما إلى شاشة الكمبيوتر ولوحة نورمان روكويل التي تبدو بريئة وشريرة في الوقت نفسه.

قال جيفان: "سيجد رجال شرطة الأحداث هذا الملف الصوتي، كما تعلم. لن يتمكنوا من تعقبه، لكنهم سيتخلصون منه قبل أن تتاح له فرصة الانتشار".

قال هايدن: "أعرف. لكن إذا سمعه القليل من الناس، سيسعدني ذلك".

- لا، لن يسعدك، لأنك تريد أن يسمعه الجميع. لكن هذا لن يحدث.

ارتجف جيفان قليلًا وانكمش محتضنًا نفسه. هنا فقط أدرك هايدن مدى برودة الجو ليلًا.

قال جيفان: "أنت تحتاج إلى إيجاد طريقة تجعل رسالتك تقاوم الاندثار. أقصد، اجعلها تتكاثر وتغير موقعها على شبكة الإنترنت، بحيث يعجزون عن إزالتها".

- تقصد كنسخة رقمية من لعبة (Whac-a-Mole).

استغرق جيفان لحظة لاستيعاب العبارة، ثم قال: ”أوه نعم، هذا صحيح. إنها لعبة طريفة“.

- هل يمكنك تحقيق ذلك إذن؟

- ربما. أو ربما تحتاج إلى إجراء بث إذاعي قديم الطراز. لا يمكنهم منع ذلك إلى أن يُبَث فعلًا.

بدت فكرة البث الحقيقي جذابة في نظر هايدن. تكمن الحيلة في الحصول على إشارة بعيدة المدى بدرجة كافية.

سأل جيفان: ”لم ترفعه على الإنترنت بعد، أليس كذلك؟“.

هز هايدن كتفيه، مجيبًا: ”بلى. في الواقع، إن إكمال الأشياء للنهاية يعد دائمًا نقطة ضعفي“.

نظر جيفان إلى الشاشة. عادةً يجيد هايدن جيدًا معرفة ما يفكر فيه الناس، لكن الليلة ليس لديه أدنى فكرة عما يدور في رأس جيفان. حسنًا، أيًّا كان ما يدور بعقله، فلا بد أن صداه تردد مع أفكار هايدن، لأن جيفان مد يده وفعل ما وجده هايدن صعبًا للغاية. نقر على ”نشر“.

راقب كلاهما في صمت الملف الصوتي في أثناء رفعه. في لحظات قليلة انتهى الأمر. ضغطة زر واحدة إما أن تغير العالم، وإما أن تنهي حياته.. أو كليهما.

***

14 - حارس الأرض

يعمل بستانيًّا، وقد قبِل الوظيفة لأنها في نطاق عمله. الأجر لائق، وتوجد مميزات جيدة، فالوظيفة تشمل المسكن والطعام. قالت له زوجته: ”من الغباء أن ترفض تلك الفرصة“.

- ماذا لو أن العمل في مخيم حصاد؟ لن أعترض على العيش هناك، لو لم تفعلي.

ومن دون الحصول على شهادة في علم البستنة، ربما تعتبر الوظيفة الثابتة في مؤسسة جيدة التمويل أفضل ما يمكن أن يأمله.

أشارت زوجته: ”على أي حال، إنك لن تفكك أحدًا“.

هذا صحيح بما يكفي. خلال السنوات الخمس التي قضاها في مخيم «هورس كريك»، لم يتواصل مع الصبية إلا قليلًا. النظام الشديد في المخيم يمنع ذلك. ينتقل المفككون دائمًا بكفاءة من نشاط إلى آخر. يمارسون الأنشطة الرياضية لقياس قدراتهم البدنية وبناء كتلة العضلات، حتى تزداد قيمة أجزائهم. أما الأنشطة الفكرية والإبداعية، فتهدف إلى قياس مهاراتهم العقلية وتحسينها. يظل مفككو مخيم «هورس كريك» مشغولين للغاية بحيث لا يمكنهم ملاحظة البستاني.

يتحدث إليه أحيانًا الأعشار -الذين يتمتعون بقدر أكبر من الحرية- ويسألونه: "أي نوع من الزهور هذا؟". براءتهم المشرقة تتناقض بشكل صارخ مع يأس المفككين الآخرين الذي يشع كحقل من السموم.

- إنها جميلة، هل زرعتها كلها بنفسك؟

يجيبهم دائمًا في تهذيب، لكنه نادرًا ما ينظر إليهم، لأنه يعرف مصيرهم، حتى لو أنه مصير يقبلونه. إنه معتقده الخرافي الشخصي: لا تنظر في أعين المنكوبين.

إنه ليس البستاني الوحيد، لكن مهارته ونجاحه في الزراعة أكسباه لقب حارس الأرض الرئيسي. الآن يتاح له انتقاء واختيار مهامه، ويسند العمل للآخرين. إنه يهتم بالزراعة الأثقل: الأشجار والسياجات الجديدة، وتصميم أحواض الزهور الأكبر حجمًا والأكثر إثارة للإعجاب. يحب أن يزرعها بنفسه. يقع أكبرها أمام المكان الذي يطلق عليه الصبية اسم مرأب التفكيك. إنه فخور بشكل خاص بموضوع الخريف هذا العام: القرع الذي ينمو وسط دوامة من ألوان «زنابق الضفدع» و«الرهبان» وغيرها من الزهور التي تتفتح في الخريف.

قالت له زوجته: "يحق لك أن تفخر بعملك. إن أحواض زهورك هي الجزء الأخير من الطبيعة الذي سيراه هؤلاء الصبية قبل انقسامهم. إنها هديتك لهم".

ولهذا، يتولى بنفسه -وباهتمام كبير- وضع كل شيء ينمو في حوض زهور مرأب التفكيك.

تزعجه الإجراءات الأمنية المُضافة مؤخرًا وتدفق "أفراد الحماية". هؤلاء الحرس الجدد ليسوا مجرد موظفي أمن المخيم النموذجيين، لكنهم فرق تكتيكية توفرها هيئة الأحداث. يحملون أسلحة هجومية ويرتدون ملابس سميكة مضادة للرصاص. كل شيء مخيف للغاية. لقد

سمع عن الهجمات الأخيرة على مخيمات الحصاد، لكن المخيمات عديدة، والمخيمات الأخرى التي تعرضت للهجوم بعيدة. ما احتمالات تمييز مخيمهم الصغير في ريف أوكلاهوما من بين جميع مخيمات الحصاد، واختياره لهجوم جيش المنقولين؟ إنه يرى أن هذا الأمان المذعور لا يؤدي إلا إلى إثارة قلق الجميع دون سبب وجيه.

وفيما يشترك مع زميل في تنسيق العشب والأشجار على شكل تنين، أتى الهجوم بغتة، مدمرًا هدوء يوم ريفي. لم ير الانفجار الأول، وشعر به أكثر مما سمعه. جاء كموجة صادمة، لولا جلوسه على ركبتيه خلف تنين المزروعات، لأسقطه الانفجار إلى الخلف. قطعة من الخرسانة بحجم كرة السلة أحدثت ثقبًا في قلب التنين، لكن ليس قبل أن تمزق زميله في العمل. ألقى البستاني بنفسه على الأرض ملطخًا بدماء رفيقه القتيل، وعندما نظر إلى أعلى، وجد مبنى الإدارة قد اختفى.

كل ما تبقى شظايا حادة من الجدران. وواصلت أجزاء من المبنى سقوطها في جميع أنحاء أرض المخيم. هرب جميع الموظفين والمفككين على السواء من مكان الحادث في ذعر.

أدى الانفجار الثاني إلى تدمير برج حراسة مُصمم ليبدو كطاحونة هوائية ريفية. مزقت الأخشاب المحطمة كل شيء أو شخص في طريقها، ومن خلفها، في المكان الذي احتله سياج مُدعَّم بالفولاذ، تدفق جيش من الصبية، يحملون أسلحة لم ير حارس الأرض مثلها من قبل. هنا، امتلأ الهواء بأصوات طلقات البنادق المتكررة، والمدافع الرشاشة التي تصم الآذان، والهدير القاتل لقاذفة صواريخ محمولة على الكتف، تطلق حمولتها القاتلة إلى مقر الموظفين. اصطدم الصاروخ بنافذة جانبية في شقة بالطابق الثاني -الشقة الجميلة المطلة على الحدائق-

وبعد لحظة، انطلقت من جميع نوافذ المبنى المنسوفة كرة نارية ولَّدها الانفجار الذي وقع في الداخل.

كتم صرخته، محتميًا باللبلاب الكثيف عند قاعدة تنين النباتات. علم أنه سيموت إذا اكتشف المهاجمون وجوده، كما علم أنه سيموت أيضًا إذا أطلق أحدهم سلاحه في اتجاهه عمومًا. كل ما أمكنه فعله هو الاستلقاء على بطنه أرضًا، محاولًا الاختفاء في المساحات الخضراء التي زرعها بشق الأنفس.مكتبة سُر مَن قرأ

ورغم تدريبهم وأسلحتهم، لم يكن رجال فريق التدخل السريع التابع لهيئة الأحداث مستعدين لهجوم بهذا الحجم. رفعوا دروعهم الباليستية وحاولوا التقدم على حشد المراهقين الغزاة، وأسقطوا بعضهم، لكن ليس الكثيرين. ثم -من بين حشد المهاجمين- اندفعت فتاة غير مسلحة نحوهم ويداها مرفوعتان.

صاحت باكية: "النجدة! ساعدوني! لا تطلقوا النار!".

أوقف رجال التدخل السريع نيرانهم عند اقترابها، استعدادًا لحمايتها وإنقاذها من تبادل إطلاق النار. وعندما اقتربت منهم، ضربت كفيها ببعضهما.

وفي لحظة تلامُس كفيها، اختفت.

وقع انفجار شديد القوة، حتى إن فريق التدخل السريع طار في الهواء بأكمله مثل قوارير البولينج، والتوت أجساد رجاله وهي تحترق في الهواء.

ظهر صبي آخر أعزل -واهن لكنه يمتلئ عزمًا- فتح ذراعيه ملقيًا بنفسه على جانب الشاحنة المدرعة لفريق التدخل السريع. وحال ارتطامه بها، حطم الانفجار الشاحنة إلى قسمين، فاندفع نصفها من خلال البوابة الأمامية، فيما حطم النصف الآخر حديقة مرأب التفكيك.

صرخ أحدهم: ”إن معهم مصفقين! يا إلهي، لديهم مصفقون!“.

وهنا عرف حارس الأرض أن الأمر يفوق مجرد تحرير المفككين. الأمر يتعلق بالانتقام من كل المتورطين في التفكيك. ولن يرحمه المهاجمون لو أمسكوا به، رغم أن كل ما فعله هو تجميل الأرض. سيقول له جيش المنقولين: ”لقد شاهدت مئات الأطفال يؤخذون إلى مرأب التفكيك، ولم تفعل شيئًا“. سيقولون: ”لقد تناولت العشاء مع الرجال والنساء الذين يمسكون المباضع، ولم تفعل شيئًا. لقد أخذت مكانًا للكوابيس وأخفيته خلف الزهور، وسيكون دفاعه الوحيد هو: ”لقد أديت عملي فحسب“. لذلك، سيطلقون عليه النار، أو يفجرونه، أو يشنقونه بسحب الكرسي من تحته. وكل ذلك لأنه لم يفعل شيئًا.

إنه يعلم أن زوجته ستقول له: ”لا تتحرك أيها الأحمق. العب دور الميت حتى ينتهي كل شيء“. لكنه يعلم أنها لن تقول له أي شيء بعد الآن. لأن أحد امتيازات كونك رئيس البستانيين هو الحصول على تلك الشقة الجانبية في الطابق الثاني من منزل الموظفين. الشقة اللطيفة المطلة على الحدائق.

***

15 - جيفان

- يجب أن ترى الأمر بنفسك يا جيفان. عليك أن تصبح جزءًا منه. باعتبارك عضوًا في جيش المنقولين، عليك المشاركة في القتال حتى تشعر حقًّا بقوة ما نفعله. وهكذا ستدرك أهميته.

بهذه الطريقة، صاغ ستاركي النبأ الذي يفيد بأن جيفان سيصبح جندي مشاة في الهجوم على مخيم «هورس كريك».

- حتى الآن، مكثتَ خلف الكواليس، في الصفوف الخلفية. لكن اليوم أصبحت محاربًا يا جيفان. اليوم يومك.

أجاب جيفان كعادته دائمًا عند الرد على ستاركي: "أمرك يا سيدي".

لكن عندما دمَّر الصاروخ الأول مبنى الإدارة، وبدأ المنقولون من حوله يطلقون أسلحتهم على أي شيء يتحرك وسط الدخان، أدرك جيفان أن ما كان له أبدًا أن يوجد هنا. يوجد صبية من حوله مغترون بقوة أسلحتهم، وقد تحولوا إلى مجانين بسبب مهارة ستاركي في مخاطبة جوانبهم الأعنف. يوجد أيضًا أولئك الذين يحملون أسلحتهم على مضض، مدركين أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. بغض النظر عن مدى خطأ التفكيك، لكنهم ينجرفون في تيار قوي ولا يعرفون كيف يقاومون.

أي من هؤلاء الصبية الآخرين ليس مقربًا من ستاركي مثل جيفان. لم يكن أيهم قط جزءًا من التخطيط، أو شهد نوبات غضبه، أو رأى ما تخفيه عيناه، ليعرف العرض الحقيقي الذي يجري خلف العرض الظاهري.

يظن ستاركي أنه لا يُقهر. يعتقد أنه أكثر من مجرد شخص مقدر له تحقيق العظمة، بل إن هذه العظمة مستحقة له، وكل انتصار من هذه "الانتصارات" يجعله يؤمن بذلك أكثر فأكثر.

ملك المنقولين. إن اللقب الملحمي الذي منحه له هايدن أصاب الهدف أكثر حتى من إدراكه، لأن ستاركي يرى نفسه حقًّا ملكًا يسعى إلى التقديس. شخص مختار بكبرياء وامتيازات ملك.

عندما تؤمن بنفسك بهذه القوة، فإن ذلك يجذب ثقة الآخرين. كلما زاد المنقولون الذين يؤمنون بستاركي، زادت رغبتهم في ذلك، وازداد هذا الإيمان حماسًا. كان جيفان واحدًا من هؤلاء، وشعر أنه مستعد للموت من أجل ستاركي في تلك الأيام الأولى. لكن الآن أدرك أخيرًا عمى هذا الإيمان، في اللحظة المناسبة تمامًا للموت من أجله.

فيما تسابق أعضاء فريق جيفان في المعركة، وأطلقوا الأسلحة بكثافة ولَّدت موجة ارتدادية تعيدهم إلى الخلف في كل مرة يضغطون على الزناد، أخذ جيفان يصلي طالبًا النجاة فحسب.

قال له ستاركي وهو يربت كتفه بأخوية: "أنت اليوم محارب". لكن جيفان عرف الحقيقة وراء الكلمات. ما قصده ستاركي هو: "أنت الآن منتهي الصلاحية"، لأنه -بفضل القوة والموارد التي تدعمه بها حركة المصفقين- لم يعد بحاجة إلى جيفان لتنفيذ حركاته السحرية على الكمبيوتر. أُجريت جميع عمليات القرصنة الأساسية لهذه العملية في

مكان آخر، وعلى أجهزة أفضل بكثير من أي شيء امتلكوه من قبل. لم يعد جيفان فريدًا من نوعه، لذا أصبح اليوم محاربًا.

احتدمت المعركة من حوله، ومن جانب واحد، حتى كاد يضحك إذا لم يتطاير الرصاص أمامه، وإذا لم يمت الناس يمنة ويسرة. إن القوة الأمنية المعززة في المخيم ليست ندًّا لجيش المنقولين.

الأوامر التي تلقاها جيفان هي إطلاق النار على أي شخص يزيد عمره على سبعة عشر عامًا. ومع ذلك -مثل كثيرين آخرين- أخذ يطلق النار عاليًا، ويطلق صرخة المعركة، حتى يبدو وكأنه يقتُل، في حين أن كل ما يفعله حقًّا هو إحداث الكثير من الضوضاء. بقيَ بعيدًا عن الأماكن المفتوحة، كي لا يصبح هدفًا، فوجد نفسه واقفًا وسط التشكيلات الشجرية التي مزقتها الانفجارات. ثم رأى حركة، شخص يزحف وسط اللبلاب. "أطلق النار على أي شخص يزيد عمره على سبعة عشر عامًا". هل يراقبه ستاركي؟ ماذا لو أن ذلك صحيح؟ ماذا لو رأى جيفان يفشل في دوره الجديد كجندي مشاة في جيش المنقولين؟ ماذا سيفعل ستاركي عندما يقرر أن جيفان معدوم الفائدة تمامًا؟

صوب جيفان بندقيته الرشاشة نحو الرجل الزاحف، لكن عندما رآه الرجل، نهض وألقى بنفسه عليه. سقط المدفع الرشاش على الأرض، تدافع الاثنان بشدة وسط اللبلاب للحصول عليه.

لوَّح الرجل -وهو بستاني- بمقص حديقة في وجه جيفان، فأصابته الشفرات أعلى عينه اليسرى. تدفقت الدماء من الجرح، بقدر أكثر بكثير مما ينبغي أن يحدثه جرح صغير كهذا. أمسك جيفان المدفع الرشاش وقد حُجِبَت رؤيته، لكن الدماء جعلت يديه زلقتين وأفلتت أصابعه، فانتزع البستاني منه السلاح. وقف أمام جيفان وسط السياج المدمر، وصوب نحوه، ضاغطًا بإصبعه على الزناد، فأدرك جيفان أنه ارتكب

خطأً فادحًا. كان عليه أن يطلق النار على الرجل دون تردد لحظة رؤيته، لأنه إما أن تَقتُل وإما أن تُقتَل. لم يترك ستاركي مجالًا لأي شيء بينهما.

انتحب الرجل ألمًا. شدَّد إصبعه على الزناد واستهدف وجه جيفان مباشرةً. صوب وصوب، ثم سقط على ركبتيه وسقط منه المدفع الرشاش. للحظة، اعتقد جيفان أن الرجل أصيب برصاصة في ظهره، لكن هذا لم يحدث. نحيب البستاني تحول إلى تنهدات.

هزَّ انفجار آخر مبنى على يمينهما، وسقط كل من جيفان والرجل على بطنيهما وسط اللبلاب، فيما تطايرت قطع الزجاج والحجر والطوب خلفهما، مما أدى إلى تمزيق تنين النباتات وتدمير كل ملامحه. واستلقى جيفان هناك والدم ما زال يتدفق إلى عينيه. فعل شيئًا، لم يعرف ما الذي دفعه إليه، لكنه شعر برعب شديد، ووحدة كبيرة، مما دفعه إلى الحصول على نوع من التواصل. مد يده من خلال اللبلاب وأمسك يد البستاني، التي أصبحت الآن مغطاة بالطمي والدماء. شبك يده بيد الرجل بإحكام، وفعل الرجل المثل.

لم يستطع رؤية وجه البستاني –فأوراق الشجر تسد الطريق– لكن وسط هذه الفوضى، أصبح تشابك الأيدي بمنزلة واحة من الراحة، لكل منهما.

قال الرجل: "لسنا جميعًا أشرارًا".

أجابه جيفان: "ولا نحن أيضًا".

وانتظرا هناك في صمت، مختبئين وسط نباتات اللبلاب، ليبقيا على قيد الحياة، حتى تلاشت أصوات إطلاق النار ودخل ستاركي -الجنرال المنتصر- إلى مسرح المعركة ليعلن انتصاره.

***

16 - بام

عندما بدأت المعركة، تمركزت بام وفريقها -المكون من خمسة وعشرين منقولًا- عند المدخل الخلفي للمخيم. أطل مكمنهم على رصيف التحميل الموجود خلف مرأب التفكيك، حيث تنقل الشاحنات الطبية مبردات الأعضاء الجاهزة لزرعها فيمن هم أكثر استحقاقًا. أو على الأقل أولئك الذين تستطيع جيوبهم أو تأمينهم شراء أعضاء جديدة. توجد شاحنة واحدة متوقفة بجوار رصيف التحميل اليوم، مستعدة للشحنة التالية.

انتظر فريق بام -"فرقة مارابو" كما أسماهم ستاركي، منذ أن أصر على تسمية كل فريق هجوم على اسم أحد أنواع الطيور- خارج البوابة المكهربة، مختبئًا خلف بستان كثيف من أشجار البلوط، التي امتلأت أغصانها بأوراق كبيرة الحجم كما هي العادة في نهاية سبتمبر، وقد بدأ يغزوها اللون الأصفر. حمل الفريق متفجرات لتدمير السياج، لكن بام أصرَّت على عدم استخدامها.

عندما بدأت الانفجارات على الجانب الآخر من مخيم الحصاد، شعر أعضاء فريق بام بالقلق. نزعوا صمامات الأمان من أسلحتهم، التي حصلوا على الحد الأدنى من التدريب على كيفية استخدامها. إنهم بالكاد يستطيعون حملها بسبب ثقلها، ناهيك باستخدامها.

أمرتهم بام: "أعيدوا صمامات الأمان مرة أخرى!".

نظرت إليها فتاة وديعة واسعة العينين تدعى بري، وهي تشعر بالرعب من أمرها أكثر من خوفها مما ينتظرها، وقالت: "لكن... إذا أعدناهم...".

- لقد سمعتِني!

وهكذا، في كل مكان من حولها، سمعت بام صوت الأسلحة وهي تعود إلى الوضع الآمن. تنفست بعمق، ثم دوى انفجار آخر من مكان ما خارج مرأب التفكيك، وهز الأرض تحت أقدامهم، مسقطًا على رؤوسهم وابلًا من الجوز. من هذه الزاوية، كل ما أمكنهم رؤيته هو الأشجار ورصيف التحميل. تطاير الحطام فوق مرأب التفكيك، وهبط على رصيف التحميل، وضربت قطع صغيرة من الخرسانة سقف الشاحنة الطبية.

قال جارسون ديجروت: "يجب أن ندخل!".

إنه صبي مفتول العضلات له عينان رماديتان ثاقبتان حد الألم وتصفيفة شعر قصيرة للغاية تميز جنود البحرية. من الواضح أنه أراد أن يصبح بوفًا، لذا لا بد أنه يرى جيش المنقولين بمنزلة فرصته لتحقيق حلمه.

صرخ جارسون: "نحتاج إلى الدخول الآن!".

صاحت بام: "اهدأ! نحن نمثل الموجة الثانية من الهجوم".

إنها كذبة طبعًا. يلتزم ستاركي باستراتيجية "فليدخل الجميع": لا تحتفظ بأي شيء احتياطيًّا. نفذ أو مت. لكن بام عزمت على إنقاذ حياة هؤلاء الصبية. اليوم هذه هي مهمتها الشخصية.

قالت بري وهي تشير إلى شيء ما: "انظروا!".

اندفع أشخاص يرتدون الملابس الطبية البيضاء خارجين من الباب الخلفي لمرأب التفكيك. جراحون، ممرضون، باختصار الأشخاص الذين ينفذون التفكيك الفعلي. شعرت بام بموجة من الغضب والكراهية بداخلها فيما يحاول أفراد الطاقم الطبي فتح أبواب الشاحنة في يأس، لكنهم لم يستطيعوا الدخول. أدى انفجار آخر إلى تدمير بعض نوافذ مرأب التفكيك. ترك أفراد الطاقم الطبي الشاحنة وركضوا نحو البوابة. ضرب أحدهم جهاز التحكم عن بعد، وبدأت البوابة تُفتَح.

قال جارسون: "لقد دخلنا دون إهدار المتفجرات! إنك شديدة الذكاء يا بام".

قالت بام بصوت هادر: "أغلق فمك اللعين فحسب!". ثم نظرت لتجده قد نزع صمام الأمان من سلاحه مرة أخرى، فحدجته بنظرة حارقة، جعلته يعيد سلاحه إلى وضع الأمان مجددًا.

تسابق أفراد الطاقم الطبي -سبعة أو ثمانية تقريبًا- للخروج من البوابة.

سأل جارسون متشككًا: "هل ستتركينهم يرحلون فحسب؟".

نظرت بام إلى عينيه مباشرة، وسألته: "أتريد التقدم إلى هناك وإطلاق النار عليهم؟".

ترك السؤال جارسون عاجزًا عن الكلام. نظر إلى سلاحه وكأنه يراه لأول مرة. نظرت بام إلى المجموعة بأكملها، وسألت: "ماذا عن بقيتكم؟ أي شخص يريد الذهاب إلى هناك وقتلهم، فليتفضل!".

لا يوجد مبادرون. ولا صبي واحد.

لذلك ظلوا مختبئين بين الأشجار، فيما يركض الرجال والنساء مذعورين، متقطعي الأنفاس، وبعضهم يبكي. ثم فجأة جاء صبي لا

تعرفه بام. له شعر أسود ينسدل على عينيه، وينتشر حب الشباب في وجهه، وهو نحيل بطريقة جذابة وأنيقة. وقف في منتصف الطريق، مباعدًا بين يديه، ومال رأسه إلى الخلف كزهرة تتفتح لتحصل على ضوء الشمس.

رآه من يركضون، لكن رعبهم الشديد مما يهربون منه، جعلهم لا يفكرون حتى فيما قد يركضون نحوه. وقبل أن يصلوا إلى موقعه مباشرة، صدم الصبي ذو الشعر الداكن يديه معًا في تصفيقة واحدة قوية.

قوة الانفجار ألقت بام وفريقها على الأرض. وعندما نهضت لترى ما حدث، وجدت الأشجار على جانبي الطريق مشتعلة، مع وجود حفرة في الأسفلت، وقد اختفى الجميع. لا يوجد أحد على الإطلاق.

صمت المنقولون الآخرون بضع لحظات في ذهول، واستمعوا إلى صوت النيران، وسقوط الحطام، وإطلاق النار من وراء رصيف التحميل في مرأب التفكيك، محاولين إنكار رائحة التفحم التي وصلت للتو إلى أنوفهم.

قال جارسون بصوت مرتجف: "إنهم منفذو التفكيك. لقد استحقوا الموت".

قالت بري: "ربما. لكني سعيدة، لأنني لست من قتلهم".

انتظر فريق بام انتهاء المعركة، دون أن يتخذ أي خطوة للانضمام إليها، ولم يعد أحد يجادل. ولا حتى جارسون الذي بدا كارهًا للموقف برمته، وربما اعتقد أنه جبان، وألقى اللوم على بام في ذلك.

حال انتهاء المعركة، قادت بام فريقها من خلال بقايا مرأب التفكيك التي تتصاعد منها الأدخنة، إلى داخل أراضي مخيم حصاد «هورس كريك» التي مزقتها المعركة.

لقد جمع ستاركي المتحررين في منطقة عشبية، تتناثر فيها الآن الجثث والحطام، وسمعته بام وهو يعلن أمام المفككين المجتمعين: "اسمي مايسون مايكل ستاركي، ولقد حررتكم للتو".

أصيب الحشد بصدمة شديدة أعجزته عن الهتاف فرحًا بالتحرر. لقد فاقت مشاهد الموت والدمار أي شيء رأته بام من قبل. إنها أسوأ من المذبحة التي وقعت في المقبرة. لقد احترق مخيم الحصاد وسُوِّيَ بالأرض. لا يوجد بالغون أحياء مرئيين. لم تعرف بام هل يوجد من نجا من انتقام ستاركي المظلم من العالم.

سألت بري: "ماذا سيفعل بالأعشار؟".

استدارت بام لترى العديد من المنقولين المسلحين يحرسون مجموعة من الأعشار، الذين يقعون في أسرهم، لأنهم لا يحبون الحرية.

قالت بام: "من يدري! ربما يتخذهم عبيدًا، أو يضعهم في الحساء".

قال أحد أعضاء فريقها -صبيٌّ أشعث الشعر لا تعرف بام اسمه-: "يا للهول! أتظنين حقًّا أنه سيفعل ذلك؟".

حقيقة صدور هذا السؤال عن الصبي -كما لو أنه احتمال حقيقي- أخبرت بام أنها ليست الوحيدة التي تعتقد أن ستاركي قد ازداد جنونه. نعم، لديه دائرة ضيقة من الموالين الذين يبدو أنهم يمتصون كل الانتقام والانتقادات اللاذعة التي يغذيهم بها، لكن ما مدى الشك الكامن في نفوس الآخرين؟ ما حجم الدعم الذي ستحصل عليه إذا تحدت قيادته بما يكفي لإعدامها هي والمتآمرين معها كخونة للقضية؟

على يمينها، رأت جيفان يخرج من وسط سياج محطم ووجهه ينزف. نظرت بام إلى أسفل ومزقت جيبًا من ملابسها المموهة، وأعطته لجيفان حتى يمسح جبهته النازفة.

عندما رآها، قال ستاركي وعلى وجهه شيء يشبه الابتسامة: "يبدو أن فريقك قد حصل على قدر كبير من الراحة".

أجابته ببرود: "أنت من طلب منا تولِّي رصيف التحميل. لم نجد هناك الكثير من العمل".

لم يعلق على قولها، بل قال آمرًا: "اركبوا السيارات، وهيا لنغادر"، ثم ابتعد بخطوات واسعة.

انتظرتهم على الطريق شاحنات بلا هوية. سوف يسلك السائقون -الذين وفرتهم جميعًا حركة المصفقين- طرقًا متنوعة لإعادتهم إلى محطة توليد الطاقة، على بعد مئات الأميال من مسرح الجريمة.

وفي الشاحنات، جلس هايدن، جنبًا إلى جنب مع "حريم" ستاركي وكل الصبية الآخرين الذين لم يشاركوا في هذا الهجوم، تُركوا هناك انتظارًا لعودة المنتصرين. وجدت بام نفسها متلهفة لإفراغ حمولتها المُنهِكة على هايدن، وإبلاغه بكل ما حدث هنا اليوم. يجب أن تخبر أحدًا، يجب أن تعترف بما تشعر حيال الأمر. من الغريب بشدة أن هايدن أصبح من يتلقى اعترافاتها!

اكتملت الحمولة، وانطلقت الشاحنات.

الشاحنة معدومة النوافذ التي نقلتهم إلى هنا -وتعيدهم الآن- لا تبدو مختلفة تمامًا عن شاحنة نقل المفككين. شعرت بام بأن فقدانها السيطرة على حريتها أمر قمعي تمامًا كما لو أنها سجينة. تحققت من الجميع للتأكد من نزع جميع الأسلحة وتكديسها في زاوية الشاحنة عندما بدأت رحلتهم، حتى لا تصبح ألعابًا. استمعت إلى مقتطفات من الأحاديث التي تدور حولها، وهي ليست عديدة.

- أتعتقدون بوجود مصفقين لم يصفقوا معنا في الشاحنات؟

- أشعر بدوار الحركة عندما لا أستطيع النظر من النافذة.

- أوستن لي! هل رأى أحدكم أوستن لي؟ من فضلكم فليخبرني أحدكم أنه قد رآه!

- يقول ستاركي إننا نتحسن. المرة القادمة ستصبح أسهل.

ثم قال جيفان في تحدٍّ وبصوت مرتفع: "إنني أفتقد المقبرة".

وهنا ساد الصمت بين الجميع. والآن بعد أن حظي باهتمامهم، قال جيفان بصوت أعلى: "أفتقد الطريقة التي اعتاد كونر أن يفعل بها الأشياء".

إنها شجاعة، إنه تهور. لم تعرف بام من قبل أن جيفان يملك صفات غير متوقعة.

لم يستجب أحد بضع لحظات. ثم علا صوت من الخلف يقول: "وأنا أيضًا".

انتظرت بام لترى هل سيُعبِّر أي شخص آخر عن رأيه، لكن لا أحد. ومع ذلك، أمكنها أن تقول من تعبيرات وجوههم إنهم متفقون مع هذا الرأي. إنهم خائفون فقط من قول ذلك.

قالت بام: "حسنًا، ربما يمكن أن تصبح الأمور كذلك مرة أخرى".

لم تُلِح أكثر من ذلك، لأنها تعلم أن بعض الصبية في الشاحنة من النوع الذي يقدس ستاركي، مما يعني أن هذه المحادثة ستصل إليه. حتى الآن، نظر إليها جارسون ديجروت بمرارة. تنفست بعمق، وزفرت، ثم حاولت أن تمنح جيفان ابتسامة مريحة، لكنها أخفقت، لأنها تعلم أن الحرب القادمة قد لا تندلع في مخيم حصاد على الإطلاق.

***

17 - آرجان

على بعد أميال عديدة إلى الشمال، واصل آرجان سكينر الجلوس في المقعد الأمامي بجوار جاسبر نيلسون في الشاحنة الـ«يو-هاول»، بعد أن أضافا هاربًا خامسًا من التفكيك إلى غنيمتهم. وفقًا لنيلسون، يمكن الحصول على عشرين أو ربما ثلاثين ألف دولار مقابل خمسة هاربين من التفكيك بصحة جيدة. ورغم أن الرياضيات ليست أبدًا موطن قوة آرجان، فقد توصل فعلًا إلى أن عملية مثل هذه مرة واحدة أسبوعيًّا يمكن أن تحقق عائدًا قدره 5,1 مليون سنويًّا، ويتبقى أيضًا وقت لقضاء إجازة.

وجهتهم مدينة حدودية كندية تدعى سارنيا، وتتميز بأنها المدينة الأكثر تلوثًا في كندا، بسبب مخلفات شركات النفط القديمة وشركات «كيميكال فالي» التي ما زالت تلقي نفايات غامضة في الماء والهواء. قد يعتبر البعض أن ديفان أوماروف جزء من تلوث سارنيا، لكن بالنسبة إلى آرجان، فإن تاجر السوق السوداء الغامض يمكن أن يصبح منقذه الشخصي.

سأل آرجان نيلسون عندما عبرا الجسر إلى كندا: "أخبرني، ماذا ندعوه؟ هل له لقب أو أي شيء من هذا القبيل؟".

تنهد نيلسون، ملمحًا إلى مدى غضبه من هذا السؤال، وأجاب: "لقد سمعت الناس يدعونه «ملك لحوم البشر»، لكنه لا يحب ذلك. إنه رجل أعمال. وهو يطلق على نفسه اسم المورد المستقل للتطويرات البيولوجية".

ضحك آرجان من قوله، فجاء رد نيلسون عابسًا ليمحو كل المرح: "إنه يأخذ مهنته على محمل الجد. من الحكمة أن تفعل الشيء نفسه".

***

لم يحضر ديفان تفريغ حمولة الهاربين الخمسة من التفكيك في مقر توكيل «بورش» الذي يعتبر واجهة لعمله.

- إنه يقضي الآن معظم وقته في التخييم.

هذا ما أخبرهم به موظف من أصول أوروبية شرقية غير محددة، وإجادته للإنجليزية متواضعة. أوضح نيلسون أن كلمة "التخييم" ترمز إلى الوقت الذي يقضيه في الإشراف على مخيمه للحصاد. إنه مكان لم يره حتى نيلسون من قبل.

قال نيلسون لآرجان: "إنه يطير إلى الداخل، وإلى الخارج. ليس من شأني أن أعرف أين يفكك البضائع، ما دمت أتقاضى أجرًا مقابل الهاربين من التفكيك الذين أحضرهم له".

ورغم نزعة آرجان الفضولية، فإن آخر شيء يريده على الإطلاق هو القيام بجولة في مخيم حصاد بالسوق السوداء.

قيل لهما ستنزلان كضيفين في مقر إقامته الخاص حتى يعود، ومُنِحا مفاتيح سيارة «بورش» ليقوداها إلى هناك. أمسك آرجان المفاتيح من يدي الرجل، لكنه سلمها إلى نيلسون، مدركًا أن البديل هو تخديره مرة أخرى. وبدا أن صدمة القرد قد آتت ثمارها.

سأل آرجان نيلسون وهما على الطريق: "رحلة جميلة، لكن ألا يخشى أن نسرقها؟".

أضحك اقتراحه نيلسون، لكنه تجاهله ولم يمنحه إجابة.

***

تبين أن المسكن عبارة عن كوخ بسيط على شكل حرف (A)، يقع على منحدر مزروع بالأشجار يطل على بحيرة هورون، على بعد أربع ساعات شمال سارنيا. بدا الكوخ عاديًّا ولا يمكن تمييزه عن جميع الأكواخ الخشبية الأخرى المشابهة في المنطقة. شعر آرجان بخيبة أمل كبيرة.

- هل يعيش في هذا الشيء؟ هل قطعنا كل هذه المسافة إلى هنا من أجل هذا؟

أول إشارة إلى أن الأمور ليست كما تبدو هي الخادم الشخصي الذي رحب بهما. وجد آرجان أن من الغريب أن يستلزم بناء بهذا الحجم خادمًا. ثم، حال دخولهما "الكوخ"، تغيرت جميع تصورات وافتراضات آرجان جذريًّا، فهيئة حرف الـ(A) بمنزلة قمة جبل الجليد حرفيًّا، لأن قاعدة الشكل الآخذة في الاتساع تمتد تحت الأرض لثلاثة طوابق أخرى، مما يخلق مساحة داخل المكان لا تقل عن عشرة أضعاف مظهره من الخارج. نُحِتت النوافذ غير الواضحة في أحجار المنحدر، مما منح "الكوخ" إطلالة رائعة على البحيرة، أما التصميم الداخلي للمكان، فيضاهي نظيره في أرقى الفنادق الجبلية. كل شيء مصنوع من الخشب المصقول الفاخر، وزُيِّنَت الجدران برؤوس محنَّطَة لنمر ووحيد قرن ودب قطبي وعشرات الأنواع الأخرى من الحيوانات المنقرضة.

سأل آرجان الخادم الشخصي في أثناء نزولهم سلم كبير يؤدي إلى غرفة المعيشة الواسعة: "هل يمارس ديفان الصيد إذن؟".

رفع الرجل أنفه مستاءً، وأجاب: "لا. إنه من هواة الجمع".

وجدا عاملين آخرين لإكمال الطاقم. خادمة تبدو كمن تنفض الغبار إلى ما لا نهاية، وطاهٍ مخيف أشبه بالجلاد، لكنه أعد لهما عشاءً أشهى من أي طعام أكله آرجان على الإطلاق. لم يسبق له قط أن شهد هذا النوع من المعاملة من الدرجة الأولى، أو رأى هذا النوع من الثراء. وتوصل في النهاية إلى أن أعمال ديفان لا بد أنها ناجحة للغاية.

***

حصلا على خدمة من فئة خمس نجوم لمدة أربعة أيام.

أربعة أيام من العيش المريح دون أي أثر لصاحب المنزل. استطاع نيلسون تجنب التواصل مع آرجان باستثناء وقت تناول الوجبات، لكن صبره أخذ ينفد باضطراد مع مرور الوقت، وربما أصابه أيضًا بعض التوتر.

علق نيلسون في أثناء الغداء قائلًا: "إنه يعلم أنني قادم. لم يحدث قط أن تركني أنتظر كل هذه المدة".

واجه صعوبة في الجلوس لتناول الوجبة، فأخذ يسير وينظر من النوافذ إلى البحيرة التي تعصف بها الرياح.

- ربما هو مشغول فحسب. رجل مثله يضطر إلى ترتيب أولوياته، أليس كذلك؟

لكن آرجان عرف ما يفكر فيه نيلسون. ديفان يعاقبه على حضوره من دون كونر لاسيتر. فكر آرجان: *حسنًا، لو أن الإقامة هنا عقاب، فأهلًا بالمعاناة!*

وصل ديفان أخيرًا في وقت لاحق من ذلك اليوم بطائرة برمائية. راقب آرجان من خلال النافذة مشهد الطائرة الصغيرة وهي تتجه إلى الرصيف الخشبي البسيط الذي يمتد من قاعدة المنحدر. ومثل المظهر الخارجي للمنزل، خلت الطائرة من مظاهر الترف والفخامة. إنها تشبه الطائرات البحرية الأخرى التي شاهدها آرجان في أثناء عبورها البحيرة. من الواضح أن الاستعراض الوحيد الواضح للبذخ الذي يسمح به ديفان لنفسه هو أسطول السيارات، الذي يبقيه متوقفًا في مرأب تحت الأرض، لكن حتى السيارات جميعها «بورش»، لتخدم القصة التي يخفي بها نشاطه الحقيقي.

سارع آرجان إلى تصفيف شعره وارتداء بعض الملابس الجديدة التي وفرها الخدم له، سراويل داكنة وقمصان منشاة بأزرار لتثبيت الياقة. إنه ليس طرازه المفضل، ولكن ربما يحتاج طرازه إلى بعض التغيير.

عاد ليجد نفسه متأخرًا عن استقبال ديفان، فقد رأى نيلسون يقف معه في غرفة المعيشة الكبرى ويتحدثان فعلًا. وجد الرجل أسود الشعر فاحِمَه، وينعم بلياقة بدنية متناغمة، ويرتدي حُلَّة حريرية باهظة الثمن لا يبدو عليها تجعد واحد من جرَّاء أسفاره. إنه مثير للإعجاب، وتمنى آرجان الآن لو أنه امتلك الحس السليم لارتداء ربطة عنق.

قال ديفان عندما رآه: "آه، لا بد أن هذا هو الشاب الذي أخبرتني عنه". مثل معظم موظفيه، توجد لكنة أوروبية في حديثه ليس من السهل تحديدها، رغم أن إنجليزية ديفان أفضل كثيرًا.

- هل.. هل تحدثتما عني؟

لم يرغب آرجان في تخيل ما قد يقوله نيلسون. مد ديفان يده إلى آرجان، الذي مد يده بدوره ليصافحه، لكن ديفان غير اتجاه يده في

اللحظة الأخيرة، فأمسكها آرجان على سبيل الخطأ، مما جعل المصافحة محرجة، وجعل آرجان يشعر بطريقة ما أنه أقل من أن يستحق التحية. لم يبد ديفان كرجل يرتكب أي خطأ غير مقصود، وتساءل آرجان هل تعمد ديفان وضع يده الغريب لإفقاده توازنه.

- بلغني أنك ساعدت في القبض على العديد من الهاربين من التفكيك.

قال آرجان: "نعم يا سيدي. في الواقع، لم أساعد في القبض عليهم، لقد أمسكت بهم بمفردي".

نظر إلى نيلسون لا إراديًّا، فأجابه ذلك الأخير بنظرة فاترة دون تعليق.

قال آرجان: "إنني أتعلم بسرعة". وبعد تقييمه لاحتمال وجود بعض الاستخفاف في حديثه، أضاف: "ولديَّ مُعلِّم جيد".

قال ديفان وهو يشير برأسه نحو نيلسون: "بل الأفضل.. رغم أن إوُول آكرون ما زال صعب المنال بالنسبة إليه".

صمت ديفان لحظة كي تُحدث كلماته تأثيرها عليهما، ثم قال لنيلسون: "أيمكنني افتراض وجود قصة خلف الجروح الموجودة في النصف الأيسر من وجهك، والنصف الأيمن من وجه الصبي؟".

تدخل آرجان: "إنهما قصتان مختلفتان، لكن كونر لاسيتر عامل مشترك في كلتيهما".

حرك نيلسون فقرات عنقه، فأحدثت قرقعة، وشك آرجان أنه لولا وجود ديفان، لهدأه نيلسون لتدخله في حديث غير موجه إليه.

قال نيلسون: "القصة الوحيدة التي يجب أن يسمعها ديفان هي تلك المتعلقة بشريحة تتبع أختك".

ابتسم ديفان، قائلًا: "تبدو قصة تستحق الاستماع".

لكنه بدا غير مهتم بسماعها الآن، لأنه اختار الذهاب للاغتسال قبل تناول العشاء، تاركًا آرجان بمفرده مع نيلسون. تأهب آرجان لسماع نوع من الإساءة اللفظية، وقال: "لقد سار الأمر جيدًا، أليس كذلك؟".

ظن أن نيلسون سيتجاهله في أحسن الأحوال، لكنه ابتسم، مجيبًا: "وسيحدث ما هو أفضل".

ورغم أن آرجان يمكنه التعامل مع عبوس نيلسون وتوبيخه، فإنه وجد ابتسامته مقلقة مثل مصافحته الفاشلة لديفان.

***

احتوى العشاء على قطع لحم ضأن كبيرة مثل شرائح لحم الأضلاع البقري. شرح ديفان: "إنه حَمَلٌ مُعَدَّل وراثيًّا لينمو بحجم الأغنام، مع الحفاظ على خصائص السن الصغيرة. اللحم لذيذ وليِّن، لأن الحملان تنمو دون أن تشيخ".

غرز سكينًا في شريحة لحم مطهية لوقت قصير جدًّا، ثم قال لنيلسون: "إنه عكس صديقك ليف تمامًا، الذي -كما فهمت- سيزداد عمرًا، لكنه لن ينمُو".

أحدث ذكر اسم ليف التأثير المطلوب. تصلب نيلسون وتملكه الغضب، فيما استمتع آرجان برؤيته تحت سيطرة شخص آخر.

قال نيلسون: "بعد أن أُمسِك بلاسيتر، أنوي العثور على ليف كالدر أيضًا".

- ستنال جائزة في كل مرة يا جاسبر.

انتظر آرجان أن يسألاه عن شريحة التتبع. لقد عقد العزم على عدم التطوع بالمعلومات حتى تُطلب منه، وحتى في هذه الحالة لن يتخلى

عنها دون الحصول على شيء جوهري في المقابل. ففي نهاية المطاف، إنها ورقة المساومة الوحيدة لديه. لكن أيًّا منهما لم يسأله خلال العشاء. وبعد تناول حلوى كريمية لم يستطع آرجان نطق اسمها، قال له ديفان: "سنتحدث لاحقًا. حتى ذلك الحين، لا تتردد في الترفيه عن نفسك. هل اكتشفت غرفة الألعاب؟".

- لقد أصبح هذا المكان في منزلة منزلي الثاني.

بدا ديفان مسرورًا، وقال: "يمكنك الاستمتاع به. لقد بنيته لأبناء أخي، لكنهم لا يحضرون لزيارته".

أتبع قوله تنهيدة ثقيلة، ثم أضاف: "للأسف، أنا وعائلتي لسنا مقربين للغاية".

لم يستطع آرجان منع نفسه من السؤال: "أبسبب... عملك؟".

- لا. بسبب ما اخترت ألا أفعله. لقد اتخذت طريقًا يتسم بنزاهة أكبر مما يفضلون.

ورغم أن آرجان لم يستطع تخيل ما يمكن أن يُعتبر أقل نزاهة من مهنة ديفان الحالية، فإنه لم يشرح المزيد، وأوضحت نظرة نيلسون أن من الأفضل عدم السؤال. ثم ذهب ديفان مع نيلسون لمناقشة الأعمال.

***

صدق ديفان وعده، واستدعى آرجان بعد ساعة. اجتمعا في حديقته، وهي قاعة زجاجية ملحقة بالمنزل، محاطة بسياج خاص كثيف لإخفائها عن العالم الخارجي، مع التحكم في درجة حرارتها لحماية النباتات الغريبة الموجودة بداخلها. بدا أن ديفان يهوى جمع الكائنات الحية، إضافة إلى الكائنات الميتة المعلقة على جدران منزله. تصور

آرجان أن النباتات بالتأكيد نابضة بالحياة وملونة خلال النهار، لكنها الآن تحت تأثير الشفق العميق.

- تفضل بالجلوس. أتعشم أنك تحب الإسبريسو.

سكب الخادم القهوة السوداء كالقطران من وعاء فضي في فنجانين خزفيين صغيرين، فيما جلس آرجان على الجانب الآخر من ديفان. أدرك أن القهوة ستبقيه مستيقظًا طوال الليل، لكنه لن يرفض أي شيء يقدمه له ديفان، الذي قال: "تستحق التهنئة. لقد أخبروني أن الهاربين من التفكيك الذين أمسكت بهم من أفضل العينات. من الرائع إحضار ستة مفككين في رحلة واحدة".

- إنهم خمسة، لكن في المرة القادمة سيصبحون ستة على الأقل.

فرك ديفان القليل من قشر الليمون حول الجزء الخارجي من فنجانه، فقلَّده آرجان حتى لا يبدو غير متحضر. استفاض الرجل بعد ذلك في مناقشة الاختلافات الدقيقة بين أساليب تحميص الإسبريسو، وأفضل الظروف لنمو الحبوب. لم يتبع سياسة اللف والدوران حول الموضوع، بل تجنبه تمامًا، كما لو أنه لا يوجد شيء أهم ليتحدثا عنه. تزايد قلق آرجان مع كل لحظة لا يُفتَح فيها موضوع أخته، لكنه لن يكون من يفتحه رغم ذلك.

قال ديفان: "حديقتي هذه فيها نوع من التناقض. لقد أتيت إلى هنا من أجل السلام والعزلة، لكن في هذه الحديقة، لا يصبح المرء وحيدًا أبدًا".

نظر آرجان في الأرجاء، ورأى الخادم يغادر، أي أنهما في الواقع بمفردهما. وافترض أن ديفان يتحدث متفلسفًا.

سأله آرجان، وقد ازداد قلقه مع استمرار حديثهما عن القهوة: "أخبرني إذن... أيوجد ما جئنا إلى هنا لنتحدث عنه؟".

أجابه ديفان، كمن ينتظر بفارغ الصبر أن يُطرح عليه هذا السؤال: ”العواقب غير المقصودة لأفعالنا. على سبيل المثال، أنواع النباتات الموجودة في حديقتي. في حين أن العديد منها عبارة عن أجزاء طبيعية مأخوذة من نباتات في جميع أنحاء العالم، لكن توجد أنواع أخرى لها أصل مختلف“.

توقف مؤقتًا ليرتشف القهوة ببطء من فنجانه الصغير، ثم أضاف: ”وقعت خدعة سيئة إلى حد ما على الإنترنت قبل «حرب الجوهر»، وربما سمعت عنها. شيء يسمى ”قطط البونساي“. قدم أحد مواقع الإنترنت طريقة لوضع قطة حية في وعاء، وتحويلها فعليًا إلى نبات منزلي. ووفقًا للموقع، فإن المخلوق المسكين سينمو ضمن قيود الجرة، ويعتاد ظروفه الغريبة. غضب الناس طبعًا من هذا الاقتراح، وهم محقون في ذلك“.

قال آرجان وهو يشعر أنه سُئل سؤالًا خادعًا: ”انتظر لحظة. اعتقدت أن قطط البونساي حقيقية“.

قال ديفان: ”آه، هذا هو الجزء المثير للاهتمام. كما ترى، كان المفهوم مدروسًا تمامًا، والتعليمات دقيقة جدًّا، مما أثار فضول الناس، وما بدأ كمزحة مريضة، أصبح حقيقيًّا للغاية“.

أنهى قهوته، ووضع الفنجان على الصحن بصوت مرتفع، ثم ركز عينيه على آرجان بطريقة أربكته، وقال: ”هذه الممارسة البشعة المتمثلة في زراعة القطط في الأصيص، هل تعرف أين ترسخت لأول مرة لهدف تجاري؟“.

- لا.

قال له ديفان: "في بورما. ومع نمو أعمال السوق السوداء، تحولت إلى شيء أربح. وبدأت المنظمة تعمل في البيع غير المشروع للحوم البشرية".

نجح آرجان أخيرًا في توصيل النقاط، وقال: "مخيم الحصاد البورمي «داه زي»!".

قال ديفان: "بالضبط".

لقد فُتِنَ آرجان بسوق لحوم البشر البورمية منذ طفولته. إن ممارساتهم للتفكيك تجعل كل شيء آخر يبدو هينًا. توجد قصص عن ندرة استخدام التخدير، هذا إذا استُخدِم على الإطلاق. قصص عن كيفية بيع جزء واحد منك فحسب في كل مرة. اليوم سيأخذون يديك، وغدًا قدميك، وبعد غد رئتك، مما يبقيك على قيد الحياة خلال كل ذلك، وصولًا إلى اللحظة التي يباع ويُشحن فيها الجزء الأخير منك أيًّا كان. إن التفكيك في مخيم داه زي البورمي يعني الموت مئة مرة، قبل أن يضرب الموت جذوره حقًّا.

تابع ديفان: "وهكذا، فإن ما بدأ كخدعة رجل واحد على الإنترنت، لم يصبح حقيقيًّا فحسب، بل تطور ليصبح أبشع منظمة في العالم. وهنا يوجد درس يجب تعلمه: علينا دائمًا الحذر بشأن الإجراءات التي نتخذها، لأن لها دائمًا عواقب غير مقصودة، أحيانًا سعيدة، وفي أحيان أخرى مُروِّعة، لكن تلك العواقب موجودة دائمًا. يجب علينا أن نسير بخفة في هذا العالم يا آرجان، حتى نثق في موضع أقدامنا".

- أواثق أنت من موضع قدميك يا سيدي؟

- جدًّا.

ثم لمس زرًّا على جهاز التحكم عن بعد، فاشتعلت الأضواء في الصالة الزجاجية، ومعها ظهر إشراق وجمال النباتات بشكل يخطف الأنفاس

حقًّا. توجد في الزوايا أربع مزهريات خزفية كبيرة يبلغ ارتفاعها قرابة خمسة أقدام. لقد لاحظها آرجان من قبل، لكنه لم ينتبه إلى ما تحويه، فقد برزت من أعلى الجرار الخزفية أربعة رؤوس بشرية! لم يستغرق الأمر سوى لحظة واحدة حتى يدرك آرجان أنها رؤوس بشر أحياء، وأن بقية أجسادهم محاصرة داخل المزهريات الخزفية، التي تضيق من أعلى حتى تصبح فتحاتها كأطواق خانقة حول أعناق السجناء. شهق آرجان مذعورًا ومذهولًا معًا.

وقف ديفان، مشيرًا إلى آرجان كي يفعل مثله، وقال له: ”لا تخف، إنهم لن يؤذوك“.

جميعهم ذكور، لهم بشرة برونزية وملامح آسيوية. اقترب آرجان مبدئيًّا من أقربهم إليه، فنظر إليه آرجان بنوع من عدم الاكتراث الفاتر، وهي نظرة لا بد أنها بقايا أمل متبخر.

شرح ديفان: ”لقد أرسل «داه زي» هؤلاء الرجال لقتلي.. كما ترى، أنا المنافس الحقيقي الوحيد لذلك المخيم البورمي، وبالتالي إذا تخلصوا مني، سيسيطرون على إمدادات لحوم البشر في السوق السوداء بالعالم أجمع. بمجرد القبض على هؤلاء القتلة، نفذت عملية البونساي التي ابتدعها رجال «داه زي» بأفضل ما استطعت برجال بالغين، وأرسلت إلى المخيم البورمي رسالة شكر لطيفة“.

ثم أمسك وعاءً به مكعبات بنية صغيرة على الطاولة، ظن آرجان أنها مكعبات سكر.

قال له ديفان: ”إنها مضغة غذائية. لقد استعنت بخبير تغذية للتأكد من تقديم نظام غذائي صحي مناسب لحالتهم الفريدة“.

أمسك مكعبًا واتجه نحو القاتل المحفوظ بوعاء، ففتح الرجل فمه، وترك ديفان يطعمه يدويًّا.

- لقد أثاروا ضجة في البداية، لكنهم تكيفوا، كما يفعل الناس. إنهم ينعمون بسلام وسكينة الآن، ألا تعتقد ذلك؟ مثل الرهبان في تأملهم الدائم.

انتقل ديفان من مزهرية إلى أخرى. تحدث مع سكان المزهريات بلطف كما يفعل المرء مع حيوان أليف محبوب. لم يتكلم الرجال على الإطلاق. انتظروا إطعامهم فحسب. تساءل آرجان هل أزيلت أحبالهم الصوتية، أم إن الأمر ببساطة أن عند التحول إلى نبات منزلي، لا يتبقى لديك ما تقوله. شعر آرجان بالارتياح لأن ديفان لم يطلب منه المساعدة في إطعام رجال البونساي.

قال ديفان بقدر كبير من المرارة: "لي أقارب يعتقدون أنني يجب أن أنضم إلى «داه زي»، لكنني أرفض تمامًا أن أصبح ذلك النوع من الوحوش الذي يُخضِع الصبية إلى ممارسات غير إنسانية. طريقهم ليس طريقي ولن يصبح كذلك أبدًا".

واصل إطعام "نباتاته" حتى أصبح وعاء المضغ فارغًا. شعر آرجان أن ساقيه ترتجفان، فاضطر إلى الجلوس.

أكد ديفان: "هذا عمل تجاري، نعم، لكن يجب أن يكون إنسانيًّا. أكثر إنسانية حتى من سلطة الأحداث لديكم، أو «يوجنبول» الأوروبية، أو «لانج فا» الصينية. هذه رغبتي. أعتقد أنها معركة تستحق القتال من أجلها".

- لماذا تخبرني بكل هذا؟

جلس ديفان قبالته مرة أخرى، وأجابه: "حسنًا، لديك شيء مهم لتخبرني به، أليس كذلك؟ أشعر أنه من العدل أن أخبرك شيئًا مهمًّا أولًا، وهكذا ربما نصبح على أرض متساوية. (ثم مال إلى الخلف وعقد ذراعيه، مضيفًا) أعلينا الآن إذن مناقشة موضوع أختك؟".

لقد توصل آرجان إلى ما يجب فعله. نوى في السابق طلب المال قبل أن يتخلى عن رمز الوصول إلى شريحة تتبع جرايس، وربما سيارة أيضًا. وكذلك توقيع عقد توريد مع ديفان حتى يمكنه الخروج بمفرده كقرصان أعضاء.

لكن ما أطلعه عليه ديفان غيَّر كل شيء. عرف آرجان أن عليه الإحساس بالرعب من الرجال الأربعة المختبئين حولهم، لكن على العكس، كل ما شعر به هو الإعجاب بديفان. الرجل لم يقتل أعداءه، بل أخضعهم. لم يستسلم لأساليب «داه زي» الشريرة، بل جعل من نفسه خط الدفاع الأخير في العالم ضده. أدرك آرجان أنه لا يستطيع تقديم مطالب لهذا الرجل. يمكنه أن يتلقى العطايا فقط لو أبدى استعداده للعطاء.

قال آرجان: "ر- و- ن - ا - ي - ل - إ -واحد-اثنان-واحد-خمسة. إنه الاسم الأوسط لجرايس مكتوب بالمقلوب، ويوم ميلادها. اكتب ذلك في موقع (InStaTrac)، ولو أن الشريحة ما زالت نشطة، ستعطيك موقعها بدقة. عندما تجدها، أضمن لك أنك ستجد كونر".

أخرج ديفان قلمًا ودفترًا، وكتب المعلومات، ثم استدعى الخادم ليأخذها، وطلب منه تسليمها إلى نيلسون على الفور.

اقترح آرجان: "حال حصولنا على موقع، يجب أن نغادر أنا ونيلسون فورًا".

قال ديفان: "آه، حسنًا، أخشى أن العواقب غير المقصودة لأفعالك تمنع ذلك. إنني أتحدث عن تلك الصورة التي نشرتها لنفسك مع كونر لاسيتر".

تجهم آرجان. لقد ارتكب أشياء غبية في حياته، لكن ربما نشْر تلك الصورة هو أغباها على الإطلاق، ومع ذلك، من يمكنه لومه: لقد أبهره وجوده في حضرة بطله آنذاك.

- لقد أدت أفعالك إلى تنبيه العالم إلى حقيقة أن لاسيتر ما زال حيًّا، وجعلت تعقُّبه كسباق بين هيئة الأحداث وصديقنا جاسبر. ثم توجد طبعًا حقيقة أنك حجبت عنه هذه المعلومات المتعلقة بشقيقتك، وهو الأمر الذي أشعره بألم شديد. هذا يجعل استمرار الشراكة بينكما مستحيلًا.

ازدرد آرجان لعابه بصعوبة، وارتجفت يداه قليلًا، فأوهم نفسه بأن ذلك بسبب تناول الإسبريسو.

- حسنًا، لن أذهب معه إذن. سأخرج وحدي، وسأحضر لك عددًا كبيرًا من الهاربين من التفكيك. لقد رأيت كم أجيد الأمر، أليس كذلك؟ يمكنني أن أصبح أحد أفضل الموردين لديكم!

تنهد ديفان، قائلًا: "أثق في ذلك. لكن الاتفاق الذي أبرمته مع جاسبر يجعل ذلك مستحيلًا أيضًا".

- انتظر.. ما الاتفاق؟

لكن نظرة التعاطف على وجه ديفان جعلت الحقيقة واضحة للغاية. أيًّا كان هذا الاتفاق، فهو لا يتضمن انتهاء الأمور بشكل جيد بالنسبة إلى آرجان. حاول النهوض -كما لو أن لديه مهربًا- لكنه لم يستطع الوقوف. لم يشعر حتى بساقيه. حاول رفع ذراعيه، لكنهما تعلقتا مفرودتين إلى جانبيه كذراعي فزاعة. استلزم الأمر كل جهده للبقاء منتصبًا فحسب على الكرسي.

قال له ديفان: "لا تثق أبدًا في قهوة الإسبريسو. مذاقها المرير يمكن أن يخفي العديد من الأشياء. هذه المرة، أخفى باسطًا قويًّا للعضلات، وهو مركب طبيعي مصمم لتهدئتك وتسهيل التعامل معك".

اتجهت نظرات آرجان إلى شجرة البونساي ذات العينين الشاحبتين فوق كتف ديفان، وقال متوسلًا: "هل ستجعلني واحدًا منهم؟ لا يناسبني أن أصبح فتى في وعاء".

قال ديفان بتعاطف، لا بد أنه قد تدرب عليه جيدًا: "طبعًا لا. هذا لأعدائي فقط. أنا لا أراك عدوًّا يا آرجان. ومع ذلك، فأنت سلعة".

خسر آرجان معركته مع الجاذبية، وسقط على العشب الناعم. ركع ديفان بجانبه، قائلًا: "اسمك يعني "الفضة"، لكن للأسف، كمفكِّك، أظن أنك لن تساوي أكثر من النحاس".

وهنا تذكر شيئًا قاله ديفان في بداية جلستهما. تحدث عن المفككين الستة الذين أحضرهم آرجان. إنه هو السادس. إن ديفان لا يفعل أي شيء على سبيل الخطأ.

وصل الخدم ليأخذوا آرجان، الذي قال وقد انغلقت أسنانه وبدأ صوته يتلعثم: "أرجوك... أرجوك"، لكن الجواب الوحيد الذي تلقاه هو النظرات الهادئة من البونساي.. وفي أثناء حمله خارجًا، تمسك آرجان بآخر بصيص من الضوء متبقٍّ له. ومهما يحدث الآن، علم أنه سينال الرحمة، لأن ديفان عبارة عن رحمة تمشي على الأرض.

***

الجزء الثالث

طريق الندم

بلجيكا أول دولة تسمح بالقتل الرحيم للأطفال

بقلم ديفيد هاردينج - نيويورك دايلي نيوز

السبت 14 ديسمبر 2013، 2:43 مساءً

صوتت بلجيكا لصالح توسيع نطاق قوانين القتل الرحيم لتشمل الأطفال.

وأيد مجلس الشيوخ البلجيكي الخطة يوم الجمعة، مما يعني أن القانون المثير للجدل سيغطي الآن الأطفال المصابين بأمراض مزمنة.

وهذا يعني أن بلجيكا أصبحت أول دولة في العالم تزيل أي حدود عمرية للقتل الرحيم. تبنت البلاد القتل الرحيم لأول مرة عام 2002، لكن الأمر اقتصر على أولئك الذين تزيد أعمارهم على 18 عامًا...

يجب على أي طفل يسعى إلى القتل الرحيم بموجب القانون، أن يفهم المقصود بالقتل الرحيم، ويجب أن يوافق والداه على القرار.

يجب أن يكون مرضه مميتًا أيضًا.

سجلت بلجيكا أكثر من 1400 حالة قتل رحيم في عام 2012...

يمكن العثور على المقال الكامل على:

http://www.nydaily-news.com/life-style/health/belgium-country-euthana-sia-children -article-1.1547809#ixzz2qur84gzr

***

18 - كام

وجبات الطعام مع روبرتا في الشرفة تسودها أجواء رسمية للغاية دائمًا، ولطيفة للغاية دائمًا. هذه الوجبات تُذَكِّر كام في كل مرة بأنه تحت سيطرتها إلى الأبد. حتى عندما يصبح على بعد أميال في «ويست بوينت»، يعلم أنه سيظل يشعر بتلاعبها. لقد نُسِجَت في عقله خيوط محرك الدُّمَى التي تمسَّك بها روبرتا، بفاعلية "الدودة" نفسها التي تجعله ينسى ما هو مهم حقًّا.

في أثناء الإفطار، قبل أيام قليلة من موعد مغادرته، سألها هذا السؤال مباشرة. السؤال الذي يجلس بينهما عند كل وجبة مثل كأس السم التي لا يرغب أي منهما في لمسها.

- ما اسمها؟

ولم يتوقع إجابة. إنه يعلم أن روبرتا ستتهرب، وفعلًا قالت: "إنك ستغادر لتعيش حياة جديدة ومهمة قريبًا. ما الجدوى من ذلك؟".

- لا جدوى، أريد فقط أن أسمعك تنطقين اسمها.

تناولت روبرتا قضمة صغيرة من «بيض بندكت»، ثم وضعت الشوكة جانبًا، قائلةً: "حتى لو أخبرتك، فإن آليات النانو ستكسر المشابك العصبية وتسرق الذكرى في غضون ثوانٍ".

- أخبريني على أي حال.

تنهدت روبرتا وعقدت ذراعيها أمام صدرها، قائلة لدهشة كام: "اسمها ريسا وورد".

لكن في اللحظة التي نُطِقت فيها الكلمات، اختفت من ذهنه، مما جعله يتساءل هل أخبرته على الإطلاق.

سألها مرة أخرى: "ما اسمها؟".

- ريسا وورد.

- ما اسمها؟

- ريسا وورد.

- ما اسمها؟

هزت روبرتا رأسها في استخفاف ممتزج بالشفقة، وقالت: "كما ترى، لا فائدة من ذلك. من الأفضل أن تقضي وقتك في التفكير في مستقبلك يا كام، وليس في الماضي".

نظر إلى طبقه وهو لا يشعر بأي شيء سوى الجوع. ومن أعماقه أتى همس يائس بسؤال. لا يستطيع حتى أن يتذكر سبب سؤاله، لكن لا بد أن له بعض الأهمية، أليس كذلك؟

- ما... اسمها؟

قالت روبرتا: "لا أملك أي فكرة عما تتحدث عنه. والآن، أنْهِ طعامك، لدينا الكثير لنفعله قبل أن تغادر".

***

19 - ريسا

الفتاة التي لا يتذكرها كام تركض للنجاة بحياتها.

فكرة سيئة –في الواقع، سلسلة كاملة من الأفكار السيئة– هي التي أوصلتها إلى هذا الوضع. الآن فقط أدركت ريسا مدى سوء تلك الأفكار، وهي تعدو هربًا من حرس الأمن المسلحين في مجمع مستشفيات الأبحاث الضخم. توجد نوافذ، لكنها تطل فقط على الأجنحة الأخرى للمجمع، لذلك لا توجد طريقة لتحديد الاتجاه. اقتنعت ريسا بأنهم يركضون في دوائر، ويتجهون نحو الهلاك الحتمي.

لا خيار سوى الاستمرار في هذه المهمة الحمقاء.

إذا وصلت طابعة الأعضاء كتقنية ميتة عندما يؤدون مسرحيتهم الكبرى، ستضيع كل جهودهم هباءً. إن إيجاد طريقة لاختبارها أمر محوري، لأنه من خلال إظهار ما يمكنها فعله فحسب، سيقف العالم وينتبه.

أوضح كونر لسونيا في أثناء مناقشتهما الأمر مع ريسا بركن خاص نسبيًا من قبو منزلها: ”التأكد من نجاح الطابعة هو مهمتك. لقد تكتمتِ على هذا الأمر لمدة ثلاثين عامًا، وكان بإمكانك التأكد من نجاحه قبل أن تورطينا فيه“.

نظرت إليه سونيا، وقالت: "قاضني إذن".

ثم أضافت: "أوه، هذا صحيح، لا يمكنك ذلك، لأن على مدار العامين الماضيين علقتَ في وضع قانوني جعلك أشبه بلحم الخنزير المعلب".

بادلها كونر النظرات النارية، حتى تراجعت سونيا، قائلة: "لم أعتقد مطلقًا أنني سأحصل على فرصة لعرضها مرة أخرى، لذلك لم أهتم قط".

سألها كونر: "ما الذي تغير؟".

- لقد ظهرتَ.

ورغم أن كونر لم يتمكن من فهم سبب أهمية ظهوره، فإن ريسا قد فهمت. إن سمعتهما السيئة هي التي تصنع الفرق. لقد أصبحا مِلكَي الهاربين من التفكيك. أَرفِق اسميهما بشيء ما، وفجأةً يستمع الناس، سواء أرادوا ذلك أم لا.

قالت سونيا: "إن مركز جامعة ولاية أوهايو الطبي أحد المستشفيات البحثية الوحيدة في الغرب الأوسط التي تجري أبحاثًا بيولوجية علاجية. يحاول الجميع فحسب اكتشاف طرق أفضل لاستخدام أجزاء المفككين. يوجد تمويل كبير مخصص لذلك، لكن حاوِل تمويل البدائل، ولن تحصل على شيء سوى الأعشاب الضارة". قال كونر: "جامعة ولاية أوهايو؟ أهي تلك الموجودة في كولومبوس؟".

سألته سونيا: "أتوجد مشكلة في ذلك؟".

لم يحَرْ كونر جوابًا.

واصلت سونيا حديثها، لتخبرهما عن طبيب مارق ما زال يبحث عن علاج لأمراض جهازية من النوع الذي لا يمكن علاجه عن طريق زرع الأعضاء، ثم سألت بخبث: "واحزرا ما محور هذا البحث؟".

الإجابة طبعًا هي الخلايا الجذعية البالغة متعددة القدرات، وهي نوعية الخلايا اللازمة للطابعة نفسها.

اضطرا إلى إقناع سونيا بالعدول عن محاولة الحصول على الخلايا بنفسها. قبل بضعة أيام، التوى كاحلها وأصيبت بكدمات في الفخذ إثر سقوطها دون أن يراها أحد، ربما في منزلها. حاولت التقليل من أهمية الأمر، لكن بدا واضحًا أنها تعاني الألم منذ ذلك الحين. لم تستطع الذهاب، لكن توجب على أحدهم أن يذهب بدلًا منها.

ناقشوا إمكانية إرسال بعض الصبية قاطني القبو لاستعادة المادة الحيوية، لكنهم سرعان ما عدلوا عن الفكرة، لأن هذه الدفعة من الهاربين من التفكيك ليست من النوع الذي ينفذ مهمات سرية. تكره ريسا الحكم على الهاربين من التفكيك بالطريقة التي حكم بها عليهم العالم، لكن هؤلاء الصبية المساكين لا يتمتعون بأي من المهارات اللازمة لإنجاز المهمة، وتثقلهم جبال من المشكلات الشخصية التي ستعيقهم بالتأكيد. الصبية في قبو سونيا سيصبحون عبئًا على هذه المهمة. جميعهم، ما عدا بو. فرغم كل غروره، يمتلك قدرات، لكن هل تكفي قدراته لأداء المهمة؟ لم تؤمن ريسا بذلك.

عرضت ريسا الفكرة السيئة رقم واحد: "سأذهب أنا".

وأضاف كونر الفكرة السيئة الثانية: "سأذهب معك".

غضبت سونيا من قولهما، وأصرت على أن تعرُّفهما سيصبح سهلًا، وأن من بين كل من ينبغي لهم عدم الذهاب، يتصدر كونر وريسا القائمة. وهي طبعًا على حق.

سارعت جرايس إلى الإعلان: "حسنًا، أنا لن أذهب. لقد حظيت بما يكفي من الإثارة خلال الأسابيع القليلة الماضية، شكرًا جزيلًا لكم".

أثار موقفها استياء سونيا المطلق، لأن جرايس عينت نفسها مقدمة رعاية شخصية لها، لتضمن أنها لن تسقط مرة أخرى.

ظلت سونيا تقول لها: "لست بحاجة إلى مربية!"، وهو ما ضاعف عزيمة جرايس.

عرفت ريسا أن الفريق المكون من شخصين سيثير الريبة. لذا احتاجا إلى ثالث على الأقل، للوقاية من الإخفاق. لذلك اقترحت إضافة بو إلى الفريق، وهي الفكرة السيئة رقم ثلاثة.

وقتها رفع كونر حاجبه، وقال لريسا: "أتمازحينني؟ هل تريدين أن تطلبي من بو أن يأتي معنا؟ بو؟ حقًّا؟". سخر منها، وأثار ذلك غضب ريسا.

- سنضطر إلى التعامل مع الآخرين هناك؛ نحتاج إلى وجه واحد على الأقل غير معروف، ولا يرتدي الناس حاليًّا قمصانًا تحمل صورته.

لم يستطع كونر مجادلة هذا المنطق. وبطبيعة الحال، شعر بو بسعادة غامرة لانضمامه إلى القائمة، رغم محاولته التظاهر بأنه لا يبالي، وقال: "سأقود السيارة".

قال له كونر: "بل ستجلس في الخلف. سنحتاج إليك أن تتنقل"، ثم سلمه جهاز تحديد المواقع القديم (GPS) الذي أخرجه من سلة التكنولوجيا الهامشية في متجر سونيا.

تبسمت ريسا إجباريًّا عندما رأت الطريقة التي وضع بها كونر بو في حجمه الحقيقي دون أن يُفقِده ماء وجهه.

فكرت سونيا في تسليحهم جميعًا بمسدسات تهدئة. لم تستطع ريسا تحمل هذه الأشياء، لأنها تذكرها بشرطيي الأحداث. لقد كرهت فكرة استخدام السلاح المفضل لدى هيئة الأحداث.

قالت لها سونيا: "إن المهدئات سريعة وفعالة ولا تترك أي فوضى، وحتى الإطلاق على الأطراف يؤدي المهمة".

- لهذا السبب يستخدمها شرطيو الأحداث.

سارعت ريسا إلى إزالة رصاصات التهدئة من مسدس بو عندما نظر بعيدًا. آخر شيء أرادته هي أو كونر أن يسعد بو بالضغط على الزناد.

حدث ذلك هذا الصباح. الآن في أثناء مرورهم من خلال مجمع المستشفى، أصر بو على أنه يعرف طريقه، رغم أن ثلاثتهم لا يملكون أدنى فكرة عن المنشأة التي تشبه المتاهة. المخطط القديم الذي درسوه في أثناء الإعداد ميؤوس منه، ولا يتضمن المباني الأحدث أو التجديدات في المباني القديمة.

إنه يوم الأحد، وجناح المكتب الخاص الذي اقتحموه مملوء بغرف الانتظار الفارغة مع مطبوعات فنية عامة على الجدران. مكان آخر ليس على الخريطة التي درسوها.

قال بو: "من هنا!".

ورغم ثقة ريسا في أن الاتجاه الذي أشار إليه سيعيدهم إلى حيث بدؤوا، فإنها مضت قدمًا، لأن في هذه المرحلة، بدت كل الاتجاهات متشابهة. لا تملك إلا أن تأمل ألا يُقبَض على كونر، أينما كان.

سلك كونر ممرًا مختلفًا، وهو المؤدي نظريًا إلى جناح الأبحاث في المجمع الضخم. لم يخططا للانفصال، لكن كونر تجاوز المنعطف بالفعل عندما رصد حارس أمن المستشفى وجود ريسا وبو. نظرًا لأن

الحارس لم ير كونر، فقد بدا الخيار الواضح لريسا هو أن تؤدي مع بو دور الشراك الخداعية، مما يجذب الحارس الضخم بعيدًا إلى حد ما. الحيلة هي البقاء بعيدًا بما يكفي حتى لا يُقبَض عليك، لكن قريبًا بما يكفي حتى لا يتخلى الحارس عن المطاردة ويذهب لتناول الكعك في الكافتيريا، وربما يصادف كونر في الطريق. ومع ذلك، فقد أصر الحارس على مطاردتهما، وسرعان ما انضم إليه رفيق أنحف وأسرع. وهنا بدأت الأمور تصبح جدية.

وصلت ريسا وبو إلى طريق مسدود في جناح الأشعة، وهناك وجدا أمامهما بابًا مغلقًا. المَخرج الوحيد هو الطريق الذي أتيا منه. في اللحظة التي استدارا فيها، اقترب الحارسان من الزاوية، وحال رؤيتهما الصبيين محاصرين، خففا من سرعتهما وانتفخت أوداجهما قليلًا استباقًا لنجاحهما في القبض عليهما.

قال البدين وهو يلهث ويلهث: "لقد حصلنا بفضلكما على تمرين جيد، أليس كذلك!".

قال النحيف: "ضعا أيديكما حيث يمكننا رؤيتها".

التفتت ريسا إلى بو، قائلة في خفوت: "سنناقش كيفية خروجنا من هذا المأزق. لم نفعل شيئًا سوى تركهما يطاردانا. إذا لم يتعرفا عليَّ...".

مع اقتراب الحارسين، رأت ريسا نظرة حازمة في عين بو، ويده ما زالت في جيب سترته.

قال الممتلئ: "لا أحد يفر بلا سبب. أراهن أنكما هاربان من التفكيك، أليس كذلك!".

أصرَّ الآخر مجددًا، وفك حافظة سلاحه، قائلًا: "ضعا أيديكما حيث يمكننا رؤيتها!".

وهكذا، أخرج بو يده، حاملة مسدسًا، صوَّبه نحو رجل الأمن النحيل، وهي الفكرة السيئة رقم أربعة.

أدركت ريسا تمامًا كيف ستسير الأمور، ولم يسعها سوى أن تأمل أن يكون رجال أمن المستشفى مسلحين بذخيرة تهدئة وليس برصاص حقيقي، لكنها شكت في ذلك. حال رؤية الحارس المستهدف السلاح في يد بو، مد يده إلى مسدسه، فضغط بو على الزناد. ولدهشة ريسا، دوى صوت مسدس بو! سمعت صوت رصاصة تهدئة أصابت الحارس في كتفه، قبل أن يتمكن من رفع مسدسه. وفي ثانية، سقط على ركبتيه، وفي ثانية أخرى، تمدد على الأرض المغطاة بالسجاد، غائبًا عن الوعي. الشرطي الآخر -الذي ربما لم يضطر قط إلى إخراج مسدسه في حياته- تحسس حافظة سلاحه، لكن بو عاجله برصاصة تهدئة في صدره مباشرةً. أصدر الرجل صريرًا، وتعثر قليلًا، ثم سقط إلى الخلف مصطدمًا بالحائط، وانزلق حتى وصل إلى الأرض الباردة.

قال بو: "هيا! دعينا نخرج من هنا"، ثم أمسك يدها، وسحبها بعيدًا عن مكان الحادث، وشعرت هي بإرهاق شديد منعها من مقاومة قبضته.

- لكن... لكن كيف؟

- أتعتقدين أنني لم أعرف ماذا فعلتِ؟ لم آتِ إلى هنا بمسدس فارغ!

تملصت ريسا أخيرًا من قبضته، واستدارت عائدة، فسألها: "ماذا تفعلين؟".

قالت: "لا يمكننا أن نتركهما هناك. سيجدهما أحدهم. يجب أن نخفيهما".

عاد بو معها، وسحبا الرجلين معًا إلى القاعة. وهنا، أتى صوت خافت عبر إحدى سماعات الحارس، يسأل عن حالة "المشتبه بهم"، أمسكه بو، قائلًا بصوت مقنع للغاية: "استقبلت رسالتك، حوِّل. إنها بضعة

حيوانات وحشية محلية فحسب. لقد هربت من الباب الخلفي. لم تعد مشكلتنا بعد الآن".

قال الصوت على الطرف الآخر: "أتمنى ذلك".

وبهذا، كسبا عشر دقائق على الأقل حتى يتساءل أحدهم عن الاختفاء الغامض للحارسين.

سألته ريسا: "استقبلت رسالتك، حوِّل؟ هل قلت فعلًا استقبلت رسالتك، حوِّل؟".

هز بو كتفيه في لا مبالاة، وأجابها: "لقد نجحت، أليس كذلك؟".

وضعا الحارس النحيف داخل صندوق ألعاب خشبي في غرفة انتظار مهجورة لطب لأطفال. أما البدين، فقد تناسب حجمه جيدًا مع الخزانة الموجودة أسفل حوض أسماك ضخم، ومن المفارقات أنه مأهول بأسماك منتفخة تشبه الرجل إلى حد ما.

الآن -بعد إخفاء الحارسين بأمان- بدأت ريسا تشعر بالاسترخاء. ولَّد الهروب الصغير بداخلها إحساسًا بالبهجة كادت تنساه. إنه أشبه بمكافأة فسيولوجية سببها اندفاع الأدرينالين عند الخطر.

بدأ بو يضحك، وهو يشعر بالارتياح بدوره، فضحكت ريسا رغمًا عنها، الأمر الذي أضحك بو بقوة أكبر، فسقطت ريسا في نوبة ضحك غير مرغوب فيها، انقطعت فجأة عندما أمسك بو كتفيها وقبَّلَها.

جاءت استجابتها فورية وانعكاسية، وحتى لو لم تكن رد فعل انعكاسي، وثقت ريسا تمامًا أنها ستفعل الشيء نفسه. لقد دفعته بعيدًا وضربته في عينه بقوة أطاحت بعنقه إلى الخلف، فاصطدم رأسه بحوض السمك بقوة، مما أدى إلى اندفاع الأسماك المنتفخة في كل

الاتجاهات. لم ترغب ريسا في البقاء مهما كانت العواقب، اعتذارية أم غاضبة، فهي لا تهتم، لذا انطلقت مبتعدة.

- انتظري يا ريسا!

من بين كل الأمور التي يجب التعامل معها في هذه اللحظة بالذات، لماذا يجب عليها أن تعاني فورانًا هرمونيًّا آخر؟

- ريسا!

التفتت إليه بغضب، واضطرت إلى منع نفسها من ضربه مرة أخرى، قائلة: "هل أنت أبله؟ توقف عن نداء اسمي! إنهم لا يعرفون من نحن، وإذا سمعك أي شخص في هذه المكاتب...".

رأت عينه قد تورمت فعلًا، هذا جيد. وقال لها: "آسف".

قالت له: "لو أن كونر رأى فعلتك، لبدا وجهك أسوأ بكثير!".

- إنه تصرف وليد اللحظة.

- لماذا يشعر كل ذكر خاسر بأنه ملزم بمغازلتي؟

نظر إليها وكأن الإجابة واضحة، ثم قال: "لأنك ريسا وورد. وبصرف النظر عما يحدث الآن، سأذهب إلى قبري وأنا أعلم أنني ذات مرة -مرة واحدة فقط- قبَّلتُ ريسا وورد الفريدة من نوعها".

قالت ريسا، وهي ما زالت تشعر بمرارة شديدة بشأن الأمر برمته: "ستذهب إلى قبرك؟ هذا مجرد تفكير متفائل. من المرجح انتزاع ذكرياتك وزرعها في رأس شخص آخر!".

قال لها: "ربما، وربما لا"، ثم مد يده أخيرًا ليلمس عينه المنتفخة. لم يبد غاضبًا لأنها ضربته، بل بدا الأمر وكأن الفعل يستحق العواقب.

شعرت ريسا بطنين في جيبها، فأخرجت الهاتف القديم الذي أعطته لهم سونيا. مثل هذه الهواتف ومقدمو الخدمة القدامى الذين يوفرون

هذه الخدمة يعتبرون " قطاع تكنولوجيا التقاعد". إنها مثالية للتواصل تحت المراقبة، لأن الشبكة قديمة جدًّا، فلا يكلف شرطيو الأحداث أنفسهم عناء التعامل معها.

قرأت رسالة كونر النصية: "أأنتما بخير؟".

تنفست الصعداء في ارتياح لإدراكها أنه لم يُقبض عليه، وردت على الرسالة، فكتبت: "نعم، ماذا عنك؟".

أرسل لها رسالة أخرى: "لقد وجدت المختبر. سأقابلك في السيارة".

ورغم أنها لا تريد أن تتركه، فإنها تعلم أن المزيد من التجول في المستشفى سيعرض الأمور للخطر.

سألها بو: "أهذا هو؟ ماذا يقول؟".

- يقول إنك لا تجيد التقبيل، ويجب أن أتفق معه.

ضحك بو بفتور، ربما معتقدًا أنها سامحته إلى حد ما، وهو ما لم يحدث، لأنها أدركت أنها لا تهتم بما يكفي لكراهيته أو منحه السماح.

قالت ريسا: "سننزل الدرج الأقرب، ثم نتسلل إلى الخارج من الخلف، تمامًا كما أخبرتهم أننا فعلنا. سنلتقي كونر في السيارة".

أومأ برأسه، متقبلًا الخطة، لكنه سأل بعد ذلك: "ماذا لو لم يظهر كونر؟".

قالت ريسا: "أتريد هالة سوداء حول عينك الأخرى؟".

تراجع عن السؤال، وفتح لها الباب المؤدي إلى الدرج، قائلًا: "بالمناسبة، فلتعلمي أنني لست خاسرًا كما يقول أمر تفكيكي".

***

20 - كونر

الخطة بسيطة. يمكن اللجوء إلى خطط بسيطة عندما تتعامل مع فنيي ميكانيكا البشر في مؤسسة ليس لديها سبب لتوقع المؤامرات والحيل. يبحث موظفو المستشفى عن الأرضيات الزلقة التي قد تؤدي إلى دعاوى قضائية، أكثر مما يبحثون عن هاربين من التفكيك يسرقون المواد الحيوية. لماذا يريد أي شخص أن يفعل ذلك؟

عندما اكتشف رجلا الأمن ريسا وبو، اتخذت ريسا القرار الصحيح باستدراج الأمن بعيدًا. لم يدرِ الحارس من هما وماذا يفعلان. وغريزيًّا، فكر كونر طبعًا في الانطلاق خلف ريسا، لكنه أدرك أن هذا خطأ قد يؤدي إلى القبض عليهم جميعًا. لذا، اضطر إلى الثقة في ذكاء ريسا الشديد، الذي سيدفعها إلى ممارسة لعبة القط والفأر بنجاح، حتى لو لم يستطع بو ذلك.

يتجول كونر الآن في ممرات الأجنحة التي لا تلبي احتياجات المرضى الداخليين، لذلك، فهي مهجورة في الغالب يوم الأحد. وجد مبنى الأبحاث، المتصل ببقية المجمع بواسطة ممر زجاجي مغلق، الذي من شأنه أن يمنح العالم رؤية واضحة له، لو أن أحدهم يبحث عنه. هل يوجد شخص ما هناك؟ سيعرف قريبًا جدًّا.

وجد المختبر الذي يبحث عنه في القبو. في حين أن بقية مبنى الأبحاث مجهز ببذخ، فإن القبو عملي ومؤسسي. ممرات خافتة الإضاءة، مغطاة ببلاطات من الفنيل بلون القيء. منطقة منخفضة الإيجار لمرفق مناطقه الأخرى راقية. يبدو أن فريق البحث المارق الذي أصر على دراسة التلاعب الخلوي غير المجدي قد أُبعدَ عن الأنظار كنقطة سوداء في جبين العلوم الطبية. تجنبوا أعضاء هذا الفريق، كما لو أنهم يدرسون استخدام العلقات وزيت الثعبان.

يبدو أنه لا يوجد أي رجال أمن هنا. يحتوي المختبر على قفل دون إنذار، ويسهُل فتحه. ومع تركيز الأمن على ريسا وبو، وجد كونر قبو مبنى البحث صامتًا كالمشرحة، التي ربما تقع في قبو آخر لا يبعد كثيرًا عن هذا.

خاطر وأرسل رسالة نصية إلى ريسا تفيد بأنه وجد المختبر، وسيقابلهما في السيارة. إذا قُبِض عليها، فإن هذه الرسالة النصية ستكشفه لمن أمسك بها، لكن يجب أن يثق في أنها أفلتت من الحارس بطيء الحركة الذي طاردها. انتظر بضع لحظات مؤلمة حتى ردت عليه برسالة نصها "نعم"، وهنا تنفس الصعداء، دون أن يدرك حتى أنه حبس أنفاسه.

فتح باب المختبر وأشعل ضوءًا. إنه مستودع بسيط للعينات في ثلاجات ذات واجهة زجاجية. توجد رفوف من أنابيب الاختبار، وأطباق زجاجية مسطحة تنمو عليها خلايا مثيرة للشك. توجد أيضًا عينات في حاويات حفظ بلاستيكية مغلقة، ارتجف كونر عند رؤيتها. إنها النوع نفسه من الحاويات المستخدَمة لنقل أجزاء المفككين. يمكن لهذه الحاويات الحديثة الحفاظ على الأنسجة الحية إلى أجل غير مسمى تقريبًا. إنها واحدة من العديد من التقنيات المتعلقة بالتفكيك، التي ظهرت بعد توقيع اتفاقيته.

كل شيء مُصنف برموز مرقمة لا تعني شيئًا لكونر.

قالت سونيا: "خلايا جذعية متعددة القدرات للبالغين". إنه يعرف أنه في المكان الصحيح، لكن الأشياء في هذا المختبر مُصنفة للباحثين، وليس للمتطفل الذي يريد سرقة شيء ما.

حمل حقيبة قابلة للتمدد يمكنه ملؤها بأكبر عدد ممكن من العينات. قرر أن يأخذ فقط الحاويات المغلقة، لأن العينات في أنابيب الاختبار والأطباق قد لا تنجو من أي تغير في درجة الحرارة في أثناء النقل. ملأ حقيبته مثل "جرينتش الذي سرق عيد الميلاد"[1]، ثم فجأة فُتِح باب المختبر، وأمسك به أحد فنيي المختبر متلبسًا، ويده في وعاء الحلوى البيولوجية. أصيب الفني بصدمة شديدة من وجود كونر غير المتوقع، حتى إنه أسقط القوارير الزجاجية التي حملها، فتحطمت على الأرض.

بدا واضحًا أن الرجل سيعدو وربما يستدعي الأمن، فقال له كونر وهو يمد يده إلى جيب سترته: "لا تتحرك. إنني أحمل مسدسًا".

ظن الفني المتوتر أنه يخدعه، فقال: "لا، إنك كاذب".

لذا أخرج كونر مسدسه، موضحًا أنه لا يخدعه على الإطلاق. لهث الرجل وبدأ يصدر صفيرًا من حلقه، مما ذكر كونر بإمبي، صديقه القديم المصاب بالربو. ثم خطر بذهنه أن هذه المواجهة لا ينبغي أن تحدث. فكما أشارت سونيا، لم تعد المهدئات مخصصة لشرطة الأحداث فحسب، بل يمكن اعتبارها أفضل صديق للهارب من التفكيك أيضًا.

---

(1) - «كيف سرق جرينتش عيد الميلاد»: رواية أمريكية مصورة للأطفال. كتبها د. سوس، ونُشِرَت عام 1957. وأُنتِجت سينمائيًّا أكثر من مرة. البطل جرينتش كائن يكره احتفالات عيد الميلاد لأنها تتسبب له في إزعاج شديد، فيقرر الانتقام من أهل المدينة، ويمنعهم من الاحتفال بسرقة هدايا وزينة عيد الميلاد من منازلهم. «المترجم».

قال كونر: "آسف يا رجل، لكن يجب أن أرسلك إلى بلاد التهدئة"، وضغط على الزناد، ليكتشف فجأة أن مسدسه فارغ من الرصاصات. نظر إلى السلاح وأدرك أن هذا ليس المسدس الذي أعطته له سونيا على الإطلاق. إنه مسدس بو. المسدس الذي أفرغته ريسا. يا للهول!

- انتظر! إنني أعرف من أنت! إنك إوُول آكرون!

يا للهول مرة أخرى. حاول تضليله: "لا تكن غبيًّا! إن إوُول آكرون يختبئ لدى قبيلة «هوبي». ألم تشاهد الأخبار؟".

- حسنًا، بما أنك هنا، فالأخبار خاطئة إذن. إن مسقط رأسك هنا، أليس كذلك؟ إنهم يسمونك إوُول آكرون، لكنك عشت في كولومبوس!

ماذا، هل يعلم الجميع بأمر كولومبوس؟ هل أصبح منزله الآن معلمًا تاريخيًّا؟

- اصمت، أو أقسم أن...

فكر كونر في ضرب الرجل. يمكنه بالتأكيد أن يفعل ذلك، لكنه انتظر ليرى كيف ستتطور الأمور قبل أن يتخذ مثل هذه الخطوة الجذرية.

نظر إليه فني المختبر فحسب، وهو يتنفس بصعوبة، مثبتًا عينيه عليه، بينما سكن باقي جسده تمامًا، ثم قال: "إنك لن ترغب في الحصول على هذه العينات، فهي متمايزة فعلًا. ما تحتاج إليه هي تلك الموجودة في الطرف البعيد".

لم يتوقع كونر هذا، فسأله: "كيف تعرف ما أريد؟".

قال الرجل: "يوجد شيء واحد فقط يبحث عنه إوُول آكرون هنا. الخلايا متعددة القدرات لبناء الأعضاء. لكنها لن تُحدث فرقًا، رغم ذلك، لأن تقنية بناء الأعضاء فاشلة تمامًا؛ كل الأبحاث لم تؤدِّ إلى أي شيء".

لم يقل كونر شيئًا، لكن صمته كشف الحقيقة.

سأله فني المختبر، وجرؤ على اتخاذ خطوة نحوه، وقد غلب إحساسه بالإثارة حذره: "إنك تعرف شيئًا، أليس كذلك؟ بالتأكيد تعرف شيئًا، وإلا لما جئت إلى هنا!".

لم يجبه كونر أو يظهر مدى انزعاجه من وضوح نواياه بشدة: "أهي بالقرب من الباب في الطرف البعيد؟".

أومأ برأسه إيجابًا، فاتَّجَه كونر إلى الطرف البعيد من المختبر، وراقب فني المختبر فيما يزيل الحاويات الأولى من حقيبته ويعيد ملئها بالحاويات التي أخرجها من المبرد الأخير.

قال فني المختبر: "توجد مشكلة واحدة. المواد الحيوية لدينا مراقَبة. إذا اختفى أي منها، فسيبلغون عنه، ومن المحتمل سحب تمويلنا".

نظر كونر إلى فوضى الزجاج المكسور عند الباب الأمامي: "ماذا وُجِدَ بداخل القوارير المكسورة؟".

نظر الفني إلى القوارير المكسورة، مجيبًا: "المادة الحيوية (ثم هز رأسه وابتسم إلى كونر، متابعًا تسلسل أفكاره) الكثير من المادة الحيوية. سأواجه الجحيم لإسقاطها... ونسيان قياس مقدار ما فقدته قبل أن أتخلص منه".

قال كونر: "نعم، يؤسفني هذا".

أنهى ملء الحقيبة، ثم رأى فني المختبر قد اتخذ موقعًا بجوار الباب، وهو ينظر من النافذة الصغيرة وكأنه يراقب الموقف لصالح كونر.

قال كونر: "حسنًا.. إنني لم أحضر إلى هنا قط، أليس كذلك؟".

أومأ الفني برأسه موافقًا، وقال: "إنه سرنا ... بشرط واحد".

لم يرُق قوله كونر، الذي استعد لتلقي طلب مستحيل، وسأله: "ماذا؟".

سأله الفني بخجل: "هل يمكنني... مصافحتك؟".

ضحك كونر، جاء الطلب غير متوقع للغاية. لقد رأى صبية مذهولين من قبل، لكن هذا الرجل يبلغ من العمر ثلاثين عامًا على الأقل. ثم انتبه إلى أن ضحكه أحرج الرجل، الذي قال: "لا، انس الأمر. لقد سألت سؤالًا غبيًّا".

- لا، لا، لا بأس.

اقترب منه كونر بحذر، ومد يده ليصافحه بيده الباردة الرطبة.

قال الرجل: "الكثيرون لا يحبون التفكيك، لكن لا أحد يعرف كيف يوقفه، لذا فهم لا يحاولون حتى".

ثم همس: "لو أن لديك فكرة، فيوجد أشخاص مستعدون للاستماع. ليس الجميع، لكن ربما يوجد عدد كافٍ".

قال كونر: "شكرًا لك".

سَعِد لأنه لم يخدر الرجل، رغم أنه ما زال غاضبًا من بو لتغييره للسلاح.

خرج كونر، وبدأ الفني ينظف فوضى القوارير المكسورة على الأرض، وهو يُصَفِّر بسعادة.

قال فني المختبر: "الكثيرون يريدون وقف التفكيك". هذه ليست المرة الأولى التي يسمع فيها كونر ذلك. ربما إذا سمعه بما يكفي، فقد يبدأ في تصديقه.

***

21 - ريسا

في طريق عودتهم من المستشفى إلى المنزل، شعروا بالانتصار. استمعوا إلى موسيقى أضفت عليهم أجواء طبيعية. ورغم أن هذا وهم، فقد شعرت ريسا بسعادة وحصلت على استراحة قصيرة من كونها "ريسا وورد الفريدة من نوعها".

حدثهما كونر عن فني المختبر المعجب، وقد بدا في صوته بعض الفخر، لكن ريسا تشعر دائمًا بضيق مؤلم عندما تواجه مثل هذا الإعجاب. لم ترغب قط أن تصبح بطلة الثقافة المضادة. كل ما أرادته هو البقاء على قيد الحياة. كان سيسعدها البقاء في ملجأ ولاية أوهايو 23، تعزف على البيانو، وتتخرج بدرجات عادية، ثم في سن الثامنة عشرة تُلقى في دوامة الحياة الكبرى للبشر العاديين، مثل جميع أيتام ملاجئ الولاية الآخرين. لربما التحقت بعد ذلك بكلية اجتماعية، ووجدت طريقها إلى بعض الوظائف الخدمية. ربما تمكنت في النهاية من أن تصبح عازفة بيانو، أو بشكل أكثر واقعية، عازفة أورج في فرقة بإحدى الحانات. لن يصبح الأمر مثاليًّا، لكن على الأقل ستحيا حياة عادية، وربما تزوجت في النهاية عازف قيثارة عاديًّا وأنجبت بعض الأطفال العاديين، الذين ستحبهم بشدة ولن تفكر أبدًا في التخلي عنهم. لكن أمر تفكيكها قطع كل الروابط التي ربطت ريسا بالأمل في مستقبل طبيعي.

أفكارها حول عازف القيثارة، ذكرتها بكام. أين هو الآن بعد أن احتجزته منظمة المواطنة الاستباقية مرة أخرى؟ هل تهتم؟ أيجب أن تهتم؟ يا لها من مجموعة مختلطة من العلاقات التي تربطها بالآخرين، كما لو أن حياتها بأكملها قد جُمِّعَت مع أغرب أجزاء وقطع من الإنسانية، من كونر إلى كام إلى سونيا إلى جرايس وكل الأشخاص غرباء الأطوار الذين عرفتهم في المنتصف.

لا أحد يستطيع أن يجزم كيف ستصبح حياتها بعد يوم من الآن، ناهيك بعام. هذا أفضل عذر لعيش اللحظة الحالية، لكن كيف يمكنك أن تعيش اللحظة الحالية، عندما تشعر أن كل ما تريده أن تنتهي هذه اللحظة؟

علق كونر: "تبدين حزينة. من المفترض أن تشعري بالسعادة، لأننا فعلنا شيئًا صحيحًا هذه المرة".

ابتسمت ريسا، وقالت: "إننا نفعل الكثير من الأشياء الصحيحة. لماذا يريد أشخاص عشوائيون مصافحتنا؟"، ثم ألقت نظرة باردة على بو الغافل في المقعد الخلفي، وهو يتظاهر بالعزف على طبول وهمية، وفكَّرت: *أو تقبيلنا*.

لم يسأل كونر عن الكدمة تحت عين بو. إما لأنه لا يهتم، وإما لأنه لا يريد أن يعرف. تساءلت ريسا عن عدد الفتيات اللواتي ألقين بأنفسهن على كونر بطريقة مماثلة، وسرَّها أن تجد نفسها تشعر بالغيرة من الفكرة ذاتها. سَعِدَت لأن لديها ما يمكن لتلك الفتيات المجهولات أن يتطلعن إليه فحسب: إوُول آكرون كله لها وحدها.

ربما هذا أفضل من حلمها بعيش حياة طبيعية. العيش في حياة ملأى بالإثارة والتوتر له مميزاته. وبالتحديد، كونر.

سأل بو وسط عزفه المنفرد على الطبول: "أخبريني، إنكِ تعرفين ذلك الرجل أبتشيرتش، أليس كذلك؟".

سألته ريسا، وهي لا تملك أدنى فكرة عمن يتحدث: "من؟".

- هل تعرفين هايدن أبتشيرتش؟ الرجل الذي ألقى كلمة طويلة عندما قُبِض عليه في المقبرة؟

قالت ريسا: "أوه، هايدن". لم تعرف اسمه الأخير قط، ومن النظرة البادية على وجه كونر، اتضح أنه لم يعرفه أيضًا. لقد حاول الكثير من المفككين محو اسمهم الأخير في تحدٍّ للآباء الذين حاولوا تفكيكهم. في حالة هايدن، ربما تجنب ذكر لقبه لأنه قد يعرضه إلى السخرية[1] بسهولة.

سألته ريسا، وهي تنظر إلى كونر في توتر: "ماذا عنه؟ هل أصابه مكروه؟".

- لا. لقد ألقى خطبة أخرى.

بدأت الأغنية التالية، فخفض كونر الصوت، وسأله: "كيف عرفت ذلك؟".

- في القبو، عبث جيك بجهاز الكمبيوتر القديم الذي تسمح لنا سونيا باستخدامه، وقال إنه وجد شيئًا على شبكة الإنترنت. حاول العثور عليه مرة أخرى ليُريني إياه، لكنه اختفى. قال إن أبتشيرتش يدعو إلى انتفاضة للمراهقين، كما فعل عندما قبضوا عليه. أعتقد أن هذا قد يحدث.

(1) - ربما لأنه لقب مغني الراب والممثل الكوميدي ريان أبتشيرتش نفسه. «المترجم».

فكر بو في الأمر لحظة أخرى، وأضاف: "إذا حدث ذلك، فأنا أعرف الكثير من الصبية -ليس فقط الموجودين في منزل سونيا، لكن صبية في مدينتي أيضًا- الذين سيتبعونني إلى المعركة".

قال كونر "سيتبعونك في الغالب لتسقطوا من أعلى منحدر كالفئران".

حذره بو، مخرجًا المسدس الذي أخذه من كونر: "انتبه إلى حديثك، وإلا قد أخدرك بمسدسك، كما فعلت مع ذلك الرجل نيلسون".

رأت ريسا وجه كونر يتجمد كالحجر، وشحبت مفاصل أصابعه على عجلة القيادة. ربتت ساقه ليسترخي، ولتذكِّره بأن الأمر لا يستحق، ثم أمرت بو: "أبعد هذا الشيء، قبل أن تصيب نفسك على سبيل الخطأ".

قال كونر بلهجة شديدة الجفاف والجمود: "هذا أفضل ما يمكن أن يحدث"، ثم خفف من حدة غضبه، مضيفًا: "لكن أسعدني سماعك تقول إن هايدن بخير. هذا لو أن ذلك صحيح".

فكرت ريسا: *لو أن هايدن قد هرب من التفكيك حقًّا مرة أخرى، واختبأ في مكان ما ليدعو الصبية إلى أخذ زمام المبادرة، فكم منهم سيتحركون فعلًا؟*

توجد قصص عن الانتفاضة الأولى. نزل المراهقون "الجانحون" بعنف إلى الشوارع بعد إغلاق المدارس. لقد أحدثوا فوضى من الساحل إلى الساحل، ونشروا الرعب والخوف بما يكفي ليبدو التفكيك وكأنه الحل لجميع المشكلات التي أثاروها. ثار غضبهم بلا توجيه.

بمجرد انتهاء «حرب الجوهر»، لم يتحدث أحد حقًّا عن الأيام التي سبقت اتفاق التفكيك. شكت ريسا أنها أكثر من مجرد ذكريات سيئة. إذا لم يفكر الناس في الأمر، فيمكنهم إنكار تواطئهم في جريمة قتل

مؤسسية مستمرة. حسنًا، سنُذكِّر الناس، ونمنحهم طريقة للتكفير عن أخطائهم.

عندما وصلوا إلى الأحياء النائية في كولومبوس، انحرف كونر عن مسارهم، وكاد يصطدم بشاحنة صغيرة تجاورهم. أطلق الرجل بوق سيارته، ومنحهم إشارات بذيئة، وسبابًا لم يمكنهم سماعه، لكنهم قرؤوه بسهولة على شفتيه.

سألت ريسا، مدركة أن ذهن كونر قد تشتت عندما انحرف عن مسارهم: "لماذا فعلت ذلك؟".

صرخ كونر: "بلا سبب! لماذا يجب وجود سبب لكل شيء؟".

قال بو: "أخبرتك أنني من يجب أن يقود".

تجاهلت ريسا الأمر، واستشعرت أن من الأفضل ترك كونر وشأنه الآن، لكن اللحظة استمرت طويلًا بعد أن تجاوزوا علامة على الطريق السريع، أخذ كونر يحدق إليها بشدة حتى كاد يتسبب في مقتلهم.

***

22 - كونر

تراجع كونر، مفسحًا المجال لسونيا حتى تنقل المادة الحيوية من حاوية الحفظ إلى الطابعة. لم يرغب في لمسها.

قالت سونيا وهي تصب المحلول الأحمر السائل في خزان الطابعة: "مادة الحياة".

إنها ليست بالضبط أكثر عمليات النقل نظافة، لكن في نهاية الأمر، إنهم في الغرفة الخلفية لمتجر التحف المزدحم، وليس مختبرًا.

علقت جرايس: "أشعر أنني أمام مشهد من فيلم «الكتلة القاتلة»".

تذكر كونر الفيلم القديم عن كتلة من مادة هلامية فضائية تأكل لحوم البشر، وتلتهم سكان بلدة شبيهة للغاية بآكرون. لقد شاهد الفيلم مع شقيقه في طفولتهما. ظل لوكاس يخفي وجهه في كتف كونر حتى لا يضطر إلى النظر. مثل كل ذكرياته قبل أمر التفكيك، أثارت ذكرى الفيلم مزيجًا من الأحاسيس غير الواضحة مثل الكتلة.

أمسكت ريسا يد كونر، قائلة: "آمل أن يستحق الأمر ما مررنا به للحصول على هذه الخلايا".

حل الظلام للتو، في وجود الأربعة: كونر وريسا وسونيا وجرايس. أما بو، فقد أرسلته سونيا بسرعة لحل نزاع إقليمي تافه نشب في القبو في

أثناء غيابه. قالت له سونيا: "كل شيء يذهب إلى الجحيم دونك هناك يا بو. أريدك أن تتولى المسؤولية وتعيد الأمور إلى نصابها".

ابتعد كونر عندما قالت ذلك، لأن ابتسامته ربما أعطت بو فكرة عن مدى سهولة التلاعب به. يعرف بو هدف مهمتهم، لكنه لم يعرف الغرض من الخلايا التي أحضروها.

شرحت له سونيا: "إنه حقن للفخذ، كي لا أحتاج إلى أن أستبدل بالفخذ أخرى مأخوذة من مفكك مسكين سيئ الحظ".

تقبل التفسير كما هو، جزئيًّا لأنه بدا معقولًا في ظل الظروف، لكن في الغالب لأن سونيا كاذبة ماهرة. ربما يأتي نصف نجاحها كبائعة للتحف من الأكاذيب التي ترويها عن بضاعتها. ناهيك بنجاحها في إيواء الصبية الهاربين.

بعد وضع الكتلة السحرية بأمان في الطابعة، التفتت سونيا إليهم، قائلة: "حسنًا.. من يرغب في الحصول على هذا الشرف؟".

ضغط كونر -الأقرب إلى لوحة التحكم- على زر "التشغيل"، وتردد لالتقاط أنفاسه، ثم ضغط على الزر الأخضر الصغير المسمى "طباعة". نقر الجهاز وبدأ العمل، مما جعلهم جميعًا يجفلون قليلًا. هل يمكن أن يكون الأمر بسيطًا مثل الضغط على زر "الطباعة"؟ يفترض أن أكثر التقنيات تقدمًا تتلخص في ضغط الإنسان على زر أو على مفتاح.

سألت جرايس سؤالًا يدور في أذهانهم جميعًا: "ماذا ستطبع؟".

هزت سونيا كتفيها، وأجابت: "أيًّا كان ما برمجها جينسون آخر مرة لطبعه".

بدا وكأن عينيها قد فقدتا بعضًا من تألقهما لحظة، وهي تجتهد لعدم التركيز في ذكرى زوجها. لقد مات منذ ثلاثين عامًا، لكن من الواضح أن تفانيهما أعمق من الوقت.

راقبوا رأس الطابعة وهو يطير ذهابًا وإيابًا فوق طبق العينات المسطح، ويضع طبقات مجهرية من الخلايا. في غضون بضع دقائق ظهر شبح شاحب لشكل مستطيل، حجمه ثلاث بوصات تقريبًا.

أدركت ريسا ماهيته أولًا، فقالت: "أهي ... أذن؟".

قالت سونيا: "أعتقد أنها كذلك".

يوجد شيء رائع ومرعب في هذا الأمر.. مثل مشاهدة الحياة تنبثق من أول بركة بدائية.

قال كونر بعد أن وجد أنه لا يملك الصبر الكافي لاكتمال عملية الطباعة: "هذا ما يحدث إذن".

لم تعلق سونيا، وقيَّمت التجربة طيلة الدقائق الخمس عشرة التي استغرقتها الطابعة لإكمال دورتها. الصمت المفاجئ بعد انتهاء الطباعة جاء مشابهًا للإزعاج الذي حدث عندما بدأت الطابعة عملها.

وكما استنتجت ريسا، وجدوا "أُذُنًا" أمامهم في الطبق.

سألت جرايس، وهي تنحني إلى الأمام: "هل يمكنها سماعنا؟"، ثم قالت بالقرب من الأذن: "مرحبًا؟".

أمسك كونر كتفها برفق وسحبها إلى الخلف.

قالت سونيا: "إنه مجرد صيوان أذن، أي الجزء الخارجي من الأذن. لا يملك أيًّا من الأجزاء الوظيفية للعضو".

علقت ريسا: "لا يبدو بصحة جيدة". إنها محقة. بدا صيوان الأذن شاحبًا ورماديًّا إلى حد ما.

- همهم...

أخرجت سونيا نظارة القراءة، وارتدتها، وهي تقترب أكثر لمراقبة الشيء، ثم قالت: "ليس له إمدادات دموية. ولم نُعِد الخلايا للتمايز بشكل صحيح إلى جلد وغضاريف، لكن هذا لا يهم. كل ما يهم هو أن الطابعة تفعل بالضبط ما صُممَت لعمله".

ثم مدت يدها، والتقطت الأذن بين إبهامها وسبابتها، ووضعتها في حاوية الحفظ، لتغوص في الهلام الأخضر السميك المؤكسج. أغلق كونر الصندوق بإحكام، وتحول الضوء الذي يشير إلى السبات إلى اللون الأخضر. الآن ستُحفَظ لأي مدة تحتاج إليها.

قال كونر: "علينا نقل هذه الطابعة إلى مكان يمكنه إنتاجها بكميات كبيرة، أليس كذلك؟ مثل بعض شركات التصنيع الطبي الكبيرة".

حركت جرايس يديها وهي تنظر إلى صندوق الحفظ، وقالت بوجه عابس: "لا، الكبيرة سيئة، الكبيرة سيئة. لا يمكن اختيار شركة صغيرة جدًّا أيضًا. شيء مثل «جولدي لوكس» مناسب تمامًا".

أثار تقييم جرايس إعجاب سونيا، التي نادرًا ما تتأثر بأي شيء، فقالت: "أتفق معك جدًّا. يجب أن نختار شركة متعطشة إلى النجاح، لكن ليس إلى درجة عدم التمتع بأي نفوذ".

أضافت ريسا: "ويجب ألا تربطها أي علاقة بالمواطنة الاستباقية".

سأل كونر: "أيوجد شيء كهذا؟".

قالت سونيا: "لا أعرف. أينما ذهبنا، سيصبح الأمر مقامرة. أفضل ما يمكننا فعله هو تحسين الاحتمالات".

جعلت الفكرة كونر يرتجف بشكل غير متوقع، وقوي بما يكفي لتشعر به ريسا، لأنها نظرت إليه. لقد قامر في الكثير من أحداث حياته

في السنوات القليلة الماضية. بطريقة ما، ورغم الصعوبات، تمكن من تجاوز كل ذلك بسلام. ما بدا وكأنه حظ سيئ في ذلك الوقت، تحول في النهاية إلى حظ سعيد، كما اتضح من استمرار بقائه حيًّا. وهذا يعني أن وقوع شيء مؤسف حقًّا قد تأخر كثيرًا. لا يمكنه إلا أن يشعر أنه بغض النظر عما يفعله، فهو ما زال يدور حول البالوعة. يلعن والديه في صمت لفتحهما غطاء البالوعة في البداية. ومع هذا الغضب، يأتي الحزن الذي يتمنى لو أنه قوي بما يكفي لتجاهله.

سألته ريسا: "ماذا أصابك؟".

سحب كونر يده من يدها، وسألها: "لماذا تعتقدين دائمًا أن شيئًا ما قد أصابني؟".

قالت بانزعاج طفيف: "لأن هذا يحدث دائمًا. إنك مثال حي للإصابات النفسية".

- ماذا عنكِ؟

تنهدت ريسا: "وأنا أيضًا. لهذا من السهل جدًّا بالنسبة إليَّ أن أعرف متى يزعجك شيء ما".

نهض كونر متجهًا إلى الباب السري وهو يقول: "حسنًا، إنك مخطئة هذه المرة".

الصندوق مدفوع بالفعل إلى الجانب، والسجادة ملفوفة بعيدًا، مما جعل الهروب من استجواب ريسا أمرًا سهلًا. مد كونر يده لفتح الباب السري، عندما شعر بشيء يُسحَب من جيبه الخلفي.

استدار ليرى ريسا تحمل خطابه. **الخطاب**! منذ اللحظة التي أعطته فيها سونيا الخطاب، احتفظ به في ذلك الجيب. أخرجه عدة مرات، عازمًا في كل مرة على تمزيقه، أو حرقه، أو طرده من حياته بأي شكل

من الأشكال، لكن في كل مرة ينتهي به الأمر مرة أخرى في جيبه، وفي كل مرة يشعر بالقليل من الغضب بسبب عجزه عن التخلص منه.

سألته ريسا: "ما هذا؟".

استعاده كونر منها، وقال: "لو أن الأمر يخصك، لأخبرتك، لكنه ليس كذلك".

أعاده إلى جيبه، لكنها رأت بالفعل المرسل إليه، فأدركت بالضبط ماهية الخطاب، وسألته: "أتعتقد أنني لا أعرف ما يدور في رأسك، ولماذا كدت تتسبب في حادث تصادم لسيارتنا في أثناء مغادرتنا كولومبوس".

- هذا لا علاقة له بأي شيء!

- لقد مررت بحيِّك القديم، أليس كذلك؟ وفكرت في العودة إليه.

وجد كونر أنه لا يستطيع إنكار ذلك، فقال: "ما أفكر فيه وما أفعله شيئان مختلفان، أليس كذلك؟".

جاهدت سونيا للوقوف على قدميها، وزمجرت قائلة: "اخفضا صوتيكما! هل تريدان أن يسمعكما الناس في الشارع؟".

شعرت جرايس ببعض القلق بسبب العاصفة التي تتشكل حولها، فتسللت متجاوزة كونر على عجل لإخراج نفسها من المعادلة، وأمسكت الطابعة، قائلةً: "سأعيدها إلى القبو وأخفيها مرة أخرى. لا جدوى من تركها في العراء".

حاولت سونيا إيقافها: "انتظري يا جرايس!"، لكنها لم تتحرك بالسرعة الكافية. لم تنتبه جرايس إلى أن سلك توصيل الطاقة للطابعة ما زال موصولًا، وعندما تحركت الفتاة، جذبها السلك بشدة، فطارت الطابعة من بين يدي جرايس.

قفز الجميع محاولين الإمساك بها. وجدت ريسا نفسها الأقرب، فوضعت يدها عليها، لكن زخمها لم يسهم إلا في دفع الطابعة بعيدًا، لتتدحرج نحو الباب السري المفتوح، ارتطمت مرة واحدة بالحافة، ثم سقطت، ليصبح السلك مشدودًا مرة أخرى. تدلت الطابعة من الفتحة المؤدية للقبو للحظة مؤلمة، قبل أن ينفصل القابس عن الحائط.

غاص كونر وحاول الإمساك بالسلك، مدركًا أنها الفرصة الأخيرة لإنقاذه. أمسك به بكلتا يديه، لكن السلك -الزلِق بسبب المادة الحيوية المسكوبة- انسل من بين أصابعه، فانغلقت يداه على الهواء الفارغ، وسمع صوت النهاية المميتة المروعة الشبيهة بحادث سيارة حطم أملهم الأخير في مستقبل عاقل، وحوله إلى أشلاء على أرضية القبو.

***

من المستحيل مواساة جرايس.

أخذت تبكي وتعتذر في يأس، فيما انطلق من عينيها إعصار من الدموع، دون أي علامة تنذر بصفاء قريب للسماء: "أنا آسفة، تقبلوا اعتذاري. لم أقصد ذلك، أنا آسفة.. إنني شديدة الغباء، لم أقصد ذلك، أنا آسفة، أنا آسفة".

بذلت ريسا قصارى جهدها لتهدئتها، وهي تربت ظهرها المنحني بسبب ثقل خسارتهم، وقالت: "لستِ غبية، وهذا ليس خطأكِ يا جرايس".

بكت جرايس، قائلةً: "بل إنه خطئي، إنه خطئي. يقول آرجان دائمًا إنني أفسد كل شيء".

أكد لها كونر: "ريسا محقة، هذا ليس خطأك. لولا شجاري مع ريسا، لما تعجلتِ مغادرة المكان. إننا نحن الأغبياء".

التقت عيناه عيني ريسا، لكن كونر لم يستطع قراءتها. أهي نظرة اعتذار عن انتزاع الرسالة من جيبه كنزع صمام أمان القنبلة؟ أم إنها تنتظر اعتذارًا منه عن فقدان أعصابه؟ أو ربما تعكس هذه النظرة نظرته المهزومة فحسب.

التقط كونر كل قطع الطابعة، ووضعها على طاولة أمامه في القبو. بلاستيك مكسور، ومعادن ملتوية. تروس وأسلاك. عندما رأت سونيا الحالة التي أصبحت عليها، تنهدت، وصعدت الدرج مرة أخرى، ذاهبة إلى المنزل. شك كونر أنها لن تقدم لهم عشاء الليلة، لأنها ستعتكف في خصوصية حزنًا على خسارتهم. لوقت أطول من حياة كونر، ظل ذلك الشيء موجودًا في صندوق في زاوية متجر التحف. لكن الأمر لم يستغرق منهم سوى لحظة لتدميره.

سأل جاك: "ما الأمر الجلل؟ إنها مجرد طابعة قديمة".

لم يعرف شيئًا مثل الصبية الآخرين في القبو، وشعر بالارتباك بسبب جو اليأس المفاجئ، الذي تفوق على أجواء اليأس المعتادة في قبو سونيا.

قال كونر:" إنها تخص زوج سونيا، ولها قيمة عاطفية خاصة".

قال بو: "صحيح. لها قيمة عاطفية"، ثم مرر إصبعه ببطء على الغلاف البلاستيكي المكسور، وغمس طرف إصبعه في المادة الحيوية، التي خاطر بحياته لإحضارها، ثم رفع إصبعه في وجه كونر كمن يشير إليه بإصبع الاتهام، وحدق إليه في عداء، فبادله كونر النظرات ببرود، رافضًا منحه أي معلومة. في النهاية، تراجع بو، عائدًا إلى مهمته في إدارة المكان.

أخذت جرايس تنتحب بهدوء أكبر من السابق، واضعةً وجهها بين يديها، وتركتها ريسا طويلًا في أثناء تقييم الضرر مع كونر، حيث

سألته بلهجة أقرب إلى التوسل، وبصوت فقد كل ثقته المعتادة: "يمكنك إصلاحها، أليس كذلك؟ إنك بارع في إصلاح الأشياء".

قال لها: "هذا ليس تلفازًا أو ثلاجة. يجب أن أعرف كيف يعمل شيء ما، قبل أن أتمكن من إصلاحه".

- لكن يمكنك المحاولة.

قبل ذلك، خشي كونر حتى فتح العلبة للنظر إلى الداخل. أما الآن، فقد التقط كل قطعة، وأعاد ترتيبها على الطاولة، محاولًا استنباط كيفية تجميعها مرة أخرى، وقال لريسا: "يبدو أن خرطوشة الطباعة والرأس ما زالا بخير".

قالها، رغم أنه لا يستطيع حتى التأكد من ذلك. رفع مكونًا إلكترونيًّا، وأضاف: "يبدو هذا وكأنه محرك أقراص ثابت، وهو ليس معطلًا أيضًا، مما يعني أنه ربما ما زال يحتوي على البرنامج الذي يحتاج إليه لأداء عمله. الأجزاء الميكانيكية هي التي تعطلت في الغالب".

- في الغالب؟

- لا يمكنني التأكد من أي شيء يا ريسا. إنها آلة معطلة. هذا كل ما أعرفه.

- حسنًا، لا بد أن شخصًا ما في مكان ما يعرف كيفية إصلاحها.

الفكرة التي خطرت بذهن كونر بعد ذلك أصابته بقلق كبير وسخيف، فلم يعرف هل يضحك أم يتقيأ.

قال: "والدي يستطيع إصلاحها".

مالت ريسا بعيدًا، وكأنها تحاول الهروب من الجاذبية القاتلة للفكرة.

- أعني أنني أجيد إصلاح الأشياء، لأنه علمني.

صمتت ريسا طويلًا، تاركة كلمات كونر تطفو في الهواء، ربما على أمل أن تشنق نفسها. وأخيرًا قالت: "تهانينا. لقد ظللت تبحث عن ذريعة للعودة إلى هناك منذ اللحظة التي وصلت فيها".

فتح كونر فمه لينكر ذلك، لكنه تردد، لأن ريسا مُحِقَّة على مستوى ما، فقال: "الأمر ليس بهذه البساطة".

- هل نسيت أنهما مَن حاولا تفكيكك؟ كيف يمكنك أن تسامحهما على ذلك؟

- لا يمكنني أن أسامحهما! لكن ماذا لو لم يتمكنا من مسامحة نفسيهما أيضًا؟ لن أعرف أبدًا ما لم أواجههما.

- هل أنت واهمٌ تمامًا؟ ماذا تعتقد أنهما سيفعلان؟ يعيدانك إلى منزلهما ويتظاهران وكأن العامين الماضيين لم يحدثا قط؟

- لا، طبعًا.

- ماذا إذن؟

- لا أعرف! كل ما أعرفه هو إحساسي بأنني محطَّم مثل هذه الآلة.

نظر إلى الجهاز المجزأ على الطاولة أمامه. قد يكون مكتملًا، لكن توجد أوقات يشعر فيها بأنه مفكك بأعمق طريقة ممكنة. قال لها: "يمكنني إصلاح نفسي، لكن جزءًا من ذلك يعني مواجهة والديَّ بشروطي الخاصة".

نظر كونر حوله، مدركًا أنهما قد رفعا صوتيهما مرة أخرى، مما جذب انتباه الصبية الآخرين. تظاهر الآخرون بأنهم لا يستمعون، لكنه عرف أنهم يفعلون. خفض صوته، متحدثًا بهمس متحمس: "الأمر لا يتعلق بوالديَّ فقط، بل بأخي أيضًا. لم أتصور سابقًا أنني سأقول هذا عن ذلك الوقح الصغير، لكنني أفتقده يا ريسا. أفتقده بشكل لا يُصدَّق".

- إن افتقادك لأخيك ليس سببًا للتخلي عن حياتك!

وهنا، فكر كونر أن الأمر لا يقتصر على أن ريسا لا تستطيع أن تفهم ذلك فحسب، بل إنها لا تستطيع حتى أن تفهم لماذا لا تفهمه. لقد نشأت في ملجأ حكومي.. بلا والدين، وبلا عائلة. لم تجد من يهتم بها بما يكفي ليحبها أو يكرهها. لم تتركز حياة أحدهم عليها، بحيث يشعر بالفخر أو الغضب من أفعالها. حتى أمر تفكيكها لم يُوقَع بدافع من اليأس العاطفي، كما حدث مع كونر. بالنسبة إلى ريسا، حدث ذلك نتيجة اللامبالاة. الجرح الشخصي الأعمق في حياتها لم يمس أولئك الذين تسببوا فيه شخصيًّا. لقد فعلوا ذلك لمجرد خفض الميزانية. فجأة وجد كونر نفسه يشعر بالأسف نحوها بسبب الألم الذي لن تتمكن أبدًا من الإحساس به.

قال لها: "إنني أضع الكثير من الثقة في آرائك يا ريسا. في معظم الأحيان أجدك على حق. لكن ليس هذه المرة".

تأملته، ربما بحثًا عن ثغرة يمكنها أن تحقن بداخلها بعض الشك. ما لا تعرفه هو أن الشك يملؤه، لكن هذا لا يغير حقيقة احتياجه إلى زيارة أسرته.

- ماذا يمكنني أن أقول لإقناعك بالتخلي عن ذلك؟

هزَّ كونر رأسه دون أن يجيبها. حتى لو امتلك إجابة سؤالها، فلن يخبرها. قال لها: "سأتوخى الحذر. وإذا تمكنت من الوصول إليهما بأمان، سأستشعر رد فعلهما، وأعرف موقفهما. لو أن مرور الزمن جعلهما ضد التفكيك، فربما يريان مساعدتنا كفرصة ثانية".

- إنهما من المفكِّكِين يا كونر. سيظلون دائمًا مفكِّكِين.

- كانا أبوين قبل ذلك.

تراجعت ريسا أخيرًا، وتقبلت الأمر باستسلام حزين. ومن الغريب أن كونر لم يكن واثقًا حتى أنه سيذهب حتى حدثته ريسا. الآن أصبح عازمًا على الذهاب.

وقفت ريسا، وفجأة شعرت أن الفجوة بينهما هائلة، فقالت: "عندما يسلمك والداك إلى سلطة الأحداث -وسيفعلان ذلك- لن أذرف دمعة واحدة عليك يا كونر لاسيتر".

لكن هذه كذبة، لأن دموعها بدأت تسيل فعلًا على وجنتيها.

• • •

قالت سونيا لكونر: "المنزل تحت المراقبة. ليس بالقدر السابق نفسه، لأنه بفضل ذلك المدعو ستاركي، لم تعد عدو المجتمع رقم واحد، لكن هيئة الأحداث ما زالت تريد قتلك، لو استطاعت".

- سأتوخى الحذر.

- أنت تدرك مقدار الخطر الذي تضع نفسك فيه. إنك لا تعرف ما قيل لوالديك، أو كيف يريانك. قد يعتقدان حتى أنك تنوي قتلهما.

هز كونر رأسه للتخلص من الفكرة. أيمكن لوالدته ووالده ألا يعرفاه حقًّا، لدرجة الاعتقاد أنه قد يفعل ذلك؟ لكن من جهة أخرى، لا بد أنهما يشعران بالمسؤولية عن كل ما حدث له منذ توقيعهما أمر التفكيك، وربما يعتقدان أنه يريد الانتقام. فهل مرت عليه لحظة قط فكر فيها أن يقتلهما انتقامًا لنفسه؟ كلا، لم تمر به مثل تلك اللحظة قط. وليس فقط بسبب أخيه. وحتى لو أنه بلا إخوة، فلن يفعل ذلك. شخص مثل ستاركي قد يستهدف عائلته، لكن كونر ليس ستاركي.

قلب كونر الرسالة بين يديه، قائلًا: "يجب أن أفعل هذا، ويجب أن أفعله قريبًا. وإلا فلن أمتلك الشجاعة مرة أخرى أبدًا".

أكدت له سونيا: "ستمتلك الشجاعة، لكن ليس الاحتياج. يوجد وقت حرج لكل شيء. أعتقد أنك بحاجة إلى عمل ذلك الآن، أو التزام الصمت إلى الأبد".

إنه يدرك أن أسوأ ما يمكن أن يحدث ربما يفوق أفضل ما يمكن أن يحدث. اكتشف ليف هذا الأمر، أليس كذلك؟ اكتشفه بطريقة مؤلمة.

- صديقي ليف -أثق أنك قد سمعتِ عنه- رأى والديه مرة أخرى. لقد تبرأ منه.

- إذن فوالِدا ليف أحمقان.

ضحك كونر في دهشة. ليس لأنه لم يتوقع ذلك من سونيا، لكن لصراحتها الشديدة. إنها منعشة رغم كل شيء.

قالت له سونيا: "لم أقابل الصبي، أو والديه، لكني أرى صبية مثله كل يوم. لقد تحطم عالمهم، وهم مستقتلون للغاية لإثبات وجودهم، حتى إنهم قد يفجِّرون أنفسهم من أجل ذلك. أي والد ينكر ابنه بعد ما فعله، أو ما لم يفعله.. لا يستحق أن ينجب أطفالًا على الإطلاق، ناهيك بالتخلي عن فلذة كبده".

تبسم كونر، وهو يفكر في ليف. لقد غضب عندما اختار ليف عدم المجيء معه إلى هنا، لكنه غضب فحسب لأسباب أنانية. قال لسونيا: "لقد أنقذ حياتي مرتين حتى الآن. إنه صبي مذهل للغاية".

- إذا رأيته مرة أخرى، يجب أن تخبره بهذا. بعد ما فعله والداه، يحتاج إلى سماع ذلك، وألا يتوقف أبدًا عن سماعه.

وعد كونر سونيا -ونفسه- بأنه سيفعل. ثم خفض بصره إلى القبو. فكَّر في النزول، لكنه عرف أنه إذا فعل، فسيجد الكثير من الأسباب لعدم الذهاب. لطمأنة نفسه -ولتذكيرها بعزمه- أخرج الرسالة من جيبه

الخلفي. وجد المظروف ممزقًا وبدأ يتفكك. تنفس بعمق وفتحه، مخرجًا الأوراق الموجودة بداخله. لقد خطط لقراءته، لكنه لم يستطع إجبار نفسه على ذلك، لأنه لا يعرف ما الألعاب البهلوانية العاطفية التي قد ترسله إليها كلماته.

عندما رفع عينيه، وجد سونيا تراقبه لترى ماذا سيفعل، ثم سألته: "هل تحتاج إلى بعض الوقت بمفردك؟".

أجاب بطَيٍّ أوراق الرسالة وإعادتها إلى جيبه، قائلًا: "إنها مجرد كلمات"، فلم تجادله سونيا.

- إذا وصلت إلى هناك، وغيرت رأيك في اللحظة الأخيرة، يمكنك دائمًا إرسال هذه الرسالة بدلًا من الدخول.

ثم نظرت إلى صندوق التخزين، وأضافت: "في غضون ذلك، أعتقد أنني سأختم كل هذه الرسائل الأخرى وأرسلها بالبريد. لم أشعر قط أن الوقت مناسب لإرسالها. لكن لو أن إوُول آكرون سيعود إلى المنزل، فربما حان الوقت لسماع صوت كل هؤلاء الصبية أيضًا".

اقترح كونر: "اطلبي من جرايس مساعدتك. إنها بحاجة إلى ذلك. سأحاول العودة في أقرب وقت ممكن. حتى لو بدا أنهما على استعداد للمساعدة، فلن أحضرهما إلى هنا... (ثم ازدرد لعابه بصعوبة، وأجبر نفسه على الاعتراف بالاحتمال الحقيقي) تحسُّبًا لاحتمال كذبهما".

قالت سونيا: "هذا معقول"، ثم اقتربت منه بضع خطوات، ونظرت إليه كما لو أنها تتأمل بإعجاب قطعة أثرية ثمينة: "آمل أن يُشعركَ هذا ببعض السلام. نحتاج جميعًا إلى توقف البؤس مؤقتًا بين الحين والآخر".

قال كونر: "توقف مؤقت. هذا صحيح".

حدجته سونيا بنظرة استخفاف زائف شبيهة بالنظرات المعتادة لدى الشباب في سنه، وقالت: ”هذا يعني استراحة مؤقتة“.

قال كونر: ”أعرف ذلك“، لكنه لم يكن يعرف.

هزت سونيا رأسها نفيًا، ثم تنهدت قائلة: ”إنه صباح الأحد، هل يذهب والداك إلى الكنيسة؟“.

حتى ذلك الحين لم يعرف كونر أيَّ يوم من أيام الأسبوع هذا.

- فقط في الأعياد، وعندما يموت أحدهم.

قالت سونيا: ”حسنًا، فلنأمل ألا يموت أحد اليوم“.

***

23 - ليف

مات هينيسي، وسيواجه فريتويل العدالة. سيثأرون أخيرًا ممن فككا ويل تاشين. لم يتمنَّ ليف المزيد.

اتصلت أونا سابقًا بأسرة تاشين، لذا انتظرهم أهل المحمية، معتزمين منح فريتويل كل ما يستحقه. أُغلِقَ جسر «رويال جورج» أمام حركة المرور لنقل القرصان الأسير. تمركزت هناك كتيبة من الحرس، فيما تتسلم الشرطة مورتون فريتويل -العدو العام الأول لأراباتشي- من صندوق سيارة أونا وليف وتحتجزه. أزال رجال الشرطة الكمامة والربطات البلاستيكية التي تقيده، ووضعوا يديه وقدميه في قيود فولاذية بدت مبالغًا فيها، مقارنة بجسده القبيح النحيل.

ثم جرى نقله عبر الجسر، في ربما أعظم مسيرة مجرمين على الإطلاق. إن أكثر ما يوصف به سكان أراباتشي أنهم دراماتيكيون.

قال لهما تشال تاشين عبر الهاتف: "ستقودان الموكب أنت وأونا. إنه حدث عام، وأول ما سيراه الجمهور قادمًا عبر الجسر هو أنتما".

لم يجدا تشال هناك عندما وصلا. لم يشعر ليف بالدهشة. بصفته محاميًا بارعًا للقبيلة، قد يرتدي تشال قناع الاحترافية، لكن بصفته والد

ويل، لم يستطع إجبار نفسه على مواجهة آخر قرصان أعضاء حي مسؤول عن تفكيك ابنه. على الأقل ليس بعد.

في الطرف البعيد من الجسر وقف عدد كبير من شعب أراباتشي. خمسمئة على الأقل.

قالت أونا لليف فيما يعبران الجسر نحو الحشد: "لا تُلَوِّح أو تبتسم أو أي شيء. لا تظهِر أي تعبيرات. إنه حدث كئيب".

أجابها ليف: "أتظنين أنني لا أعرف ذلك؟ لست بأحمق".

- لكنك لم تواجِه أراباتشي قط كبطل. توجد توقعات. سلوك يعود إلى ألف عام.

عندما وصلا إلى نهاية الجسر، بدأت الهتافات. أصابت أونا عندما أخبرت ليف كيف يتصرف، لأنه شعر برغبة في التباهي بالمجد. ثم عندما اقتربا، انخفضت الهتافات وحلت محلها صيحات الاستهجان والاستهزاء. استغرق الأمر لحظة حتى أدرك ليف أن هذا العداء الجماعي موجه إلى فريتويل، الذي يعرج خلفهم، مع مجموعات متعددة من الحرس على جانبيه.

هتف الحشد بسباب بلغة أراباتشي وبالإنجليزية، ليتأكدوا من فهمه طبيعة ومستوى كراهيتهم. تظاهر المحتشدون بأنهم يريدون اختراق جدار الحرس الذين منعوهم، لكن ليف شك أن هذا مجرد استعراض. نعم، يريدون تمزيقه، لكنهم لن يفعلوا. إنهم يريدونه أن يعاني، والمعاناة تتطلب المزيد من الفرص للإذلال العلني.

صرخ فريتويل: "إنكم قذرون أيها الناس"، فأثار حماس المحتشدين لأنه جعلهم يكرهونه أكثر.

جاء رئيس الشرطة للتحقق من فريتويل. شعر ليف بخيبة أمل لعدم وجود رئيس المجلس القبلي، لكن ربما علا سقف توقعاته للغاية. وبينما يفحص رئيس الشرطة فريتويل، أصدر قرصان الأعضاء ذلك الصوت الحنجري المألوف، مخرجًا البلغم من مؤخرة حلقه.

قال أحد الحرس الذين يمسكون به: "لو بصقت، ستموت هنا، الآن"، فتحركت تفاحة آدم في جسد فريتويل وهو يبتلع لعابه.

التفت رئيس الشرطة إلى ليف وأونا، وصافحهما، قائلًا: "أحسنتما"، ثم وضع رجال الشرطة فريتويل في سيارة دورية، وانطلقوا، لينتهي الحفل. لم يستطع ليف إخفاء خيبة أمله.

سألته أونا: "ماذا توقعت؟ ميدالية شرف؟ مفتاح المحمية؟".

قال ليف: "لا أعرف.. لكن شيئًا أكثر من المصافحة".

- المصافحات من الأشخاص المناسبين تعني الكثير هنا.

توالت العديد من المصافحات. أولًا من أعضاء الحشد قبل أن يتفرقوا. لقد تقدم الناس من كل الأعمار لمصافحة ليف، وتقديم كلمات الشكر والتهنئة له. وبدأ ليف يدرك أن هذا ما يحتاج إليه أكثر من مجرد الاعتراف الرسمي. إن ما يحتاج إليه هو القبول الشعبي من شعب أراباتشي، فردًا فردًا يصافحه. وبهذا النوع من الدعم فحسب -الدعم على المستوى الشخصي والعاطفي- سيجد نفسه قادرًا على إقناع المجلس القبلي بأن يأخذ حديثه على محمل الجد.

في الأيام التي أعقبت اعتقال فريتويل، بذل ليف قصارى جهده ليراه الناس قدر الإمكان في المدينة.

في المطاعم، منحوه الطعام مجانًا. قَبِلَ كرمهم، لكنه ترك إكرامية أكثر سخاءً. أوقفته في الشارع عائلات تريد التقاط الصور معه. يريد

الأطفال توقيعًا عرضيًّا. بدا كريمًا ومتعاونًا مع كل من يقترب منه. تعامل مع عواطفه بحذر، تمامًا كما أخبرته أونا. أظهر سلوك بطل محارب راقٍ في العصر الحديث.

قالت إلينا تاشين، والدة ويل والمرأة التي أحبها ليف كأم أيضًا: "أنا لا أفهمك. لقد أتيت إلى هنا للهروب من الاهتمام، والآن تستحم فيه كالخنزير في الوحل. من المحتمل أن مرشدك الروحي من الحيوانات هو الخنزير، وليس ذلك القرد".

أوضح لها: "يتدحرج الخنزير في الوحل لسبب. لدي سبب أيضًا".

إنها تعلم السبب، لكن ليف يعرف أنها تقلق بشأنه أيضًا. قالت له: "إنك فتى واحد. لا يمكنك أن تتوقع قدرتك على تحريك السماء والأرض".

ربما لا. لكنه ما زال يحلم بقدرته على إنزال القمر.

***

أُدين مورتون فريتويل في محاكمة لم تستغرق سوى يوم واحد، رأستها هيئة محلفين لم تستطع إخفاء حقدها. وأدين بتهمة الاختطاف والتآمر لارتكاب جريمة قتل والتواطؤ في جريمة قتل، فبموجب قانون أراباتشي، يعتبر التفكيك والقتل الشيء نفسه. ثم -في خطوة لم تفاجئ أحدًا- بدلًا من النطق بالحكم بالسجن مدى الحياة، لجأ القاضي إلى تقليد قديم.

أعلن القاضي: "دع المظلوم يفرض العقوبة على المدان"، مما فتح الباب أمام أي شيء تريد عائلة تاشين أن تفعله به، بما في ذلك إنهاء حياته بشكل مؤلم للغاية.

صرخ فريتويل وهم يقودونه إلى السجن بعد الحكم: "أهذه هي العدالة؟ أهذه هي العدالة؟".

لكن لم يتعاطف أحد مع توسلاته.

في اليوم التالي، جاء كل من إلينا وتشال وبيفان تاشين لمواجهة فريتويل، مع أونا وليف. وفي أثناء وجودهم في قاعة المحكمة، لم يرهم ليف يتواصلون بالعين قط، أو حتى ينظرون مباشرةً إلى فريتويل. ربما لأنهم شعروا بالاشمئزاز منه، أو ربما لأن ذلك من شأنه أن يجعل هذه اللحظة من اليوم أكثر أهمية.

بدا فريتويل مثيرًا للشفقة في زنزانته. قذرًا، حتى في الحُلة البيج النظيفة التي يرتديها السجناء في أراباتشي.

فيما وقف بيفان وتشال وحتى أونا في الخلف، تقدمت إلينا لتلقي نظرة عليه. بدا وجهها تجسيدًا لبطلة حقيقية من أراباتشي. بُهِرَ ليف بحضورها وهي تنظر إلى فريتويل في هيبة جعلت الرجل يقف باحترام مرتجف.

ولأنها طبيبة، سألته إلينا: "هل يعاملونك جيدًا؟".

أومأ فريتويل برأسه.

نظرت إليه طويلًا قبل أن تتحدث مرة أخرى: "لقد ناقشنا الخيارات المختلفة للعقاب الذي ستتلقاه بسبب اختطاف وقتل ابننا".

أصرَّ فريتويل: "إنه لم يمت! كل أجزائه ما زالت حية. يمكنني إثبات ذلك".

تجاهلته إلينا، وقالت: "لقد ناقشنا الأمر، وقررنا أن موتك على أيدينا لن يحمل أي معنى".

تنفس فريتويل الصعداء.

واصلت: "لذلك، ستُحتَجز في سجن القبائل المركزي. ولن تحصل -لبقية حياتك- سوى على الخبز والماء. الحد الأدنى المطلوب للبقاء على قيد الحياة. ولن يُسمح لك بأي شيء للترفيه عن نفسك، ولا بأي اتصال مع الآخرين، وبهذا لن تجد سوى أفكارك حتى نهاية أيامك".

اتسعت عينا فريتويل رعبًا، وقال: "لا شيء؟ لكن عليكِ أن تعطيني شيئًا. على الأقل الكتاب المقدس، أو تلفاز".

قالت إلينا "سنعطيك شيئًا واحدًا"، ثم مد تشال يده خلف ظهره، مخرجًا ما أخفاه.

إنه حبل.

سلمه إلى الحارس الموجود، الذي مرره بعد ذلك من خلال قضبان الزنزانة إلى فريتويل.

قالت له إلينا: "إننا نعرض عليك هذه الرحمة، عندما تصبح حياتك مروعة للغاية بحيث لا يمكن تحملها، يمكنك إنهاؤها بهذا الحبل".

أمسك فريتويل الحبل بإحكام بين يديه، ونظر إليه، ثم انفجر باكيًا. وهكذا، غادر ليف وأونا وعائلة تاشين المكان، وهم يشعرون بالرضا.

في الصباح التالي، عُثِرَ على فريتويل ميتًا، بعد أن شنق نفسه من مصباح السقف في زنزانته. بهذا حصل أخيرًا على إجابة سؤاله. هذه هي العدالة.

لم يدرِ ليف هل سيحزن أي شخص في العالم الخارجي على الرجل. وجد قلبه قاسيًا. إن القبض على فريتويل وإدانته ووفاته المؤلمة لا يمثلون سوى شيء واحد بالنسبة إلى ليف. فرصة.

في عصر اليوم نفسه، قدم ليف التماسًا إلى مجلس القبيلة لمقابلته. تلقى استدعاءً بعد أسبوع. فوجئت إلينا باستجابتهم له على الإطلاق، لكن هذا لم يفاجئ تشال.

أوضح تشال: "من الناحية القانونية، يجب عليهم الرد على كل من يقدم التماسًا".

قالت إلينا: "نعم، لكنهم لا يردون على بعض مقدمي الالتماسات لسنوات".

- ربما أصبح ليف شخصية عامة كبيرة جدًّا، بحيث لا يمكنهم تحمل مسؤولية تأخير الرد عليه.

إن فكرة أن يصبح شخصية عامة كبيرة -رغم حجمه الضئيل- أشعرت ليف بالإطراء، وبعدم الارتياح في الوقت نفسه.

رافقه تشال وإلينا، رغم أن ليف فضَّل الذهاب بمفرده. قال تشال في أثناء توجههم بالسيارة إلى ساحة المجلس: "لا ينبغي لأحد أن يواجه المجلس من دون محامٍ وطبيب (ثم ابتسم إلى ليف بخبث، مضيفًا) إلى جانب ذلك، فإن إزعاج المجلس القبلي جزء من الوصف الوظيفي الأساسي لي".

قالت إلينا، متظاهرة بالانزعاج: "نعم، وقد منعك ذلك من تولي منصب المدعي العام للقبيلة".

قال تشال: "أشكر الرب! أُفضِّل تمثيل مصالح القبيلة في العالم الخارجي، بدلًا من أن أعلق في التعامل مع شؤونها الداخلية التافهة".

حرك ليف حقيبة الظهر الثقيلة التي يحملها على ساقيه. لم يسأل الزوجان تاشين عما بداخلها. لو سألاه، لأخبرهما، لكنه يعلم أنهما لن يفعلا، إذا لم يخبرهما هو طواعية. ومع ذلك، فهما يعرفان طبيعة التماسه.

قالت له إلينا: "لا داعي لهذا. ما دمت لا تجلب لنا المتاعب، يمكنك البقاء".

وهذه هي المشكلة. لأن المتاعب هي بالضبط ما يقصد ليف جلبه إلى شعب أراباتشي. يجب أن تضطرب عقولهم وأرواحهم مثل عقله وروحه.

***

تتكون غرفة مجلس قبيلة أراباتشي من مقاعد حول طاولة ضخمة على شكل كعكة محلاة مصنوعة من خشب البلوط الجميل المزروع في المحمية. على الحافة الخارجية للطاولة، جلس الزعيم والعديد من ممثلي العشائر الرئيسية للقبيلة والمسؤولين القبليين المنتخبين. يجتمعون مرتين أسبوعيًّا في منتدى عام لسماع اقتراحات وشكاوى والتماسات الناس.

صُمِّم المكان الدائري ليعكس التقاليد، لكن في وقت ما، تقرر أن يقف الملتمسون في المنتصف داخل فراغ الكعكة التي يبلغ طولها عشرة أقدام، مما جعل الأمر مخيفًا، لأنه في وجود أعين مسلطة عليك من كل اتجاه، يبدأ المرء يشعر وكأنه نملة تحت عدسة مكبرة.

وفقًا لتشال وإلينا، عَلِم أعضاء مجلس القبيلة بشكل غير رسمي بوجود ليف في المحمية قبل وقت طويل من مغادرته للقبض على خاطفي ويل، وقد اختاروا بشكل غير رسمي أن يتظاهروا بعدم العلم. ومع ذلك، على طاولة مجلس القبيلة، لا توجد وسيلة لغض النظر. اليوم يضع ليف نفسه تحت العدسة المكبرة.

قالت له إلينا فيما يدخلون قاعة مجلس القبيلة: "لا يمكنني القول إن هذا حكيم، لكننا سنقف معك لأن ما تفعله نبيل". ومع ذلك، لم يتمكنا من الوقوف معه. يجب على كل ملتمس أن يعرض قضيته بمفرده. عندما جاء دوره، ترك ليف إلينا وتشال ليشاهدا من أعلى، وسار بمفرده عبر فجوة صغيرة في الطاولة الشبيهة بحرف الـ«O»، ليقف في مركز الدائرة.

وفي أثناء اتجاهه إلى مركز الدائرة، اتخذ الأعضاء الأكبر سنًّا في المجلس وضعية مختلفة، مطلقين صيحات استنكار، فيما بدا الفضول فحسب على الآخرين، وسخر بعضهم من احتمال أن يستمتعوا بالشرر الذي سيتطاير بالتأكيد. بدا واضحًا أنهم جميعًا تعرفوا عليه ويعرفون

من هو. وسبقته سمعته، لتُحلِّق أمامه كما فعل مرشده الحيواني الروحي فوق مظلة الغابة.

ورغم أن منصب زعيم قبيلة أراباتشي ليس سوى منصب رمزي هذه الأيام، فهو صوت المجلس، وقد أتقن دجي كواناه، الزعيم الحاكم، ممارسة السلطة الخيالية. كما تبنى دوره التقليدي. فقد اختيرت ملابسه بعناية لتذكرنا بالزيِّ القبلي القديم. وانقسم شعره إلى ضفيرتين رماديتين طويلتين تنسدلان على جانبي وجهه، وتحيطان بفك مربع. لو أن ثقافة أراباتشي الحديثة عبارة عن زواج بين القديم والجديد، فإن الزعيم كواناه هو الزوج الذي يمثل القديم.

ورغم وجود الدائرة، حذر تشال ليف، وأخبره أن عليه دائمًا مخاطبة الزعيم. قال: "قد لا يتمتع بالسلطة الحقيقية للمسؤولين المنتخبين، لكن الأمور لا تسير بسلاسة أبدًا إذا لم تقدم له الاحترام المستحق".

ظل ليف ينظر إلى عيني الزعيم خمس ثوانٍ كاملة، منتظرًا أن يبدأ الإجراءات.

قال الزعيم كواناه: "أولًا، دعني أهنئك على دورك في تقديم قراصنة الأعضاء إلى العدالة". وبعد أن أنهى الإجراءات الرسمية، قال وقد بدا منزعجًا فعلًا: "والآن، حدد هدفك من القدوم إلى هنا".

- إذا لم يمانع المجلس، فلدي التماس.

سلم ليف صفحة واحدة للزعيم، ثم أعطى نسخًا للآخرين المجتمعين. بدا أخرق ومُحرجًا بعض الشيء، وواجه صعوبة في اجتياز عملية تقديم الالتماس المخيف. يوجد ثمانية عشر مقعدًا إجمالًا حول الطاولة، رغم أن عشرة أشخاص فقط حاضرون اليوم.

ارتدى الزعيم نظارة القراءة، وألقى نظرة على الالتماس، ثم سأل: "من هو ماهبي كينكاج؟". علِمَ أن له مغزى بلاغيًا، لكنه أراد ليف أن يخبره به.

- إنه الاسم الذي أُطلِق عليَّ باعتباري هاربًا آوته قبيلة أراباتشي. الكينكاج هو مرشدي الروحي من الحيوانات.

ترك الزعيم الالتماس، بعد أن قرأه بسرعة، وقال: "لم أسمع به من قبل".

- وأنا أيضًا، إلى أن وجدني.

قال الزعيم: "اسمك ليفي، هذا ما سنخاطبك به".

لم يجادل ليف، رغم أن والديه فقط هما من دعواه ليفي. والآن لا يدعوه والداه شيئًا.

ازدرد لعابه، قائلًا: "التماسي هو...".

لكن الزعيم لم يتركه ينهي عبارته، فقاطعه قائلًا: "التماسك أحمق، وإهدار لوقتنا. لدينا عمل مهم هنا". قال ليف من دون تفكير: "مثل ماذا؟ التماس لتسمية صنابير إطفاء الحرائق، وشكوى من الضوضاء حول بار كاريوكي؟ لقد رأيت قائمة "العمل المهم" اليوم".

أثار قوله ضحكة نصف مكتومة من أحد أعضاء المجلس المنتخب، فحدج الزعيم هذا العضو بنظرة غاضبة، لكن بدا عليه القليل من الحرج من بعض الالتماسات الأخرى المدرجة في جدول اليوم.

استغل ليف هذه اللحظة للمُضيِّ قدمًا، آملًا أن يتمكن من الحديث بأقل قدر ممكن من التلعثم. لقد تدرب على ذلك بما يكفي بالتأكيد. قال: "إن أراباتشي أمة معروفة بقوتها، ليس فقط وسط شعب المحظوظين، بل وفي العالم الأوسع أيضًا. اعتمدت سياستكم على غض الطرف عندما يؤوي الناس هاربًا من التفكيك ويتولون رعايته. لكن غض الطرف لم

يعد يكفي. يحث هذا الالتماس القبيلة على قبول الصبية الذين يحاولون الهروب من التفكيك علنًا، ورسميًّا".

سألته امرأة تجلس إلى يمينه: "وما الهدف؟ إذا فتحنا بواباتنا رسميًّا للهاربين من التفكيك، سنغرق. سيصبح كابوسًا!".

التفت، ليرى عضوة في المجلس في سن إلينا، لكن القلق رسم المزيد من خطوطه على جبهتها.

قال ليف، وقد أسعدته هذه المداخلة غير المقصودة: "لا، هذا هو الكابوس"، ثم مد يده إلى حقيبته وأخرج منها مجموعات من المطبوعات المجلدة، رزمًا ورزمًا من الورق بثقل دفاتر الهاتف. وسرعان ما وزعها على الزعيم كواناه وأعضاء المجلس من حوله، قائلًا: "أسماء من فُكِّكوا تعتبر سجلات عامة، لذا تمكنت من الوصول إليها. في هذه الصفحات أسماء كل من خضعوا إلى "تقسيم موجز" منذ توقيع اتفاقية التفكيك. لا يمكنكم أن تنظروا إلى كل هذه الأسماء، دون أن تشعروا بشيء".

قال أحد الأعضاء الأكبر سنًّا، مشيرًا بإصبع ملتوية: "لم نوقع على اتفاقية التفكيك، ولن نوقعها أبدًا. ضمائرنا تشعر بالراحة، وهذا أكثر مما أستطيع قوله لك.. لقد قبلناك منذ عامين، ثم ماذا فعلت؟ أصبحت مصفقًا!".

ذكَّره ليف: "لم يحدث هذا إلا بعد أن طردني هذا المجلس!".

هذا القول جعل الجميع يتوقفون للتفكير. تصفح بعض أعضاء المجلس قوائم الأسماء، ملوحين بأيديهم حزنًا أمام الحجمِ الهائل من الأسماء. والبعض الآخر لم ينظر حتى.

ومن حسن حظه، استغرق الزعيم بعض الوقت في تصفح الأسماء، قبل أن يقول: "مأساة التفكيك خارجة عن سيطرة هذا المجلس. وعلاقاتنا مع واشنطن متوترة بالفعل، أليس كذلك يا تشال؟".

نظر الزعيم إلى حيث يجلس تشال، الذي وقف ليجيب: "متوترة، وليست مقطوعة".

- لماذا إذن نضيف المزيد من التوتر بتحدي سلطة الأحداث؟

ثم قال أحد أعضاء المجلس من خلف ليف: "لو فعلنا ذلك، فقد تتَّبعنا قبائل أخرى".

قال الزعيم بحسم لا يدع مجالًا للجدل: "وقد لا يفعلون".

قال ليف للمجلس: "يوجد الكثيرون يعارضون التفكيك".

لم يعد يخاطب الزعيم فقط كما أُمِر، بل دار ببطء، وحرص على التواصل البصري مع كل عضو في المجلس من حوله، وأضاف: "لكن الكثيرين لن يتحدثوا لأنهم يخشون ذلك. يحتاجون إلى ما يتجمعون خلفه. إذا اتخذت أراباتشي موقفًا ضد التفكيك، من خلال توفير ملاذ رسمي للهاربين، فستندهشون من الأصدقاء الذين سيظهرون".

صرخ عضو من كبار السن، غاضبًا لدرجة تناثر اللعاب من فمه في أثناء حديثه: "إننا لا نبحث عن أصدقاء. بعد أجيال من الإساءة، كل ما نريده هو تركنا وشأننا!".

صاح الزعيم كواناه: "كفى! سنطرح الأمر للتصويت وننهي هذا الأمر إلى الأبد".

علِمَ ليف أن الوقت ما زال مبكرًا جدًّا للتصويت، فصرخ: "لا!".

لكن الزعيم، الذي أهانه عدم الاحترام الذي صبغ الجلسة، مال إلى الأمام ونظر إلى عينيه مباشرةً، قائلًا: "سنطرح الأمر للتصويت، وعليك الالتزام بالنتيجة يا فتى. أفهمت؟".

خفض ليف عينيه في تواضع، ليمنح الزعيم الاحترام اللائق به، وأجابه: "نعم يا سيدي".

رفع الزعيم صوته، قائلًا بلهجة آمرة: "الموافق على تبني التماس فتح المحمية علنًا ورسميًا لجميع المفككين الذين يسعون إلى اللجوء، يتفضَّل برفع يده".

ارتفعت ثلاث أيادٍ، ثم الرابعة: "أكُل الباقين معارضون؟".

ارتفعت ثماني أيادٍ معارضة. وهكذا، ضاع أمل الهاربين من التفكيك على يد شعب أراباتشي.

قال الزعيم: "التماس مرفوض. ومع ذلك، وفي ضوء الظروف المخففة، أقترح أن نقبل رسميًّا وعلنًا ليفي جيداديا كالدر جاريتي ابنًا كامل الأهلية لأمة أراباتشي".

- ليس هذا ما طلبته يا سيدي.

- لكنه ما حصلت عليه، لذا كن شاكرًا.

قُبِلَ انضمام ليف إلى القبيلة بالإجماع، ثم أصدر الزعيم كوانا تعليماته لأعضاء المجلس بإعادة دفاتر أسماء المفككين إلى ليف.

قال ليف: "لا، احتفظوا بها. عندما يسقط قانون «كاب-17»، وعندما تبدأ هيئة الأحداث في تفكيك الصبية دون إذن والديهم، يمكنكم إضافة الأسماء الجديدة يدويًّا".

قال الزعيم، مصرًّا على أن يصبح صاحب الكلمة الأخيرة: "لن نفعل شيئًا من هذا القبيل، لأن هذه الأشياء لن تحدث أبدًا".

ثم استدعى مقدم الالتماس التالي.

***

جدران غرفة ليف غير مزخرفة. الأثاث جيد، لكنه بسيط. ظلت غرفة النوم كما وجدها عندما جاء إلى منزل تاشين لأول مرة، وبقيت كما هي عندما عاد منذ ستة أسابيع. وهو يعرف الآن لماذا يشعر بأنه في

بيته هنا: إن روحه تشبه إلى حد كبير هذه الجدران المتقشفة. حاول أن يملأ الفراغ برسوم غاضبة على الجدران، لكنها لم تثبُت وعادت الجدران نظيفة. لقد قَبِلَ أن يصبح فتى مقدسًا لامعًا للأعشار في «قصر كافينو»، لكن تلك الصورة الطباشيرية مُحِيَت. حاول أن يجعل من نفسه بطلًا بإنقاذ حياة كونر، لكن حتى بعد أن نجح، لم يشعر بأي مجد، ولا إحساس بالاكتمال المشرف. وهو يلعن والديه لتربيته كعُشر، لأنه بغض النظر عن كيفية فراره من هذا المصير، سيبقى مطبوعًا بعمق في نفسه، حتى إنه لن يتحرر منه أبدًا. لن يشعر أبدًا بالاكتمال، لأنه سيوجد دائمًا ذلك الجزء غير المرغوب فيه وغير المتفهم من نفسه الذي لا يمكن أن يكتمل إلا بوفاته. الأسوأ بكثير من تبرؤ والديه منه، كان تربيته للإحساس بالرضا فحسب عند نفي وجوده.

في مساء اليوم الذي فشل فيه ليف في تغيير العالم في المجلس، جاءت إلينا إلى غرفته. نادرًا ما تفعل، لأنها امرأة تحترم الخصوصية والعزلة التأملية. وجدته مستلقيًا على بطنه فوق سريره المرتب بإحكام، ووسادته على الأرض لأنه لم يهتم بما يكفي لالتقاطها.

سألته: "هل أنت بخير؟ لقد تناولت القليل جدًّا على العشاء".

قال لها: "أريد أن أنام فحسب الليلة.. سأتناول الطعام غدًا".

لم تغادر، وجلست على كرسي المكتب. التقطت الوسادة ووضعتها على السرير، فاستدار لمواجهة الحائط، آملًا رحيلها، لكنها لم تفعل.

ذكَّرته إلينا: "يوجد أربعة من أعضاء المجلس صوتوا لصالح التماسك. بالنظر إلى مقاومة المجلس لاتخاذ موقف بشأن التفكيك، فإن الحصول على صوت واحد يعتبر مفاجأة. قد لا تدرك ذلك، لكن أربعة أصوات تعد انقلابًا حقيقيًّا!".

- هذا لا يغير شيئًا. لقد رفضوا الالتماس، وانتهى الأمر.

تنهدت إلينا، وقالت له: "إنك لم تبلغ الخامسة عشرة بعد يا ليف، وكنت على بعد ثلاثة أصوات من تغيير سياسة القبيلة. هذا مهم بالتأكيد".

هنا، استدار لينظر إليها، قائلًا: "أحذية الخيول والقنابل اليدوية".

وعندما رأى تعبيرها المرتبك، أضاف ليشرح لها: "إنه شيء اعتاد القس دان أن يقوله. إنهما الحالتان الوحيدتان اللتان يصبح فيهما الاقتراب مهمًّا".

ضحكت بصوت مرتفع دلالة على فهمها، وأدار ليف لها ظهره مرة أخرى.

- ربما يمكنك الخروج في الصباح مع بيفان، ليعلمك الصيد. أو يمكنك مساعدة أونا في المتجر. إذا طلبت ذلك، فأنا واثقة أنها ستسمح لك بالعمل معها لصنع آلاتها الموسيقية.

- أهذه إذن كل الخيارات المتاحة أمامي الآن؟ الذهاب للصيد، أو التدريب لدى صانعة آلات موسيقية؟

هنا، اكتسب صوت إلينا نبرة حملت بعض البرود والتوبيخ: "لقد أتيتَ إلى هنا لأنك تتوق إلى أسلوب حياة أبسط وأكثر أمنًا. أتستاء منا الآن لأننا منحناك إياه؟".

- لست مستاءً من أحد... أشعر فحسب... لا أعرف... بعدم الرضا.

قالت له ببعض التراجع الحزين: "إنها طبيعة الجنس البشري. يجب أن تتعلم الاستمتاع بالجوع أكثر من الاستمتاع بالوليمة، حتى لا تصبح شَرِهًا".

تأوه ليف، دون أن يمتلك القوة أو حتى الرغبة في تحليل حدة استعارة أخرى من استعارات إلينا الموجزة عن شعب أراباتشي.

أضافت إلينا: "الرجل العظيم يعرف ما يجب عمله، ليس فقط عندما يُستدعى لأداء المهمات الكبرى، بل أيضًا عندما لا يستدعيه أحد لأي عمل. أي أن الرجل العظيم يعرف حقًّا كيف يتقبل ويحتضن الحياة العادية، تمامًا كما يعرف كيف يتقبل نداء الواجب".

- تعنين أنني لن أُصبح عظيمًا أبدًا، أليس كذلك؟

- من يستمع إليك، يجدك تتصرف كرجل، لكنك تتجهم كطفل.

إنه توبيخ، لكنها عبَّرت عنه بحرارة جعلت ليف يُقدِّره ويراه محرجًا في الوقت نفسه.

قال لها بحزن لن يفهمه أحد غيره حقًّا: "لم أعش طفولتي قط. كنت عُشرًا، ومصفقًا، وهاربًا، لكن ليس طفلًا قط".

- إذن عش طفولتك الآن، لأنك تستحق ذلك. عش طفولتك، ولو ليلة واحدة فقط.

آخر من اقترح مثل هذا الاقتراح هو القس دان، في الليلة التي سبقت مقتله في انفجار استهدف ليف[1].

مضت لحظة من الصمت بينهما. ورغم عدم ارتياح إلينا للصمت، لم تُبدِ ذلك. ثم بدأت تُدلِّك ظهر ليف برفق وتغني له بلغة أراباتشي بصوت عذب، لكن ليس متناغمًا تمامًا. لقد تعلم ليف ما يكفي من اللغة ليعرف ما تتحدث عنه الأغنية. إنها تهويدة، ربما غنتها لويل في طفولته المبكرة. تتحدث عن القمر والجبل. كيف يندفع الجبل بعيدًا عن الأرض، ويصل إلى السماء في محاولة عبثية للاستيلاء على القمر، لكن القمر المشاغب يستمر في الانزلاق خلف قمة الجبل للاختباء، ويظل بعيد المنال إلى الأبد.

---

(1) - راجع «منقوص»، الجزء الثاني من دستوبيا التفكيك. «المترجم».

فكر ليف في التحدي الذي يواجهه مرشده الروحي الحيواني لإنزال القمر، وتساءل هل تدرك إلينا حتى ما تغنيه. إنها ليست تهويدة، بل رثاء.

عندما أنهت غناءها، وجدت عيني ليف مغلقتين، وتنفسه بطيئًا. غادرت إلينا، ربما ظننت أنه نائم، لكنه ليس كذلك. لن ينعم ليف بنوم هانئ الليلة، إذا نام على الإطلاق. وبقدر ما اعتقد أنه يريد ذلك، فهو محصن ضد الحياة الطبيعية ومدمن على حياة الخطر. يجب أن يحدث فرقًا هناك. يجب أن يُرضي جوعَه، ويدفع نفسه إلى مكان الوليمة.

رفض المجلس التماسه على الفور. ربما تكون الالتماسات نهجًا أليفًا للغاية. ربما يحتاج ليف إلى طريقة أكثر تطرفًا. لقد رأى التطرف، وعاشه. إنه يعرف كيف يلعب بالنار. ربما يمكنه هذه المرة استخدام ما يعرفه لخدمة غاياته الخاصة، وليس غايات آخرين.

لم يبح بأي من هذه الأفكار إلى إلينا، أو أونا، أو أي شخص آخر في المحمية، بل بدأ يخطط في صمت ووحدة.

اليوم فشل في تغيير العالم. أما بالنسبة إلى الغد، فمن يدري؟

***

24 - كام

إن الأمن في مجمع مولوكاي صارم للغاية وعلى أحدث طراز. لا أحد يدخل المجمع لو أنه لا ينتمي إليه. والأسوار الخارجية مكهربة ومشحونة بالمهدئات، فيما تتميز البوابات بأجهزة مسح يمكنها شمُّكَ وفك شفرة حمضك النووي بسهولة معرفة نوع مزيل العرق الذي تستخدمه نفسها. أفضل أنظمة الأمان متاحة لمنشأة الأبحاث البيولوجية التابعة للمواطنة الاستباقية. لكن من المؤسف أن جميع أنظمة الأمن معيبة ومحدودة بسبب غطرسة من صممها. وفي هذه الحالة، تعجرف المصممون بما يكفي ليعتقدوا أنهم بحاجة فقط إلى تأمين المكان من الأشخاص القادمين من الخارج. دون أن يطرأ على ذهنهم ثعلب موجود بالفعل داخل السياج.

بعد تعديله وإعادة تحفيزه بشكل فعال، أصبح كامو كومبري خاليًا من أي خلل عمليًّا. صحيح أنه ربما ما زالت توجد بعض المشكلات، لكن في غضون أيام قليلة سيصبح كامو مشكلة تخص الجيش الأمريكي، وستذهب أموره الشائكة معه. لم يشتر الجنرال بوديكر جسده فحسب، بل اشترى شعوره أيضًا. ليس فقط حضوره، بل ومشكلاته، أيًّا كانت.

يذهب كام للركض يوميًّا على الأراضي الشاسعة للمجمع، حيث ما زال قصب السكر والقلقاس ينموان حتى حافة المنحدرات المطلة على البحر. ما زال كل هذا يُحصَد ويباع، حيث تدور مبادرة المواطنة

الاستباقية حول توظيف السكان المحليين ودفع أجور أعلى من المعتاد لهم لتلبية حاجة مسؤولي المنظمة إلى الإحساس بأنهم "يفكرون في المستقبل من أجل الإنسانية". يبدو أن روبرتا، وكل من هم جزء من مبادرة المواطنة الاستباقية، يؤمنون بالعمل الجيد الذي يؤدونه. كما يؤمنون بالثراء الفاحش في أثناء تأديته.

لا يركض كام بمفرده. لا يُسمح له بذلك. ينضم إليه دائمًا أحد الحرس، تحديدًا من البوف. الصحبة تكفل الأمان. إنهما يقطعان المسار الطويل الممتد على حافة الحقول التي تنمو على مدار العام، التي تُحصَد ثمارها على فترات متداخلة. بعض البقع مقطوعة الأشجار، والبعض الآخر ما زال أخضر. وبينما ينتقلان من منطقة مقطوعة الأشجار إلى أخرى بها قصب طويل، اندفع كام فجأة في سباق سريع، ففاجأ شريكه في الركض. انعطف عن المسار يسارًا، وبمجرد خروجه من نطاق رؤية الحارس، استدار كام في حدة، واختفى داخل حقل القصب.

سمع الحارس يصرخ: "سيد كومبري!".

إن الجميع هنا يدعونه بلقب "السيد". واصل كام السير، وهو يعرف بالضبط إلى أين يتجه، محاولًا منع نفسه من إسقاط أعواد القصب وخلق مسار واضح. ضربت الأوراق الصلبة وجهه وهو يركض بسرعة، وآلمته، لكنه لم يهتم. تساءل للحظة هل أخطأ في التقدير، وهل سيخرج من الحقل إلى مدخل غير متوقع للمحيط، حيث يطير من حافة جرف إلى حتفه.

- سيد كومبري.

لا شك في أن رفيقه في الركض يتحدث الآن في سماعة أذنه، وينشر خبر هروبه.

وصل إلى مسار آخر أوسع، لكنه عبره إلى غابة كثيفة من الخيزران تنمو أعلى بكثير من القصب. الخيزران كثيف ويصعب دفعه والمرور

من خلاله. إنه موجود هناك لسبب واحد، إنشاء واجهة جمالية بيئية للمنشأة خلفه. بعبارة أخرى، لإخفائها. لا يظهر المكان على الخرائط. ولا يظهر حتى في صور الأقمار الصناعية، على الأقل ليس في تلك المتاحة للجمهور. يبدو من الخارج وكأنه مجرد مستودع، كما يحدث في استوديوهات الأفلام: مبنى مجوف كبير يمكن إعادة تصميمه من الداخل ليصبح أي شيء مطلوب في كل مرة.

لا أحد يمكنه الجزم بما تلاعب به رجال منظمة المواطنة الاستباقية هنا. ربما في هذا المكان بدؤوا عملية انقراض نبات الصبار العظيم من خلال الهندسة الوراثية للآفة المدمرة لهذا النبات، لكنهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد شراء كميات هائلة من «التكيلا»[1] التي تباع الآن الزجاجة الواحدة منها بآلاف الدولارات. أو ربما في هذا المكان زرعوا وجوهًا جديدة للناس في برنامج نقل الشهود، وهو عقد حكومي مربح استمر لمدة ثماني سنوات حتى خُفضت ميزانية البرنامج، الأمر الذي جعله غير مجدٍ. أو ربما أجروا هنا كل هذا البحث المكثف الذي أدى إلى اكتشاف علاج ضمور العضلات. وفي حين أن هذا الأمر الثالث روَّجت له منظمة المواطنة الاستباقية على نطاق واسع، فقد وجد كام الأمرين الأول والثاني بشكل غير متوقع في أثناء اختراق نظام كمبيوتر المنظمة. ومن نقطة مراقبة كام عند السياج، رأى ثلاث شاحنات تابعة لشركة «فيدكس» عند المدخل الأمامي. عمال يفرغون البضائع. وأحد السائقين يرتدي زيًّا مألوفًا -قميصًا أرجوانيًّا وسروالًا قصيرًا أسود- سلم دفترًا إلى روبرتا، التي وقَّعت بالاستلام. فكر كام أن من الغريب أن المواطنة الاستباقية لا تستخدم شاحناتها لنقل وتوصيل هذه الشحنة من المطار، لكن ربما

(1) [1] - التكيلا: مشروب كحولي يُصنع من إحدى فصائل نبات الصبار التي تنمو في المكسيك، وتركيز الكحول بها بين 35-55 بالمئة. «المترجم».

يكون الرئيس التنفيذي لشركة «فيدكس» أحد أعضاء مجلس إدارة المواطنة الاستباقية، لأن الواقع يقول إنها المنظمة الخيرية المفضلة للشركات الأمريكية.

كلما فكر كام في الأمر، أدرك صحته. ما هذا الإبداع! لماذا تذهب إلى الجبل عندما يمكنك استخدام البنية التحتية الموجودة لنقل الجبل إليك، قطعة قطعة؟

غادر كام مكمنه، بعد أن رأى ما احتاج إلى رؤيته. اتجه عائدًا من خلال نباتات الخيزران، واتخذ طريقًا مختلفًا، ثم قطع حقل القصب والقلقاس، عائدًا إلى مسار الركض مرة أخرى، وأكمل عدوه عائدًا إلى المنزل.

هناك، وجد أحد الحرس يقف عابسًا، وقال في سماعة الأذن عندما رآه: "لقد وجدته"، ثم سأل كام: "أين ذهبت؟".

مسح كام بعض الدماء من أحد الخدوش الصغيرة العديدة على وجهه، وأجابه: "اختصرت الطريق من خلال حقل قصب السكر، لكنها فكرة سيئة، لأن المزروعات أصابتني بجروح مؤلمة".

- أسدِ لنا جميعًا معروفًا، والتزم بالمسار المحدد في المرة القادمة. إننا نتعرض للتوبيخ في كل مرة لا تلتزم فيها بالمسار.

- يجب أن نضفي بعض الإثارة على الحياة.

- لا بأس بالملل.

فيما صعد للاستحمام، فكر كام فيما رآه. من الصعب تحديد نوع البضائع التي حملتها الشاحنات، لولا حقيقة واحدة. حاويات شحن «فيدكس» عبارة عن مُبَرِّدات، مثالية لنقل لأعضاء الحية، رغم أنها لا تُستخدم عادةً لذلك. لكن في النهاية، تعرف المواطنة الاستباقية كيفية العمل في صمت دون إثارة الريبة. تحلق طائرة «فيدكس» داخل وخارج مولوكاي يوميًّا. تساءل كام عن عدد الأجزاء التي تتدفق إلى هذا المجمع

يوميًّا. في ظل هذه الأجزاء البشرية العديدة التي تدخل، إنها مسألة وقت فقط قبل أن تبدأ أشياء ناتجة في الخروج...

لم تعد روبرتا تثق بكام كما اعتادت في السابق، لكنها مثل مصممي نظام الأمان، تثق بنفسها وقدراتها التي لا تُهزَم. وهنا تكمن مشكلة بناء شخص أذكى منك، لأنه حتى مع في وجود "دودة" النانو التي توجِّه ذاكرته انتقائيًّا، لا يواجه كام أي مشكلة في تقليد التوقيع الرقمي الهولوجرافي الخاص ببطاقتها الأمنية. هذا سهل. الجزء الصعب هو إيجاد طريقة لإقناع كمبيوتر نظام الأمن بأن روبرتا موجودة في مكانين في وقت واحد، لأن إدخال توقيع الهوية من موقعين منفصلين من المؤكد أنه سيطلق إنذارًا. في النهاية، اتبع أسلوبًا مختلفًا، وأقنع الخادم بأن اليوم هو في الواقع، أمس. ولأن أحدًا لم يخبر الكمبيوتر بأنه لا يوجد شيء مثل السفر عبر الزمن، فإنه لم يرَ شيئًا غير عادي عندما كرر التاريخ نفسه في مكان مختلف.

بعد أن استخدم كام بطاقة روبرتا الأمنية المستنسخة، فُتِح الباب الخلفي للمنشأة السرية -المصنع المخفي داخل الخيزران- في طاعة مثل كهف علي بابا عندما نُطِقَت كلمة السر الصحيحة "افتح يا سمسم". لم يعرف كام هل يساعده أو يعيقه معرفة سبب ما يفعله. كل ما يعرفه -دون أدنى شك- أن الفتاة التي يحفزه حبها تستحق ذلك. حقيقة أنه لم يعد يعرف من هي غير ذات صلة: إن ذاته قبل تعديلها تعرف، وهو يثق في تلك الذات أكثر مما يثق بنفسه الآن.

في الخامسة والنصف صباحًا، يوجد الكثير من الحرس، لكنهم بعيدون كل البعد عن الهدوء، ويمكنه الاختباء طويلًا قبل مرورهم في دورياتهم الروتينية. يوجد أيضًا الكثير من كاميرات المراقبة، لكنه ضبط شاشات المراقبة فعلًا، لتعرض لقطات فيديو صغيرة مطمئنة للممرات الصغيرة الهادئة. يمكنه استكشاف المكان كما يحلو له.

باستخدام بطاقة روبرتا الأمنية المزورة، يحصل على حق الوصول إلى عدة غرف. إنها جميعًا متشابهة. أجنحة طويلة تصطف فيها أسرة فارغة، ربما خمسون سريرًا في كل منها. وفي الغرفة الرابعة التي زارها، وجد ضالته.

في هذه الغرفة، وجد الأَسِرَّة مشغولة. راوده شك فيما قد يراه، لكن التخيل والرؤية الحقيقية أمران مختلفان.

في كل سرير وجد صبيًّا مُجمَّعًا، مثله، ومع ذلك ليس مثله. ما زال بعضهم تلفه الضمادات، لكن آخرين -الذين تماثلوا للشفاء في وقت سابق- أُزيلت ضماداتهم، فتمكن من رؤية وجوههم ومعظم أجسادهم. لا يحمل هؤلاء المُجمَّعون أيًّا من الرشاقة الجمالية التي يتمتع بها كام. إنهم قذرون وقبيحون، وكأنما جمَّعهم يدويًّا عامل بسيط، أو -ما هو أسوأ- خط تجميع. لا يوجد أي اعتبار للتناظر، أو لتوازن لون البشرة. مواضع الالتحام تتخذ زوايا غريبة خلال جسد كل منهم، والندوب أسوأ كثيرًا من أي ندوب أصيب بها كام على الإطلاق. وبينما عُولِجَت ندوبه لتختفي بمرور الوقت، فإنه يشك أن ندوبهم لن تحظى بمثل هذا العلاج.

لم يستيقظ أحدهم بعد. إنهم جميعًا في حالة ما قبل الوعي، نوع من النضج التكاملي. شك أنهم سيظلون في غيبوبة لفترة أطول بكثير منه، حتى تلتئم أجزاؤهم العديدة ويتحولون إلى كائنات حية. هذا المبنى هو الرحم الذي يشهد اكتمال تكوينهم، وأدرك كام أنه هو أيضًا لا بد قد بدأ من هنا. بينما يسير في الممر، وينظر عن يساره ويمينه إلى هذه الكائنات في مرحلة ما قبل الوعي، وجد صعوبة في التقاط أنفاسه، وكأن الأكسجين قد امتُصَّ من الغرفة.

يوجد شيء واحد مشترك بينهم جميعًا بخلاف العشوائية. كل منهم يحمل علامة على كاحله الأيمن. في البداية ظن أنها وشم، لكن عندما نظر من كثب، وجدها في الواقع محروقة على الجلد. إنها علامات

تجارية تقول إن هؤلاء المُجَمَّعين مملوكون للجيش الأمريكي، متبوعة برقم تسلسلي. المُجَمَّع الذي فحصه كام يحمل رقم 00042. يشير وجود ثلاثة أصفار إلى أن عددهم سيصل في النهاية إلى عشرات الآلاف.

فكر كام: *أنا الفكرة، لكنهم الواقع*. وأخيرًا، رأى موقعه من كل هذا. سيصبح الوجه الذي يراه العالم. الوجه الذي يشعرون بالراحة إزاءه. الصورة العامة للمُجَمَّع العسكري. سيصبح ضابطًا، يحظى بالثناء والتكريم، وبصفته كذلك، لن يفتح الباب فحسب، بل سيمهد الطريق أيضًا لجيش من المُجَمَّعين. ربما يبدأ صغيرًا.

قوة خاصة تُستَدعى لمناورة رئيسية في مكان ما من العالم، لأنه توجد دائمًا مصالح أمريكية يجب حمايتها في مكان ما، وتمرد عنيف يجب التعامل معه. ستكتب العناوين الرئيسية "المُجَمَّعون ينقذون الموقف". وكما شعر الناس بالرضا والارتياح إزاء التفكيك، سيشعرون بالمثل إزاء التجميع. سيقول الناس: "يا له من أمر رائع، أن الأجزاء غير المرغوب فيها من البشرية يمكن إصلاحها وإعادة استخدامها لخدمة الصالح العام". تمامًا كما يحدث عند طحن أجزاء لحم الخنزير غير المرغوب فيها وضغطها وإعادة تشكيلها في هيئة لانشون لذيذ. شعر كام بغثيان واضطراب في معدته، لكنه وجد أنه لا يملك الحق، لأنه الآن -أكثر من أي وقت مضى- شعر حقًّا أن معدته ليست ملكه.

- كام؟

استدار ليرى روبرتا تقف عند المدخل. هذا جيد.. سعِدَ لأنها هنا.

- لم تكن بحاجة إلى التسلل إلى هنا. لو طلبتَ، لأريتك إياهم.

إنها تكذب طبعًا؛ لقد أخبرته فعلًا أن عملها سري للغاية. حثته غريزته على توجيه إصبع الاتهام إلى الغطرسة الصارخة فيما فعلته هنا، لكن فضَّل السيطرة على انفعالاته، آملًا ألا ترى المرارة المتراكمة

بداخله، وقال لها بهدوء: "كان بإمكاني أن أسأل، لكني أردت أن أراهم بطريقتي الخاصة".

تأملته من كثب، لذا دفن غضبه واشمئزازه وهي تسأله: "وكيف تشعر إزاء ما رأيته؟".

سمح فقط لكمية مقبولة من التناقض بالظهور على السطح، وأجابها: "عِلمتُ سابقًا أنني لست كل عملك... لكن رؤية الأمر فعليًا...".

- أحزنتك؟

قال: "بل أثارت ذهولي. وربما جعلتني أدرك قليلًا بعض الأمور".

نظر إلى أقرب مُجَمَّع إليه، الذي تحرك قليلًا في سبات ما قبل الوعي، وسألها: "هل إنشاء جيش هو خطتك من البداية؟".

قالت، وقد شعرت ببعض الإهانة من قوله: "بالتأكيد لا! لكن حتى أحلامي يجب أن تفسح المجال للواقع. الجيش هو الذي عبر عن اهتمامه بما يمكننا فعله، الجيش هو الذي استطاع تحمل تكاليف تمويل المشروع. لذا ها نحن أولاء".

هنا، أدرك كام أنه هو الذي جعل كل هذا ممكنًا. هو الذي تقرَّب من الجنرال بوديكر والسيناتور كوب. الجيش لا يحتاج طبعًا إلى مُجَمَّع يمكنه التحدث بتسع لغات، وتلاوة الشعر، والعزف على القيثارة. إنه يحتاج إلى مُجَمَّع يطيع الأوامر. المُجَمَّعون يعتبرون قانونًا "ملكية"، فلا يتلقون أجورًا، وليس لهم حقوق.

اقتربت روبرتا لتنظر إليه مليًّا، وقالت: "يبدو أن رأسك يمتلئ بالأفكار".

أجابها بثبات شديد: "أفكر في مدى عبقرية هذا الإنجاز".

- حقًّا؟

- جنود ليس لهم عائلات يعودون إليها؟ وتبدأ هويتهم بالكامل بخدمتهم العسكرية؟ إنها ضربة عبقرية! وأراهن أنكِ تستطيعين

تعديلهم بالطريقة التي عدَّلتِني بها، كي يشعروا برضا عظيم في أثناء خدمتهم.

تبسمت روبرتا، ولكن في تردد، وقالت: "يروقني أنك قد أدركت الأمر بهذه السرعة".

قال كام: "إنها... رؤية ثاقبة. ربما أصبح يومًا ما الضابط القائد لجميع إخوتي المُجَمَّعين".

- ربما يحدث ذلك.

استدار، وسار بلا مبالاة في اتجاه الباب. سارت روبرتا إلى جواره، وأخذت تراقب ملامحه طوال الوقت، وقالت: "الآن بعد أن عرفت، انس الأمر، وواصل حياتك التي ستصبح حياة مجيدة يا كام. إنهم يحتاجون إلى ذلك. يجب أن يُنظر إليك كأمير بين الفلاحين، والجنرال بوديكر يعرف ذلك. لن ينقصك أي شيء. ستُعامل باحترام. ستعيش سعيدًا".

ابتسم لها، ليعطيها انطباعًا بأنه سعيد فعلًا. أخبرته روبرتا ذات مرة أن عينيه جاءتا من صبي يمكنه أن يذيب قلب فتاة بنظرة واحدة. ربما لم تفكر قط في مدى فاعلية استخدامهما كسلاح ضدها.

قال كام: "لقد بزغ الفجر. لا أعرف جدول مواعيدك، لكنني استيقظت لتناول إفطار مبكر".

- رائع. سأخبر المطبخ عندما نعود إلى القصر.

في أثناء مغادرتهما، استدار كام ليلقي نظرة أخيرة على الغرفة الملأى بالمُجَمَّعين، وفكر: *إنهم إخوتي وأخواتي حقًّا*. وينبغي *لهم ألا يولَدوا أبدًا*.

***

الجزء الرابع

لا بد من مخرج من هذا المسار

العناوين الرئيسية...

«ناشيونال جيوجرافيك»، 4 مايو 2014

استبدال الدماء العجوز بالدماء الشابة يعيد الشباب

http://news.nationalgeographic.com/news/2014140504-/05/

swapping-young-blood-for-old-reverses-aging/

«بي بي سي نيوز» - إسكتلندا، 24 يونيو 2014

أول امرأة في المملكة المتحدة تخضع لعملية زرع يدين

http://www.bbc.com/news/uk-scotland-27999349

«إيه بي سي نيوز»، 25 سبتمبر 2013

أطباء يزرعون أنفًا على جبين رجل

http://abcnews.go.com/blogs/health/201325/09//doctors-grow-nose-on- mans-forehead/

صحيفة «بوسطن جلوب»، 19 مارس 2008

طبيب سابق يعترف بسرقة أجزاء من أجسام بشرية

http://www.boston.com/news/nation/articles/200819/03//ex_doctor_ admits_to_stealing_body_parts/

صحيفة «هافينجتون بوست»، 6 يوليو 2013

قال عالم أعصاب إيطالي إن عمليات زرع الرأس البشري أصبحت ممكنة الآن

http://www.huffingtonpost.com/201306/07//head-transplant-ital-ian-neuroscientist_n_3533391.html

***

25 - ستاركي

في مكان آمن داخل محطة توليد الطاقة المنعزلة، استمتع مايسون مايكل ستاركي في رفاهية بإدمانه الخاص، فهو يعلم أنه مدمن الآن. لقد أصبحت المستقبلات الكيميائية في دماغه منسجمةً مع نشوة القوة، التي تُضَخ في عروقه، وتغذي جسده وروحه كي ينعم بذلك النوع من المجد الذي لم يجرؤ قط على تخيله في الأيام السابقة لتوقيع أمر تفكيكه. عليه أن يشكر والديه بالتبني لتوقيعهما ذلك الأمر، الذي أدار التروس التي حولته إلى شيء أفضل بكثير مما كان عليه. لقد أصبح الفتى المنقول الضال الآن رمزًا جديدًا للحرية لجميع المنقولين.

وبخاصة الآن مع معاناة رمز الحرية القديم أيامًا صعبة.

قال له جارسون ديجروت: "أسمعت؟ إنهم سيرسلون ذراع تمثال الحرية القديم في جولة، كما فعلوا مع الملك توت، وكل هذا الهراء من سفينة تيتانيك. وكأن الناس سيدفعون المال لرؤية ذراع نحاسية قديمة".

قال ستاركي: "سيدفعون، لأن الناس مجانين. يتمسكون بقطع من الماضي كما لو أنها ما زالت ذات قيمة (ثم نظر إلى عيني جارسون، مضيفًا) ماذا تفضل أن تمتلك: قطعًا من الماضي، أم المستقبل بأكمله؟".

قال جارسون: "إنك تعرف إجابتي!".

إنها كما ينبغي أن تأتي إجابة كل عضو في جيش المنقولين. المستقبل -مستقبل ستاركي- يشبه الألعاب النارية التي تشتعل في الرابع من يوليو[1]: مشرق وجريء، صاخب ودراماتيكي، لكنه مميت لمن يقعون في مسار الانفجارات. تخاف منه سلطة الأحداث، ويتحدث عنه العالم، ومع الدعم الغامض من المصفقين، لا يوجد حد للمدى الذي سترتفع إليه ألعابه النارية. صحيح أن الثوار يتعرضون دائمًا للتشهير من قِبَل المجتمعات التي يسعون إلى إسقاطها، لكن التاريخ له منظور مختلف. يسميهم التاريخ مقاتلين من أجل الحرية، والمقاتلون من أجل الحرية تقام لهم تماثيل. قرر ستاركي أن تُصنَع إرادته من معادن أدق بكثير من النحاس.

أرسل المُصفِّقُون فريقًا من المرتزقة للإشراف على تدريب الأسلحة، لأن ترسانة المنقولين أصبحت معقدة ومتنوعة للغاية. فرغم كل شيء، لا ينبغي لصبي في الثالثة عشرة استخدام قاذفة صواريخ محمولة يدويًّا دون تعليمات مناسبة. نسي ستاركي أن التدريب اقتراح بام، ولأنه يريد أن يعرف كيفية استخدام كل الأسلحة، أخذ يتدرب مع مدربه الخاص. لم يرغب في أن يراه المنقولون يتعلم. يجب أن يعتقدوا أنه يعرف هذه الأشياء بالفعل، وأنه أيقونة حرب العصابات في المهارة.

(1) - الرابع من يوليو: في هذا التاريخ عام 1776، وُقِّعَت وثيقة استقلال الولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا العظمى، وهي المناسبة التي تحتفل بها أمريكا حتى اليوم باسم «يوم الاستقلال»، من خلال تنظيم المسيرات وحفلات الشواء والكرنفالات والمعارض والرحلات والحفلات الموسيقية ومباريات البيسبول، إضافة إلى إطلاق الألعاب النارية في الساحات الكبرى. «المترجم».

أما بالنسبة إلى الجميع، فإن كل منقول خُصِّص له سلاح محدد، ويتدرب على هذا السلاح لأربع ساعات يوميًّا.

حتى الآن لم يقع سوى حادث واحد.

قرر ستاركي أن المنقول الماهر يجب أن يحصل على مكافأة، وجارسون ديجروت منقول ماهر. جدير بالثقة، مخلص، يطيع الأوامر دون أسئلة، ويصدر السلوك الصحيح. لهذا، استحق جارسون بعض امتيازات قوة ستاركي. وهكذا، زار ستاركي فتاة تدعى أبيجيل، يعلم أن جارسون مغرم بها سرًّا. واتضح أن أبيجيل هي الفتاة نفسها التي منحت ستاركي تدليكًا رديئًا منذ أسبوعين.

وجدها تغسل الأطباق، وبإشارة واحدة منه، انصرف الجميع عند ضفة أحواض الصناعة.

سألته الفتاة في خجل: "أتريد شيئًا يا سيدي؟".

منحها ستاركي ابتسامته التي لا تخيب، ومدَّ يده المصابة ليربت شعرها، الذي أصبح رطبًا بسبب البخار المتصاعد من ماء غسل الأطباق، كما داعبت يده نفسها ذات القفاز وجنة الفتاة، التي ضغطت على شفتها السفلى كما لو أن لمسة قفازه تؤلمها.. أو ربما ترعبها.

سألته: "هل تؤلمك؟ أعني يدك؟".

أجابها: "عندما أفكر في الأمر فحسب، (ثم تطرق إلى هدفه) لقد حضرت إلى هنا لأتحدث إليك عن منقول آخر".

استرخت بوضوح، وسألته: "أيهم؟".

- جارسون ديجروت. هل يروقك؟

- لا، ليس حقًّا.

- حسنًا، إنه معجب بك.

نظرت إليه، محاولةً معرفة إلى أين يتجه الحديث، وسألته: "هل أخبرك بذلك؟".

- نعم. وذكر أيضًا أنكِ وبَّخْتِه.

هزَّت أبيجيل كتفيها في توتر وعدم ارتياح، كما لو أنها تتخلص من قشعريرة، وقالت: "كما قلتُ لك، أنا لا أحبه حقًّا".

مد ستاركي يده وجفف طبقًا بمنشفة. أخذت أبيجيل هذا كإشارة للبدء في تجفيف الأطباق بدورها، وقال لها ستاركي: "جارسون مقاتل جيد، ومنقول مخلص. إنه يستحق بعض السعادة. لا يستحق أن يُرفَض".

نظرت أبيجيل إلى الطبق الذي بين يديها، وقالت: "أتريدني إذن أن أكذب عليه؟".

قال ستاركي: "لا! أريدك أن تحبيه. إنني معجب به بالتأكيد. إنه رجل محبوب".

ظلت ترفض النظر إليه، وقالت: "لا يمكنني الإحساس بأشياء لا أشعر بها".

أمسك ستاركي كتفها بيده المعافاة، ومزجت قبضته بين لطف وضغط قوي لإقناعها، وقال: "بل يمكنك ذلك".

في وقت لاحق من ذلك اليوم، تبسم جارسون. لم يحتج ستاركي إلى سؤاله عن السبب، لأنه يعلم أن كيوبيد تسلح اليوم بقوس ونشاب من الفولاذ المقاوم للصدأ.

***

وفيما يستمتع جارسون الآن بثمار سهم كيوبيد الفولاذي، وجد ستاركي أن التعدد في حياته العاطفية يمكن أن يصبح غير سار.

صرخت ماكيلا: "لم أتعمَّد إسقاطها، إنه مجرد حادث!".

بادلتها إيمالي الصراخ: "إنها تكذب.. تريدين أن أفقد الطفل! اعترفي بذلك!".

فقالت كيتلين: "اذهبا، مزِّقا بعضكما، سنصبح جميعًا في وضع أفضل".

"حريم" ستاركي الثلاث، كن صديقات يومًا، والآن لا يفعلن شيئًا سوى القتال. ظن أنهن سينظرن إلى بعضهن كأخوات، لكن التوهج الذي بدا أنهن جميعًا يتشاركنه عندما اختارهن لأول مرة، تحول إلى منافسة شرسة. تجنب ستاركي التفكير حتى في كيفية تصرفهن تجاه بعضهن بمجرد ولادة أطفاله الثلاثة. ما زال الأمر بعيدًا جدًّا، ولا يبدو حقيقيًّا بعد، لكن المعارك بين الفتيات حقيقية.

ربما يحدث هذا لأنهن ثلاثة. ربما تؤدي إضافة الرابعة إلى تسوية ديناميكية. من ناحية أخرى، ربما من الأفضل الابتعاد عن ماكايلا وإيمالي وكيتلين تمامًا.

يشعر بالارتياح فحسب عند توقع النتيجة النهائية. الفتيات جميلات؛ سيأتين إليه بأطفال يحملون جمالهن. وبفضل والدهم، سيكبرون في عالم أفضل من العالم الذي وُلِد فيه. وسيحبهم دون قيد أو شرط. إذا استطاع فحسب النجاة من الفتيات اللاتي اختارهن ليصبحن أمهاتهم.

- إنها تعتقد أنها أفضل مني لأنها الأولى، لكن ابني هو البكر، سترى.

- سيأتي مجرد قذر صغير ينوح مثل أمه.

امرأة رابعة. هذا ما قرر ستاركي أنه ضروري.

بعد الهجوم على مخيم الحصاد التالي، سيختار. امرأة حمراء الشعر هذه المرة. لقد صبغ شعره باللون الأحمر لبعض الوقت للهرب من

السلطات، وأحب مظهره هكذا. من الجيد الحصول على طفل بشعر أحمر طبيعي.

طلب "قسم التصفيق" -هكذا يدعو هايدن المنظمة المختفية خلف حركة التصفيق- مقابلة ستاركي. لذا نظم جيفان مؤتمرًا مرئيًّا مشفرًا عبر الإنترنت، رغم أن ستاركي يشتبه في أن المسؤولين عن التصفيق لديهم طبقات ضخمة من التشفير. على الشاشة ظهر الرجل صاحب الشعر الشبيه بالملح والفلفل، لكن ملحه أكثر من فلفله. إنه المسؤول. ما زال ستاركي يرى الأمر غريبًا أن العقل المدبر لحركة التصفيق يبدو راديكاليًّا مثل صحيفة «وول ستريت جورنال». يجب أن يُذكّر نفسه بأن الرجل كان مراهقًا يومًا ما، رغم أن ستاركي لا يستطيع أن يتخيله غريب الأطوار بأي حال من الأحوال.

حقيقة أنه يتواصل معهم مباشرة، بدلًا من سلسلة الوسطاء المعتادة، أقلقت ستاركي. المرة الوحيدة الأخرى التي رأى فيها الرجل حدثت عندما أرسلوا فريقًا لاختطافه في أثناء نومه. اعتقد ستاركي وقتها أن شرطة الأحداث ألقت القبض عليه، لكن رحلتهم الصغيرة بالمروحية لم تكن أكثر من طقوس مغازلة. وخلال هذه الرحلة، عرضت القوة المحركة للمصفقين على جيش المنقولين دعمها الكامل. عندئذ تغيرت اللعبة. رفض الرجل أن يبوح له باسمه في ذلك الوقت، لكن منذ بضعة أسابيع كشف أحد رجال ستاركي أن اسمه داندريتش. أدرك ستاركي أن من الأفضل ألا يكشف معرفته اسم الرجل. أو على الأقل ليس قبل أن يخدم ذلك مصالحه.

- مرحبًا يا مايسون. تسعدني رؤيتك.

- مرحبًا بك.

الرجل قصير القامة مثل ستاركي، ويمارس سلطته بكفاءة مهنية. حتى على شاشة الكمبيوتر الصغيرة بدا مهيبًا ومخيفًا.

قال داندريتش باقتضاب: ”أثق أنك بخير، أليس كذلك؟“.

لماذا يصر من يرتدون الحُلَل الرسمية دائمًا على التحدث باقتضاب قبل الهجوم؟ استعد ستاركي للأخبار السيئة. هل كُشِفَ موقعهم؟ أو الأسوأ من ذلك، هل سيسحب المصفقون دعمهم؟ لا، لماذا يفعلون شيئًا كهذا في الوقت الذي تحقق فيه عمليات تحرير مخيمات الحصاد نجاحًا كبيرًا؟ لقد حرر بجيشه الآلاف، وعاقب المُفكِّكين، وزرع الخوف في قلوب الملايين. لا بد أن كل هذا يسعدهم.

- بلى، أنا بخير. لكني واثق أن هذا الاجتماع لا يتعلق بصحتي. لماذا نتحدث؟

ضحك داندريتش، مستمتعًا، وربما مبهورًا قليلًا بصراحة ستاركي، وقال: ”لقد وردت أنباء تفيد بأنك تفكر في شن هجوم على مخيم حصاد «بينساكولا شورز». وينصحك محللونا بألا تفعل“.

مال ستاركي إلى الوراء وصمت لحظة للسيطرة على انزعاجه. بعد كل ما فعله، لماذا لا يمكنهم ببساطة أن يثقوا بحكمه؟

- هذا ما قلته عن «هورس كريك»، لكنه سقط كبيت من ورق.

لا يفقد داندريتش رباطة جأشه أبدًا. أجابه بثبات: ”نعم، رغم المخاطر، فإنك قد انتصرت. ومع ذلك، فإن «بينساكولا شورز» أمر مختلف. إنه مخيم شديد الحراسة للمتمردين معتادي العنف، وبالتالي، لديه استحكامات أمنية أكثر بكثير. إنك ببساطة لا تملك القوة البشرية للنجاح. إضافة إلى أن ذلك المخيم يقع على شبه جزيرة معزولة، ويمكن أن تُحاصَر بسهولة شديدة، دون أي وسيلة للهرب“.

- لهذا طلبت القوارب.

هنا، أصبح داندريتش غاضبًا بعض الشيء تحت قناعه المتصلب، وقال: "حتى لو تمكنا من توفيرها، فإن أسطولًا يهاجم من خليج المكسيك سيصبح إخفاؤه صعبًا".

قال ستاركي: "بالضبط، وماذا يُعتبر أكثر دراماتيكية من حصار على الطراز القديم؟ كما تعلم، مثل الغزاة! لن يصبح الأمر جديرًا بالذكر فحسب، بل سيصبح ... سيصبح ...".

وجد داندريتش الكلمة المناسبة لإكمال عبارة ستاركي، فقال: "أيقونيًّا".

- نعم! سيصبح أيقونيًّا!

- لكن ما الثمن؟ أؤكد لك أن معركتَي «واترلو» و«ليتل بيجهورن» أيقونيتان، لكن السبب في ذلك فحسب هو الهزيمة الكاملة التي لحقت بنابليون وكاستر، ولذا يتذكر العالم فشلهما.

- لن أفشل.

لكن داندريتش تجاهله، قائلًا: "لقد قررنا أن مخيم الحصاد التالي في حملتك يجب أن يكون «أكاديمية ماوستايل للانقسام»، في وسط تينيسي".

- أتمازحني؟ إن كل مَن في مخيم «ماوستايل» من الأعشار!

- لهذا لن يتوقعوا هجومًا عليه. يمكنك الاستمرار في سياسة إعدام طاقم عمل المخيم، ولن تضيف أي أفواه جديدة لإطعامها، لأنه لا يوجد هناك أي منقولين. دع الأعشار يفعلون ما يحلو لهم حال تحريرهم. يمكنهم البقاء، أو الهرب. في كلتا الحالتين، هذه ليست

مشكلتك. سيمنحك هذا الوقت لمواصلة تدريب صبيتك قبل أن تحصل على المزيد منهم.

- هذه ليست طريقتي في العمل! تخبرني غرائزي أن أهاجم «بينساكولا»، ولا يمكنني معارضتها.

مال داندريتش مقتربًا، فملأ وجهه الشاشة. كاد ستاركي يشعر عمليًّا بيد الرجل تمتد عبر الأثير وتمسك بكتفه بلطف، لكن بضغط كافٍ ليشعر ستاركي بزيادة خفيفة في جاذبية الأرض.

قال داندريتش: "بل يمكنك ذلك".

ثار ستاركي في محطة توليد الطاقة، وصبَّ جام غضبه على أي شخص يعترض طريقه، وأخذ يصرخ في وجه جيفان لأنه لم يتصرف بعدوانية كافية في هجومهم الأخير.

- إنك جندي الآن، ولست مفتونًا بالكمبيوتر، لذا ابدأ التصرف كجندي!

انتقد الصبية الذين يضحكون في أثناء عودتهم من تدريب الأسلحة: "هذه الأشياء ليست ألعابًا، وهذا ليس أمرًا مضحكًا!"، وطلب منهم أن يعطوه عشرينًا، وعندما سألوه: "عشرين ماذا؟" انفجر غاضبًا بشدة، وانزعج للغاية، لدرجة منعته من إخبارهم.

مر هايدن بخطوات واسعة أمامه وهو يهز رأسه، فغضب بشدة من الطريقة غير الرسمية التي يتجول بها، وتذمر من عشاء الأمس، رغم أنه كان جيدًا، وقال لهايدن: "لو أنك مسؤول عن الطعام، فأتقن عملك!".

أما بام، فقد سَعِدَ ستاركي بعدم مصادفتها حتى يهدأ قليلًا، لأنه قد يفعل شيئًا يندم عليه لاحقًا. لقد أصبحت بام عبئًا، لكنه قادر على إيقافها عند حدها. ورغم أن جارسون ديجروت لا يعرف ذلك بعد،

فإن المكافأة على ولائه لا تشمل الحصول على الفتاة فقط، بل إن ستاركي سيضعه مسؤولًا عن فريق في مهمتهم التالية، وبام جزء من هذا الفريق. وهكذا ستُضطر بام إلى تلقي الأوامر من جارسون، وهذا سيكسر شوكتها، ويُذكرها أن ستاركي هو المسؤول. وإذا لم يحدث هذا، فسيُضطر ببساطة إلى التصعيد معها. إنه لأمر مخزٍ حقًّا. لقد أخلصت له بام للغاية، وطويلًا. لكن عندما ينفد الولاء، ينفد أيضًا تسامح أي قائد.

وجدها في مخزن الأسلحة. ورغم مخاوفها بشأن تسليح المنقولين، فإن مخزن الأسلحة بدا مكانها المفضل. وعندما رأت ستاركي، لم تنتبه إليه. بل إنها لم تتوقف حتى عن تجميع السلاح الذي تعمل عليه. ألقت عليه نظرة سريعة فحسب، ثم عادت إلى عملها.

- سمعتُ عن محادثتك مع "الرجل الكبير". هل حصلت على الأوامر؟

- أنا من يعطي الأوامر.

مسحت بعض العرق عن جبينها، وقالت ساخرة: "أيًّا كان الوضع. أتريد شيئًا يا مايسون؟ لأنني يجب أن أتأكد من تجميع هذه الأسلحة بشكل صحيح. هذا طبعًا ما لم تفضل مشاركتي ببالونات المياه".

فكر ستاركي في إخبارها بخفض رتبتها، لكنه قرر ألا يفعل. سيدعها تكتشف الأمر يوم الهجوم، عندئذ ستتألم أكثر. ربما يغضبها ذلك بما يكفي لقتل بعض أفراد مخيم الحصاد دفعة واحدة.

قال: "جئت لأخبرك أنني غيرت رأيي. لن نهاجم «بينساكولا» الآن".

توقفت بام أخيرًا عما تفعله ومنحته انتباهها الكامل، وسألته: "هل تفكر في مكان آخر؟".

- سنذهب شمالًا. إلى «أكاديمية ماوستايل للانقسام» في تينيسي.

- لكن أليس هذا المكان مخصصًا للأعشار فحسب؟ ظننت أنك تكره الأعشار.

عبس ستاركي، وشعر بغضبه يشتعل من جديد تجاه داندريتش وافتقاره إلى الثقة به. حسنًا، ربما يتمكن ستاركي من تحويل هذا إلى حدث مميز، تمامًا كما نوى أن يفعل في «بينساكولا».

قال لها ستاركي: ”الأعشار قذرون لأنهم متعاطفون مع التفكيك. ولهذا، عندما ندخل، سنتخذ هدفًا مختلفًا بعض الشيء“.

ثم تنفس بعمق، وشحذ عزيمته، مضيفًا: ”هذه المرة لن نقتل العاملين في المخيم فحسب، بل سنقتل أيضًا كل الأعشار عن بكرة أبيهم“.

***

26 - بث صوتي

"هنا «راديو فري هايدن». نبث من مكان سام بأكثر من طريقة. أنا لست أنا اليوم. أنا لست سعيدًا هنا على الإطلاق، لهذا اخترت صورة لوحة «إصرار الذاكرة» لسلفادور دالي[1]، لتصاحب البث اليوم. الوقت يذوب على خلفية قاتمة ملأى بالشر. نعم، هذا ملخص الأمر.

إما أن يتغير كل شيء اليوم، وإما لا يتغير شيء على الإطلاق. إذا سارت الأمور على ما يرام، ووجدنا طريقة لوقف ما يوشك على الحدوث، فسأصبح في مكان أفضل بكثير مما أنا به الآن. بل وربما أبثُّ بعض الموسيقى لتستمتعوا بالاستماع إليها. وإذا سارت الأمور على نحو خاطئ، فإن الصوت التالي الذي ستسمعونه سيكون صرخة جماعية قد لا تنتهي أبدًا.

لا يمكنني إخباركم بالتفاصيل، عليكم فقط أن تثقوا بي عندما أقول إن أشياء كبيرة تختمر، وهذه اليخنة الجاري إعدادها تنذر بالموت. لذا في اليومين المقبلين، إذا سمعتم شيئًا أكثر فظاعة من المعتاد في نشرة

---

(1) - «إصرار الذاكرة»: من أشهر اللوحات السيريالية للفنان الإسباني العالمي سلفادور دالي. رسمها عام 1931، ويظهر فيها عدد من الساعات التي تشير إلى الوقت، وهي تبدو مرتخية وفي حالة مائعة، مشيرة إلى موقف نسبي من الزمن فيما يشبه نظرية النسبية لألبرت أينشتاين. «المترجم».

الأخبار المسائية، وواجهتم عددًا أكبر من الصبية القتلى مما تشعرون بالراحة معه، فستعرفون أن الأمور لم تسر على ما يرام.

أظن أنني سأصبح أحد الضحايا إذا لم نتمكن من إيقاف هذا القطار السريع، لذا فقد لا تسمعون صوتي مرة أخرى.. وفي هذه الحالة، آمل أن تُهدوا انتفاضتنا الصغيرة لذكراي.

وبالحديث عن الانتفاضة، فكَّرت في الكيفية التي قد تنتهي بها. أعلم أن مثل هذا الحدث يحتاج إلى نقطة تجمع. تاريخ، ووقت، ومكان. أفكر في يوم الاثنين، الأول من نوفمبر، في العاصمة واشنطن، اليوم السابق للانتخابات. يبدو لي بطريقة ما أن يوم الانتخابات يقع قريبًا جدًّا من عيد جميع القديسين هذا العام، بالنظر إلى بعض التدابير المطروحة على ورقة الاقتراع. التفكيك الطوعي مقابل المال. التخلص من أدمغة المجرمين وتفكيك باقي أعضائهم. قانون "الضربات الثلاث" الذي يسمح لهيئة الأحداث باعتقال المراهقين المخالفين للقانون، وتفكيكهم دون موافقة الوالدين. بالتأكيد، يبدو الأمر بالنسبة إليَّ وكأنه رحلة في القصر المسكون، ولا يمكن حتى لرأس الساحرة المفككة في الكرة البلورية أن تتنبأ بنهايتها.

لذا، إليكم اقتراحي. أتحدى كل من يعارضون التفكيك أن يتجمعوا في الأول من نوفمبر، في العاصمة واشنطن. هذا يمنحكم ثلاثة أسابيع لتحقيق ذلك. وإذا لم أتمكن من الحضور، فربما يمكنكم نقش اسمي على نصب تذكاري عشوائي حتى يعرف العالم أنني كنت هنا".

***

27 - «ماوستايل»

القصة -التي أصبحت قديمة للغاية، فلا يمكن لأي حيٍّ تأكيدها- تحكي عن مدبغة قديمة موبوءة بالفئران، وعندما احترقت، هربت الفئران جميعًا في الوقت نفسه لتنجو بحياتها. اندفعت مجموعة الفئران الضخمة نحو نهر تينيسي القريب، وهبطت وسط فيضان من الحشرات الضارة. وهكذا، منذ ذلك الحين، وربما إلى الأبد، أصبح المكان معروفًا باسم «ماوستايل» أو «مهبط ذيل الفأر».

في المكان الذي وُجِدَت فيه المدبغة يومًا، يوجد الآن مخيم حصاد خلاب، حتى إنه غالبًا ما يكون موضوعًا للوحات فنية بالألوان المائية، يرسمها المصطافون الذين يُخيِّمون عند النهر. أقرب شيء إلى الفئران في «ماوستايل» الآن هم الأولاد والبنات الهادئون الذين يرتدون جميعًا اللون الأبيض، الذين يصلون في اليوم التالي لعيد ميلادهم الثالث عشر. مراهقون سعداء، جميعهم مشرقون ويثقون في أن الموظفين سيساعدونهم على الدخول في حالة الانقسام بلطف واحترام لقدسية تضحياتهم.

إن مقصورات «أكاديمية ماوستايل للانقسام» تحصل على التدفئة في الشتاء عن طريق الأرضيات الحثية، وعلى التبريد في الصيف عن طريق أنظمة الدورة متعددة المناطق التي تحافظ على منطقة نوم كل

عُشر في درجة الحرارة التي يفضلها بالضبط. يشرف على الوجبات الرائعة طاهٍ قدَّم ذات يوم برنامجًا متلفزًا، ويقدمها خريجو «المعهد الدولي للخدم العصريين».

يُقبَل الأعشار في «ماوستايل» من خلال عملية تقديم صارمة وتنافسية، تشبه تلك المتبعة في أكثر الجامعات تميزًا. إن الاختيار للأكاديمية مصدر فخر للعُشر وعائلته، والحصول على عملية زرع في «ماوستايل» يعتبر شيئًا يستحق التباهي به في أعلى طبقات المجتمع.

حتى وقت قريب، لم تكن البوابة الأمامية للأكاديمية تُغلق. في الواقع، توجد لافتة داخل البوابة باللون الأصفر والأحمر الزاهي، مكتوب عليها "أولئك الذين يرغبون في المغادرة غير منقسمين يمكنهم الخروج من هنا". ومع ذلك، فخلال أربعة عشر عامًا من العمل، هرب أربعة أعشار فقط من التفكيك. عُثِرَ على أحدهم متجمدًا في الغابة. وقد دُفن في قبر مرئي للغاية ومحفوظ جيدًا في المخيم، مما يشهد على الحب والرعاية التي يقدمها «ماوستايل» لنزلائه، حتى الهاربون من التفكيك منهم. كما يقف ذلك القبر لتذكير الأعشار الآخرين بأن جزاء الجبن هو الموت. في الأسابيع الأخيرة، وبناءً على طلب سلطة الأحداث، أُغلِقَت البوابة، وعُزِّزَ طاقم الأمن البسيط بثلاثة حرس مسلحين إضافيين. هذا بعيد كل البعد عن الحماية المطلوبة للأهداف التي تثير غضب ماسون ستاركي أكثر: مخيمات الحصاد غير الطوعية، التي لا يرغب نزلاؤها في الوجود بها.

التدابير الأمنية الجديدة تخيف الأعشار، وتذكرهم بوجود الشر في العالم، لكنهم يجدون العزاء في ثقتهم بأن هذا الشر لن يأتي إليهم. قريبًا جدًّا لن يصبح شر هذا العالم من بين اهتماماتهم. إنهم في الواقع يتعلمون أن يشفقوا على ذلك النوع من الجهل الذي يؤدي إلى العنف ضد مخيمات الحصاد.

لا يعرف أعشار «أكاديمية ماوستايل» شيئًا عن السحب الرعدية المظلمة التي تنمو جنوبًا، ولا يمكنهم رؤيتها. إنها عاصفة أكثر تدميرًا مما يجرؤون على تخيله، وهي تهدد بإنهاء حياتهم قبل أن يفعلها المشرط الجراحي.

في الليلة التي سبقت الهجوم الذي يخطط له جيش المنقولين، أوى الأعشار إلى أَسرَّتهم بعد الصلاة وتنظيف الأسنان، دون أن يشكوا أبدًا أن المطر سيهطل عليهم قريبًا بكثافة باليستية، ما لم تتحرك جبهة غير متوقعة لتهدئة العاصفة.

***

28 - ستاركي

اختُطِفَ في منتصف الليل. الأمر مختلف عن المرة التي جاء فيها المصفقون لاصطحابه. هذه المرة أتاه مهاجمون متخفون، وليسوا من مدرسة القوة الغاشمة. تسللوا إليه، بدلًا من شق طريقهم باستخدام القوة والعنف. لم يثيروا أي ضجة لتنبيهه، لم يحصل ستاركي على أي إنذار قبل أن تخترق رصاصة التهدئة فخذه. ليس سهمًا مهدئًا -وهو الأخف والألطف- بل رصاصة كيميائية كاملة الحمولة انفجرت كحشرة على زجاج السيارة الأمامي، بعد اختراق البشرة بعمق. رصاصات التهدئة تؤلم كالجحيم، حتى لو لم تسبب أي ضرر حقيقي.

صدم الألم ستاركي، وظل يقظًا لوهلة فحسب، أدرك خلالها أنه قد خُدِّر، ثم ابتلعه اللاوعي.

• • •

أفاق بعد مدة عندما تلقى صفعة على الوجه. صفعة قوية، ثم أخرى، لأن الأولى لم تؤدِّ المهمة كما يجب. الصفعة الثالثة جاءت كهدية مجانية من مهاجمه، أيًّا كان.

قال رجل ذو شعر أشعث وتعبير حاد: "هل استيقظت أيها الفتى المنقول؟ أم إنك بحاجة إلى صفعة أخرى؟".

قال ستاركي وسط أنينه: "اذهب إلى الجحيم". استلزم هذا القول صفعة أخرى، وحشية وبظهر اليد. لولا أنه ما زال تحت تأثير المهدئات، لشعر بألم عظيم. ومع ذلك، شعر بالدماء تسيل على وجهه. إن الرجل يرتدي خاتمًا جرح وجنة ستاركي.

قال له ستاركي، محاولًا عدم التلعثم: "أيًّا كنت، اعلم أنك رجل ميت. سيعثر عليك أتباعي المنقولون، ويقتلونك ويعلقونك كعبرة لجميع الحمقى الآخرين في العالم".

- هل سيفعلون ذلك الآن؟

بدا الرجل مستمتعًا، واثقًا من نفسه. هذا لا يبشر بالخير بالنسبة إلى ستاركي، لذلك صمت لحظة لتقييم الموقف. إنه في الغابة. الجو بارد. لا يمكنه رؤية الأفق إلا بدرجات رمادية خفيفة وزرقاء داكنة. لا بد أنه وقت الفجر. إنه مقيد، لكن ليس مكممًا، مما يعني أنهم يريدونه أن يتمكن من الحديث، ربما للتفاوض. ومع ذلك، فإن مهاجمه غاضب، غاضب بشدة.

اقترح ستاركي: "دعني أذهب، وسنتظاهر بأن هذا لم يحدث قط".

عرف أن الأمر لن ينجح، لكن رد فعل الرجل سيحدد معايير ستاركي.

جاء رد فعل الرجل في هيئة ركلة سريعة لأضلاع ستاركي، فشعر باثنين منها على الأقل تنكسر. سقط ملك المنقولين على جانبه، يئن من الألم الذي لا يمكن تهدئته بالمهدئات التي ما زالت تسري في جسده. إنه يعرف الآن معاييره. إنها تقريبًا بحجم نعش.

همهم صوت في الظل: "لا تكسر عظامه. كلما قلت كسوره، زادت قيمته".

إنه بالكاد صوت على الإطلاق، أشبه بفحيح شبح. رأى ستاركي تحولًا في الشكل. ظل كتف، لكن باقي الجسد تحجبه شجرة. تراجع

الرجل، لكنه لم يبد أقل غضبًا. رغم أنه ليس شديد الضخامة، وليس مفتول العضلات للغاية، فإن غضبه المتصاعد عوَّض ذلك. حاول ستاركي ألا يسمح لألم جنبه بقيادته إلى الذعر. لا يوجد فخ لا يتمكن من الخروج منه أبدًا. لقد هرب من حرس الأحداث الذين جاؤوا لتفكيكه، وقتل أحدهم وقتها. لقد هرب من المقبرة، رغم اضطراره إلى تحطيم يده لتحقيق ذلك. ما الدرس؟ أن بإمكانه الهروب من أي موقف... لكن يجب أن يستعد لعمل ما لا يمكن تصوره.

قال المتوحش، الذي من الواضح أنه مُنفِّذ هذا الفريق: "دعني أقتله! دعني أقتله وأنهي هذا الأمر".

صرخ الصوت داخل الظل: "التزم بالخطة. إنه حيًّا يساوي أكثر".

حاول ستاركي حساب مدى بعده عن الأمان. أكد الضوء المتزايد أن الفجر قد بزغ. أخذوه في وقت ما من الليل. ربما يبعد ساعات عن منقوليه، أو أنه موجود خارج بوابة محطة توليد الطاقة المهجورة التي يدعونها منزلهم. تقع المحطة على ضفاف نهر المسيسيبي. حاول الاستماع إلى صوت مياه النهر، لكنه أدرك أن النهر يتحرك ببطء شديد، ولا يمكنك سماعه لو أنه خلفك مباشرة. لكن يمكنك شم رائحته. استنشق الهواء بعمق، لكنه لم يحمل رائحة كريهة من التحلل العضوي المصحوب بالجريان الكيميائي الذي يميز نهر المسيسيبي. بدأ ذعره يطفو على السطح مرة أخرى.

وهذا في اليوم الذي من المفترض أن يشهد أكبر هجوم له على مخيم حصاد.

سأل خاطفه: "ماذا تريد؟".

أخيرًا، خرج المهاجم الثاني من الظل. يوجد ثالث أيضًا. أقصر من الاثنين الآخرين، تقدم ببطء من بعيد، حاملًا شيئًا في يده، ربما سلاح

من نوع ما. في حين أن وجه المُنفِّذ مكشوف بالكامل، ارتدى الاثنان الآخران قناعَي تزلج أسودَين من الصوف، أخفيا وجهيهما في غموض.

قال المهاجم الثالث، بالهمهمة الخافتة نفسها التي تحدث بها الخاطف المقنع الآخر: "توسل من أجل حياتك".

أعلن ستاركي: "أنا لا أتوسل"، فساد الصمت. وفيما قُيِّدَت ذراعاه خلف ظهره، أخذ يتلوى محاولًا الاعتدال في وضعية الجلوس، وأضاف: "لكنني واثق أننا نستطيع الاتفاق".

قال المُنفِّذ: "إننا نعرف من أنت. توجد مكافأة لمن يأتي بك، ميتًا أو حيًّا. أفضِّل تسليمك ميتًا".

الآن فهم خطتهم. إنهم ينوون تسليمه مقابل المكافأة، لكن كان بإمكانهم إبقاؤه غائبًا عن الوعي حتى يسلموه. إنهم يريدونه أن يقدم عرضًا أفضل، وهو يملك الموارد الكافية لذلك، بسبب الدعم الذي يحصل عليه من حركة المصفقين.

قال ستاركي: "حددوا سعركم. سأدفع أكثر مما ستدفعه سلطة الأحداث".

غضِب المُنفِّذ، وقال: "أتظن أن الأمر يتعلق بالمال؟ إننا لا نكترث بأموالك، أو أموال هيئة الأحداث".

لم يتوقع ستاركي ذلك.

نظر المُنفِّذ إلى المهاجم الثاني وكأنه يطلب الإذن. رقم اثنين -الذي هو المسؤول بوضوح- هز رأسه. اشتبه ستاركي في أنها امرأة، لكن الظلال ظلت كثيفة للغاية بحيث لا يمكنه التأكد.

قال له المُنفِّذ: "مخيم «داه زي» البورمي يدفع أكثر من مجرد النقود. إنه يدفع الاحترام، والتقدم الوظيفي".

الخوف الذي نخر عظامه للتو، أنشب مخالبه في نفسه الآن، وغرز أسنانه عميقًا. بدأ دمه حرفيًّا يتجمد داخل جسده، وكأن عروقه يداعبها الجليد، وقال: "إنك لست جادًّا بالتأكيد".

لكن صمتهم المهيب أثبت أنهم جادون. توجد السوق السوداء، ثم يوجد «داه زي».

حاول ستاركي أن يزدرد لعابه، لكنه وجد حلقَهُ جافًّا للغاية.

- حسنًا... حسنًا... يمكننا حل هذه المشكلة. لستم بحاجة إلى ذلك؛ يمكننا حل هذه المشكلة.

ربما يتوسل إليهم في النهاية.

أجابه المُنفِّذ في حدَّة: "فات الأوان".

صاح الهامس: "لا. دعه يتحدث".

أدرك ستاركي أن هذه ستصبح أعظم عملية هروب في حياته، إذا تمكن من فعلها، وقال: "يمكنني تزويدكم بالإمدادات".

قال المُنفِّذ: "لسنا بحاجة إلى إمدادات".

- ليس هذا ما أعنيه. إذا حررتموني، يمكنني تزويدكم بمفككين تبيعونهم إلى «داه زي». إنهم منقولون هاربون ومُقرر تفكيكهم، لذا لن يفتقدهم أحد. تخيلوا ذلك، إمدادات دائمة... وليسوا أي صبية. سأعطيكم أفضل العناصر. الأقوى والأصح والأذكى. سأبقيكم في حالة جيدة طويلًا جدًّا، وستحصلون على الاحترام الذي تحدثتم عنه.

حدقوا إليه لحظة. ثم قال المُنفِّذ: "أستفعل ذلك؟ تضحي بالمنقولين الآخرين لإنقاذ نفسك؟".

أومأ ستاركي برأسه دون تردد، قائلًا: "ما لا تفهمه هو أنهم يحتاجون إليَّ. يحتاجون إليَّ أكثر مما يحتاجون إلى بعضهم".

مرة أخرى، ساد صمت ثقيل وهم يفكرون في الأمر. تمنى ستاركي أن يتمكن من رؤية أعينهم بوضوح أكبر. تمنى أن يتمكن من رؤية تعبيرات وجه الاثنين الآخرين من خلف قناعَي التزلج.

سألته الهامسة بصوت ما زال بلا أي انفعالات: "كم ستعطينا؟".

أجابها ستاركي بابتسامة مُغتَصَبة: "إلى كم تحتاجون؟ عشرة بالمئة منهم؟ مثل الأعشار؟ حسنًا، سأمنحكم مثل الأعشار!".

أيقن ستاركي أنه سيحقق نتيجةً ما. أما بالنسبة إلى اللوجستيات، فيمكن حلُّها لاحقًا. يمكن التعامل مع عواقب هذا الهروب. العواقب يمكن إدارتها دائمًا. كل ما يهم في هذه اللحظة هو الهروب نفسه.

سأله الثالث، بلا همس وقد تسلل بعض الغضب إلى صوته: "كيف يمكنك أن تفعل ذلك بهم؟".

في الجزء الخلفي من دماغ ستاركي، بدا هذا الصوت مألوفًا، لكنه بعيد جدًّا في ذهنه، لذا لم يتعرف عليه بعد.

أصرَّ ستاركي: "لأن ذلك الشيء الصحيح الذي يجب فعله! فكرة الحرب أكثر أهمية من أيٍّ من محاربيها. وأنا الفكرة!"، ثم أشاح بعينيه، مضيفًا: "لا أتوقع منكم أن تفهموا ذلك".

وفجأة لم تعد المرأة الهامسة تهمس وهي تقول: "إننا نفهم أكثر بكثير مما تعتقد".

أدرك ستاركي هويتها في اللحظة التي سبقت خلعها لقناع التزلج، وصاح: "بام؟".

وجهت حديثها إلى المهاجم الثالث، وسألته: "هل أتممنا عملنا كما يجب يا جيفان؟".

خلع جيفان قناعه بدوره، ثم عبث بالشيء الصغير في يده، مجيبًا: "نعم، لقد فعلنا".

مع استيلاء الخيانة على ذهنه، وجد ستاركي خوفه يحل محله الغضب. قاوم قيوده. يمكنه الهروب من الأحبال، لكن الأمر سيستغرق بعض الوقت. ومع ذلك، لا يملك وقتًا! يريد أن يتحرر الآن، حتى يمكنه تمزيقهم جميعًا. أعلن المُنقِّذ، الذي يسير الآن في الخلف: "يجب أن يموت الآن! لو أن مقص حديقتي ما زال بحوزتي، لطعنته به في قلبه الآن!".

لكن بدا واضحًا أن لا أحد من الحاضرين لديه الشجاعة أو الرغبة في إنهاء حياته. إن ضعفهم هو الذي سينقذه. قالت بام: "يكفي كل القتل الذي حدث فعلًا. اذهب وانتظرنا في السيارة. سنلحق بك بعد دقيقة واحدة".

سأل ستاركي: "من هذا المهرج؟".

قال له جيفان: "إنه كبير البستانيين في مخيم حصاد «هورس كريك». لقد فجرتَ زوجته الأسبوع الماضي. إنك محظوظ لأنه لم يفجر دماغك للتو".

التفت ستاركي إلى بام، مدركًا أن هذا لا يزال تفاوضًا، لكنه تفاوض مختلف تمامًا فحسب، وقال لها: "دعينا نناقش الأمر يا بام. لقد أوضحتِ وجهة نظرك، لذا دعينا نتحدث".

قالت: "سأتحدث، وستستمع".

بدت هادئة. هادئة أكثر مما يرضي ستاركي. إنه يفضل كثيرًا أن يخرج غضبها عن نطاق السيطرة. هذا الغضب قابل للتشكيل. يمكن تشكيله بأي طريقة يريدها. لكن الهدوء البارد يشبه الأواني التي لا يلتصق بها الطعام. إنه يعرف أن أي شيء يقوله سينزلق فورًا ويذهب سدى.

قالت له: "إنك ستختفي يا مايسون. لا يعنيني إلى أين ستذهب، لكنك ستختفي بالكامل. لن تقتل الأعشار في «ماوستايل». لن تهاجم مخيم حصاد آخر أبدًا. لن تقاتل أبدًا من أجل "قضية" أخرى، والأهم من ذلك كله، ستبقى بعيدًا عن جيش المنقولين، من الآن وحتى نهاية الزمان. أو على الأقل حتى نهاية حياتك البائسة".

حدق إليها ستاركي، وسألها: "ولماذا أفعل ذلك؟".

- هذا هو السبب.

واتجهت إلى جيفان، الذي يعبث بالجهاز الذي يحمله، الذي أخطأ ستاركي عندما ظنه سلاحًا. إنه ليس سلاحًا على الإطلاق، بل جهاز تسجيل صغير. ضغط جيفان على زر، فعُرِضَت صورة ثلاثية الأبعاد، نسخة مصغرة من المكان الذي ما زالوا يقفون فيه، بدقة عالية، تمامًا كالحقيقة. راقب ستاركي نفسه وهو يقول: "إذا حررتموني، يمكنني تزويدكم بمفككين تبيعونهم إلى «داه زي». إنهم منقولون هاربون ومُقرر تفكيكهم، لذا لن يفتقدهم أحد".

لم يستطع ستاركي احتواء غضبه، فانتفض بقوة، جعلت أضلاعه المكسورة تئن ألمًا. كادت كتفاه تنخلعان خلال محاولته فك قيوده، وهو يصيح: "أيتها اللعينة! لقد أجبرتِني على قول ذلك. لقد أجبرتِني على إبرام الصفقة!".

ومع ذلك، حافظت بام على هدوئها، وقالت: "لم يجبرك أحد على فعل أي شيء يا مايسون. لقد أعطيناك الحبل فقط، أنت من شنقت نفسك به".

ضحك جيفان من قولها، وقال: "أحسنتِ! لقد شنق نفسه".

قالت بام لستاركي: "إذا ظهرت مرة أخرى في أي مكان، سنجعل المنقولين يستمعون إلى هذا التسجيل. ليس منقولونا فحسب، لكننا سنذيعه علنًا لكل منقول في العالم. ستتحول في نظرهم من منقذهم، إلى مجرد شخص أناني، كما هي حقيقتك".

- أناني؟ لقد فعلت كل هذا من أجلهم! كل هذا.

لو استطاع ستاركي، لقتلهم الآن. الخونة! لو استطاع إعدامهم، لفعل بلا أدنى تردد. ألا يرون ما يفعلونه؟ إنهم يقتلون حلمًا أكبر منهم جميعًا. كيف يمكن للمنقولين أن يأملوا تغيير واقعهم البائس في العالم دون زعيمهم؟

أراد أن يصرخ بغضب لا يوصف، لكنه يعلم ضرورة أن يحاول قدر استطاعته مضاهاة موضوعية بام. لذا كبح غضبه، وقال: "العقول الصغيرة في هذا العالم هي التي تدمر كل شيء. لا تتسمي بصغر العقل يا بام. إنكِ أذكى من ذلك، وأفضل من ذلك".

ابتسمت بام، فظن ستاركي أنها ربما بدأت أخيرًا في رؤية الحكمة في كلماته. حتى قالت: "إنك خبيث للغاية يا مايسون. يمكنك التسلل بنعومة للحصول على ما تريد، ثم تقنع جميع من حولك بأن هذا ما يريدونه أيضًا. هذه أفضل خدعة سحرية لديك. لقد جعلت الجميع يعتقدون أنك تفعل هذا من أجلهم، في حين أنك فعلت كل ذلك من أجل الشهرة والثروة لمايسون مايكل ستاركي".

- هذا ليس صحيحًا!

قالت بام: "أترى كم هو جيد هذا الوهم؟ حتى أنت تؤمن به".

لم يتقبل ستاركي هذا الاتهام. لا يمكنه الشك في نفسه، لأن الشك عدوه. لذا سيسمح لبام بمواصلة محاضرتها التي لا معنى لها. دعها تفكر كما تريد. إنها تغار فحسب، لأنها لا يمكن أن تصبح مثله أبدًا، أو تمتلكه، أو تنافسه. إنه مايسون مايكل ستاركي، المنتقم للمنقولين. بغض النظر عن مدى صعوبة محاولة بام انتزاع ذلك منه، فإن العالم سيكافئه على كل الخير الذي فعله. لم يفعل ذلك من أجل الشهرة، لكنه يستحقها بالتأكيد.

قالت له بام: "لن أصبح قائدة عظيمة أبدًا. لكن معرفة ذلك فعلًا تجعلني قائدة أفضل منك. أتمنى لو أنني توصلت إلى ذلك قبل الآن".

انهمك ستاركي في مقاومة قيوده. لقد أصبحت أكثر مرونة الآن. سيهرب. ليس في هذه اللحظة، لكن قريبًا. في غضون عشر دقائق، أو عشرين. السؤال هو، هل سيلاحق بام وجيفان، أم سيستسلم لابتزازهما ويختبئ إلى الأبد؟

قالت بام: "لقد سمعت مطالبنا، وتعرف ماذا سيحدث إذا لم تنفذها. من ناحية أخرى، إذا وافقت على عرضنا، فسنحتفظ بهذا التسجيل لأنفسنا. أعلم مدى أهمية أن يُنظر إليك باعتبارك البطل. يجب أن تحتفظ بذلك. إنه أكثر مما تستحقه. سنخبر المنقولين أنك أُسرت في أثناء جولة استطلاع «أكاديمية ماوستايل»، وهذا سيجعلك شهيدًا على الفور. أيوجد ما هو أفضل من ذلك؟".

لم يعد مايسون يمتلك قوة للجدال. شعر بألم في معدته، وهو يعلم أن هذا ليس فقط بسبب المهدئات. قال لها: "سيجعلك شخصٌ ما تدفعين ثمن هذا".

- ربما، لكن ليس أنت.

ثم التفتت إلى جيفان، الذي أخرج مسدس تهدئة، أحد المسدسات اللطيفة التي قدمها المصفقون. ربما هو الشيء نفسه الذي خدَّروه به في المرة الأولى.

قالت بام: ”لا يمكننا المخاطرة بتحررك قريبًا. وعندما تتحرر من قيودك، لو أردت البحث عنا في محطة توليد الطاقة، فلا تتجشم العناء. سنختفي جميعًا من هناك قبل وقت طويل من استيقاظك“.

اقترب جيفان من ستاركي، وصوَّب سلاحه، لكنه لم يطلق النار، بل بصق فجأة في وجه ستاركي، قائلًا: ”هذا من أجل كل من ماتوا بسببي. من ماتوا بسبب الأشياء التي جعلتني أفعلها!“.

تبسم له ستاركي، مكررًا ما قالته بام منذ لحظات قليلة: ”لم أجبرك على فعل أي شيء يا جيفان. لقد أعطيتك الحبل فقط“.

أجابه جيفان بإطلاق رصاصة التهدئة مباشرة في الفراغ بين أضلاعه المكسورة.

***

29 - هايدن

الانتظار لا يُطاق، لكن هايدن لا يمكنه إظهار ذلك، وإلا سيثير الشكوك. لقد أراد الذهاب مع بام وجيفان، ليس لأنه لا يثق بهما، لكن لأنه يعلم أن ستاركي قوة يصعب التغلب عليها. لقد امتاز بمكر كافٍ للوصول إلى هذا الحد، حيث أسر عقول مئات الصبية طويلًا، إلى حد أبعد كثيرًا من النقطة التي كان عليهم فيها التأكد من أن ما يحدث واقع. من يجرؤ على القول بأنه قد لا ينجو من الفخ الذي نصبوه له؟

ما زال هايدن يجد الأمر مدهشًا أن ستاركي تمكن من رسم هالة مقدسة حول نفسه، بأدوات بسيطة، أضيف إليها الغضب الجماعي وحفنة من الجاذبية الشخصية. لكن من ناحية أخرى، توجد الكثير من السوابق التاريخية.

إنه الصباح في محطة الطاقة المهجورة التي لم تعد مهجورة، بعد أن أصبحت موطنًا لقرابة سبعمئة منقول. قُدِّمَ الإفطار على قدم وساق. يتناول الأطفال طعامهم بالتناوب على ثلاث مرات في قبو المحطة، مستخدمين الكراسي والطاولات القابلة للطيِّ التي وجدوها هنا عندما وصلوا -وكذلك كبسولات النوم المريحة- كل ذلك بفضل "قسم التصفيق". إنه مجتمع يمتاز بالعنف العشوائي، لكنه منظم للغاية. لقد تعهدت حركة التصفيق بالحفاظ على سلامة المنقولين، رغم أن هايدن

يشتبه في أنهم آمنون فحسب إلى أن يقرر قسم التصفيق أن الوقت قد حان للتضحية بهم، تمامًا كما ضحوا بجميع الصبية الغاضبين الآخرين الذين جندوهم لخدمة قضية الفوضى. لن يفجر المنقولون أنفسهم طبعًا، لكن في النهاية، مطاردة ستاركي من أعلى منحدر لا تختلف كثيرًا.

الجميع يعرف مهمتهم التالية. أعلن ستاركي عن ذلك، وحشد القوات. لم يخبرهم بعد أن هدفهم النهائي هو إبادة أعشار «ماوستايل». قد لا يعرفون أبدًا. السبب الوحيد وراء معرفة هايدن هو أن بام شاركته المعلومة. اشتبه هايدن في أن ستاركي قد اختار فريقًا من النخبة لتنفيذ تلك الفعلة القذرة بمجرد السيطرة على مخيم الحصاد. أو ربما يخطط لجمع الأعشار في مبنى واحد وقتلهم بنفسه باستخدام قاذفة صواريخ محمولة على الكتف. من المؤكد أن لديهم مدافع خارقة للتحصينات يمكنها عمل ذلك بضربة واحدة.

لكن هذا سيحدث غدًا. ولا يفسر هذا سبب عدم حضور ستاركي اليوم. هايدن يعرف السبب، ففي النهاية، هذه خطته. لكن المنقولين لا يمكنهم معرفة الحقيقة.

قال هايدن للجموع عندما بدأ الناس يتساءلون عن سبب غياب ستاركي: "لقد ذهب مع فريق خاص لعمل بعض الاستطلاعات". قَبِلَ معظم الصبية هذا التفسير، وشعروا بالارتياح، لأنه ربما يؤجل هجومهم الوشيك على «ماوستايل» يومًا أو يومين. يوجد طبعًا بعض الصبية الذين راودهم الشك. جارسون ديجروت -على سبيل المثال- يمتلئ بالأسئلة.

- لماذا لم يخبرنا؟ لماذا لم يستطلع المصفقون بدلًا منا، أليس هذا عملهم؟

وطبعًا، فإن السؤال الذي دار في ذهنه أكثر من غيره هو: *لماذا لم يصطحبني معه؟*

لعب هايدن دوره بهدوء، قائلًا وهو يهز كتفيه: "من يمكنه قراءة عقل السيد؟ ربما تركك هنا، لأنه أراد منحك وقتًا أجمل مع أبيجيل".

ثم -في النصف الثاني من عبارته التي يوجه بها لكمات متتالية مدروسة إلى جارسون- صمت، ثم همس: "كما تعلم، في وجود ستاركي خارج الموقع، فإن المكتب الذي يحب التسكع فيه فارغ... ويمتاز بخصوصية شديدة".

مع هذا الاقتراح، غارت كل الدماء من دماغ جارسون وتدفقت في مواضع أخرى، مما جعله يتوقف عن توجيه الأسئلة. ثم وجد هايدن أبيجيل بسرعة وكلفها بتقشير الآلاف من أكواز الذرة التي جاءت في شحنتهم الأخيرة، كي يضمن أنها لن تجد وقتًا لجارسون. حتى عندما انضم إليها جارسون، وقشر الذرة بشكل محموم لتسريع العملية، وثق هايدن أنها ستستغرق طوال اليوم. شك في أن أبيجيل تفضل تقشير ذرة هايدن في المطبخ بدلًا من ذرة جارسون في المكتب.

تجول هايدن في طرقات محطة الطاقة طوال الصباح، مستمعًا إلى المحادثات، أو راصدًا الصمت، في محاولة لاكتشاف الأجواء المزاجية اليوم.

يعلم أن الحشود قد تصبح معدومة الفائدة مثل الأُسرة -لو أن أحد الوالدين سيئ للغاية- وستاركي مختل تمامًا. ربما هذا جزء من السبب خلف استعداد العديد من هؤلاء الصبية لاتباع ستاركي: فهو يذكرهم بأُسرهم. قال منقول ساخط: "هذه الفطائر سيئة"، وهو الذي قال الشيء نفسه عندما تناولوا مسحوق بيض مجفف مبلل بالماء وسيئ

الطعم فعلًا. الآن يوفر لهم قسم التصفيق جودة طعام أعلى بكثير مما اعتادوا الحصول عليه. لكن يوجد دائمًا من يشكو.

قال له هايدن: "يؤسفني ذلك. غدًا موعد بوفيه إفطار المأكولات البحرية. سأتأكد من تقديم بعض سيقان الكابوريا والكافيار لك".

منحه الفتى إشارة بذيئة بيده، وواصل التهام طعامه. منذ وصوله إلى محطة الطاقة منذ أسبوعين، لم يعد هايدن مسؤولًا عن المخزون فحسب، بل إنه يشرف على إعداد الطعام أيضًا، نظرًا لحقيقة أن المنقول السابق المسؤول عن المطبخ تُوفي في هجوم مخيم حصاد «هورس كريك». يبدو أن جميع وظائف هايدن في الآونة الأخيرة تأتي نتيجة لفراغ المنصب نهائيًّا.

مع كل عملية تدمير لأحد مخيمات الحصاد، يزداد مزاج المنقولين كآبة وتقلبًا تدريجيًّا. توجد المزيد من نظرات التهديد، والمزيد من المعارك على لا شيء، والمزيد من الخلافات بين الصبية الذين يعانون الكثير من الخلافات فعلًا. جلب الهجوم الأخير خدرًا ونبضًا غير قابل للتعريف مثل ألم الطرف الوهمي. يوجد فراغ خَلَّفه الموتى لا يمكن ملؤه بالوجوه الجديدة المضافة إلى أعدادهم، ولا توجد طريقة للتنبؤ بأسماء وأعداد الضحايا الذين سيعودون من مهمتهم التالية.

ما زال ستاركي محاطًا بمؤيدين متعصبين يحاولون تعويض الروح المعنوية المتدهورة بالصراخ والهتاف بأعلى صوت، عندما يحاول حشدهم إلى درجة الحمى التي يتغذى عليها، لكن جهودهم تنخفض فاعليتها أكثر فأكثر.

- أين هم يا هايدن؟

التفت، ليرى فتاة تُسقِط طبقها بصوت عالٍ في سلة المهملات بجوار طاولتها مع ضوضاء غاضبة كعلامة ترقيم لسؤالها، رغم أنه

اتهام واضح. إنها إحدى الفتيات المحررات من مخيم حصاد «كولد سبرينجز»، حيث أقنع المدير الجميع بأن هايدن عمِل لصالح هيئة الأحداث. ما زال هؤلاء الصبية يصرون على أن هايدن خائن. الفائدة الوحيدة من أولئك الكارهين هي أنهم يبقونه على أهبة الاستعداد، ولا يسمحون له أبدًا بالرضا أو الراحة.

سألها هايدن: "أين ماذا؟ أتقصدين النقانق؟ لقد نفدت، لكن ما زال يوجد الكثير من لحم الخنزير المقدد".

- لا تتظاهر بالغباء. قلت إن ستاركي ذهب مع فريق، لكنني ذهبت للتحقق من المكان، والمتغيبون الوحيدون هم ستاركي وبام وجيفان. هذان الأخيران ليسا الفريق الذي سيقبله ستاركي. إذا سألتني، أعتقد أنك تعرف شيئًا يتعلق باختفائهم.

لاحظ بعض الصبية الآخرين هذه المواجهة الصغيرة، والتقت عينا أحدهم عيني هايدن، وبدا كأنه يقول له إنني في صفك؛ إن صبية «كولد سبرينجز» مجانين. ومع ازدياد أعدادهم باضطراد، يخفت باستمرار تأثير أصوات الكارهين من «كولد سبرينجز». وبغض النظر عنهم، يعرف هايدن إمكانية أن يصبح قائدًا هنا لو أراد، لكنه لحسن الحظ لا يريد ذلك.

قال لها هايدن: "أي شخص يملك نصف عقل يمكنه أن يرى أن ستاركي يحتاج إلى قائد فريق هجوم لاستكشاف المكان، ومُختِرق إلكترونيات لمعرفة كيفية إحباط نظام الأمن، وإلا فقد يموت المزيد منا في الهجوم".

تعمد هايدن التأكيد على كلمة "يموت"، وهو ما أحدث التأثير المطلوب. شعر كل من يجلس إلى طاولة الفتاة المتهِمة بعدم الارتياح، وكأن العناكب زحفت للتو إلى أحضانهم من تحت الطاولة.

سأل إلياس دين، أحد الصبية شديدي الثرثرة: "ما الذي يجبرنا على مهاجمة مخيم حصاد آخر؟ ألم نفعل ما يكفي بالفعل؟".

تبسم هايدن. إن حقيقة أن الصبية يُعبِّرون عن تحفظاتهم بصوت مرتفع تعد علامة جيدة جدًّا.

- يقول ستاركي إننا سنستمر في ذلك حتى تختفي مخيمات الحصاد بالكامل، أو نختفي جميعًا.

مزيد من العناكب، على المزيد من الطاولات، وهي من النوع الذي يعض.

تمتم شخص آخر: "يومًا ما سيصبحون مستعدين لاستقبالنا، وسيقضون علينا جميعًا قبل مرورنا من البوابة".

قال إلياس: "إن ستاركي عبقري، ولكن هذا مبالغٌ فيه بعض الشيء، ألا تعتقد ذلك؟".

قال هايدن: "التفكير ليس من مهام وظيفتي، رغم أنني أفكر أحيانًا. ويسعدني أنك تفعل ذلك أيضًا". وهذا أقصى ما يمكن أن يفعله هايدن، كي لا يتهمه أحد بتحريض المنقولين على المعارضة.

عاد "فريق الاستطلاع" عند الظهيرة.

أعلن حارس يركض من برج المراقبة عند البوابة الأمامية الصدئة للمحطة: "لقد عادوا".

في البداية، ظن هايدن أن الخطة ربما فشلت، أو ربما ألغى بام وجيفان الأمر، ولم يتمكنا من المُضيِّ قُدُمًا فيه. ربما لم يظهر شريكهما البستاني قط، ليجعل الاختطاف يبدو حقيقيًّا. لكن عندما دخلت بام مع جيفان، لم يأتِ ستاركي معهما، وهي حقيقة لم يتيقظ برج المراقبة بما يكفي لملاحظتها.

أتى السؤال واضحًا، ليس فقط من أحد المنقولين، بل من العديدين: "أين ستاركي؟".

همسوا بالسؤال لبعضهم، دون أن يجرؤوا على توجيهه مباشرة إلى بام أو جيفان. ساد الخوف، والأمل والغضب بين المنقولين. ملأتهم الكثير من الأحاسيس التي لا يمكن تصنيفها.

اقترب هايدن من بام وجيفان بحذر، وهو يعلم أنه مراقَب، ويعلم أن ثلاثتهم قيد التقييم في هذه اللحظة.

قال هايدن ساخرًا: "لا تخبراني أن السبل قد تقطعت بكم في ممر جبلي، واضطررتما أن تفعلا مثل «جماعة دونر»[1]. لو أنكما قد أكلتما ستاركي، آمل أنكما قد تركتما لي بعض لحم الصدر".

قالت بام، بصوت مرتفع بما يكفي ليعرف هايدن أنه بغرض الاستعراض: "هذا ليس مضحكًا. لقد نصب لنا قراصنة أعضاء كمينًا. إننا محظوظان لأننا ما زلنا مكتملين".

ترددت في استكمال حديثها، فيما اقترب المزيد من الصبية إلى نطاق السمع، منجذبين إلى غرابة المأساة، فواصلت بام: "لقد تعرفوا على ستاركي، لذا هدَّؤوني أنا وجيفان، وتركانا هناك. وعندما استعدنا وعينا، لم نجد ستاركي. لقد أخذوه".

لا شهقات، ولا صراخ، ساد الصمت فحسب. حاول جيفان التسلل مبتعدًا عن الجمع، لم يرغب في أن يصبح في بؤرة الاهتمام الصغير هذا، لكن بام أمسكت كتفيه بقوة، ومنعته من المغادرة.

---

(1) - «جماعة دونر»: مجموعة من الرواد الأمريكيين بقيادة جورج دونر وجيمس ريد، تحركت من الغرب الأوسط باتجاه كاليفورنيا في قافلة من العربات التي تجرها الخيول. وبعد سلسلة من الأحداث المؤسفة والأخطاء التي عطلت سيرهم، قضوا شتاء عام 1846- 1847 محاصرين بالثلوج في جبال سييرا نيفادا. وقد لجأ بعض هؤلاء المهاجرين إلى أكل لحوم البشر للبقاء على قيد الحياة. «المترجم».

سأل أحد أصغر المنقولين، الذي يتذكر هايدن أنه واجه صعوبة في استخدام سلاحه في الهجوم الأخير: "هل مات ستاركي؟".

قالت بام: "أنا آسفة. لم نستطع أن نفعل شيئًا".

وفي دهشة، رأى هايدن عيني بام تغرورقان بالدموع. إما أنها أمهر كثيرًا في الخداع مما ظنها، وإما على الأقل جزء من عاطفتها حقيقي.

سأل أحدهم: "ماذا سنفعل؟".

قالت بام بسلطة غير مباشرة: "سنواصل حياتنا من دونه. فليتجمع الجميع على أرض التوربين. لدينا قرارات يجب اتخاذها".

انتشر الأمر بسرعة، وازداد الشعور القاتم باليأس، عندما بدأ الجميع يتعامل مع فكرة العالم من دون ستاركي. تناوبت فتيات "حريمه" الثلاث على مواساة بعضهن والهجوم على بعضهن. إنهن الوحيدات اللاتي لا يمكن مواساتهن، فحتى جارسون ديجروت وأنصار ستاركي الآخرون تغلبوا بسرعة على حزنهم، وأخذوا يروجون لأنفسهم، ويتنافسون على منصب قيادي في التسلسل الهرمي الجديد. لكن عندما خاطبت بام المنقولين في وقت لاحق من ذلك الصباح، تمتعت بحضور مهيمن أوضح من سيصبح المسؤول. لم يملك أحد الجرأة لتحدي سلطتها. من الآن فصاعدًا، ستصبح كل المنافسة على المناصب الواقعة تحت قيادتها.

لم تُلقِ خطابًا، بقدر ما أخبرت الجميع حقيقة الأوضاع. لم تتحدث بأسلوب الصياح الحربي المملوء بالمبالغات كما اعتاد ستاركي أن يفعل، بل اكتفت بمنحهم جرعة منشطة من الواقع القاسي الثقيل، وأكدت على ثلاث نقاط رئيسية:

- إننا حشد هارب من المراهقين غير المرغوب فيهم، ورؤوسنا مطلوبة لأعلى سعر.

- أصدقاؤنا -المصفقون- أسوأ من أعدائنا.

- لو أردنا البقاء مكتملين وأحياء، يجب علينا التوقف عن تدمير مخيمات الحصاد، والاختفاء.. الآن.

ورغم وجود البعض ممن ينادون بالانتقام، وبما قد يريده ستاركي لو أنه هنا، فإن هذه الأصوات اتسمت بالضعف، ولم تجد صدى بين المنقولين. مع إعلان بام، انتهت رحلتهم نحو الانتحار، وأصبحت مهمتهم الجديدة هي العيش. من الصعب الجدال بشأن البقاء أحياء.

قال لها هايدن، عندما وجدها بمفردها في أحد مخازن الذخيرة: "أحسنتِ. ألن تخبريني بما حدث حقًّا؟".

- أنت تعرف ما حدث. لقد نفَّذنا خطتك، والتقط الطعم على الفور، تمامًا كما قلت إنه سيفعل.

أخبرته بام عن الفيديو، الذي سجلوه ونسخوه بعناية، وخزنوه في مواقع افتراضية مختلفة، كالأسلحة النووية الدفاعية، تحسبًا لأن يشن ستاركي هجومًا.

سألته بام: "أأنت واثق حقًّا أنه لن يعود إلى هنا؟".

ورغم أن لا شيء مؤكد بنسبة مئة بالمئة، فإن هايدن أكد بثقة كاملة: "في المعركة بين الأنا والانتقام، يفوز غرور ستاركي. صورته أهم من حاجته إلى الانتقام منكِ. قد يحاول، لكن ليس قبل أن يجهز لنفسه جريمة قتل جديدة كي يتبعه المنقولون".

ابتسمت في سخرية، بدت أقل ترهيبًا من ذي قبل: "يغضبني أنك تعرفه أفضل مني".

قال لها: "إنني عبقري عندما يتعلق الأمر بالحكم على الشخصيات. فمثلًا، لن يرى معظم الناس أي شيء لافت للانتباه بشأنك، بخلاف حدة

طباعك وحاجتك إلى مزيل عرق أقوى، لكنني أعتقد أنك قادرة على التعامل مع المنقولين تقريبًا بجودة تعامل كونر نفسها مع المقبرة".

حدجته بام بنظرة فاترة، وسألته: "ألا يمكنك تقديم مجاملة، دون أن تجعلها أيضًا إهانة؟".

اعترف: "لا، لا يمكنني ذلك. إنه جوهر سحري".

استدارت بام لإعادة ترتيب بعض الأسلحة المكدسة في الغرفة، وساعدها هايدن، للتأكد من أنها خالية من الذخيرة، وأن صمامات الأمان في أماكنها. أقصى درجات الحذر مطلوبة عندما يتعلق الأمر بالأسلحة النارية الآلية القاتلة.

توقفت بام لحظة، ونظرت إلى الأسلحة المكدسة أمامهما، ثم قالت: "لا شك أن القوة أطارت عقل ستاركي، لكن ما فعله.. ليس سيئًا بالكامل. لدينا أكثر من خمسمئة صبي كان من الوارد تفكيكهم لولا إنقاذه لهم، وهذا لا يشمل حتى المفككين غير المنقولين، الذين حررناهم من مخيمات الحصاد".

ورغم أن هايدن ليس من محبي الدفاع عن الطغاة، فقد ابتسم، قائلًا: "ربما في الصورة الكبيرة، نجد الغاية تبرر الوسيلة، وربما لا. كل ما أعرفه يقينًا هو أنه لن يُشنَق أي شخص آخر، أو يُقتل بإطلاق النار عليه، أو يُعْدَم بأي شكل آخر من الأشكال تحقيقًا لرؤية مايسون ستاركي للعدالة. ولا تنسي أننا منعنا للتو مذبحة كبرى لمراهقين أبرياء".

ذَكَّرته بام: "والآن، سيفكَّكون في الموعد المحدد".

- لكن لسنا الفاعلين.

أتى العديد من المنقولين إلى المخزن لوضع أسلحتهم. شكرتهم بام، فأسرعوا خارجين، وهم يشعرون بالراحة لأن الأسلحة أصبحت مشكلة

شخص آخر. الخطة تنص على الاحتفاظ بما يكفي من الأسلحة للدفاع، في حالة الحاجة إلى ذلك. سيتركون الباقي خلفهم عندما يغادرون محطة الطاقة، ويجب عليهم المغادرة قريبًا.

حال علم الكبار في قسم التصفيق أن ستاركي قد رحل، لا يمكن أن يتوقع أحد ماذا سيفعلون. ربما يهبطون من السماء في مجموعة من المروحيات بلا هوية، ويقضون عليهم جميعًا. لم يستبعد هايدن ذلك.

قالت بام: "لقد اخترت جارسون ديجروت مساعدًا لي، لأنك أوضحت أنك لا تريد المنصب".

- لا بد أنك تمازحينني!

- لقد كان مصدر إزعاج تحت قيادة ستاركي، لكنه يحترم السلطة ويطيع الأوامر. مع خروج ستاركي من الصورة، أعتقد أنه سيصبح مفيدًا. إضافة إلى ذلك، علينا إبقاؤه مشغولًا الآن بعد أن انفصلت أبيجيل عنه.

ضحك هايدن، وقال: "إن تقشير الذرة يمكن أن يقتل أي علاقة"، ثم أصبح جادًّا على غير العادة، وهو يسألها: "ماذا سنفعل بعد ذلك إذن؟"، لأن خطته لجيش المنقولين لم تصل إلى أبعد من خلع ستاركي.

قالت بام: "كلفت بعض المنقولين بالعثور على مكان آمن لنا. توجد الكثير من الأماكن للاختباء. سنجد مكانًا، ونختبئ فيه، وسينجح الأمر".

قال هايدن: "أتمنى لكِ التوفيق".

نظرت إليه وقد راودها شك قديم، وسألته: "ألن تأتي معنا؟".

تنهد هايدن بقوة مبالغ فيها، وقال: "بقدر ما أستمتع بكوني صاحب تأثير قوي على شخصيتك البارزة، فقد حان الوقت لأغادر إلى مراعٍ أكثر خضرة. في الواقع، فكرت في الاستعانة بطاقم عمل صغير، لإعادة

تأسيس بثي الإذاعي، حيث تواصل هيئة الأحداث حذف ملفات البث الصوتي بعد ساعات قليلة من نشري لها".

ضحكت بام، وقالت: "لم يصل بثك قط يا هايدن إلى ما هو أبعد من المقبرة، وحتى في ذلك الوقت، لم يستمع إليه أحد سواك".

- هذا صحيح. إنني أحب سماع نفسي أتحدث، لكني أعتقد أن بمقدوري الحصول على جمهور أوسع بمساعدة جيفان وعدد قليل من الأعضاء المختارين من فريق العمليات الخاصة. سنشكل قوة ضاربة لفظية، واختصارها "ق. ض. ل"، لأن الأحرف الأولى تثير الإعجاب دائمًا بقدر أكبر.

هزت بام رأسها: "إنك طائر غريب يا هايدن".

- هكذا قالت منقولة اسمها بامبي.

منحته بام ابتسامة حقيقية، وهي شيء نادرًا ما رآه، وقالت: "سأضربك لو نطقت هذا الاسم مرة أخرى".

***

30 - ستاركي

عندما استعاد وعيه، وجد الليل قد حلَّ. سرقت المهدئات منه اليوم بأكمله. ارتجف من المطر الخفيف المستمر، وشعر بانخفاض حرارة جسمه، لكنه أجبر أفكاره على الصفاء. إنه يعرف أن أفعاله الآن حاسمة لو أراد التغلب على هذا الظرف الجديد المروع. استعار الحرارة من عواطفه الملتهبة، ليدفئ بها جسده. إنه الأدرينالين الناتج عن الغضب.

قد يظن المرء أن خلعه عن العرش، أو انتزاعه من السلطة، من شأنه أن يجلب له إذلالًا لا يطاق... لكن هذا لم يحدث مع مايسون مايكل ستاركي. ربما لأن جوهر كيانه قد تحول إلى قوة متضاربة قوية من الطموح الذي تحول إلى سخط مُحِق. لقد أصبحت هذه القوى الدافعة جوهر شخصيته، ولا تترك مجالًا للإذلال. كل ما يشعر به ستاركي هو الغضب الشديد إزاء الخيانة، والرغبة الملحة في استعادة الزعامة التي هي من حقه. الزعامة التي اكتسبها. إن الخيانة أخطر جريمة في أي ثقافة، وهو عازم على جعل الخونة يدفعون الثمن.

سيقود المنقولين مرة أخرى. ربما ليس اليوم، لكن قريبًا. وسوف يضطر إلى الانتظار، فهو يملك المال وقوة حركة التصفيق التي تدعمه، ويعرف كيف يتصل بهم، لذا فهو ليس بلا أمل أو أصدقاء. لقد أعطاه

داندريتش رقم هاتف لاستخدامه في حالة الطوارئ، ولا يستطيع أن يفكر في حالة طوارئ أعظم من هذه.

لكن أولًا وقبل كل شيء، عليه الآن أن ينجو من هذا البرد. عليه أن يجد مأوى من نوع ما. في أحلك لحظاته، لم يحلم قط بأنه سيعود إلى وضع البقاء الأساسي مرة أخرى. فكر في أنهم أخذوا كل شيء منه، لكنه خنق الفكرة قبل أن تترسخ في ذهنه. إنه يحتقر أولئك الذين يشعرون بالأسف على أنفسهم. لن ينحدر إلى هذا المستوى.

إنه يعلم أن الأمر ليس سهلًا. إنه المجرم المطلوب رقم واحد في أمريكا. لا يوجد مكان يمكنه الذهاب إليه دون التعرف عليه فورًا. سيصبح فريسة لأي شخص يحمل هاتفًا، ويبحث عن الاستفادة من المكافأة الضخمة المعروضة للقبض عليه. أصبح ثمن رأسه الآن أعظم بكثير من القيمة التي رآها والداه بالتبني فيه.

سيعتمد مستقبله بالكامل على الهاتف. أول هاتف يراه سيصبح إما خلاصه وإما هلاكه، اعتمادًا على من سيتصل أولًا: هو أم صاحب الهاتف، الذي سيتصل بالشرطة بالتأكيد.

ورغم أنه ما زال يشعر بالدوار من أثر التخدير، شق طريقه من خلال الغابة إلى الطريق السريع، مما أجبر ساقيه المتصلبتين على السير بخطى سريعة، فتولدت حرارة في الجسم، لكنه ظل يرتجف مع كل خطوة. بعد أن قطع ميلًا ونصف على الطريق، وصل إلى منطقة خدمات، فأسرع إلى الدفء الرائع لمتجر صغير. ألقى نظرة سريعة على الأشخاص هناك. موظف بشع المظهر، وأسرة تختار وجبات خفيفة، ورجل عجوز يرتدي سروالًا من الجينز المتسخ، يحاول جمع ما يكفي من العملات المعدنية لتذكرة اليانصيب. لم ينظر إليه أحد وهو يتجه بسرعة إلى الحمام ويغلق الباب خلفه. جلس على المرحاض، مُرتديًا

ملابسه كاملةً، وشعر بجفاف شديد منعه حتى من التبول. أخذ يحاول السيطرة على ارتجاف جسده، لكن الأمر استغرق وقتًا أطول مما اعتقد، وأخيرًا طرق الموظف الباب.

- هل أنت بخير يا صديقي؟

- نعم، سأخرج فورًا.

مكث دقيقة أخرى، وثنى أصابع يده المعافاة، ثم وقف، ملاحظًا أن الدوار الناتج عن التهدئة قد زال. بعد ذلك عاد إلى متجر السلع الغذائية، حيث وجد أسرة أخرى تتجادل فيما بينها حول الوجبات الخفيفة، وامرأة حائرة أمام آلة القهوة، تحاول معرفة أي النوعين منزوع الكافيين، وأيهما عادي. أما البائع، فمشغول ببيع البنزين لرجل بدين، فبدأ ستاركي العمل.

خرج، حيث تنتظر سيارة الرجل البدين، وخراطيم البنزين ما زالت في الخزان. وإذا به يجد هاتفًا متصلًا بشاحن على لوحة التحكم بالداخل. فتح ستاركي الباب، لكن عندما مد يده إلى الهاتف، صرخ طفل يجلس في المقعد الخلفي: "أنت! اخرج من هنا! النجدة يا أبي!".

ارتجف ستاركي، لكن الأوان فات لإلغاء المكالمة.

- آسف يا فتى.

أمسك الهاتف، وفصله عن الشاحن، لكن الطفل واصل الصراخ، وخرج الأب من المتجر.

لعن ستاركي نفسه بسبب هذه السرقة الخرقاء. بصفته ساحرًا، لطالما تفاخر بقدرته على إدخال وإخراج الأشياء مثل الساعات والمحافظ والهواتف من الجيوب دون أن يلاحظه أحد. من المحبط أن

يشعر باليأس إلى الحد الذي يجعله مضطرًّا إلى السرقة بهذه الطريقة غير الأنيقة.

طارده الرجل، فركض ستاركي إلى الحقل المظلم المملوء بالأشجار خلف متجر السلع الغذائية، وواصل العدو طويلًا حتى بعد أن أصبح من المستحيل سماع صراخ الطفل ووالده الغاضب بطيء الحركة.

عندما تأكد أنه ابتعد للغاية بحيث لا يمكن رؤيته أو ملاحقته، تحقق من الهاتف. للحظة، اعتقد أن واجهته مغلقة بكلمة سر، ولن يتمكن من استخدامه، لكن لحسن الحظ، لم يتوقع الرجل أن يأخذ أحدهم هاتفه من سيارته الآمنة. فتح ستاركي شاشة الاتصال وأدخل رقم الطوارئ الذي منحوه له. رن الهاتف مرتين، ثم أجاب صوت غير واضح على الهاتف بصيغة قياسية، قائلًا: "آلو؟".

قال: "أنا مايسون ستاركي، لقد وقع أمر ما. أحتاج إلى المساعدة".

شرح الموقف بسرعة قدر استطاعته، دون أن يلتقط أنفاسه. قال الصوت بهدوء على الطرف الآخر من الخط: "ابق في مكانك. سنأتي إليك".

واتباعًا للتعليمات التي وجهها له الصوت، أبقى ستاركي الهاتف قيد التشغيل، لاستخدامه في تتبع موقعه، وفي غضون ساعة، هبطت طائرة مروحية من سماء الليل كطائر عملاق، لتحمله إلى مكان أكثر أمانًا.

لم يتعرف ستاركي على المكان الذي نُقِلَ إليه. إنها مدينة. هذا كل ما يعرفه. إنه ليس خبيرًا لدرجة معرفة ظلال الأفق عند ظهور أول خيوط الفجر. كل ما يعرفه يقينًا هو أنه بالقرب من مساحة كبيرة من الماء، وأن هذا المكان أبرد من الذي جاء منه، كما اتضح من هبوب الهواء البارد عندما فتحوا باب المروحية ورافقوه من مهبط الطائرات على السطح. إنه مبنى شاهق، لكنه ليس الأطول. إنه متوسط الارتفاع عند مقارنته

بناطحات السحاب. يعلم ستاركي أن حركة التصفيق تحظى بتمويل وتنظيم جيدين، لكن وجود مثل هذا المقر الرئيسي أمام أعين الجميع جعله يتوقف ليتأمل. في خياله، تصور أن حركة التصفيق أكثر خشونة وأكثر تمردًا. ربما يختبئون في الغرف الخلفية الخطرة للأندية المريبة. ومع ذلك، فإن حقيقة امتلاكهم لمبنى إداري خاص، أزعجته أكثر بطريقة ما. الشعار الموجود على المبنى -رآه عندما اقتربت المروحية- يحمل تصميمًا بسيطًا لم يتعرف عليه، ويضم الأحرف الأولى "م. ا"، التي تبدو عامة إلى حد ما ويمكن أن ترمز إلى أشياء كثيرة جدًّا.

اصطحبه رجلان -يرتديان حلتين داكنتين ولهما عضلات صدر بارزة أوحت أنهما بالتأكيد رجلا أمن- فهبطوا درجًا ثم ركبوا مصعدًا. أخذه المصعد إلى الطابق السابع والثلاثين، ثم نُقِل إلى غرفة اجتماعات بها مقاعد جلدية سوداء وطاولة طويلة من الرخام الأزرق، لكن لا يوجد أحد.

قال أحد الحارسين: "انتظر هنا. سيأتي شخص ما قريبًا".

الغرفة لها باب واحد فقط، أغلقه الرجلان عند خروجهما، وتركاه بمفرده. توجد نوافذ من الأرض إلى السقف تطل على الشرق، لكنها مصنوعة من زجاج مصنفر ينشر الضوء بينما يحجب الرؤية. منفذ للضوء أكثر من كونه شفافًا، لذا فالشمس المشرقة لا تبدو أكثر من ضباب ذهبي.

جاء بمفرده في المروحية أيضًا. لم يتحدث إليه الطيار -المنعزل في مقصورة القيادة- بعد السماح له بركوب الطائرة، ولم يقل سوى: "اربط حزام الأمان". حقيقة أنهم أرسلوا له مركبة إنقاذ بهذه السرعة، وأنهم وضعوه في مثل هذه الغرفة المجهزة برفاهية في مقرهم، أخبرت ستاركي أنهم يحترمونه ويقدرونه. ومع ذلك، انتشر بداخله قلق غير محدد المعالم، مثل الضوء القادم من النوافذ المصنفرة.

***

لم يأتِ أحد.

بعد ساعة، حاول -دون جدوى- فتح قفل الباب باستخدام مشبك ورق وجده على الأرض. ورغم مهارته في التعامل مع الأقفال، فإنه لم يستطع فتح هذا القفل.

صرخ: "أيها السادة! ما زلت هنا لو أنكم نسيتموني! فليأتِ أحدكم إلى هنا ويخرجني!".

بدأ يطرق الباب، محاولًا إحداث ضجة كافية ليأتي شخص ما لإسكاته، لكن لم يحدث شيء. بدا وكأن الطابق بأكمله مهجور. أو ربما عازل للصوت. تصاعد غضبه، فبدأ يُسقط المقاعد، مما أحدث ضوضاء، لكن لو لم يوجد أحد ليسمعه، فلن تعني كل هذه الضوضاء والغضب شيئًا. أخيرًا، لم يرغب في أن يكتشفوا أنه من أحدث هذه الفوضى، فأعاد المقاعد إلى مواضعها الأصلية، وجلس منهكًا ومحتضنًا رأسه بين ذراعيه على الطاولة، لينام في لحظات.

حلِم ببام، التي ضحكت ساخرة منه، فحثت الآخرين ليضحكوا أيضًا، ورغم أنه أطلق عليها النار من مدفع رشاش، لم يخرج من سلاحه شيء سوى بتلات الزهور وحلوى الجيلي والفشار، وهذا جعل الجميع يضحكون أكثر. ثم انتزع منه هايدن السلاح، ودفع فوهته في أنفه، حتى شعر ستاركي بالألم في رأسه، وقال هايدن: "هذا سينظف جيوبك الأنفية".

علت الضحكات في الأرجاء وكأنما تملأ استادًا رياضيًّا.

- وهنا، شعر بيدٍ تربِّت كتفه برفق، وتخرجه برحمة من الحلم.

- سيد ستاركي؟

رفع عينيه، ليرى رجلًا مهندمًا، له لحية مشذبة بإحكام. إنه داندريتش.

قال ستاركي بصوت أجش: "لقد أتيتَ في الوقت المناسب".

قال داندريتش بلطف: "لقد أمرتهم باصطحابك إلى مكان ما للراحة حتى أصل، لكنهم في الغالب أساؤوا تفسير الأمر".

- يجب طرد أحدهم.

فكر داندريتش في الأمر، وقال: "أو على الأقل توبيخه. في جميع الأحوال، آمل أنك قد حصلت على بعض الراحة. لا بد أنك مرهق من جهودك لتحقيق النصر".

ازدرد ستاركي لعابه، فيما سكب له الرجل كوبًا من الماء من إبريق بلوري لم يره بالغرفة من قبل، وسأل ستاركي: "ما هذا المكان؟".

سلمه داندريتش الكوب، مجيبًا: "إنه ما يسمى عادةً "مكان غير معلن عنه"".

- يبدو مكشوفًا بالنسبة إليَّ، لو أنه في وسط المدينة.

قال داندريتش وهو يجلس ببساطة إلى جوار ستاركي: "ليس الهاربون من التفكيك فحسب من يمكنهم الاختفاء في بيئة حضرية يا صديقي. بالنسبة إلى سكان المدينة، فإن معظم المباني، مهما كانت كبيرة، ليست سوى عقبات بين المنزل والمكتب. في المدينة، تسير الراحة والهوية الغامضة جنبًا إلى جنب. لكننا لسنا هنا للحديث عن مقرنا الرئيسي، أليس كذلك؟".

قال ستاركي مباشرة: "يوجد فريق من الخونة. لا بد أن نقضي عليهم لإنقاذ جيش المنقولين".

لم يبدُ داندريتش منزعجًا، وقال: "الانقلاب شيء مؤسف دائمًا. ما لم تدبره أنت طبعًا".

هنا، فكر ستاركي في الانقلاب الذي نفَّذه في المقبرة. كما تدين، تدان.. لكنهم اختاروا أسوأ توقيت ممكن.

قال داندريتش: "ليس من الغريب أن يصاب عدد من المنقولين بخيبة أمل، بعد الاحتفالات في مخيم حصاد «هورس كريك»".

- لقد حصلوا على تسجيل يُدينني، لكن بمساعدتك يمكنني إقناع الجميع بأنه مزيف. أرسلني إلى هناك بقوة مسلحة أكبر. سأستعيد السيطرة مرة أخرى، وأحشد المنقولين من أجل القضية.

قال داندريتش: "لا داعي لذلك. هجماتك القليلة الأخيرة حققت نجاحًا كبيرًا، فقررنا أنه لا حاجة إلى مزيد من الإجراءات من جانبك".

- لكن ماذا عن الهجوم على «ماوستايل»؟

قال مبتسمًا: "ليس ضروريًّا. سيخيِّب الآمال بعد ما فعلته في «هورس كريك». لقد كنت رائعًا هناك (ثم تحولت ابتسامته إلى الحياد، وهو يضيف) لقد أبدعتَ، لكن عملك انتهى الآن".

هز ستاركي رأسه نفيًا، وقال: "ما زال يوجد اثنان وتسعون مخيم حصاد. إنك تحتاج إليَّ لإسقاطهم".

- لقد نسيت يا مايسون أن هدم كل مخيمات الحصاد ليس هدفنا.

وقف ستاركي، قائلًا: "حسنًا، إنه هدفي أنا!".

هنا، أصبح تعبير داندريتش جليديًّا، وهو يقول: "لسنا بصدد الاستسلام لخيالات القوة لدى المراهقين".

رغم أن الرجل نحيف وفي النهاية الضعيفة لمنتصف العمر، فقد شعر ستاركي بالرعب من نظراته الجامدة.

- هذا إذن كل شيء؟ هل انتهيتم مني؟ هل ستلقون بي إلى الشارع؟

أضحك الاقتراح داندريتش، ولانت تعبيرات وجهه مرة أخرى، وهو يقول: "لا، طبعًا لا. لن نتخلى أبدًا عن شخص قيِّم مثلك. ما زال بإمكانك خدمة قضيتنا".

- فلتذهب قضيتك إلى الجحيم! ماذا عن قضيتي؟

- الجنرال الحكيم يعرف متى تنتهي حملته.

ثم رفع يديه في إيماءات واسعة وهو يتحدث: "انظر إلى ما فعلته! لقد جعلت من نفسك الأسطورة التي حلمت بها دائمًا، ويجب أن تشعر بالرضا. لقد حررت مئات المفككين، وأنقذت العديد من المنقولين، ووجهت ضربات قاسية دفاعًا عما تؤمن به".

ربما يكون محقًّا، لكن ستاركي لم يستطع تحمل فكرة أنه طُرِد، والآن يُحرَم من حق الانتقام. ضرب بقبضته على الطاولة، وصاح: "يجب أن يدفعوا ثمن فعلتهم!".

لم يفقد داندريتش هدوءه قط كعادته، وقال: "سيدفعون الثمن.. في الوقت المناسب".

حاول ستاركي أن يهدأ. كان الصبر أقوى أسلحته في المقبرة. متى فقده؟ أخذ نفسًا عميقًا، ثم آخر. لو تمكن من مقاومة عطشه للانتقام، فسيشعر برضا أكبر عندما يحققه. الخيانة لم تلغ عمله الجيد. يجب أن يتذكر ذلك. وفي هذه المنظمة الغريبة التي تدافع عن فضائل الفوضى والاضطراب، سيجد مكانه. هنا أيضًا، سيجد طرقًا لتحريك التروس، تمامًا كما فعل في المقبرة.

قال داندريتش: "لقد دارت حولك الكثير من المناقشات، وقد قررنا أن قسم جمع الأموال لدينا هو الموقع الأمثل لاستغلال أعظم إمكاناتك".

- جمع الأموال؟

قال: "يوجد من يرغبون في التعرف عليك على مستوى شخصي وثيق. إنهم أشخاص مهمون. بعضهم أثرياء للغاية، وبعضهم أقوياء للغاية".

- هل ستقدمني إذن إلى هؤلاء الأشخاص؟

- ليس شخصيًّا، لكنني أؤكد لك أنك ستصبح في أيدٍ أمينة.

فُتِح الباب، ووجد في انتظاره رجلين آخرين قويين يرتديان حلتين رسميتين. قال داندريتش: "سيرافقك زميلاي إلى مهمتك الجديدة (ثم صافح ستاركي، مضيفًا) شكرًا لك على كل ما فعلته. يسعدني أن مساراتنا تقاطعت، وأن أهدافنا تكاملت لبعض الوقت. اعتنِ بنفسك يا مايسون".

ثم ترك ستاركي مع الرجلين، اللذين قاداه إلى المصعد.

سأل الحارس الأذكى، فيما يرتفع المصعد نحو مهبط الطائرات على السطح: "إلى أين سأذهب؟ إذا لم يزعجك سؤالي".

- أوه... مما فهمته، ستذهب إلى الكثير من الأماكن.

هذا أمر جيد بالنسبة إلى ستاركي. يمكنه أن يعتاد السفر بأناقة.

***

31 - جرايس

يوجد ببساطة الكثير من المظاريف لإرسالها بالبريد بحيث لا يمكن إنهاء المهمة في رحلة بريدية واحدة. قررت جرايس القيام بثلاث رحلات، ليست كلها إلى المكان نفسه. خططت لعمل رحلات متعددة إلى مناطق بريدية مختلفة، وحملت حقيبة تسوق غير مميزة وكبيرة ومتينة بما يكفي لإنجاز المهمة في ثلاث رحلات.

قالت لسونيا: "هذه الطريقة أقل إثارة للريبة. لذا، إذا قرر مدير مكتب البريد أو-أيًّا كان منصبه- تتبع كل هذه الرسائل ليعرف المكان الذي وردت منه، فلن يعرف أين يبحث باستثناء آكرون عامةً، وهي مدينة كبيرة، ليست مثل نيويورك طبعًا، لكنها كبيرة بما يكفي".

لوحت سونيا بيدها، قائلة: "افعلي ذلك فحسب، ولا تثرثري معي".

وهذا جيد بالنسبة إلى جرايس، التي تحب التعامل بوسائلها الخاصة، ما دامت لا تحتوي على الكثير من الإلكترونيات، مثل طابعة الأعضاء. إنها تعلم أن الأمر سيستغرق اليوم بأكمله، لكن لا بأس. إنه شيء يجب عمله، شيء مهم، وسيخرجها من القبو ليوم كامل.

مرَّت أول مرحلتين من عمليات التسليم دون أي عوائق. إنه يوم الأحد، لذا فمكاتب البريد مغلقة، لكن هذا لم يمنعها من زيارة صناديق البريد

المختلفة في مواقع عشوائية استراتيجية. بحلول الغسق، وصلت إلى اثني عشر صندوق بريد في ثلاث مناطق بريدية مختلفة.

في طريق عودتها لإفراغ صندوق السيارة، وإرسال الدفعة الأخيرة من الرسائل، بدأت الأمور تتغير. لقد حلَّ الظلام بالفعل، وأصبح الليل أقرب من النهار، وبدأت تفكر في أن الدفعة الثالثة ستضطر إلى الانتظار حتى الغد. أضاءت أعمدة الشوارع، مما جعل الغسق يتحول إلى ليل، وهناك تحت ضوء الشارع في الزاوية، على بعد بضعة مبانٍ فقط من متجر سونيا، وقف شخص بدا مألوفًا. مألوفًا للغاية. لم تستطع رؤية سوى وجهه، لكن هذا يكفي.

قالت قبل أن تتمكن من منع نفسها: "آرجي؟.. أهذا أنت يا آرجي؟".

في البداية شعرت بحماس، لكنها سرعان ما تذكرت ما حدث في آخر لقاء جمعها بشقيقها. لن يسامحها. آرجان ليس من النوع الذي يسامح. عندما اقتربت، شعرت بشيء غريب بشأنه. شيء مختلف في الطريقة التي يتصرف بها، كما لو أنه ليس آرجان على الإطلاق.. ومع ذلك، من الواضح أنه هو! كل ما عليها هو النظر إلى وجهه لتعرف... وهنا، التفت إليها وابتسم، قائلًا: "مرحبًا يا جرايس".

بدأت تصرخ. ليس بسبب ما تراه، وإنما بسبب ما لا تراه. لم تشعر حتى بسهم التخدير يضربها، لأنها وضعت كل تركيزها في الصراخ. ظلت تصرخ فيما خانتها ساقاها، لتسقط وتصطدم بالرصيف. ظلت تصرخ فيما تتلاشى رؤيتها الطرفية. ظلت تصرخ بينما يسحبها التخدير إلى اللاوعي.

ظلت تصرخ لأنه عندما التفت لينظر إليها، لم تر جرايس النصف الآخر من وجه آرجان، بل النصف الآخر لشخص آخر تمامًا.

***

32 - سونيا

انغمست في الاستماع إلى قائمة تشغيلها المفضلة من موسيقى روك ما قبل الحرب، ولم تسمع صراخ جرايس القادم من الشارع، على بعد عشرين ياردة فقط.

بعد انتهاء الأغنية التالية -عقب حلول الظلام مباشرة- دخل رجل إلى المتجر. أزالت سونيا السماعات من أذنيها، ورأت في الرجل فورًا شخصًا غريبًا. غريب بطريقة مزعجة. كانت تعمل على تغيير وضع اللوحات الفنية بحيث لا تنقلب في كل مرة يمر بها أحد العملاء الأغبياء، ووجدت نفسها في وضع غير سار، لأنها بعيدة جدًّا عن مكتب المبيعات، الذي تحتفظ أسفله بمسدس. لم تضطر إلى استخدامه إلا مرة واحدة، عندما طالبها بلطجي حقير بالنقود الموجودة في خزانتها. أخرجت المسدس، ففر هاربًا فورًا، دون حتى أن تستخدمه. الآن، يحول الرجل بينها وبين المسدس.

وضعت اللوحة التي تحملها جانبًا، محاولةً الوقوف باستقامة قدر الإمكان، وهي تفكر في فخذها المتورم، وسألته: "هل يمكنني مساعدتك؟".

عندما اقترب منها واتضح لها الأمر أكثر، رأت ما يزعجها بشأنه. الجانب الأيسر من وجهه لرجل في منتصف العمر، لكن الجانب الأيمن -من أعلى خط الفك مباشرة- وجه شخص آخر أصغر سنًّا. لا تُعد عمليات ترقيع الوجه نادرة تمامًا، لكنها نادرًا ما تحافظ على سلامة وجه المتبرع. لسبب ما، أخذ هذا الرجل عمدًا ليس البشرة فحسب، بل وبنية العظام الأساسية للمتبرع أيضًا. إن رؤيته مزعجة للغاية، وهذا مقصده بوضوح.

قال، وهو يواصل السير نحوها: "آمل أن تتمكني من مساعدتي. إنني أبحث عن كرسي محدد للغاية لإكمال مجموعة. إطاره متين، لكنه غير متوازن قليلًا. ثابت، لكنه محشو. أي أنه ممتلئ قليلًا".

قالت له سونيا، وهي تعلم فعلًا أنه لا يبحث حقًّا عن كرسي: "كراسي السفرة في الممر الثالث".

قال، وهو يرمقها بعينين غير متطابقتين بشكل ملحوظ، إحداهما تنتمي بوضوح إلى النصف المزروع من وجهه: "لن أجده في الممر الثالث، لكني أعتقد أنه هنا في مكان ما. قطعة الحطام التي أبحث عنها تُدعى كونر لاسيتر".

تنهدت سونيا، وهي تحافظ على جمود ملامحها، وحاولت إبعاده، دون أن يبدو عليها أي من علامات الرعب أو طلب النجدة: "لماذا يوجد إوُول آكرون في متجر للتحف؟ أينما وُجِد، أثق أن لديه أشياء أفضل لفعلها من تلميع أثاثي".

قال الرجل: "ربما يجب أن أسأل جرايس سكينر، إذن.. حال عودتها إلى وعيها".

الآن بعد أن أصبح خلفها، والمنضدة أمامها، انطلق نحوها، ولكن حتى في وجود عصاها، عليها التحرك بسرعة.

وفجأة، دوى صوت طلقة نارية، أصابت عصاها، فحطمتها إلى قطع، فسقطت سونيا على جانبها، وارتطمت بالأرضية الخشبية. انفجر الألم في عظام فخذها، وتأكدت أنها قد كُسِرَت. ما حدث بعد ذلك جاء بسرعة باهرة، لكن بالحركة البطيئة في الوقت نفسه، ويبدو أن ألمها أفقدها القدرة على استيعاب الزمن.

سحبها الرجل إلى الغرفة الخلفية. وقبل أن تدرك ما حدث، وجدت نفسها تجلس مثنية على كرسي مكتبها غير قادرة على الحركة، وفخذها يصرخ من الألم. لقد استخدم سلسلة من مصباح معلق قديم لتقييدها، ولفها حولها، وأصبح الأمر يستلزم مقص أسلاك لتحريرها.

ثم اتجه مهاجمها -الذي لم يعد يملك أكثر من الوقت- إلى خارج المتجر مرة أخرى، وهو يصفر لحنًا لا تعرفه. أغلق الباب الأمامي وعاد، ليجلس على حافة صندوق التخزين القديم.

تساءلت سونيا: *هل سمعوا صوت الرصاصة في القبو؟ أهم أذكياء بما يكفي ليبقوا صامتين؟* إنها لا تقلق بشأن حياتها، بل حياتهم.

قال كلا الجانبين من وجه الرجل البشع: "حسنًا، دعينا نتحدث عن الأصدقاء المشتركين بيننا".

***

33 - نيلسون

مع استبدال الجانب المصاب من وجهه الذي أحرقته الشمس، شعر جاسبر توماس نيلسون وكأنه رجل جديد، لكن آرجان سكينر لم يكن متبرعًا متعاونًا تمامًا، طبعًا.

قال لآرجان قبل أن يحصد ديفان الجانب المعافى من وجهه الشاب: "لقد قلت ذلك بنفسك، نصفي الأيسر ونصفك الأيمن يكملان بعضهما". ورغم إصرار آرجان على أن هذا ليس ما يعنيه، فإن شكاوى المتبرع لا تهم حقًّا.

رؤية النظرة على وجه جرايس سكينر عندما رأته جاءت كميزة إضافية. سيستمتع أكثر برؤية تعبير وجه لاسيتر عندما يلتقيان.

لقد استخدم عقارًا سريع المفعول قصير المدى لتهدئة جرايس، وهذا جيد أيضًا. لو أنه استخدم مهدئًا أقوى وأبطأ، لصرخت طويلًا وجذبت قدرًا كبيرًا من الاهتمام. لكن عندما صمتت وغابت عن الوعي سريعًا، لم يأتِ أحد لمساعدتها. وهكذا تمكن نيلسون من إلقائها خلف سياج كثيف النباتات، لإخفائها عن الأنظار. ثم توجه إلى متجر التحف حيث أظهرت شريحة التتبع أنها قضت هناك كل وقتها حتى اليوم، عندما ذهبت في جولة في جميع أنحاء آكرون.

حال رؤيته المرأة العجوز في المتجر، قرأ نيلسون على وجهها بوضوح جميع الأشياء التي احتاج إلى معرفتها. لاسيتر موجود هنا -أو كان- أو ربما يختبئ في مكان قريب، ونيلسون على استعداد للمراهنة على أن ذلك الفتى النتن الذي تحول إلى مُصفق موجود هنا أيضًا. إنه لا يعرف أيهما سيرضيه أكثر، تسليم إوُول آكرون ليُفَكك، أم قتل ليف كالدر ببطء، جزاء ما فعله في المقبرة. إنه العقاب لسرقة لاسيتر منه، وتركه مخدرًا على جانب الطريق للحيوانات المفترسة آكلة اللحوم وشمس أريزونا النارية.

كل ما قاله نيلسون للمرأة العجوز في الغرفة الأمامية من متجرها جاء لاستفزازها، ومراقبة ردود فعلها لمعرفة ما قد تكشفه عفويًّا. أخبره رد فعلها أنه أصاب الهدف.

ها هي الآن -هنا في الغرفة الخلفية- تحت رحمته. تبقى فقط استخراج المعلومات التي يحتاج إليها. سيجد هذا أسهل بالتأكيد من القبض على لاسيتر في مقبرة الطائرات. سيجد هذا سهلًا، وبعد كل ما مر به، تعلم السماء أنه يستحق ذلك.

***

34 - سونيا

هذا الرجل ليس شرطي أحداث. إنه ليس حتى قرصان أعضاء لائقًا. أدركت سونيا وجود خطأ أساسي به. شيء مشوه داخليًّا أسوأ بكثير مما يكشفه وجهه الرهيب.

قال لها: "لو أن وسائل الإعلام على حق، فإن ثلاثي التهديد قد اجتمع مرة أخرى. كونر لاسيتر، وليف كالدر، وريسا وورد. آمل أن تؤكدي ذلك لي".

رأته سونيا وهو يتأمل البقالة المكدسة في الغرفة الخلفية. لامت نفسها لأنها لم تنزلها إلى القبو.

- من الواضح أنكِ تُطعمين حشدًا، وأن هذا منزل آمن تابع لمنظمة مقاومة الانقسام. لم أعلم أن أحد أتباعهم ما زال باقيًا.

لم تنبس سونيا ببنت شفة. صندوق التخزين فوق السجادة، والسجادة ناعمة، ولا تترك أي تلميح إلى عمليات إزاحة الصندوق، أو إلى الباب السري أسفله. ربما يشك أنها تؤوي هاربين من التفكيك، لكنه لا يعرف أين.

عندما لم تجبه، تنهد ووقف مقتربًا منها، وقال: "لا تفترضي أنني سأستمتع بما سأفعله. إنني أفعل ذلك فقط لأنه ضروري"، ثم مد يده

نحوها وضغط بإبهامه على فخذها الأيسر المكسور، بقوة أكبر مما يمكن لأي شخص أن يفعله.

شعرت بألم لا يُطاق، بل لا يمكن تصوره. حاولت أن تصرخ بقوة، لكن لم يخرج سوى أنين ضعيف من بين أسنانها المغلقة. رأت ما يشبه الديدان الداكنة تتراقص أمام عينيها، وتهدد بالسيطرة عليها، لكنها لم تلبث أن تراجعت، عندما أبعد إبهامه عن ساقها، وأخذ يراقب تأثير فعلته عليها. ظل الألم قائمًا وشعرت أنها أضعف من أي وقت مضى. تمنت لو أن بإمكانها أخذ الطرف المكسور من عصاها المحطمة وغرزه في عينه المسروقة.

- دعيني أسألك مجددًا.. أين كونر لاسيتر؟

واصلت سونيا صمتها. فليقتلها لو أراد، لأنها لن تتكلم. ظنت أنه سيبادر مرة أخرى، ويتسبب لها في المزيد من الألم، لكنه استدار إلى صندوق التخزين، ومن دون أدنى تردد، ركله جانبًا، ثم قلب السجادة ليكشف عن الباب السري تحتها.

- هل ظننتِ أنني غبي؟ لقد عملتُ شرطي أحداث لفترة تكفي لأشم رائحة مكان الاختباء حال دخولي الغرفة. أتساءل كم عدد الهاربين من التفكيك لديكم هنا، عشرة؟ عشرون؟

هذه الاستراتيجية أكثر فاعلية بمراحل من الشعور بالألم عندما يتعلق الأمر بسونيا، وهذا الوغد يعرف ذلك.

صاحت تُذَكِّره: "دعهم وشأنهم! لم تأتِ إلى هنا من أجلهم".

جلس على حافة مكتبها، بالقرب منها، وقال: "بالتأكيد لا". على مكتبها وعاء مملوء بالولاعات القديمة التي صقلتها واستعدت لعرضها في المتجر. سحب واحدة، فضية مزينة بوردة مطلية بالمينا الحمراء، وبتلاتها كاللهب، وقال: "إنني أشفق عليكِ حقًّا.. أنت المرأة العجوز

التي تُطعم الحمام وتسمح له بالتكاثر ونشر الأمراض (ثم أشعل الولاعة وراقب اللهب المتراقص، مضيفًا) أنتِ الروح المضللة التي تسمح للفئران باجتياح المدينة، لأنك تعتقدين أنها نوع مهدد بالانقراض".

لوح بالولاعة المشتعلة أمامها، واقترب ساخرًا بشكل خَطِر، ولم تستطع هي فعل شيء حيال ذلك، فيما واصل حديثه: "إنك بالتأكيد كبيرة بما يكفي لتتذكري ما حدث في الماضي. خشي الناس مغادرة منازلهم خوفًا من المراهقين المتوحشين، فيما عانى آخرون بلا داعٍ كلَّ الأمراض، بداية من قصور القلب إلى سرطان الرئة!". أغلق الولاعة، وأطفأ اللهب، لكنه لم يتركها، وأضاف: "أمثالك يصيبونني بالحيرة. كيف لا ترين الخير في التفكيك؟".

ورغم أن سونيا لم ترغب في إكرامه بالرد، فإنها لم تستطع منع نفسها من مجادلته: "هؤلاء الصبية بشر!".

صحَّح لها: "كانوا بشرًا. إنهم الآن في نظر المجتمع -وحتى في نظر آبائهم- معدومو القيمة. لماذا تعتقدين أنك تعرفين أفضل من الجميع؟".

- هل انتهيت؟

- هذا يعتمد عليكِ. هل كونر لاسيتر هناك مع بقية الحمام؟

فكرت سونيا في كيفية الرد، وقررت أن نصف الحقيقة قد يحررهم.

- لقد طار من العش. كان هنا، وذهب. لن يبقى في أي مكان طويلًا.

- لن تمانعي إذن لو فتشت القبو، أليس كذلك؟

وضع الولاعة في جيبه، مخرجًا مسدسه، ثم مسدسًا ثانيًا، وتحقق من صمامي الأمان. لا بد أن أحدهما يمتلئ بالمهدئات، والآخر بالرصاص الحي. بالمناسبة، لقد حطَّم عصاها، لذا فهي تعلم أن هذه الرصاصات

من النوع المجوف القاتل. قنابل يدوية صغيرة تنفجر عند ملامستها. لن يجد هاربوها فرصة للنجاة.

ثم خطرت لسونيا فكرة يائسة.

- لقد غادر كونر ... لكن ليف كالدر هنا. سأجعله يأتي، إذا تركت باقي الهاربين من التفكيك وشأنهم.

تبسم، قائلًا: "أترين؟ الأمر ليس صعبًا للغاية. لقد آمنتُ بأنه يمكن التعامل معك بالمنطق".

ذهب إلى الباب السري ومد يده نحوه، مضيفًا: "أحسني التصرف، وتحدثي بلهجة مُقنعة. لو غادرتُ هذا المكان مع ليف، أعدك أن الباقين سيظلون آمنين"، ثم سحب الباب السري ليفتحه، وأومأ برأسه لسونيا.

نادت: "ليف! أيمكنك الصعود يا ليف؟ أحتاج إلى مساعدتك هنا".

لم تتلقَّ ردًّا.

همس الرجل منقسم الوجه: "يمكنك أن تفعلي ما هو أفضل من ذلك".

نادت سونيا بصوت أعلى كثيرًا: "ليف! اصعد إلى هنا! لا أملك الكثير من الوقت".

ثم أغمضت عينيها، وصلَّت في صمت كي يتحلى هؤلاء الصبية هناك بما يكفي من الذكاء لفهم ما يحدث، ويفعلوا ما يجب فعله.

***

35 - ريسا

قبل أربع دقائق من فتح الباب السري، سمعت ريسا صوت طلق ناري، وارتطام شيء -أو شخص ما- بالأرض. سمعوا ذلك جميعًا، وتجمدوا في منتصف ما يفعلونه.

قال بو بهدوء: "صَهْ! لا تتحركوا أو تتكلموا، جميعًا!".

وفجأة بدا وكأن الأرض من تحتهم -أو بالأحرى من فوقهم- قد تحولت إلى جليد يمكن أن يُكسَر بأدنى تحول في الوزن. أول ما فعلته ريسا هو البحث تلقائيًّا عن كونر، ثم أدركت بعد لحظة أنه غير موجود معهم. وفقًا لسونيا، لقد ذهب ليهتم "بعمل غير مكتمل"، ورغم أنها لم توضح طبيعة هذا "العمل" بالتحديد، فإن ريسا تعرفه. تمامًا مثل المرة التي التقط فيها الطفلة ديدي من أمام الباب، اختار كونر بشكل متهور الوقت الخطأ لعمل الشيء الصحيح. سبَّته وصلَّت من أجله في الوقت نفسه، لأنه على الأقل ابتعد عن هنا.

رفع الجميع أنظارهم، متتبعين صوت شيء ثقيل يُسحَب من المتجر إلى الغرفة الخلفية. أهي سونيا التي تُسحب؟ أهي جرايس؟ ذهبت إلى الخارج للاهتمام "بعمل غير مكتمل"، أليس كذلك؟ ماذا لو أُطلِقَت النار على إحداهما؟ ماذا لو ماتت إحداهما؟

أطفأ بو جميع الأضواء باستثناء المصباح الخافت المعلق في منتصف القبو، لأن من دونه سيصبح الظلام دامسًا لا يطاق.

سألت إيلي (فتاة تبحث دائمًا عن التوجيه من ريسا): "ماذا نفعل؟".

همست ريسا: "أطيعي بو. ابقي ساكنة، وهادئة!".

ومع ذلك، أول من كسر تجمدهم المرعب هي ريسا، التي بحثت عن شيء يمكنها استخدامه كسلاح، فوجدت مطرقة ذات طرف مخلبي. رأى الصبية الآخرون ما تفعله، فتحركوا بهدوء للعثور بدورهم على أسلحة.

رأت ريسا بو يحدق إلى النافذة الوحيدة في القبو، والموجودة أعلى الحائط، في زاوية بعيدة. زجاجها ملطَّخ بالشحم، مما يجعل الرؤية مستحيلة من الخارج أو الداخل.

لطالما نهتهم سونيا: "لا تفتحوا تلك النافذة أبدًا. إنكم لا تعرفون أبدًا من يمكن أن يمر في الزقاق بخارجها". وللتأكد من عدم تعرض أي منهم للإغراء، أُغلِق إطار النافذة بالمسامير.

أخذ بو المطرقة من ريسا، ومنحها مفتاح ربط معدنيًّا بدلًا منها. أومأت ريسا برأسها متفهمة، فاتجه بو إلى النافذة، واستخدم طرف المطرقة المخلبي في محاولة لانتزاع المسامير من الخشب.

بينما يعمل بو على فتح النافذة، اتجهت ريسا بهدوء إلى الدرج. حاول صبي إيقافها، لكنها حدجته بنظرة شريرة أدت إلى إبعاده عن طريقها. صعدت الدرج إلى التجاويف المظلمة أسفل الباب السري. إنها تعلم أنها ستتلقى تحذيرًا قبل فتح ذلك الباب. ستسمع انزلاق صندوق التخزين.

مالت برأسها، وركزت كل انتباهها على أي أصوات قادمة من الطابق العلوي. انتهت الأصوات العنيفة التي حدثت منذ لحظات قليلة. يوجد

الآن حديث فحسب. رجل يتحدث مع سونيا. تنفست ريسا بعمق في ارتياح، عندما تأكدت أن العجوز ما زالت حية. أرادت الصعود إلى هناك ومساعدتها، لكن لا يوجد شيء يمكنها فعله؛ لا يمكن فتح الباب السري إلا من الجانب الآخر. نظرت إلى أسفل، لترى الصبية مسلحين جميعًا بأشياء مختلفة وجدوها بالقبو: أنابيب ومقصات وقوالب طوب وألواح.

ثم صرخت سونيا.

صرخة مكتومة، لكنها بلا شك صرخة ألم. تلا ذلك سحب الصندوق جانبًا. شعرت ريسا بأكثر مما تسمعه: اهتزاز في خشب الدرج تردد صداه في عظامها. زحفت إلى أسفل الدرج، وتراجعت إلى الظل مع الجميع.

ابتعد بو عن نافذة القبو. لقد تمكن من إزالة مسمار واحد فقط. قال لريسا: "انتهى كل شيء. سينتهي أمرنا جميعًا، لو لم نتصرف بشكل صحيح".

أرادت أن تتحدى وجهة النظر المصيرية هذه، لكنها لم تستطع، لأنه محق. فكرت: *ربما يعود كونر في الوقت المناسب. سيرى ما يحدث في الطابق العلوي ويفعل شيئًا حيال ذلك. ففي النهاية*، يتمتع كونر بموهبة *التورط في المواقف السيئة*.

قال بو: "سنقاتل، مهما حدث".

فُتِحَ الباب السري، ملقيًا ضوءًا أصفر قاسيًا من أعلى. ضوء أكثر سطوعًا بكثير من المصباح المعلق الوحيد. ثم سمعوا سونيا تقول أغرب شيء! لقد نادت: "ليف! أيمكنك الصعود يا ليف؟ أحتاج إلى مساعدتك هنا".

استلزم الأمر لحظة حتى تستوعب ريسا ما قالته سونيا. ليف؟ لماذا تنادي ليف؟ نظر إليها بو، وهز رأسه. هو أيضًا لم يفهم.

نادت سونيا بصوت أعلى كثيرًا: "ليف! اصعد إلى هنا! لا أملك الكثير من الوقت".

هنا، أدركت ريسا تمامًا ما تفعله سونيا. تقول سونيا: "إنني أحذركم كي تحصلوا على ميزة المبادرة. يوجد خطر فظيع، لكنني أعطيكم ميزة المبادرة. استغلوها!".

بحثت ريسا وسط المجموعة، ثم ركزت على جاك، الفتى الأشقر الخجول الذي يمكن أن يظنه المرء ليف لمدة خمس ثوانٍ كاملة. أمسكت ذراعه، فاتسعت عيناه في دهشة.

- أخبرها أنك ستصعد فورًا!

- ماذا؟

- أخبرها فحسب!

ازدرد جاك لعابه، وصاح: "إنني قادم! سأصعد فورًا"، ثم نظر إلى ريسا في توسل، لكنها وضعت يديها على كتفيه، قائلة: "لن تصاب بسوء. أعدك. سأتبعك مباشرة!".

أومأ لها بو وأشار إلى الآخرين جميعًا ليبقوا مختبئين في الظلال، ثم وقف خلف ريسا، قائلًا: "ستحمين ظهره، وأنا سأحمي ظهركِ".

تقدم جاك، وصعدا السلم خلفه لمواجهة ما ينتظرهم، أيًّا كان.

***

36 - نيلسون

نوى احترام صفقتهما بإخلاص. فهو في النهاية رجل له ضمير. رجل يفي بكلمته. وبينما يصعد الصبي -الذي يُفتَرض أنه ليف- السلم، استمتع نيلسون لحظة صغيرة بهذا النصر الجزئي. سوف يهدئ ليف، ثم يأخذه إلى مكان لن يسمع فيه أحد صراخه، سيجبره على الكشف عن المكان الذي ذهب إليه لاسيتر، لأنه يعرف بالتأكيد، حتى لو لم تعرف العجوز. ثم، حال حصول نيلسون على المعلومات التي يحتاج إليها، سيقتل ليف بطريقة مؤلمة للغاية، وهي الطريقة التي لم يتوصل إليها بعد، لأن الانتقام يصبح أفضل عندما يحدث إبداعيًّا ومن وحي اللحظة.

قال الصبي: "هل استدعيتِني يا سيدتي؟".

وعندما استدار في مواجهة نيلسون، أدرك ذلك الأخير على الفور أنه تعرض للخداع، وفي اللحظة نفسها ضرب ساقيه شخص آخر قادم من أسفل بمفتاح ربط. انفجر الألم في ساقه حال اصطدام المفتاح بها، وأدرك نيلسون خطأه فورًا. لا بد أن ساكني القبو قد عرفوا أنها خدعة! لا بد أنهم سمعوا صوت إطلاق النار. وجاء ألمه كمقياس لسوء تقديره.

مد يده إلى الفتاة التي تهاجمه لينزع سلاحها، لكنها أطاحت بذراعها إلى الخلف وضربته مرة أخرى، وهذه المرة أصابت ظهر يده.

المزيد من الألم، لكن نيلسون يمكنه تحمل الألم، والضرر ليس كافيًا لإعاقته. عندما ضربته للمرة الثالثة، نجح في انتزاع المفتاح من الفتاة وإلقائه بعيدًا، لكن شخصًا آخر صعد الدرج خلفها، وضربه بمطرقة. صد نيلسون الضربة، وتراجع، راكلًا الصندوق في اتجاه المطرقة التي يحملها الهارب من التفكيك، لكن الصندوق فُتِح وألقي ما لا يقل عن مئة مظروف على الأرض. تقدم الصبي خطوة واحدة إلى الأمام، وبدأ ينزلق على المظاريف كما لو أنها قشور موز. إنها الثغرة التي يحتاج إليها نيلسون. دفع راحة يده إلى صدر الصبي غير المتوازن، ودفعه إلى أسفل حيث الفتحة في الأرض، ومنها وإلى القبو. ركل نيلسون الباب السري بسرعة ليغلقه خلف الصبي، ثم سحب رف كتب ثقيلًا، وأسقطه على الباب السري، فسقطت حمولته من الكتب. لن يصعد أحد من هذا الاتجاه بعد الآن.

لم يعد في الطابق العلوي سواه مع الفتاة والصبي الأشقر والمرأة العجوز، التي طلبت منهم الفرار، لكنهم ليسوا أذكياء بما يكفي لإنقاذ أنفسهم. اندفعت الفتاة على الأرض بحثًا عن مفتاح الربط المعدني، وحاول الصبي الأشقر مواجهة نيلسون بفتاحة رسائل وجدها على المكتب. أخرج نيلسون أحد مسدسيه، وصوبه نحو الصبي الأشقر، لأنه الأقرب، ولغضب قرصان الأعضاء الشديد عندما اكتشف أن هذا الصبي ليس ليف.

نوى سحب المسدس المحشو بالمهدئات، لكن في خضم هذه الفوضى، من يمكن أن يلومه لسحب المسدس الخطأ؟ أطلق النار، فاصطبغ صدر الصبي باللون الأحمر الصارخ. تناثر الدم في كل مكان. لقد مات الصبي قبل أن يسقط على الأرض.

صرخت الفتاة: "لا! يا لك من وضيع!".

في تلك اللحظة، فيما شهر نيلسون مسدسه، واستعدت هي لضربه بالمفتاح المعدني، أدرك هويتها. رغم اختلاف هيئة الشعر، ولون العينين، فإنه تعرف عليها، وعرف أنه سيحصل على جائزة جديدة اليوم. جائزة مفيدة للغاية. تساءل كم ستساوي ريسا وورد في نظر ديفان.

اقتربت منه ريسا، فيما مد يده الحرة إلى مسدسه الآخر. أصابت رأسه، وأذنه بضربة قوية، لكنها محتملة، تمامًا مثل كل الضربات الأخرى. دفع مسدس التخدير في أحشائها وضغط على الزناد، فأصدرت ريسا أنينًا مع اختراق المخدر عمق جسدها. أمسك بها وهي تغيب عن وعيها بلا حول ولا قوة، وسقط المفتاح من يدها، مصطدمًا بالأرض.

أرقدها نيلسون بلطف على الأرض بجانب الصبي الميت. ثم استدار إلى العجوز، التي تبكي على الكرسي الذي قُيدت إليه. قال لها نيلسون: "إنه خطؤك. خطؤك بالكامل. حياة هذا الصبي في عنقك، لأنك كذبت عليَّ!".

لم تستطع العجوز إلا أن تبكي.

الآن، بعد انتهاء المعركة، قَيَّم الضرر الناجم عن ضربة المفتاح. ربما كُسِرَت ساقه. إنها منتفخة ويشعر بنبضات فيها. أذنه اليمنى ساخنة، وظهر يده تحول إلى اللون الأرجواني وتورم. كل هذا في يوم عمل. سيصبح الألم مفيدًا له. سيفرز الإندروفين، الذي سيجعله أكثر يقظة.

صرخت المرأة: "أرجوك ارحل...ارحل فحسب...".

وهذا ما سيفعله... لكن ليس قبل أن ينهي عمله هنا.

يوجد مظروف ممزَّق على المكتب، وولاعة سجائر في جيبه. لاحظ أن كل شيء يحيط بالقبو، بداية من رف الكتب الساقط وكومة الكتب، إلى أكوام الأوراق على المكتب، إلى التحف الخشبية المتنوعة، كل شيء في هذه الغرفة، وفي هذا المتجر، قابل للاشتعال بدرجة عالية.

أمسك المظروف، وأخرج الولاعة من جيبه، وضغط على زرها حتى تطلق لهبها الصغير.

صرخت المرأة وسط دموعها: "توقف! سأعطيك لاسيتر! سأسلمه لك إذا توقفت عن هذا وتركت الآخرين يذهبون!".

تردد.. إنه يعرف أن هذه مجرد خدعة أخرى، لكنه على استعداد للعب، ولو لمنحه لحظة للتفكير في خطورة ما يوشك فعله.

قالت: "فليسامحني الرب! فليسامحني الرب!".

ذكَّرها نيلسون: "في هذه اللحظة، إنك تحتاجين إلى السماح مني أنا".

هزت رأسها، ولم تستطع النظر إليه، وهكذا عرف أنها ستخبره الحقيقة. لكن هل الحقيقة كافية؟

قالت: "إنه في يدك.. إنه في يدك، وأنت لا تعرف ذلك حتى".

ثم خفضت رأسها وهي تشعر بمرارة الهزيمة، وربما ببعض كراهية الذات.

لم يعرف نيلسون ماذا تعني، حتى نظر إلى المظروف الفارغ الذي يحمله، وقرأ العنوان المكتوب بخط اليد:

كلير وكيرك لاسيتر، 3048 طريق «روزنستوك»

كولومبوس، أوهايو 43017

نظر إلى المظاريف الأخرى على الأرض، مدركًا من خط اليد أن جميعها كتبها المراهقون.

- هل طلبتِ من صبيتك الهاربين كتابة رسائل إلى والديهم؟

أومأت برأسها.

- يا له من أمر معدوم الفائدة!

أومأت برأسها.

- وذهب صديقنا كونر لتسليم خطابه شخصيًّا؟

نظرت إليه أخيرًا، والكراهية بادية على وجهها بقوة، مثل بركان مشتعل، وقالت: "لديك ما تحتاج إليه. والآن، اخرج من هنا بحق الجحيم".

مرت أوقات عديدة في حياة جاسبر نيلسون سُلب منه فيها الاختيار. لم يختر أن يُخدَّر في ذلك اليوم المشؤوم منذ عامين على يد كونر لاسيتر. لم يختر أن يُطرد ذليلًا من شرطة الأحداث. لم يختر أن يخسر حياته العادية المحترمة. ومع ذلك، لديه خيار هنا، إنها لحظة مثيرة للرهبة، لأنه يعرف أن اختياره اليوم حاسم.

يمكنه الابتعاد عن هنا والذهاب للبحث عن لاسيتر... أو يمكنه خلق القليل من المعاناة أولًا.

في النهاية، ساد شعوره بالوعي الاجتماعي. لأن بصفته مواطنًا صالحًا، أليس من مسؤوليته المساعدة في تخليص العالم من الحشرات الضارة؟

حفظ نيلسون العنوان، وأشعل النيران في المظروف، ثم أسقطه على كومة المظاريف الأخرى على الأرض.

صرخت العجوز، فيما اشتعلت النيران، وبدأت ألسنة اللهب ترتفع: "لا! ماذا فعلت؟! ماذا فعلت؟!".

قال لها: "ما تمليه الضرورة وضميري فحسب"، ثم حمل جسد ريسا وورد المسجي الغائب عن الوعي، وخرج من الباب الخلفي دون ذرة ندم.

***

37 - سونيا

كيف أمكنها أن تفعل ذلك؟ كيف تملكتها الحماقة إلى هذا الحد، لتعتقد أنه سيتركهم وشأنهم حال حصوله على ما يريد؟ لقد تخلت عن كونر بلا مقابل. لم ينقذ ذلك صبية القبو. ولم ينقذ أحدًا.

تصاعدت النيران إلى الستائر، واشتعلت كومة الصحف في الزاوية وكأنما سُكِبَ عليها البنزين. قاومت سونيا قيودها المعدنية، لكنها نجحت فحسب في قلب الكرسي. آلمها فخذها بشدة فيما سقطت هي والكرسي إلى الخلف على الأرض، على بعد بوصات فقط من جحيم المتجر.

علمت سونيا راينشيلد أنها ستموت. في الحقيقة، أدهشها بقاؤها حية كل هذا الوقت، في ظل مقتل العديد من عملاء منظمة مقاومة الانقسام الآخرين في هجمات التصفيق "العشوائية". لكن فقدان الصبية القاطنين في قبو منزلها أمر لا يطاق. إن ما أصاب المسكين جاك، الذي يرقد هناك بجانبها، يعتبر هينًا مقارنة بما سيضطر الآخرون إلى تحمله الآن.

ثم، فيما تصاعدت الحرارة حولها، وأصبح الهواء أسودَ كالحِبر بسبب الدخان، سمعت أروع صوت طرق أذنيها على الإطلاق. صوت غيَّر كل شيء.

في تلك اللحظة، تبخر ندمها ومخاوفها. تبسمت وبدأت تتنفس بعمق، مرارًا وتكرارًا، وتقاوم الرغبة في السعال، وتترك جسدها يستسلم لاستنشاق الدخان حتى لا تشعر باللهب أبدًا.

ستذهب إلى زوجها الآن. ستنضم إلى جينسون في المكان الذي يذهب إليه جميع الأحياء في النهاية، وستذهب إلى هناك في سلام...

لأن الصوت الرائع الذي سمعته من القبو هو صوت تحطم نافذة.

***

38 - جرايس

زحفت جرايس خارج السياج الشائك وهي تشعر ببرودة وارتباك، وتغطيها الخدوش. شعرت برأسها يدور، وأصابها الرعب، لأنها في اللحظات القليلة الأولى، لم تستطع أن تفهم كيف وصلت إلى هنا.

ربما صدمتها سيارة وأُلقِيَت وسط الشجيرات. ربما تعرضت للسرقة.

عندما بدأت تستعيد ذاكرتها، قاومت ذلك، لأن حتى قبل أن تتسرب الذكريات إلى سطح عقلها، شعرت أن الأمر سيئ، وهي على حق.

لقد رأت آرجان، لا، ليس آرجان، لكنه هو بشكل ما. صرخت وغابت عن الوعي، ربما من صدمتها، أو لسبب آخر. السماء أدكن قليلًا الآن مما كانت عندما فقدت وعيها. إن الشفق في مراحله الأخيرة، رغم ذلك. كم غابت عن الوعي؟ عشر دقائق؟ عشرون؟

جذب انتباهها ضوء برتقالي يتدفق ويتدفق في موجات عشوائية. شيء ما عند الزاوية يحترق.

قاومت ضعف ركبتيها، وأمسكت عامود إنارة الشارع لتحفظ توازنها، ثم انعطفت عند الزاوية، لتجد متجر سونيا يحترق. شعرت جرايس بحرارة اللهب رغم المسافة بينها وبين المتجر. أسرعت نحو المبنى المحترق في حالة من الذعر، لكن نافذة المتجر الزجاجية انفجرت قبل

أن تتمكن حتى من الوصول إلى الرصيف، فقذفتها موجة التضاغط على غطاء فتحة الصرف الصحي، لينسلخ مرفقاها بفعل فولاذه الصلب.

خرج الناس إلى الشارع لمشاهدة ما يحدث، ربما أرادوا المساعدة، لكن لا يوجد ما يمكن عمله. كل ما استطاعوا فعله هو الوقوف هناك والهواتف على آذانهم. عشرات المكالمات المتزامنة إلى رقم الطوارئ 911.

نادت وهي تقف على قدميها: "سونيا!"، ثم استدارت إلى المراقبين، وسألتهم: "هل رأى أحدكم سونيا؟".

أجابوها بتعبيرات معدومة الحيلة، فصاحت بهم: "إنكم معدومو الفائدة! جميعكم!".

حاولت التطلع من خلال النيران، لكن كل ما رأته هو التحف المحترقة. ثم بزاوية عينها، رأت صِبية يتسللون من الزقاق خلف المتجر. أسرعت إلى الزقاق، لتجدهم الهاربين من قبو سونيا، كما أَمِلَت تمامًا.

سألتهم: "ماذا حدث؟ ماذا حدث؟".

- لا نعرف! لا نعرف!

على مسافة أبعد داخل الزقاق، خرج بو من نافذة القبو المكسورة، إنه آخر من خرج. فيما تفحص جرايس مجموعة الصبية، لم تعثر على كونر، مما يعني أنه لم يعد من أي مهمة سرية أرسلته سونيا إليها. لكن ريسا ليست هنا أيضًا.

قال بو، مسرورًا بهذه الحقيقة: "جرايس، إنك حية! علينا الخروج من هنا قبل وصول سيارات الإطفاء".

- أين ريسا؟ أين سونيا؟

هز بو رأسه، وقال في أسى: "لقد ماتت كلتاهما. هاجمنا رجل مجنون. حاولنا إيقافه، لكننا لم نستطع، ثم أشعل النار في المكان بأكمله".

- رجل مشوه الوجه؟

- هل تعرفينه؟

- لا، لكني أعرف وجهه. أو جزءًا منه.

هنا، وصل إلى مسامعهم دوي صافرات التنبيه الجوفاء فوق قمم الأشجار، بعيدة، لكنها تقترب، وبقدر سوء الوضع، حدث لجرايس ما جعله أسوأ.

- أين الطابعة؟

نظر إليها بو بلا تعبير كما فعل مراقبو الحريق، وسألها: "ماذا؟ لماذا تهتمين بهذا الشيء الغبي الآن؟".

إنه لا يعرف! لم يخبروا أحدًا بمدى أهمية ذلك، وبالتالي، من دون ريسا أو كونر، لم تجد الطابعة من ينقذها. قال كونر إن التروس والأجزاء الميكانيكية الأخرى معطلة، لكن الجزء المهم -جزء الطباعة- ما زال بخير. ربما. لكن إذا احترقت الطابعة، لن يبقى حتى الاحتمال بعد الآن.

أمسك بو ذراعها، قائلًا: "تعالي معنا يا جرايس. سأجد مكانًا للاختباء. سنكون بخير، أقسم لكِ".

سحبت ذراعها بلطف من قبضته، قائلة: "تعامل معهم بذكاء يا بو. اركض شمالًا، وربما شرقًا، لأن معظم الذين يهربون يركضون جنوبًا أو غربًا. تحلَّ بالذكاء، وحافظ على الصِّبية سالمين، أسمعت؟".

أومأ بو برأسه، واستدارت جرايس دون أن تنظر إلى الوراء، وأخذت تعدو في الزقاق نحو الجزء الخلفي من المبنى المحترق.

وجدت الحرارة شديدة حتى إنها لم تستطع الاقتراب من الباب الخلفي. وعلى بعد بضعة أقدام، بالقرب من الأرض، وجدت تلك النافذة المنعزلة المطلة على القبو. وبدلًا من إخراج الدخان، فإن النافذة تسحب الهواء وتُدخِل الأكسجين لتغذية النيران في الطابق العلوي.

نزلت على ركبتيها ونظرت إلى الداخل، لكنها لم تر أي شيء، مما يعني أنه لا توجد نيران هناك!

ليس بعد على أي حال. ربما فات أوان إنقاذ سونيا وريسا، وكل ما تعرفه هو أن كونر مات أيضًا. ربما هي الوحيدة المتبقية التي تعلم بوجود الطابعة.

تحطم شيء ثقيل في المتجر، واشتعلت النيران بجشع شرس.

النافذة صغيرة جدًّا، وهي فتاة عريضة البنية. أدركت أنه لا توجد طريقة يمكنها من خلالها المرور من النافذة، لكن يجب أن تحاول. كم سيصبح الأمر فظيعًا إذا ضاع كل شيء لأن النافذة صغيرة جدًّا وهي كبيرة جدًّا. أبعد الاحتمالات هي أن تتمكن من المرور من خلال النافذة، وأن تحصل على الطابعة قبل انهيار أرضية الطابق العلوي فوقها. فرصتها لا تتجاوز نسبة 25 بالمئة. احتمال ضعيف، لكنه يتناقص كلما ترددت.

تجاهلت غريزة البقاء بداخلها، وغاصت برأسها أولًا في الفتحة المستطيلة الصغيرة.

كما توقعت، لم تتمكن إلا من عبور منتصف الطريق. لقد علق فخذاها بالخشب الصلب، لذا أخذت تتلوى وتتلوى. الحرارة حول رأسها لا تطاق. والآن يوجد ضوء. تتجسس عليها النيران الغاضبة من خلال شرائح الخشب بأعلى، مثل ضوء الشمس المتسلل من خلال ستارة مغلقة.

أمسكت بعارضة دعم وسحبتها بكل قوتها، حتى سقط جسدها أخيرًا داخل القبو، وجرحها زجاج النافذة المكسور على الأرض.

الجو بالداخل صافٍ بالكامل تقريبًا، لأن الدخان لا يوجد إلا في الطابق الأعلى، لكن الحرارة! يمكنها أن تشعر بجلد فروة رأسها يتقرح. حاولت خفض قامتها قدر استطاعتها، وانعطفت عند الزاوية، وهناك، في المكان نفسه الذي تركه به كونر، وجدت الصندوق المملوء بكل الأجزاء المكسورة من طابعة الأعضاء، الذي ينتظر بصبر دوره في الاحتراق. لن يحدث ذلك. أمسكت الصندوق، ثم فتحت حاوية التخزين، الكبيرة للغاية بحيث لا يمكن حملها، وحفرت في السائل الأخضر السميك لسحب الأذن اللزجة، ودفعتها في جيب قميصها. ثم حملت صندوق قطع الطابعة، واتجهت إلى النافذة الصغيرة.

وخلفها، انهارت عوارض الدعم من السقف وسقطت بقايا المتجر داخل القبو. وانطلقت ألسنة اللهب -التي يغذيها الهواء الغني بالأكسجين- إلى الأمام، فغمرت القبو كالماء. وصلت جرايس إلى النافذة، ودفعت الطابعة من خلالها، ثم بدأت المهمة الضخمة المتمثلة في الخروج من الطريق نفسه الذي دخلت منه.

لا توجد عارضة في الخارج. لا يوجد شيء يمكن الإمساك به. أصبحت عالقة في منتصف الطريق بين الداخل والخارج، وشعرت بألسنة اللهب على قدميها، تذيب حذاءها.

صرخت بتحدٍّ غاضب: "لا! لن أموت هكذا! لن أموت، لن أموت، لن أموت!".

وفجأة وصل خلاصها في هيئة غريب أمسك ذراعيها وسحبها، قائلًا: "لقد أمسكت بك!". سحبها مرة، ومرتين، وثلاث. وفي المرة الرابعة عبرت من فتحة النافذة إلى الخارج.

حال خروجها، خلعت حذاءها المحترق، وساعدها الرجل في إخماد النار عند أطراف سروالها الجينز. لم تدرِ من هو -مجرد رجل من الجيران- لكنها لم تستطع منع نفسها من معانقته، قائلة في امتنان: "شكرًا لك!".

وهنا، ملأ صوت صفارات الإنذار الهواء، قادمًا من العديد من الاتجاهات المختلفة.

قال الرجل: "ستصل سيارة إسعاف حالًا. دعيني أساعدك".

لكن جرايس وقفت فعلًا على قدميها ورحلت مع صندوق أجزاء الطابعة الملتصق بصدرها، كرضيع يلتصق بصدر أمه.

***

39 - كونر

قالت له أريانا: ”توجد أماكن يمكنك الذهاب إليها. ورجل ذكي مثلك لديه فرصة جيدة للبقاء حيًّا حتى سن الثامنة عشرة“.

عاد إلى جسر الطريق السريع، على الحافة خلف علامة الخروج. يومًا ما، كان هذا مكانه المفضل للهرب أو المواعدة أو الخطر. هذه المرة، لا رغبة له في أي من هذه الأشياء. وهو وحيد هذه المرة.

لقد زار العديد من ”الأماكن“ التي أشارت إليها أريانا. لم يجد أيًّا منها آمنًا كما تمنى. لقد نجا حتى بلغ الثامنة عشرة. من المفترض أن هذا يكفي، لكنه ليس كذلك. أفسح الشفق المجال لليل حيث يقف كونر على الجسر، ويستجمع قوته.

وعدته أريانا -الفتاة التي اعتقد أنه يحبها قبل أن يعرف حقًّا معنى الحب- بالذهاب معه عندما هرب من التفكيك، لكن عندما ذهب إلى بيتها في منتصف الليل، لم تخطُ حتى خارج عتبة الباب. شعر بوجود حاجز غير مرئي بينهما لا يمكن اختراقه. بدا عليها الندم، لكن الارتياح بدا أكثر على وجهها، لأنها على الجانب الآخر من ذلك الباب، وما زالت موضع ترحيب في منزلها. أوضح ذلك بطريقة مؤلمة مدى وحدته حقًّا.

غضب منها كونر في تلك الليلة، وتمسك بهذا الغضب لفترة طويلة. ومع ذلك، يشعر الآن بغضب أكبر من نفسه. بدت رغبته في انضمامها إليه -في حياة الهروب البائسة هذه- أنانية بحتة. لو أنه يهتم بها حقًّا، لحماها من هذا النوع من الحياة، بدلًا من محاولة جرها إليه.

لقد تغير الكثير منذ ذلك الحين. تذكر كونر أنه سمع في مكان ما أن الأمر يستغرق سبع سنوات حتى يطهر الجسم نفسه من كل مادته البيولوجية ويستبدلها. كل سبع سنوات، يصبح كل إنسان شخصًا جديدًا حرفيًّا. بالنسبة إلى كونر، تغيرت شخصيته جذريًّا بعد مرور عامين. يشعر كأنما فُكِّكَ وجُمِّعَ مرة أخرى.

هل سيدرك والداه التغيير؟ هل يهتمان؟ ربما يريان غريبًا أمام بابهما. أو ربما يشعران أنهما غريبان عنه.

وماذا عن شقيقه لوكاس؟ لا إراديًّا، تخيله كونر مثله تمامًا وهو في الثالثة عشرة من عمره. لكنه لن يصبح كذلك. كيف يمكن أن يشعر الأخ الأصغر لإوُول آكرون؟ لا بد أن لوكاس يحتقره.

بدأت الرحلة إلى هنا بشكل جيد. لم تعرض عليه سونيا سيارتها طبعًا، فكلاهما يعلم ضرورة عدم ترك أي صلة له بمتجر التحف، تحسبًا للقبض عليه. لذا، سرق سيارة توجد كتل طينية صغيرة متساقطة أسفل إطاراتها، لأنها إشارة واضحة إلى أنها لم تتحرك لمدة، ولن يفتقدها أحد فورًا. ربما يمكنه إعادتها، وتركها متوقفة في المكان نفسه، ولن يعرف أصحابها حتى أنها اختفت.

استغرقت الرحلة من آكرون إلى كولومبوس أقل من ساعتين. هذا هو الجزء السهل، لكن التوجه إلى باب منزله القديم قصة مختلفة.

رحلة الاستطلاع التي نفذها في أرجاء حيِّه في وقت سابق من ذلك المساء هي أول إشارة إلى مدى صعوبة الأمر. أخذت ذكريات حياته

قبل الهروب من التفكيك تقفز إلى ذهنه بوضوح شديد، لدرجة جعلته أحيانًا ينحرف بالسيارة وكأنها عقبات حقيقية في طريقه، تمامًا كما فعل عندما أحضر الخلايا الجذعية مع ريسا وبو. يا لها من مضيعة لتلك الرحلة بأكملها إذا لم يتمكنوا من إصلاح الطابعة. يمكنه التظاهر أمام نفسه بأن سبب عودته إلى المنزل هو طلب مساعدة والده في إصلاح الطابعة، لكن ريسا على حق، إن الطابعة مجرد عذر. ومع ذلك، لو تغير إحساسهما نحوه كما يحلم، فالأمر ليس مستبعدًا.

عندما قاد سيارته في حيِّه اليوم، بدا ملحوظًا أن شيئًا لم يتغير. بطريقة ما، تخيل كونر أن الحي سيبدو كمكان شهد أهوال نهاية العالم: ترامت أطرافه، وغمرته المياه، وهجره سكانه في غموض، وكأن الضاحية بأكملها عانت بطريقة ما في غيابه. لكن لا. وجد جميع المروج والسياجات النباتية مشذبة وفقًا لمعايير حسن الجوار. فكَّر في التوجه بسيارته إلى الشارع الذي تعيش فيه أريانا، لكنه قرر ألا يفعل. يجب أن تظل بعض أجزاء الماضي بلا تغيير.

عندما انعطف أخيرًا إلى شارعه، اضطر إلى إبقاء يديه ثابتتين على عجلة القيادة لمنعهما من الارتجاف.

ما أجمل العودة إلى المنزل!

من الخارج، بدا وكأن المنزل يرحب به بشدة ويدعوه إلى الدخول، حتى لو أن الدعوة كاذبة. للحظة، خطر بذهنه أن عائلته ربما انتقلت، حتى رأى لوحة ترخيص مكتوب عليها «لاسيتر1»، مثبتة على سيارة «نيسان» رياضية ببابين، تقف جديدة لامعة على الممر أمام المنزل. أهي سيارة أخيه؟ لا، لا بد أن لوكاس في الخامسة عشرة الآن، ما زال أصغر كثيرًا من سن الحصول على رخصة قيادة. ربما اقتنى أحد والديه

سيارة أصغر حجمًا من سيارته السيدان ذات الأبواب الأربعة، بعد أن تخلص من ابن، لتوفير مساحة.

وجد نافذة مفتوحة في الطابق العلوي، وسمع نغمات قيثارة كهربائية. عندها فقط، تذكر أن شقيقه أخذ يتوسل للحصول على واحدة في الوقت الذي وقَّع فيه والداه أمر تفكيكه هو. لم تحمل الموسيقى أيًّا من مهارات العزف التي يتمتع بها كام كومبري. إنها متنافرة في صخب، تمامًا كالضوضاء التي قد تزعج والدهما. أحسنتَ يا لوكاس!

مر كونر بالسيارة مرتين، وبحث في الشارع عن ضباط مختبئين في سيارات غير مميزة، لكنه لم يجد أحدًا. لن يواصل أحد البحث عنه هنا حتى الآن، بعد أن اقتنعت سلطة الأحداث بأن قبيلة «هوبي» قد منحته حق اللجوء السياسي في منتصف الطريق إلى الطرف الآخر من البلاد.

كان من السهل إعلان وجوده في تلك اللحظة -ولا يوجد سبب وجيه للتأجيل- لكنه اتخذ هذا الطريق الجانبي على أي حال كتكتيك للمماطلة.

احتاج إلى التفكير في تحذيرات ريسا المروعة بشأن العودة إلى المنزل.

احتاج إلى تفتيش قلبه، ليعرف هل من الضروري حقًّا المخاطرة بالدخول.

لذلك ذهب إلى حافة الجسر، كما فعل مرات عديدة في الماضي عندما احتاج إلى التفكير.

الحافة ضيقة وتتقاطع فوقها شباك العناكب الغافلة التي ليس لديها فكرة عن عالم أكبر من هذا الجسر. المضحك أنه طوال الوقت الذي قضاه هنا وهو يفكر كم هي ظالمة حياته -في الأيام التي سبقت الظلم الفعلي- لم يعرف كونر قط ما المكتوب على اللافتة على الجانب الآخر. اكتشف ذلك في اليوم الذي مر بها فيه بسيارته مع ريسا وبو.

ممر إجباري للمغادرة.

التفكير في الأمر جعله يضحك، رغم أنه لم يعرف السبب بالضبط.

الجو مظلم الآن. لقد حل الظلام منذ مدة. لو أنه سيفعل هذا، فلا يمكنه الانتظار أطول من ذلك. تساءل هل سيدعوانه للدخول، وإذا فعلا، فهل سيقبل؟ إنه يعلم ضرورة جعل الزيارة قصيرة، تحسبًا لاستدعاء الشرطة سرًّا. يجب عليه مراقبتهما، وإبقاؤهما نصب عينيه طوال الوقت الذي سيقضيه هناك. هذا إذا دخل من الأساس. ما زال يفكر في إلغاء الأمر برمته في اللحظة الأخيرة.

أخيرًا، سحب نفسه لينهض من فوق السور، تاركًا الجسر خلفه، وعاد إلى السيارة التي أوقفها في مكان قريب. تمهل في تشغيل المحرك، ثم قاد السيارة ببطء إلى شارعه. ليس من عادته أن يفعل أي شيء ببطء، لكن عودته إلى المنزل تشعره بثقل كبير، مثل دفع صخرة إلى أعلى التل. لا يمكنه إلا أن يأمل ألا تتدحرج إلى الخلف لتسحقه.

بعض الأضواء مضاءة في المنزل: في غرفة المعيشة بالطابق السفلي، وفي غرفة لوكاس بالطابق العلوي. الأضواء مطفأة في غرفته سابقًا. تساءل ماذا أصبحت الآن. غرفة خياطة؟ لا، هذا غبي، إن والدته لا تحيك. ربما مجرد مخزن لكل القمامة التي تتراكم دائمًا في المنزل. أو ربما تركوها كما هي. أيوجد جزء منه يأمل ذلك حقًّا؟ إنه يعرف أن هذا أقل احتمالًا من غرفة الخياطة.

مر بالمنزل، ووقف في الشارع، مخرجًا صفحات رسالته الأربع من جيبه. قرأها عدة مرات وهو على الجسر، استعدادًا لهذه اللحظة، لكنها لم تساعده في الاستعداد. سار أمام الممر وانعطف على الطريق المرصوف بالحجارة الصغيرة إلى الباب الأمامي. تسارعت دقات قلبه ترقبًا، وشعر وكأنه يرتفع في صدره، محاولًا الهرب.

ربما يسلمهما الرسالة ويغادر، وربما يتحدث معهما. إنه لا يعرف بعد. الجهل بما سيحدث هو ما يجعل الأمر صعبًا للغاية، لكن الأسوأ من ذلك، جهله بما سيفعله أيضًا.

لكن أيًّا كان الأمر -جيدًا أم سيئًا- فإنه سيكتب النهاية.

إنه يعرف ذلك.

وهو في منتصف الطريق إلى الباب الأمامي، خرج شخص من الظلال أسفل الشرفة ووقف أمامه مباشرة. ثم فجأة، شعر كونر بوخز حاد في صدره، وسقط أرضًا قبل أن يدرك حتى أن رصاصة تهدئة قد أُطلِقَت عليه، وأصبحت رؤيته ضبابية، لذا لم يستطع حتى التعرُّف على مهاجمه عندما اقترب. للحظة، شيء ما في وجه المهاجم جعله يظنه آرجان سكينر، لكنه ليس آرجان على الإطلاق.

قال الرجل: "يا لها من لحظة غير مميزة! من المفترض أن تصبح هذه اللحظة أعظم من ذلك".

ارتخت قبضة رولاند، التي تمسك بصفحات الرسالة بإحكام شديد، فسقطت الأوراق بحرية، فيما غاص كونر في الفراغ الكيميائي.

***

40 - أم

توقفت كلير لاسيتر لحظة عن أداء مهمتها المرهقة للحفاظ على المظاهر وإبقاء المنزل نظيفًا. ظنت أنها سمعت شيئًا في الخارج، ومنحها هذا شعورًا غريبًا بالتوقع الثاقب، رغم أنها لا تعرف السبب. إنه ليس شيئًا جديدًا. إنها تقفز في كل مرة يسقط فيها مخروط صنوبر على السطح، أو يركض سنجاب فوق قنوات تصريف مياه المطر. لطالما شعرت بتوتر شديد، ولا تتذكر آخر مرة شعرت فيها بالهدوء.

إنها تحتاج بالتأكيد إلى إجازة. كلهم يحتاجون إليها. لكنهم لا يحصلون عليها. توجد تذاكر لإجازة لم يأخذوها قط في أحد الأدراج في مكان ما بالطابق العلوي. يجب عليهم التخلص منها، لكنهم لا يفعلون. من المضحك كيف أصبح الخمول محور حياتهم بأكملها!

يوجد صوت في الخارج. نعم، بالتأكيد شيء ما يحدث في حديقتهم الأمامية. تقدمت نحو الباب وفتحته، متوقعة أن ترى ربما بعض أصدقاء لوكاس. أو كلبًا تحرر من قيده. أو ربما... ربما لا ترى شيئًا على الإطلاق. لا يوجد أحد هناك ولا شيء يمكن رؤيته سوى بعض القمامة المتطايرة عبر الحديقة. توقفت لحظة تتحدى الليل أن يقدم لها شيئًا أفضل، وعندما لم يفعل، شعرت بالقلق، وكأن الوقوف هناك قدر مغرٍ بطريقة ما. لذا أغلقت الباب مرة أخرى.

سأل زوجها: ”ما الأمر؟ هل طرق أحدهم الباب؟“.

قالت له: ”لا، اعتقدت أنني سمعت شيئًا. ربما مجرد مخروط صنوبر آخر يتدحرج من السطح“.

وفي هذه الأثناء، في حديقتهم الأمامية، حملت الرياح عدة قطع من الورق لتتطاير تحت الشجيرات ورشاشات الزرع وإطارات السيارات، حتى لم يتبق منها سوى بقايا لن يقرأها أحد أبدًا، ولا تصلح إلا لفرش أعشاش الطيور، أو لكنسها بآلة تنظيف الشوارع في صباح الغد.

***

الجزء الخامس

فم الوحش

فن الجسد: إبداعات مصنوعة من لحم ودم وعظام بشرية

مقال على موقع (WebUrbanist) بقلم ستيف، صُنِّفَ ضمن فئة النحت والحرف اليدوية في 2010/8/23

... لقد استُخدم جسد الإنسان كلوحة لجميع أنواع الفن، لكن ربما الأندر والأكثر إثارة للاهتمام هو استخدام أجزاء من جسم الإنسان كوسائط فنية.

... لقد صنع هؤلاء الفنانون الاثنا عشر فنًّا على جسد الإنسان غالبًا ما يثير الجدل، وأحيانًا يؤثر بشكل مفاجئ.

مارك كوين

إذا نويت عمل صورة ذاتية، فلماذا لا تبذل قصارى جهدك وتصنع منحوتة من دمك المجمد؟ هذا ما فعله النحات مارك كوين. اقتنى معرض

الصور الوطني في المملكة المتحدة نسخة كوين من "الذات" لعام 2006 بأكثر من 465000 دولار.

أندرو كراسنو

... "هل" يمثل فن البشرة المثير للجدل الذي يقدمه أندرو كراسنو انعكاسًا حساسًا للقسوة البشرية؟ يبتكر الفنان أعلامًا وأغطية مصابيح وأحذية -وغير ذلك من الأغراض اليومية- من بشرة أشخاص تبرعوا بأجسادهم للعلوم الطبية. ويقول كراسنو إن كل قطعة تمثل بيانًا بأخلاقيات أمريكا...

جونثر فون هاجنز

ربما لم يكتسب أي فنان يستخدم لحم البشر الحقيقي كوسيلة إبداعية مثل هذه الشهرة التي اكتسبها جونثر فون هاجنز، الرجل الذي يقف خلف معرض «عوالم الجسد» للجثث البشرية البلاستيكية. لكن رغم كل الصياح بشأن استخدام فون هاجنز المزعوم "غير المحترم" للأجساد البشرية، فيوجد قدر كبير من الانبهار...

فرانسوا روبرت

بدأ شغف فرانسوا روبرت بالعظام البشرية باكتشاف غير عادي: هيكل عظمي بشري مخفي داخل خزانة فارغة اشتراها. وإدراكًا منه لإمكانية التعبير الفني، استبدل روبرت بالهيكل العظمي المترابط، آخر مفككًا حتى يتمكن من ترتيب الأجزاء في أشكال وتصميمات...

أنتوني نويل كيلي

سار الفنان البريطاني أنتوني نويل كيلي على خطى العديد من الفنانين الذين سبقوه، بما في ذلك مايكل أنجلو، عندما درس من كثب أجزاء الجسم البشري لعمله. لكن على عكس هؤلاء الفنانين، هرَّب كيلي بقايا بشرية بأساليب غير قانونية من الكلية الملكية للجراحين، واستخدمها في صب

المنحوتات بالجص والطلاء الفضي. أدين كيلي بهذه الجريمة غير العادية في عام 1998 وقضى تسعة أشهر في السجن...

تيم هوكينسون

يبدو هذا الهيكل العظمي الصغير والدقيق والشفاف تقريبًا رائعًا للوهلة الأولى، لأنه ببساطة محفوظ جيدًا رغم هشاشة عظام الطيور. لكن هذه ليست عظامًا على الإطلاق ـ إنها قصاصات أظفار الفنان...

ويكي سومرز

كما لو أنها صُنعَت من الخرسانة، تبدو منحوتات ويكي سومرز ثقيلة الوزن ومفرطة الواقعية، رغم افتقارها إلى اللون. لكن هذه الأشياء اليومية أكثر عضوية مما تبدو، فهي مصنوعة من رماد بشري. وقالت الفنانة لصحيفة «هيرالد صن»: "قد نمنح الجد حياة ثانية ككرسي هزاز مفيد، أو حتى مكنسة كهربائية، أو محمصة خبز. فهل نصبح أكثر ارتباطًا بهذه المنتجات؟".

يمكن الاطلاع على الصور والمقال كاملًا على:

http://webur- banist.com/2010/08/23/body-art-creations-made-of-hu-man-flesh-blood-bones/

***

41 - بث إذاعي

نطاق ترددي صغير وهوائي طويل وحقول ذرة لا نهاية لها. سيطرت الذرة على الغرب الأوسط. والآن أصبح قلب البلاد بالكامل عبارة عن ذرة معدلة وراثيًّا للعامة.

قطع فريق من خمسة أفراد طريقًا ريفيًّا، وهم يحملون أسلحة وردَّها في الأصل من زودوا الناس بها، الذين يدفعون الأموال للناس، الذين يديرون من يقودون المصفقين. الآن، تُستخدم هذه الأسلحة لأغراض تتعارض مع مقصد هؤلاء الموردين الأثرياء. أيًّا كان مقصدهم.

يختار الفريق المكون من خمسة أفراد أهدافه بعناية دائمًا. محطات إذاعية صغيرة قديمة الطراز تبث من مكب نفايات في شارع رئيسي مكون من مجمعين سكنيين، أو ما هو أفضل من ذلك، في منتصف مكان لا يوجد به شيء، مثل هذه المحطة على حافة حقل ذرة. والمكان الأكثر عزلة هو الأفضل. وفقًا للحسابات الحالية، من المقهى حيث يتناول الإفطار حاليًّا، سيستغرق الأمر من الضابط المحلي قرابة تسع دقائق بأقصى سرعة، مع تشغيل نفير سيارة الشرطة المميز، للوصول إلى هذه البقعة المحددة.

إنهم يقودون شاحنة مسروقة لم يُبلَغ عن سرقتها بعد. إنها الطريقة الوحيدة للمضي في طريقهم. هذه الأوقات العصيبة تحول الصبية الشرفاء إلى مجرمين، والمجرمين إلى قتلة. ولحسن الحظ لا يوجد مجرمون حقيقيون في هذه المجموعة. وربما لهذا، دخلوا من الباب الأمامي، بدلًا من التسلل من الخلف.

- صباح الخير. يسعدني أن أخبرك أن استراحتك لتناول القهوة ستبدأ مبكرًا اليوم!

عندما تدخل منشأة بها عدد قليل من الموظفين، حاملًا أسلحة تبدو وكأنها انتُزِعت من سطح سفينة حربية، لا أحد يقاتل. ولا يهم هل الأسلحة ملأى بالرصاصات فعلًا أم لا. في الحقيقة، أحدها ممتلئ، ولكن هذا للاستخدام في حالة الطوارئ الشديدة فقط.

- قد يكون زميلي أصغر من سلاحه، لكنه سعيد بما يفعل. يسعده الضغط على الزناد، لذلك لو أنني في موضعك، سأتجنب الحركات المفاجئة.

حتى رجال الأمن معدومو اللياقة البدنية في منشأة البث -الذين يتخيلون أنفسهم أبطال كل برنامج تلفزيوني يشاهدونه- استسلموا للصمت المذهول، ورفعوا أيديهم، في تقليد لممثلي الكومبارس الصامت.

- من فضلكم ادخلوا المخزن؛ توجد مساحة كافية للجميع. خذوا دفترًا -إذا أردتم- واكتبوا ذكريات تجربتكم المروعة على أيدينا القاسية.

حاول أحدهم الاتصال سرًّا من هاتف في جيبه.

وهذا متوقَّع.

- بكل تأكيد، استخدموا هواتفكم لطلب المساعدة. لقد حجبنا طبعًا إشارات الهاتف الصادرة، لكننا لا نريد أن نحرمكم إحساسكم الزائف بالأمل.

حبس المتسلِّلون موظفي محطة الراديو في المخزن، واستغل الموظفون وقتهم في المكان الضيق من حولهم، فاستشاط مدير المحطة غضبًا، وبكت سكرتيرة، فيما أخذ آخرون وجبات خفيفة من الرف، وأكلوها في توتر، وهم يفكرون هل سيفقدون حياتهم.

وبعد حبس الموظفين في مكان آمن، استولى المتسللون على البث لمدة خمس دقائق إجمالًا، واتصلوا بشبكة راديو، مما وسَّع نطاق البث الفعال بمقدار ألف ميل. ليس سيئًا بالنسبة إلى خمسة هاربين من التفكيك.

وفي طريقهم إلى الخارج، فتحوا باب المخزن في صمت، وهو ما اكتشفه موظفو المحطة بعد دقيقة تقريبًا، وخرجوا كالسلاحف من صدفاتها، ليجدوا المحطة خالية من المتسللين، لكنها ما زالت تبث. وليس بثًّا فارغًا -لأنه ينبغي لأي محطة إذاعية ألا تعاني سخط صمت الراديو- بل بثت المحطة الأغنية المميزة نفسها، التي يتركها الفريق التابع لهايدن دائمًا للإشارة إلى رعايتهم لهذا البث. نغمات غنية تنساب بسلاسة على موجات الأثير.

"إنك موجود... في أعماقي".

***

42 - ليف

تمر الأيام دون الكثير من الضجة في محمية أراباتشي. لا يعني هذا أن الحياة بسيطة، لأنه في أي عالم حديث لا يمكن أن تسمى الحياة بسيطة الآن. لكنها حياة غير مثقلة. باختيار العزلة، نجح شعب أراباتشي في حماية نفسه، وظل آمنًا وعقلانيًّا في عالم فاسد. ولأنها أغنى الأمم القبلية، فهناك من يطلقون على محمية أراباتشي «المجتمع المغلق نهائيًّا». إن سكان القبيلة ليسوا غافلين عمَّا يجري خلف البوابة، لكنهم بالتأكيد بعيدون عنه بدرجة كبيرة.

بطبيعة الحال، أي محاولة لتقريب العالم قليلًا ستواجهها مقاومة قوية. ومع ذلك، اعتقد ليف حقًّا أنه قادر على إحداث فرق. بعد كل ما مر به، ما زال عاجزًا عن التعامل مع خيبة الأمل. تساءل هل ذلك من سمات الإنسان العادي، أم إنه عيب في شخصيته. ربما عيب خطِر.

بعد أن أغلق الباب، وقف ليف أمام مرآة الحمام بمنزل تاشين، وتواصل بالعينين مع انعكاسه، محاولًا التواصل مع نسخة أخرى من نفسه. نسخته القديمة، أو الحالية، أو التي سيكونها مستقبلًا.

طرق كيلي الباب بنفاد صبر كما يفعل الصبية في سن الثانية عشرة، وصاح: "ماذا تفعل عندك يا ليف؟ أحتاج إلى استخدام الحمام!".

- استخدم الحمام الآخر.

تذمر كيلي: "لا يمكنني ذلك! فرشاة أسناني في هذا الحمام".

- إذن استخدم فرشاة شخص آخر.

- هذا مقزز.

ابتعد كيلي، وعاد ليف إلى ما يفعله. كلما درس نفسه في المرآة، بدا وجهه غير مألوف أكثر، وكأنه يتأمل كلمة إلى أن تفقد كل معناها.

لطالما بدا ليف في أفضل حالاته عندما يجد هدفًا يسعى خلفه. هدف واضح ومميز، بحيث يمكن قياس مقدار النصر. في أيامه البريئة، كانت لعبة البيسبول محور عالمه. أمسِك الكرة، واضربها، واركض. حتى عندما صفَّق، تفوق، وأصبح ممثلًا نموذجيًّا للقضية. إلى أن اختار عدم تفجير نفسه، طبعًا.

مع تعنت مجلس قبيلة أراباتشي، أدرك أنه خسر معركته. لن تدخل أراباتشي الحرب ضد التفكيك. ستواصل الاعتراض بمنع تطبيقه داخل القبيلة، بدلًا من مواجهته.

وصفه كونر بالسذاجة، واتضح أنه على حق. بعد كل ما مر به، ظل ليف أحمقَ بما يكفي للاعتقاد بأن العقل والعزيمة سيسودان.

بعد هزيمته في مجلس القبيلة، قالت له إلينا: "إنك مجرد فتى واحد، بصوت واحد. لو واصلت محاولتك أن تصبح مجموعة، ستفقد هذا الصوت، ومن سيسمعك عندئذ؟".

عانقته، لكنه لم يعانقها بدوره. لم يُرِد المواساة، كي يستمر غضبه، لأنه يعلم أن هذا الغضب قد ينتج عنه شيء جديد. شيء أكثر فاعلية من التماس لا طائل منه.

في الأيام التي تلت ذلك، فكر ليف كثيرًا في الأمر -انصب كل تفكيره عليه حقًّا- وتوصل إلى نتيجة. ما يحتاج إليه نهج جديد لا يعتمد على

أحد سواه. لقد توقف عن الاعتماد على مساعدة الآخرين، لأن الآخرين من المرجح أن يخذلوه. يجب عليه أن يملك زمام المبادرة بحسم، وإلى الأبد.

لذا، فحص نفسه في المرآة، باحثًا عن حل جديد، أعمق مما سبق. الأشياء المكتوبة على وجه ليف معقدة للغاية، تصعب قراءتها. لكنه يعرف إمكانية تبسيطها. مد يده إلى الطاولة والتقط المقص الذي أحضره إلى الحمام. دون تردد، قص ذيل حصانه، وأسقطه على الأرض. لم يبق سوى شعر أشقر متناثر. بعد ذلك، أمسك خصلة من الشعر من موضع أقرب ما يكون إلى الجذور، وقصها. ثم أمسك أخرى، وكرر الخطوة نفسها مرارًا وتكرارًا، حتى اكتست الأرض بالشعر، وبدا رأسه كحقل قش حُصِدَ للتو.

مرة أخرى، طرق كيلي الباب، صائحًا: "يجب أن أدخل يا ليف!".

قال له ليف: " قريبًا.. سأخرج قريبًا".

ترك ليف المقص، ووضع رغوة الصابون على رأسه. ثم التقط شفرة حلاقة.

***

في هذه الأيام، كان معظم شباب أراباتشي من الذين يخططون لمغادرة المحمية، يضعون وشمًا على أجسادهم. إنهم أولئك الذين قرروا الخروج إلى عالم أكبر، لكنهم يريدون أن يأخذوا معهم ما يُذَكِّرهم دائمًا بالمكان الذي أتوا منه. رمز يمكنهم عرضه بفخر.

لا يوجد سوى عدد قليل من فناني الوشم في المحمية، وواحد فقط يحظى بموهبة حقيقية. الباقون من النوع الذي يرسم بالأرقام. زار ليف جيس تازا الموهوب. انتظر خارج المتجر حتى غادر آخر عملاء جيس، الذي نظر إليه وهو يدخل، دون أن يعرف هل سيشعر بالانزعاج

أم سيستمتع بوقته معه، وبادره قائلًا: "أنت الهارب الذي تبنته عائلة تاشين، والشخص الذي قبض على قرصان الأعضاء، أليس كذلك؟".

هز ليف رأسه، وأجابه: "ألم تسمع؟ لم أعد هاربًا بعد الآن. أصبحت عضوًا كاملًا في القبيلة".

- يسعدني ذلك.

ثم أشار إلى رأس ليف الحليق، مضيفًا: "ماذا حدث لشعرك؟".

قال له ليف: "أصبح غير ضروري". هذا هو الجواب الذي منحه لعائلة تاشين، ولكل من سأله. أزعج رأسه الحليق إلينا -كما توقع- لكنها احترمت اختياره.

سأله جيس: "كيف يمكنني مساعدتك؟".

قدم له ليف عدة أوراق، وشرح له ما يريد. راجع جيس الأوراق، ثم نظر إلى ليف متشككًا، وقال: "لا بد أنك تمزح!".

- هل أبدو وكأنني أمزح؟

نظر جيس إلى الأوراق مرارًا وتكرارًا، ثم سأله: "أواثق أنت أنك تريد هذا؟".

- نعم.

- هذا القدر من الحبر دفعة واحدة؟

- نعم.

- سيؤلمك كثيرًا.

لقد فكر ليف في ذلك فعلًا. أجابه: "يجب أن يؤلم.. يجب أن يؤلم، وإلا فلن يعني شيئًا".

نظر جيس في أرجاء متجره، مشيرًا إلى العديد من تصميماته الأصلية، واقترح: "ماذا عن نسر لطيف، أو دب بدلًا من ذلك؟ أنت

لست من مواليد أراباتشي، لذا يمكنك اختيار مرشدك الروحي الحيواني الخاص. تبدو أُسُود الجبال جيدة بالحبر".

- أملك فعلًا مرشدًا روحيًّا حيوانيًّا، وهو ليس ما أريده. أريد هذا.

وأشار إلى الأوراق الموجودة بين يدي جيس.

- سيستغرق الأمر ساعات عديدة على مدار أيام عديدة.

- لا بأس.

- ويجب أن تدفع لي مقابل وقتي، فأنا أستحق الكثير.

- سأدفع، مهما كلف الأمر.

منحت عائلة تاشين ليف أموالًا لينفق منها، إنها تكفي لمدة. وهي أكثر من كافية لدفع ثمن موهبة ووقت جيس. بعد ذلك، لن يحتاج إلى عملة أراباتشي، لأنها لا تصلح للاستخدام خارج المحمية.

لم يخبر إلينا وتشال أنه سيغادر. لم يخبر أحدًا، لأن كل من يخبره، سيحاول إقناعه بالتراجع عن ذلك أو على الأقل محاولة اكتشاف المكان الذي سيتجه إليه. من الأهمية بمكان ألا يعرف أحد ذلك.

أخرج المال من حافظة نقوده، ووضعه أمام جيس. مثل ما يحدث في أي مكان آخر في العالم، المال له الكلمة الفاصلة.

ستبدأ جلستهم الأولى بعد بضع دقائق، وسمح لجيس بالتعبير الإبداعي الكامل.

- من أين تريد أن تبدأ؟

قال له ليف: "ابدأ من أعلى إلى أسفل"، ثم اتكأ إلى الخلف على مسند المقعد وأغمض عينيه، واستعد ذهنيًّا للمحنة القادمة...

***

43 - ريسا

استيقظت ريسا على صوت آلة تصدر صوتًا خافتًا وعاليًا في الوقت نفسه. وجدت نفسها مستلقية على سرير كبير في غرفة نوم من خشب السكويا المصقول المطعم بالنحاس. شعرت بالدوار والغثيان، وكأن السرير نفسه يتحرك تحتها، لكنها علمت أن هذا بسبب المهدئات فقط.

قال صوت غير مألوف لرجل: "تمهلي. لقد هُدِّئتِ ثماني أو تسع مرات متتالية. سيستغرق الأمر وقتًا أطول من المعتاد للتعافي. لو أنني من توليت الأمر، لفعلت ذلك بشكل مختلف، بحيث أُهون الأمر عليكِ".

تحدث الرجل بلهجة مهذبة راقية، وبلغة شرق أوروبية. ربما الروسية. لا، ليس تمامًا، لكنها قريبة من ذلك.

فيما بدأت عيناها تستعيدان وضوح رؤيتهما، رأته واقفًا في الجهة المقابلة من الغرفة، يرتب شعره في مرآة بالحجم الطبيعي. شعره خفيف داكن، ويرتدي ملابس أنيقة. فحصت ريسا جسدها في حذر، متسائلة عما حدث في أثناء غيابها عن الوعي.

نظر إليها، وقرأ لغة جسدها، ثم ضحك، قائلًا: "لا تقلقي. لم يؤذكِ أحد خلال نومك بعد تخديرك".

شعرت بمادة رغوية وهمية تملأ رأسها وتمنعها من التركيز، فلم تملك إلا أن تسأل مباشرة: "أين أنا؟".

- إنكِ في مخيم حصادي، «ليدي لوكاريتسيا».

أصبح لديها الآن ما يكفي من القطع لتجمعها معًا. إن الرجل الذي هاجم متجر التحف قرصان أعضاء، وهي الآن في يدَي تاجر بالسوق السوداء. قرصان الأعضاء قتل جاك، الذي وعدت ريسا بحمايته، لكنها وضعته مباشرة على طريق الأذى. وماذا عن سونيا؟

كررت، آملةً الحصول منه على المزيد من المعلومات: "أنا في مخيم حصاد ...".

- نعم، وصديقك كونر أيضًا.

لم تتوقع سماع ذلك. هزت رأسها، غير راغبة في تصديق الأمر، وقالت: "إنك كاذب! لم يكن كونر هناك!".

نظر إليها آسِرُها في فضول، قائلًا: "حقًّا؟ اعتقدت أنكما أُسِرتما معًا. لكن في الحقيقة، لم يشرح نيلسون الظروف المحددة لأسركما عندما ترككما معي".

نيلسون؟ أيعني نيلسون نفسه؟ لكن فيما تفكر في قرصان الأعضاء، أدركت أنها تعرف ذلك الوجه، أو نصفه على الأقل. فجأة بدا كما لو أن الغرفة بأكملها تتأرجح، تتحرك في اتجاه معين، فيما تتحرك معدة ريسا في اتجاه آخر. ودون سابق إنذار، مالت فوق حافة السرير، وتقيأت على الأرض.

جلس الأجنبي بجوارها، ودَلَّك ظهرها برفق، فلم تملك حتى القوة للتراجع بعيدًا عنه.

قدم لها مشروب صودا من مُبرِّد صغير بجوار السرير، وقال: "اسمي ديفان، ولن يصيبك أي مكروه في أثناء وجودك في رعايتي. يوجد الكثير مما يجب عليكِ استيعابه. لا عجب في وجود أشياء لا يمكن السيطرة عليها".

تركها تتناول الصودا، وأضاف: "سأطلب من أحدهم أن يأتي وينظف الغرفة، لا تقلقي. في غضون ذلك، لدي عمل يجب أن أهتم به. نامي يا ريسا. سنتحدث مرة أخرى عندما تصبحين مستعدة لذلك".

اتجه إلى الباب، لكنه التفت إليها قبل أن يخرج، وقال: "لو شعرتِ بالغثيان مرة أخرى، أعتقد أن النظر من النافذة سيساعدكِ".

حال رحيله، تحركت ريسا إلى طرف السرير، ومدت يدها إلى ستارة. عند سحبها للخلف، كشفت عن نافذة، لكنها ليست النوع الذي توقعته. إنها نافذة بيضاوية، وخلفها غيوم. لا شيء سوى الغيوم.

***

44 - «ليدي لوكاريتسيا»

ببساطة، الطائرة «أنتونوف إيه إن - 225 مريا» هي أكبر جسم طائر صُنِعَ على الإطلاق. تتمتع المحركات الستة لطائرة الشحن الضخمة بقوة حصانية تفوق قوة سلاح فرسان نابليون بأكمله، وعندما يتحدث الناس عن تحريك الجبال، فهذه هي الطائرة التي يمكنها عمل ذلك. لم تُصنَع سوى اثنتين من هذه الطائرات على الإطلاق. الأولى موجودة في متحف جوي أوكراني. والثانية مملوكة لرجل الأعمال الشيشاني الثري ديفان أوماروف. وهو الآن يتفاوض لشراء النسخة الأخرى.

من الخارج، تبدو شديدة الانتفاخ من أسفل، كطائرة «747» تعاني مشكلات في الغدد، لكن الوقوف داخل حجرة الشحن الشبيهة بالكهف في الطائرة النفاثة يمكن اعتباره تجربة روحية، لأنها ترتفع من حولك دراميًّا بشكل يخطف الأنفاس كدار عبادة مهيبة، لكنها يمكن أن ترتفع في السماء بمقدار ثمانية أميال[1].

ومع ذلك، فإن الجزء الداخلي من «ليدي لوكاريتسيا» -كما أطلق عليها ديفان- لا يشبه جسمها المجوف الأصلي. لقد أعيد تصميمه بعناية ليصبح مسكنًا فخمًا، وأيضًا مخيم حصاد يعمل بكامل طاقته،

(1) أي تطير على ارتفاع يزيد على 42 ألف قدم. "المترجم".

حيث تهبط الطائرة فقط للتزود بالوقود والمفككين الواردين حديثًا من شبكة ديفان الدولية لقراصنة الأعضاء، وكذلك لتفريغ الأجزاء المفككة المتنوعة، التي تساوي أكثر بكثير من الصبية أنفسهم.

في الآونة الأخيرة، أمضى ديفان وقتًا أطول في الجو. نظرًا لقسوة أعدائه، فمن الآمن أن يواصل الطيران قدر الإمكان، والشحنة الحالية -النادرة لدرجة تجعلها لا تقدر بثمن تقريبًا- تستلزم اهتمامه الشخصي. إن أسره كونر لاسيتر يعد وسامًا على صدره، سواء أمام هيئة الأحداث الأمريكية أو «داه زي» الحقير. سيبقى على متن الطائرة، ويشرف من كثب على أعماله حتى يباع كونر لاسيتر في المزاد وتوزع أجزاؤه على العملاء وتحوز رضاهم.

***

45 - ريسا

عندما استيقظت ريسا مرة أخرى، شعرت أنها أقوى قليلًا. قوية بما يكفي لاستكشاف واختبار محيطها المباشر. غرفة النوم مغلقة طبعًا من الخارج. كشف المشهد من النافذة أنهم ما زالوا على ارتفاع كبير، وأن الشفق قد بلغ نهايته، أو الفجر. لم تدرِ ريسا ما الوقت الفعلي، أو عدد البلدان التي طاروا فوقها.

توجد طاولة صغيرة في الجهة المقابلة من الغرفة بها طعام لها. طعام خفيف: مخبوزات وما شابه ذلك. أكلت، رغم مقاومتها لقبول أي شيء يُعرض عليها.

عندما عاد تاجر السوق السوداء، أسعده أنها أكلت، مما جعلها تريد فقط أن تتقيأ كل شيء في وجهه.

عرض ديفان: "يمكنني اصطحابك في جولة رائعة لو أردتِ".

ذكّرته ببساطة: "إنني سجينة. لماذا تصطحب سجينة في جولة؟".

قال لها: "ليس لدي سجناء، بل ضيوف".

- أهكذا تدعو الصِّبية الذين تفككهم؟ ضيوفًا؟

تنهد، قائلًا: "لا، إنني لا أدعوهم شيئًا. لو فعلت، فسيجعل ذلك عملي أصعب، كما تعرفين".

مد يده لمساعدتها على النهوض، لكنها رفضت مساعدته، وسألته: "أيوجد سبب يجعلني "ضيفة"، لا إحداهم؟".

ابتسم، مجيبًا: "ستسعدين يا آنسة وورد عندما تعرفين أن عملائي المهتمين بك يريدونك مكتملة فحسب. أليس من الجيد أن تعرفي أنه من بين كل الأرواح على متن الطائرة، أنت الوحيدة التي تساوي أكثر وهي مكتملة، منها وهي منقسمة؟".

بطريقة ما، لم يشعرها قوله بكثير من الارتياح، وسألته: "ما نوع العملاء الذين يشترون شخصًا مكتملًا؟".

- الأثرياء من هواة الجمع. هناك أمير بعينه مفتون بكِ. لقد قدم عروضًا بالملايين.

حاولت إخفاء اشمئزازها، وقالت: "أتخيل ذلك".

قال ديفان: "لا تقلقي. أنا أقل ميلًا لإبرام الصفقة مما قد تعتقدين".

مد يده إليها مرة أخرى، لترفض إمساكها مجددًا. ومع ذلك، وقفت، وتحركت نحو الباب.

قال ديفان، وهو يفتح الباب: "ستجدين الجولة مفيدة للغاية، على أقل تقدير. وفي الطريق، يمكنك تسلية نفسك بالتخطيط لطرق للهروب، وطرق لقتلي".

التقت أعينهما لأول مرة، وقد شعرت ريسا ببعض الصدمة، لأن هذا بالضبط ما دار بذهنها. فوجئت كذلك بنظرته الدافئة أكثر مما أرادت، وهو يقول: "لا داعي للإحساس بالمفاجأة. كيف لا أعرف ما تفكرين به الآن؟".

وبعيدًا عن هدير المحركات المستمر والاضطرابات الجوية العرضية، من الصعب تصديق أن كل هذا مكدس داخل طائرة واحدة. تفتح غرفة النوم على منطقة معيشة يأتي تصميم سقفها على هيئة قبة، يحدد

هندستها عرض الطائرة واستدارة جسمها. وتوجد أرائك وطاولة طعام ومركز ترفيهي متعدد الشاشات.

قال ديفان: "المطبخ والمخزن بأسفل. أستعين بطاهٍ على مستوى عالمي".

هيمن على المساحة في الطرف البعيد من الغرفة شيء احتاجت ريسا إلى بعض الوقت لفهمه. إنه آلة موسيقية. إنها آلة «الأرغن»، لكن بدلًا من الأنابيب النحاسية اللامعة، توجد وجوه. عشرات الوجوه.

قال ديفان في فخر: "مذهلة، أليس كذلك؟ لقد اشتريتها من فنان برازيلي، يبدو أنه قد صنع مسيرته العملية من خلال الأجساد. يزعم أن عمله الفني يهدف إلى الاحتجاج على التفكيك، لكني أسألك، أي احتجاج هذا، لو أنه يستخدم المفككين في أعماله الفنية؟".

شعرت ريسا بالانجذاب إلى هذا الشيء كمن يشاهد حادث سيارة. تذكرت أنها رأت هذا من قبل. في حلم. حلم يتكرر باستمرار. الآن فقط أدركت أن الحلم له أساس واقعي: شيء رأته يومًا على شاشة التلفاز، رغم أنها لم تستطع أن تحدد متى رأته بالضبط.

- إن الفنان يطلق على هذه الآلة «الأرغن العضوي».

كل رأس مقطوع يسترخي في خمول، وهو موضوع في سيمترية فوق لوحة المفاتيح، على مستويات متعددة، متصلًا بها بواسطة أنابيب وقنوات. إنه التعريف الحقيقي للرجس. وجدت ريسا الأمر غاية في الغرابة، حتى إنه لم يثر بداخلها الأحاسيس المناسبة. ومرعب جدًّا لدرجة لا يمكن وصفها بإحساس محدد. ببطء، مدت يدها إلى الأمام وضغطت على أحد مفاتيح الآلة، ففتح وجه بلا جسد فمه أمامها مباشرة، وأصدر نغمة "سي" وسطى مثالية.

صرخت ريسا وقفزت إلى الخلف، لتصطدم مباشرة بديفان، الذي أمسك كتفيها برفق، لكنها تملصت منه.

قال لها: "لا يوجد ما تخشينه. أؤكد لك أن العقول في مكان آخر، ربما تساعد الأطفال البرازيليين الأثرياء في التفكير بشكل أفضل، رغم أن الأعين تُفتَح من وقت لآخر، وهو ما قد يسبب ارتباكًا".

أخيرًا، حاولت ريسا التعبير عن رأيها، وهو بعيد كل البعد عن نغمة الـ "سي" الوسطى: "هذا الشيء.. هذا الشيء...".

- لا يمكن تصوره، أعلم ذلك. حتى أنا شعرت بالدهشة عندما رأيته لأول مرة.. ومع ذلك، كلما نظرت إليه، زادت ضرورة امتلاكه. يجب سماع مثل هذه الأصوات الجميلة، أليس كذلك؟ وأنا لا أخلو من الحس الساخر. إن «ليدي لوكاريتسيا» هي غواصتي الخاصة، وأنا -مثل القبطان الطيب نيمو[1]- يجب أن أمتلك هذا الأرغن.

ورغم ابتعاد ريسا عنه، وجدت بصرها منجذبًا إليه، واضطرت إلى النظر إليه، وخشيت أن ينظر إليها مرة أخرى.

سألها: "ألا يمكنك العزف عليه؟ لا أجيد العزف، وأدرك أنك عازفة بيانو ماهرة للغاية".

- أفضِّل أن أقطع يدي، قبل أن ألمس هذا الشيء مرة أخرى. أبعدني عنه.

قال ديفان: "بالتأكيد".

إنه متعاون دائمًا، لكن بدا الانزعاج واضحًا على وجهه، وهو يوجهها إلى سلم في نهاية الغرفة. واستمرت الجولة على هذا النحو.

لم تستطع ريسا الابتعاد عن الأرغن العضوي بسرعة كافية. ومع ذلك -كما قال ديفان- فإن الصورة ظلت باقية، جنبًا إلى جنب مع إحساس غريب

(1) - إشارة إلى رواية «عشرين ألف فرسخ تحت الماء» للكاتب الفرنسي جول فيرن، وبطلها القبطان نيمو. «المترجم».

مقنع، مثل الوقوف على حافة عالية والانحناء، وإغراء الجاذبية بسرقة توازن المرء. وبقدر ما شعرت بالرعب من الوحش ذي الوجوه الثمانية والثمانين، أرعبتها أكثر فكرة أنها قد ترغب في العزف على تلك الآلة فعلًا.

غادرا رفاهية الشاليه الطائر، وانتقلا إلى المناطق السفلية من الطائرة العملاقة، إلى الممرات العديدة الخالية من الخشب المصقول أو الجلد، فقط الألومنيوم والصلب العملي مستخدمان بها.

- يشغل مخيم الحصاد الثلثين الأماميين من «ليدي لوكاريتسيا». ستنبهرين باقتصاد المساحة.

سألته: "لماذا؟ لماذا تريني كل هذا؟ ما الغرض المحتمل الذي قد يخدمه ذلك؟".

توقف ديفان أمام باب كبير، وقال: "أعتقد أنه كلما تجاوزتِ صدمتكِ الأولية، ستشعرين بالارتياح".

- لن أشعر بالارتياح أبدًا تجاه أي من هذا.

أومأ برأسه، ربما متقبلًا تصريحها، لكنه لم يتقبل صحته، وقال: "لو وُجِدَ شيء واحد أفهمه جيدًا، فهو الطبيعة البشرية. إننا قمة النوع، أليس كذلك؟ هذا لأننا نتمتع بقدرة رائعة على التكيف، ليس فقط جسديًّا، بل أيضًا عاطفيًّا ونفسيًّا". مد يده إلى مقبض الباب، مضيفًا: "إنك بارعة في النجاة بحياتك يا ريسا. لدي كل الثقة في أنك ستتكيفين بطرق مجيدة".

ثم فتح الباب.

***

ذات مرة، اصطُحِبَت ريسا -كجزء من برنامج إثراء ملجأ الولاية- إلى مصنع لكرات البولينج، وذلك لأنه المصنع الوحيد المناسب لاستضافة أطفال ملجأ الولاية. ما أثار إعجاب ريسا أكثر هو الافتقار التام للمشاركة

البشرية. أدت الآلات العمل كله، من تشكيل قلب المطاط إلى تلميع الطبقة الخارجية إلى حفر الثقوب، وفقًا لمواصفات دقيقة على الكمبيوتر.

***

حال عبور ريسا مدخل المكان، أدركت أن ديفان لا يدير مخيمًا للحصاد على الإطلاق. إنه يدير مصنعًا.

لا توجد مهاجع مبهجة، ولا مستشارون فائقو النشاط، بل توجد أسطوانة ضخمة، يبلغ قطرها عشرين قدمًا على الأقل، تبطن هيكل الطائرة، وتحتوي على أكثر من مئة فتحة. في تلك الفتحات يرقد المفككون كالجثث في سراديب الموتى.

قال لها ديفان: "لا تُخدعي بالمظاهر. إنهم يرقدون في راحة على أسرَّة من الحرير عالي الجودة، وتعتني الآلة بكل احتياجاتهم. يتغذون جيدًا ويُنَظَّفون تمامًا".

- لكنهم غائبون عن الوعي.

- إنهم شبه واعين. يحصلون على مهدئ خفيف يبقيهم في حالة من السبات، في لحظة دائمة بين الأحلام واليقظة. إنه أمر ممتع للغاية.

في الطرف البعيد من الفضاء الأسطواني يوجد صندوق أسود ضخم بحجم رئة حديدية[1] من العالم القديم. منعت ريسا عقلها من التفكير قبل أن تتمكن من تخيل الغرض منه.

---

(1) - الرئة الحديدية: تُعرَف أيضًا بجهاز درينكر نسبة إلى مخترعها فيليب درينكر أستاذ الصحة الصناعية بجامعة هارفارد. هذه الرئة الحديدية أحد أشكال أجهزة التنفس الطبية الاصطناعية، التي تسمح للشخص بالتنفس عندما يعجز عن التحكم الطبيعي بعضلات الجهاز التنفسي، أو عند فقدانه قدرته الطبيعية على التنفس. أول تطبيق عملي لهذا الجهاز حدث عام 1928، ولم تعد مثل هذه الأجهزة شائعة الاستخدام في الوقت الحالي. «المترجم».

- أين كونر؟

أخبرها ديفان، وهو يشير في غموض إلى غرفة المفككين حولهما: "إنه هنا".

- أريد رؤيته.

- رغبة غير حكيمة. ربما في وقت آخر.

- تقصد بعد تفكيكه.

- فلتعلمي أنه لن يُفكك قبل عدة أيام على الأقل. إن بيع أجزاء إوُول آكرون بالمزاد العلني أمر كبير، لذا يستغرق الأمر وقتًا لترتيب كل شيء.

نظرت إلى كل من حولها من المفككين شبه الواعين، ووجدت نفسها تشعر بأن ركبتيها لا تحملانها مرة أخرى، كما حدث وهي ما زالت تحت تأثير المهدئات. وفي الوقت نفسه، تجول ديفان في المكان بثقة خالية من الهموم.

- يمثل مخيم «داه زي» البورمي أظلم نهاية لما تسمينها السوق السوداء. التفكيك البطيء دون تخدير، وفي ظروف غير صحية. إنه أمر مؤسف! أما أنا -من ناحية أخرى- فأسعى إلى ما هو أفضل. أعطي هؤلاء المفككين جودة علاج أرقى من أي مخيم حصاد معتمَد رسميًّا. راحة كاملة، وتحفيز كهربائي يقوي عضلاتهم دون ألم، وشعور مستمر بالنشوة وهم ينتظرون التفكيك. لقد اشترى العديد من قادة العالم أجزاءً مني، رغم أنهم لن يعترفوا بذلك أبدًا. بما في ذلك العديدون من دولتك، كما قد أضيف.

نبضت الآلة بالحياة فجأة، وبدأت تدور حولهم، وتعيد وضع المهدئات، ثم امتدت ذراع ميكانيكية للتحقق من أحدهم بعناية لطيفة كلمسة الأم.

- هل انتهت الجولة؟ لو لم تنته بعد، فلا أهتم. لقد رأيت ما يكفي.

اصطحبها ديفان إلى غرفة المعيشة، فأشاحت ببصرها بعيدًا عن الآلة الموسيقية البشرية، رغم رؤيتها لانعكاس صورتها في المرآة. عندما وصلا إلى غرفة نومها، وجدت أحدهم يرتب سريرها، وبدأ يعمل بشكل أسرع عندما رآهما.

- كدتُ أنتهي من العمل يا سيدي.

بدا الرجل ضعيفًا وخائفًا بعض الشيء، كمن قُبِضَ عليه وهو يفعل شيئًا ينبغي ألا يفعله. لم يبد أكبر سنًّا كثيرًا من ريسا. عندما التفت ليلقي نظرة عليها، فوجئت بمظهره. جزء من وجهه مفقود، وفي مكانه يوجد ضمادة حيوية ملائمة -وردية بلون أفتح من الجلد الحقيقي- تغطي تجويف عينه ومعظم وجنته اليمنى. بدا إلى حد ما أشبه بشبح الأوبرا بعينه الواحدة. الجانب الأيسر من وجهه لم يبدُ أفضل كثيرًا، حيث يوجد به العديد من الندوب التي تبدو حديثة إلى حد ما.

قالت ريسا: "أفترض أنه تابعك".

شعر ديفان بالإهانة، وقال: "لست وقحًا بما يكفي لأحصل على تابع. إنه خادمي، سكينر".

تبسمت ريسا لا إراديًّا: "يناسبه الاسم الذي اخترته له".

قال ديفان: "إنها مجرد مصادفة. سكينر[1] اسمه الحقيقي".

---

(1) - سكينر: بالإنجليزية، كلمة تعني سالخ الجلود. «المترجم».

غادر سكينر بسرعة في خنوع، وأغلق الباب خلفه. ثم تذكرت ريسا أن سكينر هو أيضًا اسم عائلة جرايس. أيحتمل أن هذا هو الأخ المزعج الذي ظلت تتحدث عنه؟ كلما تخيلت نصف وجهه الذي رأته، زاد اقتناعها بوجود تشابه.

سألت ديفان: "ماذا تريد مني؟"، رغم أنها خشيت سماع الإجابة.

قال لها: "شيء بسيط، على الأقل بالنسبة إليكِ. أتمنى أن تعزفي لي على الأرغن العضوي".

- لا أملك موهبة العزف على هذه الآلة، وهي تستلزم من يتمتع بمهارة العزف عليها.

ترك الاقتراح معلقًا. لم تجرؤ ريسا على تخيل نفسها جالسة أمام تلك الآلة، فأضافت: "بغض النظر عن مدى براعة عزفي، في النهاية سوف تمل من الموسيقى، ومني. ماذا سيحدث لي بعد ذلك؟".

- إذا ثبت أن اتفاقنا لم يعد قابلًا للتطبيق، فسأسمح لك بالرحيل.

- كم قطعة؟

رفع ديفان عينيه بسبب تشككها، وقال: "لست رجلًا سيئًا يا ريسا. ربما عملي غير مستساغ، لكني لست كذلك. فكري في مُربي الماشية الذي يربي أبقار «كوبيه» اليابانية. أيجب إدانته لأن ماشيته لا بد أن تُذبح؟ طبعًا لا! أنا لا أختلف عنه، إنني فقط أقدم منتجًا بطبيعة مختلفة.. وأقدمه بطريقة أكثر إنسانية. (بدأ يسير نحوها، وهو يضيف) على عكس زميلي الذي أسرك، تمكنت من فصل نفسي عن عملي".

تجنبته، رافضة إجبارها على التراجع، لكنها ظلت تحافظ على مسافة آمنة بينهما.

قال لها: "الخيارات المتاحة أمامك بسيطة. يمكنك اختيار البقاء هنا، أو اختيار بيعك بالمزاد. هنا، يمكنني أن أعدك بالسلام والصبر والاحترام. وهذا أكثر مما يمكنني قوله عن الأمير الذي حدثتك عنه".

التهديد المستتر أحدث التأثير المطلوب، لذا انتاب ريسا إحساس بالخوف من الأماكن المغلقة. ومع ذلك، استجمعت شجاعتها لتقدم اقتراحها الخاص.

- سأفعل ما تريد، بشرط واحد.

- وما هو؟

- أن تترك كونر يرحل.

صفق ديفان في سرور، قائلًا: "ممتاز! إن مجرد محاولتك للتفاوض تعتبر خطوة في الاتجاه الصحيح. لسوء الحظ، تحرير كونر ليس خيارًا مطروحًا".

- في هذه الحالة، اذهب إلى الجحيم.

لم يبدُ ديفان مستاءً، بل مستمتعًا بما يحدث فحسب. قال لها: "سأمنحك وقتًا لإعادة النظر. في هذه الأثناء، لديَّ مفكك آخر رفيع المستوى للبيع بالمزاد".

لم تملك ريسا إلا أن تسأل: "من هو؟".

أجابها: "أكثر مجرم مطلوب القبض عليه في أمريكا. لقد دفعتُ للمواطنة الاستباقية ثروة صغيرة مقابل الحصول عليه، لكن الربح الذي سأحققه يستحق ذلك. يوجد العديدون ممن يرغبون في امتلاك قطعة من مايسون مايكل ستاركي".

***

46 - آرجان

يجب أن يتحلى بالذكاء. يجب أن يمتاز بالمكر. لكن أكثر من أي شيء آخر، يجب أن يبدو مطيعًا.

قال له ديفان بعد حصد النصف المعافى من وجهه ومنحه لنيلسون: ”لقد أشفقت عليك. لو أن أي شخص آخر في موضعك، لفككته، لكن من النادر أن أشعر بشفقة حقيقية، لذلك اخترت التصرف بناءً على ذلك“.

ومع ذلك، لم تأتِ الشفقة مصحوبة بالإحسان. فبدلًا من استبدال النصف المفقود من وجه آرجان، رقَّعه ديفان بضمادة بيولوجية، مثل المعجون الذي يوضع فوق الحوائط الجافة التالفة.

قال ديفان: ”ما تحتاج إليه باهظ الثمن للغاية، ولا يمكن التبرع به مجانًا. لكن إذا عملت معي لمدة ستة أشهر، فستكسب الوجه الذي تختاره من مخزوني. بعد ذلك يمكنك اختيار الاستمرار خادمًا لي، أو العودة إلى حياتك السابقة“.

ورغم أن آرجان لم يقل ذلك، فإنه لم ينوِ العودة إلى حياته السابقة. ربما حياة جديدة في مدينة جديدة، بوجه جديد... لكن بعد أن استقر في «ليدي لوكاريتسيا»، بدأ آرجان يعتقد أن رغبته في الحياة ستضعف إلى الحد الذي يجعله يختار البقاء. وهو يحاول ألا يفكر في الأمر، ولذلك

ينشغل بأداء مهامه اليومية، التي تتألف من تنظيف الفوضى، وغسل الملابس، والاستماع إلى محاضرات ديفان عن الحياة. ولا يحب ديفان شيئًا أكثر من الاستماع إلى نفسه وهو يلقي المحاضرات، وآرجان هو الجمهور المثالي لأنه لا يخالفه أبدًا، ولا يملك رأيًا خاصًّا به. بل إنه أصبح يرى أن "الافتقار إلى الرأي" عنصر أساسي في الوصف الوظيفي لعمله.

لكن وصول كونر لاسيتر يعد عائقًا كبيرًا في آلية تفكير آرجان. لقد راقب نيلسون من النافذة وهو ينقله هناك على الرصيف. مشهد نيلسون وهو يضع نصف وجه آرجان وكأنه وجهه، مثَّل انتهاكًا كبيرًا، فقد جعل ذلك الأخير يشعر بالضعف. لقد اعتقد أنه يكره كونر لما فعله به، لكن هذا الإحساس يتضاءل أمام مدى كرهه لنيلسون.

خشي أن يوجه ديفان الدعوة إلى نيلسون للصعود على متن الطائرة مع صيده، لكنه لم يفعل.

قال ديفان لآرجان: "نيلسون قرصان أعضاء جيد، ربما الأفضل، لكن هذا لا يعني أنني أسعد بصحبته". ومع ذلك، وعد ديفان نيلسون بتسليمه عيني كونر شخصيًّا.

نظرًا لأن الحصاد آلي بالكامل، نادرًا ما يدخل أعضاء طاقم ديفان إلى المكان، حتى الطبيب المسؤول عن رعاية الصبية الذين ينتظرون التفكيك نادرًا ما يدخل، لأن الآلة تؤدي العمل كاملًا.

لم يعرف الطبيب لايل أن آرجان استبدل بمفتاحه الاحتياطي المفتاح الاحتياطي لحمام ديفان الخاص. في بعض الأحيان، عندما يعلم أن عيادة الحصاد غير خاضعة للمراقبة، يتسلل آرجان بمفتاحه المسروق وينزل ليتطلع إلى المفككين هناك، متخيلًا قصصهم، وشكل حياتهم، وكيف سيشعر لو حصل على أحد وجوههم. إنه يتجاوز سن التفكيك

القانونية بثلاث سنوات فقط، لكنه يشعر أنه أكبر سنًّا بكثير. من الرائع استعادة وجهه الشاب مرة أخرى يومًا.

ومع ذلك، عندما أتى اليوم إلى عيادة الحصاد، حمل هدفًا مختلفًا.

فيما صف ديفان المزايدين من جميع أنحاء العالم على شاشات مركز ترفيهه، تسلل آرجان إلى عيادة الحصاد، وحدد موقع كونر داخل الشبكة الأسطوانية للمفككين، وأدار الأسطوانة حتى أصبح بجواره، ثم فصله عن نظام مراقبة الآلة، وأوقف تنقيط المهدئ المستمر الذي يبقيه في حالة شبه واعية.

- هذا كله خطؤك! هل تسمعني؟

أتاه رد كونر عبارة عن همهمة خاملة غير متماسكة، لكن هذا سيتغير.

- لقد فعل نيلسون بي هذا للوصول إليك. لم يكن ليفعله قط لو لم تهرب مني أولًا!

ثم صفع كونر بقوة حركته من مكانه، وأضاف: "لماذا فعلت ذلك؟ لو لم تفعل، لأصبحنا فريقًا، ولأنجزنا أشياء عظيمة معًا بصفتنا خارجَيْن عن القانون يمتازان بأسلوب راقٍ. لكن الآن لم يعد لي وجه! مجرد فوضى عارمة على جانب، والكثير من اللاشيء على الجانب الآخر".

ضرب كونر بقوة أكبر هذه المرة، ثم أمسكه وهزه: "أين أختي، عليك اللعنة؟".

استدار كونر لمواجهته، ثم رمش وتثاءب، ورآه أخيرًا لأول مرة، فقال: "آرجان؟".

- أين جرايسي؟ لو أنك تركت نيلسون يؤذيها، أقسم إنني سأقتلك!

لم يبدُ أن كونر قد استوعب بعد كل ما قاله آرجان، وقال: "بما أنك هنا، فلا بد أنني في الجحيم".

- نعم، يمكنك أن تقول ذلك.

حاول كونر الجلوس، فاصطدم رأسه بسقف مساحته المنخفض، فأمل آرجان أن يؤلمه ذلك.

- لقد أيقظتك لأخبرك أنك قد أُسِرْت، وستفكك. لا أخبرك لأنني أهتم، لكنك تستحق أن تعرف. ديفان أسر ريسا أيضًا، ولكن يبدو أنها ستبقى مكتملة.

- هل ريسا هنا؟ هل أسرها؟ من هو ديفان؟

لم يشعر آرجان بالحاجة إلى تكرار عبارته. لَكَمَ كونر في جانبه بقوة. ما زال إوُول آكرون أضعف من أن يستطيع الدفاع عن نفسه، وهذا يناسب آرجان تمامًا، وقال: "لقد ظننتَ أنك ذكي للغاية عندما حطمت وجهي. حسنًا، ما مدى ذكائك الآن، هه؟ وأين أختي؟".

تمتم كونر: "متجر التحف.. إنه المكان الذي رأيتها فيه آخر مرة".

ثم رفع ذراعيه بضعف، وسأله: "ماذا أرتدي؟ أشعر وكأنني مغطى بشبكة عنكبوت".

- إنه رداء من الألياف الحديدية الدقيقة. تشبه الملابس الداخلية الطويلة إلى حد ما، لكن يمكنك أن تسترخي فيها. نطلق عليها "الأردية الطويلة".

فجأة، بدأت أسطوانة المفككين تعمل من تلقاء نفسها، ودار كونر بعيدًا. صنعت ربع دورة وتوقفت، ثم فُتِحَت ذراعان ميكانيكيتان، ومثل صندوق الموسيقى القديم الذي يختار أسطوانة، رفعت الذراعان مُفككة ووضعاها على سير ناقل قصير يؤدي إلى باب غرفة التفكيك، وهو المكان الذي يأمل آرجان ألا يرى ما بداخله أبدًا. يعرف آرجان ما سيحدث بعد ذلك. ستستعيد المفككة وعيها، وتجد نفسها عاجزة

عن الحركة، وستصرخ طلبًا للمساعدة، لكن لن يجيبها أحد. ثم، بمجرد أن تقرر الآلة أنها واعية تمامًا، سيُفتح باب غرفة التفكيك، وسيدفعها الحزام الناقل إلى الداخل.

قال له ديفان يومًا: "يجب أن يستعيدوا وعيهم كاملًا، وإلا لن يبدأ التفكيك. يجب أن يحدث الأمر بشكل غير مؤلم وإنساني، لكن يجب أن يدركوا ما يحدث لهم في كل خطوة". وقف آرجان ذات مرة بجانب صبي، محاولًا تهدئته. أخبره أن والديه أحبَّاه حقًّا رغم كل شيء، وكل هذا الهراء المريح، لكن الصبي أصيب بالذعر، وفي النهاية دخل الغرفة مثل بقية الصبية. لم يحاول آرجان التحدث إلى أي منهم بعد ذلك.

بمجرد توقف الآلة، حدد آرجان مكان كونر مرة أخرى وأداره يدويًّا.

سأل كونر، متحدثًا بوضوح أكبر من السابق: "ماذا يحدث؟".

أوضح آرجان: "إنه مزاد المفككين. أربعة صبية يُعرَضون على المنصة اليوم، وهذا أقل من المعتاد، لكن رابعهم هو الذي سيدر المال الوفير. سيبيع ديفان أول ثلاثة بالمزاد لجذب المزايدين جميعًا للحدث الرئيسي، وسيحدث لك الشيء نفسه عندما يحين دورك! أصبحت أكثر إخفاقًا مني الآن. آمل أن يروقك الأمر!"، ثم دفع كونر معيدًا إياه إلى المنظومة، وأعاد تشغيل قطارة المهدئ، وغادر المكان.

لم يفكر قط أن كونر ما زال مستيقظًا بما يكفي لنزع المحقن من ذراعه.

***

47 - كونر

في اللحظة التي اختفى فيها آرجان، تحرك كونر، لكن حتى وهو مستيقظ ومنتبه، لم يستطع إيجاد حل، ولا سبيل للخروج من عيادة الحصاد سالمًا. يستلزم الباب الذي دخل وخرج منه آرجان مفتاحًا. ليس رمزًا أو بطاقة إلكترونية أو أي شيء يمكن التغلب عليه تكنولوجيًّا، بل مفتاحًا قديم الطراز فعليًّا. أما بالنسبة إلى الآلة نفسها، فهي جماد بلا روح. صندوق مستطيل أسود معلَّق من أرجل داعمة يملؤها المطَّاط لامتصاص أي حركة غير متوقعة بسبب الاضطرابات الهوائية. تبدو الآلة كعنكبوت ضخم طويل الأرجل. توجد بها لوحة تحكم، لكنه لا يعرف كيفية فتحها، ناهيك بالوصول إليها.

- النجدة! النجدة! فلتفعل شيئًا، أرجوك!

عندما استردت الفتاة -التي تنتظر دورها في التفكيك على السير الناقل- ما يكفي من ذكائها لفهم جزء على الأقل مما يحدث، حاول كونر رفعها من الزلاجة الفولاذية التي تتكئ عليها، لكنها لم تتزحزح. أدرك السبب عندما اقترب كثيرًا، فالتصق معصمه بالفولاذ. إن الزلَّاجة ممغنطة بقوة، وبمجرد تشغيل هذا المغناطيس، تلتصق "الأردية الطويلة" -كما أطلق آرجان على الملابس المصنوعة من ألياف الحديد- في مكانها على الزلاجة بقوة أكبر من نظيرتها في حالة التقييد العادي. استلزم الأمر كل

قوته وعزيمته لتحرير معصمه. في النهاية، لم يملك إلا أن يشهد نهاية الفتاة، حيث بدأ السير يتحرك ويسحبها إلى حجرة التفكيك. أُغلِق الباب، وصمتت جدران الآلة العازلة للصوت. توجد نافذة صغيرة مستديرة في جانب الآلة، لكن كونر لم يستطع النظر من خلالها. من المحال أن يرغب أحدهم في رؤية ما يحدث بالداخل.

بعد خمس عشرة دقيقة، بدأت حاويات تخزين بأحجام مختلفة تتدحرج خارجة من الطرف الآخر للحجرة، لتصطف بدقة في عنبر الشحن بواسطة أذرع ميكانيكية. انتهى تفكيك الفتاة في غضون خمسٍ وأربعين دقيقة، وهذا أسرع بكثير مما يستغرقه الأمر في مرأب التفكيك. أيُحتمل أن هذا هو مستقبل التفكيك؟ هل سيُمَرر قانونًا استخدام مثل هذه الآلات في النهاية؟ بدأت اسطوانة المفككين الكبيرة تدور، إن عجلة الحظ تختار الفائز غير المحظوظ التالي.

- أنت! إنك إوُول آكرون! إنك هو حقًّا! يمكنك إنقاذي! عليك أن تنقذني!

راقب كونر الصبي الثاني وهو يسير على خُطَى من سبقته. وحاول مرة أخرى أن يفعل شيئًا، أي شيء لوقف العملية، لكن الآلة تجاهلته. وكاد كونر يفقد يده عندما أوشك باب غرفة التفكيك أن يغلق عليه تقريبًا. ولم يبدُ أن عيادة الحصاد لديها أي بروتوكول على الإطلاق للتدخل الخارجي، أو حتى إدراكه. ورغم أن كاميرا أمنية واحدة تمسح الغرفة باستمرار، فمن الواضح أن لا أحد يراقب، لأن كونر تأكد أنها التقطته مرة أو مرتين، لكن لم يأت أحد للتحقق من الأمر. والأمن هنا لا تزيد أهميته تقريبًا على ما هو الحال في مقبرة. فلا أحد يدخل، ولن يتسبب أي من السكان في حدوث مشكلات.

- أرجوك ساعدني! أرجوك ساعدني! لا أريد الموت!

الضحية التالية -فتاة لا تتحدث الإنجليزية حتى- سحبتها الآلة رغم كل محاولات كونر لإنقاذها. حاول وهو يعلم أن المحاولة عبثية، لكن ماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك؟ ثم بعد تفكيك أول ثلاثة صبية، وتجهيز المزايدين، انتُزِعَت الضحية الأخيرة لهذا اليوم من مكانها بواسطة الأذرع الهيدروليكية، ووضعت أمام فم الآلة. في البداية، وثق كونر أن ما يراه هلوسة ناجمة عن المهدئات التي ما زالت في جسده، لكن عندما اقترب، لم يعد هناك مجال للخطأ في التعرُّف على الوجه. إنه ستاركي.

تجمد كونر في مكانه، فيما استعاد ستاركي كامل وعيه، ونظر إليه بالطريقة نفسها التي نظر بها كونر إلى آرجان. ليس بعدم تصديق، لكن بانفصال غريب عن الواقع.

قال ستاركي: "أهو أنت؟ أين أنا؟ لماذا أنت هنا؟".

لكنه سرعان ما فهم مأزقه، وفي تلك اللحظة، تحول كونر من عدو لدود إلى منقذ، وبدأ ستاركي يتوسل مثل الآخرين تمامًا.

- أرجوك يا كونر! مهما بلغت كراهيتك لي، عليك أن تفعل شيئًا!

في الواقع، حاول كونر تحريره في البداية، ولكن استجابة لمناشدته فقط. فهو يعلم أنه لا يستطيع فعل أي شيء. وإذا لم يستطع فنان هروب مثل ستاركي فعلها، فما الأمل الذي قد يحمله كونر؟ بناءً على ما رآه فعلًا، عرف أن المتبقي خمس دقائق فقط قبل تفكيك ستاركي، لكن لا يوجد ما يمكنه فعله سوى الوقوف بجواره، والبقاء برفقته في لحظاته الأخيرة، وكلاهما لا حول له ولا قوة.

صرخ ستاركي: "جمع الأموال! لقد أخبرني المصفقون أنني حصلت على وظيفة جديدة في قسم جمع الأموال. كيف كنت غبيًّا إلى هذا الحد!".

كافح، وقاوم القيود المغناطيسية تمامًا كما فعل سابقوه، وقال باكيًا: "كل ما أردته هو منح المنقولين فرصة للقتال! والانتقام لكل سوء

المعاملة والظلم. لقد فعلتها، أليس كذلك؟ أحدثت فرقًا! أخبرني أنني أحدثت فرقًا!".

فكر كونر في كيفية الرد عليه، وقال: "لقد جعلت الناس يلاحظون ذلك".

لو استطاع إنقاذ ستاركي، فهل سيفعلها؟ مع علمه بكل الموت والدمار الذي تسبب فيه ذلك الأخير؟ مع علمه بالاتجاه الجنوني الذي سلكه ثأره؟ وكيف ساهمت حربه الشخصية في تعزيز موقف التفكيك؟ لو أن أحدهم يستحق التفكيك، فهو ستاركي... ومع ذلك، فإن كونر سيوقف تفكيكه إذا استطاع.

وضع يده بقوة على كتف ستاركي، وقال: "لن تتمكن من الهرب يا مايسون. حاول الاسترخاء. استخدم هذا الوقت لإعداد نفسك".

- لا! لا يمكن أن تصبح هذه هي النهاية! لا بد من وجود مخرج!

صرخ كونر: "إنك على متن طائرة في منتصف مكان لا يعلمه إلا رب السماء، وأمام آلة لا يمكن إيقافها. استخدم هذه الدقائق الأخيرة للتركيز يا مايسون. استخدم الوقت المتبقي لديك لمراجعة حياتك!".

وفجأة، أدرك كونر أنه لا يقول هذه الكلمات لستاركي فحسب، بل لنفسه أيضًا. ظن أن استيقاظه سيمنحه امتيازًا ما، لكنه أكد فقط على مدى خطورة الموقف. حاول إقناع نفسه بأنه مَرَّ بأسوأ من ذلك، لكن حدسًا قويًا -كهيكل الطائرة التي تحملهم في السماء- أخبره أنه لن يخرج سالمًا. إنها مسألة وقت فقط حتى يصبح هو الراقد أمام فم الوحش. هدَّأ ستاركي من روعه. أغمض عينيه، وتنفس بعمق، وعندما فتحهما مرة أخرى، شعر بإصرار لم يكن موجودًا من قبل.

قال لكونر: "أعرف كيف يمكنك منع تفكيكي".

هز كونر رأسه، قائلًا: "لقد أخبرتك، لا يوجد ما يمكنني فعله!".

قال له ستاركي بصوت ملأته ثقة حديدية: "بل يوجد.. اقتلني".

تراجع كونر خطوة إلى الوراء، محدقًا إليه، وعاجزًا عن الرد.

- اقتلني يا كونر. أريدك أن تفعلها. أحتاج إلى أن تفعلها.

- لا يمكنني أن أفعل ذلك!

أصر ستاركي: "بل يمكنك! فكِّر في المقبرة. فكِّر كيف سرقتُ تلك الطائرة. وقتلت ترايس نيوهاوزر، أتعلم أنه كان بإمكاني إنقاذه، لكنني تركته يغرق؟".

كزَّ كونر على أسنانه، وصاح: "كفى يا ستاركي".

- اقتلني بسبب ما ارتكبته يا كونر! أعلم أنك تعتقد أنني أستحق ذلك، وأُفَضِّل أن أموت بيدك على أن أدخل تلك الآلة!

- ما الفائدة؟ ستدخل تلك الآلة في جميع الأحوال!

- لا، لن أدخل. سيدخل جسدي، لكني سأرحل. ستُحصَد أعضائي، لكني لن أُفكك!

لم يعد كونر قادرًا على النظر إلى عيني ستاركي المتوسلتين. أشاح ببصره بعيدًا، فوقعت عيناه على القرش. القرش الوحشي الغاضب المفترس. خفض كونر بصره إلى القبضة المعتادة في نهاية الذراع نفسها. فرد أصابعه، وضمها مرة أخرى. فشعر بالقوة في قبضته.

- هذا صحيح يا كونر. افعلها سريعًا، لن أقاوم.

نظر كونر إلى مدخل الآلة، الذي يمكن أن يُفتَح في أي لحظة، وقال: "دعني أفكر!".

- لا وقت لذلك! افعلها من أجلي. أرجوك!

أيمكن أن يصبح القتل بدم بارد عادلًا؟ أيمكن أن يصبح عملًا رحيمًا لا قاسيًا؟ إذا فعل هذا، فهل سيبقى كونر كما هو؟ لو ظل ستاركي حيًّا، سيُفكك. وإذا مات، ستُحصَد أعضاؤه فحسب. ستاركي على حق، يستطيع كونر منع هذا التفكيك. إنها قوة مروعة، لكن ربما تكون ضرورية.

سأله ستاركي: "ماذا لو أنك أنت من سيفكك؟ ماذا ستريد؟".

وعندما فكر كونر في الأمر بهذه الطريقة، وجد اختياره واضحًا. لن يرغب أبدًا في معرفة ما يكمن في مرأب التفكيك داخل هذا الصندوق الأسود الرهيب. سيختار الموت أولًا.

قبل أن يتمكن من تغيير رأيه، ضغط كونر بيد رولاند على حلق ستاركي. لهث ستاركي قليلًا، لكن كما وعد، لم يقاوم. ضغط كونر بقوة أكبر.. وأقوى.. ثم، في اللحظة التي شعر فيها بانسداد القصبة الهوائية لستاركي، حدث شيء غير متوقع تمامًا.

تراخت قبضة رولاند.

همهم ستاركي: "لا تتوقف، لا تتوقف الآن!".

ضغط كونر بأصابعه مرة أخرى على عنق ستاركي، وشعر بنبض ذلك الأخير على أطراف أصابعه، ومرة أخرى، تراخت يده بشكل لا يمكن تفسيره. بدأ كونر يعاني صعوبة في التنفس، حتى إنه لم يدرك أنه يحبس أنفاسه مع أنفاس ستاركي، الذي صرخ: "يا لك من جبان! لطالما كنت جبانًا!".

قال كونر: "لا، ليس هذا هو السبب".

وأخيرًا، أدرك الخطأ. لقد حاول رولاند خنق كونر بالذراع نفسها في اليوم السابق لتفكيكه، لكنه لم يستطع.

لأن رولاند ليس قاتلًا.

نقل كونر بصره ببطء من يده اليمنى.. إلى اليسرى. يده. اليد التي وُلِد بها، ووضعها على عنق ستاركي. إنها اليد التي قبضت على عنق سيد المنقولين، وانهارت قصبته الهوائية تحت وطأتها. إنها يد عنيدة وعازمة بما يكفي على تنفيذ ما يجب فعله.

فكر كونر: "لم يملك رولاند القدرة على القتل، لكنني أملكها".

الأمر أصعب مما يمكن أن يتخيله، فاغرورقت عيناه بالدموع، وقال: "أنا آسف، أنا في منتهى الأسف". حتى إنه لم يعرف إلى من يعتذر. حافظ على التواصل البصري مع ستاركي، الذي بدأت عيناه تنتفخان، وأُصيب بالذعر. ارتجفت أطرافه، وتعمقت ظلال وجهه، ورغم ذلك، أجبر زوايا فمه على الارتفاع، لترسم ابتسامة انتصار خافتة.

بقيت بضع لحظات أخرى... بضع لحظات أخرى فحسب...

عرف كونر اللحظة الدقيقة التي مات فيها ستاركي. ليس لأنه رأى ذلك في عينيه، لكن لأن جهاز إرسال الإشارات الحيوية في كاحل ستاركي أطلق إنذارًا ثاقبًا. أبعد يده عن عنق الفتى الميت، وعندما سمع الباب الخارجي يُفتح، قفز إلى أسطوانة المفككين، وصعد إلى مكانه، ليقفز إلى الداخل حال فتح الباب الداخلي.

في البداية، دخل طبيب، ثم الرجل الذي لا بد أنه ديفان. راقب كونر انكشاف الأمر من مكانه، محاولًا إبطاء تنفُّسِه حتى لا يسمعاه.

قال ديفان: "كيف حدث هذا؟ كيف حدث هذا؟".

قال الطبيب في توتر: "لا أعرف.. ربما نوبة قلبية؟ عيب خِلقي لم نعلم بشأنه؟".

- لقد بعته بالمزاد للتو! أتدري مقدار المال الذي قد أخسره؟ **أعِده! الآن!**

انطلق الطبيب مسرعًا، وعاد بجهاز الإنعاش القلبي الكهربائي. حاول خمس مرات إنعاش ستاركي، ورغم تقوس صدره مع كل نبضة كهرباء، فإن النتيجة النهائية لم تتغير. لقد مات مايسون مايكل ستاركي، ملك المنقولين المتعطش للدماء.

أخذ ديفان يذرع المكان جيئة وذهابًا في أثناء كل محاولات إنعاش ستاركي، وبعد المحاولة الأخيرة، تحول غضبه إلى اتجاه آخر، فقال: "حسنًا، لقد مات، لكن ما زال بإمكاننا حصد أعضائه".

قال الطبيب: "ما عدا دماغه. لا بد أنه قد بدأ ينهار فعلًا".

- سنُقَيِّم مدى قابليته للحياة لاحقًا، لكن حتى لو فقدنا الدماغ، يمكننا إنقاذ كل شيء آخر لو تصرفنا بسرعة كافية. اضبط الجهاز على الوضع فائق السرعة، وتخطَّ التخدير، واخفض الحرارة إلى ست وثلاثين درجة.

فتح الطبيب لوحة التحكم وأجرى التعديلات اللازمة. ثم -عندما فُتِح باب غرفة التفكيك- دفع ديفان جسد ستاركي بنفسه إلى الداخل، دون انتظار السير الناقل ليفعل ذلك آليًّا.

أُغلِقَ باب الغرفة، وبدأت العملية، فاسترخى كلاهما.

قال الطبيب: "أمر مؤسف.. وكأنه قد مات ليُعَكِّر صفوك".

قال ديفان، وهو يرفع بصره إلى المفككين في الآلة الأسطوانية من حوله: "لو أن الأمر متعمَّد، فلا بد أنه قد حظي بمساعدة".

أغمض كونر عينيه، وظل ساكنًا تمامًا.

سمع كونر ديفان يقول، فيما يغادر الغرفة مع الطبيب: "عُدْ إلى غرفة التحكم. أريدك أن تتحقق من جهاز القياس عن بعد لكل مفكك هنا. وتأكد إن كانت العلامات الحيوية لأي منهم مرتفعة بشكل غير عادي.

جاء ثلاثة رجال إلى الغرفة بعد عشر دقائق: الطبيب، وأحد أفراد الطاقم العشوائيين الذي بدا عليه التوتر من مجرد الوجود بالمكان، وبوف صامت حاد الملامح، بدا كمن وُلِدَ لترهيب الآخرين. استعد كونر قدر استطاعته، واختبأ بالقرب من الباب بعيدًا عن الأنظار، وعندما دخلوا، أطلق عليهم جهاز إطفاء الحريق، وأخذ أحد أسلحتهم، مسدس تهدئة. إنهم مسلحون بالمهدئات فقط. أطلق النار وتمكن من إسقاط الرجل المتوتر، قبل أن يُسقِط الباقيان السلاح من يده.

ثم تفادى قبضات الرجلين الآخرين، وركض للاحتماء في الجانب البعيد من غرفة التفكيك، حيث تتكدس مبردات الأعضاء الطبية، استعدادًا لتوزيعها. هذا القتال مجرد استعراض، كما يعلم. الهروب مستحيل، لكن لو أن المقاومة ستسبب لخاطفيه المتاعب في نهاية الأمر، فإن الأمر يستحق.

حاول الطبيب إغراءه بأكاذيب مكشوفة، ليخرج، مثل: "يريد ديفان التحدث إليك فحسب، لا يوجد ما يخيف".

لم ينخرط كونر حتى في محادثة معه. للحظة، خطرت له فكرة جنونية وهي فتح مقدمة الطائرة المدببة، الموجودة أمام حجرة التفكيك. إنها ميزة تصميمية تفترض وجود حمولة من الدبابات، لا المراهقين. إذا فتح مقدمة الطائرة في أثناء الطيران، فسوف تمتصهم جميعًا إلى الخارج، حيث الفراغ الجليدي الخالي من الهواء على ارتفاع سبعة وثلاثين ألف قدم، ومن المؤكد أن ذلك سيؤدي إلى سقوط الطائرة. مفتاح التحكم

قريب بما يكفي، ولولا وجود كل الصبية الآخرين في عيادة الحصاد -وكذلك وجود ريسا في مكان ما على متن الطائرة- لنفذ خطته.

في النهاية، حوصر كونر، وأسقطه الرجلان، لكن ليس قبل أن يوجه لهما بعض الضربات الجيدة. لم يقاوم مهاجماه. يجب ألا يتلفا البضائع. لم يخدراه أيضًا، ربما لأنهما لم يكذبا عليه تمامًا. ربما يريد ديفان التحدث إليه الآن، وليس بعد إرساله إلى بلاد التهدئة.

قيدا يديه معًا بكابل معدني محكم بما يكفي لأداء الغرض، لكن ليس بما يكفي لإصابة بشرته بجروح. أخرجاه، بعد المرور فوق جسد زميلهما المخدَّر، الذي لم يبدُ متوترًا إطلاقًا في نومه.

نقلا كونر إلى غرفة كبيرة وفاخرة في الجزء الخلفي من الطائرة، حيث ينتظره ديفان. توجد مجموعة مقلقة من الوجوه على الحائط خلفه، مما أضاف بطريقة ما جاذبية مقبضة إلى وجود ديفان.

قال بهدوء لم يُبده عند وفاة ستاركي: "مرحبًا يا كونر. اسمي...".

قال كونر مندفعًا: "أعرف من أنت (ثم استدرك ليخفي ما يعلم) إنك حثالة السوق السوداء، وهذا كل ما أحتاج إلى معرفته".

واصل ديفان، متجاهلًا كونر: "اسمي ديفان أوماروف. لقد غضِبتَ بشدة، أليس كذلك؟ كيف استيقظت؟".

قال الطبيب، وقد تورمت عينه من لكمة كونر: "لا بد أن جهاز تنقيط المهدئات الوريدي المتصل به قد انفجر. من المفترض أن تُنذِرنا الآلة".

خلف ديفان، تخبط آرجان في أثناء تنظيف طاولة الطعام، وبدا واضحًا إحساسه الشديد بالرعب، لدرجة منعته حتى من النظر إلى عينَي كونر مباشرة. أيظن حقًّا أن كونر سيكشف أمره لأنه أيقظه، ويخسر من يمكن أن يصبح حليفه الآن؟

قال كونر، كمن يشعر بصدمة شديدة: "انتظر لحظة.. أهذا آرجان سكينر؟"، ثم نظر إلى آرجان في دهشة مصطنعة، مضيفًا: "ماذا يفعل هنا؟ وماذا حدث لوجهه؟".

قال آرجان، محاولًا التناغم مع مسرحية كونر الصغيرة، وإن بدت لهجته أقل إقناعًا: "اخرس! إنني هنا بسببك، لذا اصمت فحسب".

بدا أن ديفان يعرف تاريخهما غير السار معًا -كما أَمِلَ كونر- ويتقبل أن كونر قد أدرك الآن فقط وجود آرجان على متن الطائرة. لو اهتم أحدهم قيد أنملة، لانتبه إلى أن تنفس آرجان الصعداء يبدو مريبًا.

نظر ديفان إلى كونر، وسأله: "هل سأكون محقًّا، لو افترضت أنك من قتل مايسون ستاركي قبل تفكيكه؟".

وعندما لم يجبه، قال ديفان: "أليس لديك ما تريد قوله؟".

هز كونر كتفيه، قائلًا بابتسامة رضا: "يا له من جورب جميل!".

لم يبعد ديفان عينيه عن عيني كونر قط، وبادله الابتسامة، قائلًا: "إنه كذلك فعلًا. إنه جورب من ماركة «سيرفيلت»، صُنع من ألياف وبر الغزلان النيوزيلندية، وكلفني ألف دولار".

أصابت ابتسامته كونر بتوتر شديد، وأضاف ديفان، محدِّثًا آرجان: "أحضر لكونر مشروبًا يا سكينر. عصير ليمون".

فيما ينفض آرجان الغبار عن لوحة مفاتيح الأرغن العضوي، جفلَ عندما سمع اسمه يتردد، وضغط على بعض مفاتيح الآلة، ففتحت ثلاثة وجوه متجاورة أفواهها على الحائط خلفه، وأطلقت نغمات مزعجة. ازدرد كونر لعابه، محاولًا إقناع عقله بأنه لم يرَ ذلك للتو.

قال ديفان: "سأعترف. كنت آمل أن أقضي أسبوعًا ربما لإحداث ضجة بين عملائي، استعدادًا لمزادك... لكن الآن -وفي ضوء تدخلك في حالة السيد ستاركي- أريد التخلص منك فحسب".

أشار إلى البوف والطبيب ليأخذاه بعيدًا، فتقدما، وأمسكا به، لكن كونر سأل فجأة: "أين ريسا؟ أريد التحدث إليها. لو أنك ستفككني، فعلى الأقل دعني أقول وداعًا".

قال ديفان: "طلب غير حكيم. لا داعي لزيادة حزنها".

أحضر آرجان عصير الليمون، لكنه اصطدم حرفيًّا بكرسي، فسقط الكوب على الأرض، مما جعل ديفان يتنهد طويلًا، في دلالة على المعاناة.

- أعتذر يا سيدي.. أرجو المعذرة.

- اعتذر لكونر؛ إنه شرابه.

- أنا آسف يا كونر.

قال كونر: "لا بأس يا آرجان، لا بأس"، وأدار رأسه لإخفاء غمزته لآرجان عن ديفان.

أمر ديفان بعدم تقييد كونر، وإبقائه معزولًا.

سأل البوف بلغة أشبه بالإنجليزية، وبلهجة أقوى كثيرًا من لهجة ديفان: "أيجب علينا تخديره؟".

أجابه ديفان: "لا. لا يمكنني التفكير في عقاب أعظم من تركه وحده مع أفكاره".

***

48 - آرجان

خلال سنواته العشرين التي قضاها على هذه الأرض، لم يتمكن آرجان سكينر قط من ربط تطلعات حياته بأي شيء حقيقي. في طفولته، أراد أن يصبح نجم كرة قدم، لكنه افتقر إلى اللياقة البدنية، لذا خفض توقعاته وأصبح متفرجًا متحمسًا. في مرحلة المراهقة، أراد أن يصبح نجم كرة سلة، ورغم موهبته، فإنه افتقر إلى الدافع لمطاردة حلمه حتى النهاية. لذا خفض توقعاته، وقَبِلَ فرصة الجلوس على مقاعد البدلاء للموسم الوحيد الذي انضم فيه إلى الفريق.

بعد أكثر من عامين من إنهائه الدراسة الثانوية تقريبًا، ظهر كونر لاسيتر في صف عملائه بالمتجر. في ذلك الوقت، لم يكن آرجان قد اقترب من تحقيق أهداف حياته كبالغ، بقدر أكبر مما اقترب من أهداف طفولته. أراد آرجان أن يصبح ثريًّا. أراد أن يحظى بالاحترام. أراد أن يحاط بنساء جميلات يعشقنه. لكن كعادته دائمًا، افتقر إلى الرؤية المطلوبة لتحقيق هذه الأهداف، لذا خفض توقعاته مرة أخرى. في ذلك الوقت، كل ما أراده هو وظيفة تمنحه ما يكفي من المال لتشغيل سيارته، وكمية كافية من البيرة حتى يتسكع مع أصدقاء آخرين من ذوي التوقعات المنخفضة، ويتحدثون بالسوء عن الآخرين الذين حصلوا على قطعة من أحلامهم.

ثم ظهر كونر، وآمن آرجان حقًّا أنه لو تمكن من كسب وده، فسيرتبط اسمه بنجم كونر الصاعد، وينتشل نفسه من القاع، لكنه لم ينجح في ذلك.

ثم تصور آرجان أن مرافقته قرصان أعضاء محنكًا قد توفر له حياة ملأى بالإثارة والدافع. على أي حال، لم يكن شريفًا للغاية، فقد نفذ فعلًا بعض التعاملات في الخفاء، مستخدمًا البقالة التي اعتاد سرقتها من المتجر. يمكن اعتبار ذلك خبرة في السوق السوداء، أليس كذلك؟ ارتفعت آماله في مستقبل عريض بمجال قرصنة الأعضاء.

لكن لم تنجح الأمور مرة أخرى.

وها هو الآن هنا. إنه يفترض وجود أمور أسوأ من العمل في الخدمة المنزلية لتاجر لحوم بشر ثري، وحال استعادته وجهه، ربما يُرقِّيه ديفان إلى منصب أكثر تقديرًا. لكن من يخدع؟ لقد راقب ديفان، ويعرف كيف يعمل. لو ارتكب آرجان خطأً جسيمًا، فسيفككه سيده بلا مقدمات. وإن لم يخطئ، فسيعامله ديفان بشرف ويمنحه ما وعده به، لا أكثر. سيتركه -بعد انتهاء خدمته المتعاقد عليها- في أحد المطارات في مكان ما بوجه جديد، ويصافحه ويرحل، ليتركه في الافتقار نفسه إلى المستقبل الذي بدأ به.

كم هو مدهش إذن التفكير في أن حياته بأكملها يمكن أن تتغير بغمزة واحدة.

لقد شعر بالرعب عند إحضار كونر إلى ديفان، ووثق أنه سيشير بأصابع الاتهام إليه فيما يتعلق بإيقاظه في المقام الأول، لأن هذا ما كان آرجان ليفعله لو أنه في موضعه: إلقاء اللوم ونشر البؤس. في البداية لم يفهم اختيار كونر لحمايته. فقد شك أن هذا فخٌّ سيقوده إلى ما هو أسوأ.

ثم غمز له كونر وهم يقودونه إلى الخارج، وفسَّرت له الغمزة كل شيء. لطالما حلم آرجان بالاتحاد مع إوُول آكرون في فريق واحد. لقد اعتقد أنه لا أمل في ذلك، لكن تلك الغمزة قالت العكس. قالت إنهما ليسا مجرد فريق، بل فريق سري، وهذا أفضل أنواع الفرق. في تلك اللحظة، تحول آرجان من خادم لتاجر لحوم بشر إلى عميل في الداخل! جاسوس رفيع المستوى متنكر في هيئة خادم! لقد قالت تلك الغمزة: "إنني بحاجة إليك يا آرجان، وأأتمنك على حياتي".

رأبت تلك الغمزة الصدع بين آرجان وبطله.

واصل آرجان أداء مهماته فيما بقي من اليوم بخطوات غير معتادة، لأنه يعرف شيئًا لا يعرفه ديفان. إنه جزء من شيء أكبر من هذه الطائرة الضخمة.

بقدر ما كره آرجان كونر لاسيتر لتدمير وجهه، فإنه الآن يحبه كأخ، وإذا لعب هذا الدور بنجاح، فسوف تتشابك حياته وقصته إلى الأبد مع حياة كونر. وهذا بالتأكيد كافٍ بالنسبة إلى آرجان للمخاطرة بكل شيء!

***

49 - بث إذاعي

"هنا راديو "فري هايدن" على الهواء لإمتاعكم بالاستماع، يبَث من مكان تفوح منه رائحة المزرعة النفاذة. يوجد الكثير يحدث الآن فيما يتعلق بالمصفقين والهاربين من التفكيك والمنقولين، يا إلهي! لدينا أكوام من المعلومات الجديدة عن سلطة الأحداث أيضًا، مثل كيف تزيد ميزانيتهم المعلنة حديثًا من حجم قوتهم في الشوارع بنسبة عشرين بالمئة. هذه أكبر زيادة في عدد أفراد إنفاذ القانون في زمن السلم في التاريخ الحديث. هذا يجعلك تتساءل هل هذا "زمن سلم" من الأساس!

لكن كفانا حديثًا عن الأحداث، فلنتكلم عن مايسون مايكل ستاركي، المنشق السياسي، المقاتل من أجل الحرية، القاتل الجماعي المضطرب نفسيًّا. أيًّا كان ما تطلقونه عليه، ورأيكم الشخصي به، فإليكم بعض الحقائق الموضوعية: الحقيقة رقم واحد: لقد موَّل آخر مهمتين له -قبل اختفائه عن الأنظار- من جلبوا لكم المراهقين الذين يدمرون أنفسهم. ليسوا أشخاصًا عاديين، بل إنهم من النوع الذي يفجر نفسه فعلًا. نعم، أيها السادة، لم يستخدم مايسون ستاركي المصفقين في هجماته على مخيمات الحصاد فحسب، بل إنهم مَن موَّلوه.

الحقيقة الثانية: لقد زاد الدعم الشعبي لهيئة الأحداث في الواقع منذ تحرير ستاركي لنزلاء مخيمات الحصاد. تخيلوا ذلك. كلما دمر مخيمات الحصاد أكثر، قلت رغبة العامة في حصول المراهقين على حريتهم!

الحقيقة الثالثة: هذا العام، يوجد عدد قياسي من التدابير ومشروعات القوانين في واشنطن لتحديد مستقبل التفكيك. هل نطلق سراح السجناء؟ هل نسمح بتفكيك البالغين طوعًا؟ هل نعطي هيئة الأحداث الحق في تفكيك الصبية دون إذن الوالدين؟ هذه مجرد حفنة من القضايا التي يُطلب منا اتخاذ القرارات بشأنها.

إذن ما علاقة كل هذا بسعر الأجزاء في باراجواي؟ حسنًا، لقد عملنا جميعًا تحت الاعتقاد بأن المصفقين يريدون زعزعة استقرار عالمنا. وأنهم يخلقون الفوضى كهدف في حد ذاتها. لكنهم ارتكبوا خطأ فادحًا عندما دعموا مايسون ستاركي بقوتهم، لأن ذلك كشف عن نواياهم. لقد أعطانا ذلك لمحة عن دوافعهم الحقيقية.

من المضحك أن الناس كلما ازداد خوفهم، لجؤوا إلى هيئة الأحداث لحل المشكلة، هاتفين: "فككوا الأشرار!"، "احموا أطفالي من هؤلاء الصبية"، "اجعلوا العالم آمنًا للمواطنين الملتزمين بالقانون".

كما تعلمون، لو أردتُ أن تحظى هيئة الأحداث بدعم أكبر وأكبر، فسأخدع المراهقين الغاضبين وأدفعهم إلى تفجير أنفسهم، ثم ألوم المراهقين الغاضبين! بلا فوضى، ولا إزعاج. حسنًا، لقد حدث الكثير من الفوضى، لكنكم فهمتم وجهة نظري.

أضع هذا أمامكم هنا الآن: التصفيق ليس فوضويًا أو عشوائيًا، إنه جهد نظمه جيدًا القائمون على صناعة زرع الأعضاء، لضمان مستقبل التفكيك الآن، وإلى الأبد.

لو أنكم لا تصدقونني، فابحثوا بأنفسكم. تتبعوا المال. من يصبح ثريًّا إذا أصبحت سلطة الأحداث قوية؟ على الأمد البعيد، من يستفيد من هجمات التصفيق؟ من الصعب العثور على الأدلة، لكنها موجودة، وإذا عثرتم على شيء، أخبرونا على هذا البريد الإلكتروني (radiofreehayden@yahoo.com).

حسنًا، مع اقتراب صافرات الإنذار من بعيد، يؤسفني أن أقول إن وقتنا معًا قد نفد، لكن إليكم النغمة المناسبة تمامًا لتحدي مطاردينا، وبها نختتم بثنا حتى الأسبوع المقبل! وتذكروا، الحقيقة ستبقيكم مكتملين!

"إنك موجود... في أعماقي".

***

50 - ليف

محطة «دنفر يونيون». المحطة الثامنة عشرة لقطار «زفير» المتجه شرقًا، وهو أحد القطارات القليلة للركاب العابرين للقارات التي ما زالت تعمل وفقًا لجدول زمني منتظم. دفع ليف ثمن تذكرته نقدًا. ألقى موظف شباك التذاكر عليه نظرة، ثم أخرى، وهز رأسه في استنكار واضح. ومع ذلك، مرَّر الموظف التذكرة من خلال الفتحة الصغيرة في قاعدة النافذة الزجاجية. وحال مغادرة الصف، سمع ليف الموظف يقول للعميل التالي: "إننا نستقبل جميع أنواع البشر هنا".

يوجد شرطيو أحداث في المحطة. يحاول الهاربون من التفكيك دائمًا ركوب القطارات، لكنهم نادرًا ما يصعدون على متنها. نظر أحد رجال شرطة الأحداث إلى ليف بريبة، ثم أوقفه قبل أن يتمكن من الوصول إلى القطار.

- من فضلك يا بني، أيمكنني رؤية بطاقة هويتك؟

- لقد تفقدني رجال الأمن فعلًا. ليس لهيئة الأحداث الحق في طلب بطاقة الهوية دون سبب وجيه.

قال شرطي الأحداث: "حسنًا، يمكنك تقديم شكوى رسمية بانتهاك الحقوق إلى هيئة الأحداث، بعد أن تظهر لي بطاقة هويتك".

أخرج حافظته، وسلم الشرطي بطاقة الهوية، التي تحتوي على صورة جديدة تعكس مظهره الآن. فحصها الشرطي، ومن الواضح أنه شعر بخيبة أمل، لأنه لا يستطيع إجراء اعتقال فوري.

- ماهبي كينكاج. هل تنتمي إلى قبيلة «نافاجو»؟

إنه سؤال خداعي. أجابه ليف: "بل أراباتشي. أليس هذا مدونًا بالبطاقة؟".

قال الشرطي، وهو يعيد إليه بطاقة الهوية: "إنه خطئي. أتمنى لك رحلة سعيدة يا سيد كينكاج".

عرف الشرطي أن من الأفضل ألا يعبث معه الآن. إن شعب أراباتشي لا يتسامح أبدًا عندما يتعلق الأمر بمضايقة السلطات لشبابهم الذين يعيشون خارج المحميات. ألقى ليف نظرة على البطاقة التي تحمل اسم الضابط، وقال: "سأتأكد من تقديم تقرير انتهاك الحقوق عندما أصل إلى وجهتي أيها الضابط تريبليت". لن يفعل ليف ذلك، لكن الضابط يستحق القليل من الألم.

وجد قطاره وصعد على متنه، متجاهلًا نظرات الغرباء وفضولهم، رغم أنه أخذ يحدق إليهم أحيانًا حتى يشعروا بعدم الارتياح، فيشيحون بنظرهم بعيدًا. لم -ولن- يتعرف عليه أحد. مظهره الجديد يضمن ذلك.

نظر الركاب الجالسون فعلًا في مقاعدهم إليه وهو يتحرك في الممر، فيما وضعت إحدى السيدات حقيبتها بسرعة في المقعد الفارغ بجوارها، قائلة: "هذا المقعد محجوز".

تنقل بين ثلاث عربات، حتى وصل إلى عربة أقل ازدحامًا إلى حد ما، ووجد مكانًا يمكنه الجلوس به منفردًا. ومع ذلك، رأى فتاة في نهاية الممر تبدو كمن تقيم معسكرًا في المقعدين اللذين استولت عليهما. يوجد وسط شعرها الأسود خط أزرق بلون الكوبالت، ولها أظفار بألوان

غير متطابقة. إنها في السابعة عشرة، أو ربما الثامنة عشرة. ربما هربت من التفكيك، وظلت حية بما يكفي إلى أن تجاوزت سن التفكيك، أو فتاة عادية تمارس التمرد. حال وقوع بصرها عليه، ظننت أنها وجدت روحًا قريبة إلى نفسها.

قالت: "مرحبًا".

بادلها التحية نفسها: "مرحبًا".

مضت لحظة صمت محرجة، ثم سألته: "من هم إذن؟".

تظاهر بالغباء، وسأل: "من تقصدين؟".

قرأت الأسماء المكتوبة على جبهته مباشرة: "زاكاري فاسكيز، كورتني رايت، ماثيو برافير، وكل الباقين". لم يجد سببًا يدعوه للكذب عليها. لقد وشم الأسماء هناك حتى يمكن رؤيتها. لقد انتهت أيام اختبائه. قال لها: "إنهم مفككون. لم يجدوا من يحزن لرحيلهم. لكن الآن ها أنا ذا أتذكرهم".

أومأت برأسها في موافقة غير مشروطة، وقالت: "رائع جدًّا. ومثير للحماس أيضًا. يروقني ذلك". انتقلت من المقعد المجاور للنافذة إلى المقعد على الممر، وأضافت: "أهم في كل مكان من جسدك؟".

قال لها: "من الرأس حتى أخمص القدمين".

- واو! كم عدد الأسماء التي دوَّنتها على جسدك؟

قال ليف: ثلاثمئة واثنا عشر". وأضاف مبتسمًا: "لو وضعتُ المزيد، سيبدو المكان مزدحمًا".

أضحكها قوله. تأملت وجهه ورأسه الحليق النظيف، ثم قالت: "كما تعلم، سينمو شعرك مرة أخرى في النهاية. ستضطر إلى مواصلة حلاقته، لو أردت أن يرى الناس الأسماء".

- لا مشكلة.

انطلق القطار، وانتقلت من مكانها، لتجلس إلى جواره. أمسكت يديه، وفحصت الأسماء العديدة على ساعديه ويديه وأصابعه. سمح لها بذلك، مستمتعًا بالاهتمام الإيجابي بقدر ما استمتع بالاهتمام السلبي من الرافضين.

- تروقني اختياراتك للألوان، وحقيقة أنك لم تدع وجهك خاليًا. إنه اختيار جريء.

- لم يتركوا أيًّا منهم مكتملًا، فلماذا يجب أن يخلو أي جزء من أسمائهم؟

لقد حرص على ألا يدع جزءًا واحدًا من جسده غير مغطى بأسماء المفككين. ندمه الوحيد هو أنه لم يجد المزيد من المساحة. كان جيس على حق. استخدام الكثير من الحبر بهذه السرعة آلَمَهُ حد البكاء، وقضى عدة ليالٍ عاجزًا عن النوم. حتى الآن يؤلمه جسده، لكنه تحمل الألم، وسيظل يتحمله. عن بعد، تبدو الحروف البسيطة للأسماء بالألوان الأحمر والأسود والأزرق والأخضر، كالطلاء الذي يلون به المحاربون القدامى وجوههم في الحروب. لكن عندما تقترب بما يكفي لرؤية عيني ليف، تتحول الأنماط إلى أسماء المفككين. إن جيس فنان حقيقي.

قالت الفتاة: "أرى أن وشومك جميلة. ربما أقلدك".

ثم نظرت إلى ذراعها اليمنى، وأضافت: "يمكنني أن أرسم وشمًا هنا، لكن واحدًا فقط. توجد أوقات يكون فيها القليل أفضل من الكثير".

اقترح ليف: "سابرينا فانشر".

- معذرة؟

- سابرينا فانشر. لو واصلتُ وشم أسماء المفككين على جسدي، لأصبحت رقم ثلاثمئة وثلاثة عشر.

عبست الفتاة، وسألته: "من هي؟".

- أتمنى لو أعرف. كل ما لدي هو أسماؤهم.

تنهدت: "لقد تناثرت ذكرياتها مع الرياح. إنه أمر أكثر من محزن (ثم أومأت برأسها، مضيفة) إذن، سأختار وشمًا باسم سابرينا فانشر".

قدمت نفسها باسم أميليا ساباتيني، فذكَّرَه لقبها الإيطالي بميراكولينا. ثم سألته عن اسمه. تردد قبل أن يخبرها، ما زال لم يعتد تمامًا اسمه المستعار الجديد.

قال لها: "اسمي ماهبي.. ماهبي كينكاج".

- إنه اسم مثير للاهتمام.

- إنه من أسماء أبناء شعب المحظوظين. يمكنك أن تدعيني ماه.

قالت ضاحكة: "إنه أفضل من بي أو كينكي".

اعترف أنه معجب بها، وهو ما قد يصبح مشكلة، لأن خططه لا تدع مجالًا للصداقة.

سألها: "إلى أي مدى ستذهبين؟".

- إلى كانساس سيتي. ماذا عنك؟

- سأواصل الطريق حتى نهايته.

- نيويورك؟

- هذا لو لم أفشل في الوصول إليها.

قالت أميليا، ضاحكة مرة أخرى، وهذه المرة ببعض التوتر: "حسنًا، أتمنى ألا يحدث ذلك. ماذا ينتظرك في مدينة نيويورك الكبيرة؟".

أسئلتها استقصائية، ومتطفلة. مع كل سؤال منها، يقل إعجابه بها أكثر فأكثر. وبدلًا من الإجابة، أعاد طرح السؤال عليها: "ماذا ينتظرك في كانساس سيتي؟".

قالت أميليا: "أخت يمكنها تحملي. ماذا عنك؟ ألديك عائلة في نيويورك؟ أم أصدقاء؟ هل تهرب إلى هناك؟".

انتظرت إجابته، لكنها لم تحصل عليها.

قال: "من الجيد وجود شخص في حياتك يمكنه تحملك. لا يحظى الجميع بذلك".

ثم استدار لينظر من النافذة، وأطال النظر على الوضع نفسه، إلى أن انتقلت الفتاة لتجلس في مكانها بالممر مرة أخرى.

***

51 - ممر الطائرات

يوجد أكثر من ثلاثة آلاف مطار مهجور في العالم. بعضها من بقايا الحرب، مهجورة في زمن السلم. لقد بُنِيَت مطارات عديدة في السنوات الأخيرة، لكن بعضها جاء بغرض التعامل مع حركة المرور الجوي في الأماكن التي انخفض فيها عدد السكان. كما بُني البعض الآخر من قِبل مستثمرين مُضلَّلَين، اعتمادًا على طفرة نمو لم تحدث قط.

من بين هذه المطارات الثلاثة آلاف، تسعمئة مطار تقريبًا ما زالت صالحة للاستخدام، منها مئة وخمسون مطارًا تقريبًا بها أرصفة طويلة تكفي لاستيعاب طائرة بحجم «ليدي لوكاريتسيا». ومن بين المئة والخمسين، يوجد اثنا عشر مطارًا يعتبرون محطة توقف منتظمة لهذه الطائرة، وهم منتشرون في كل قارة مأهولة بالسكان.

يتضمن مسار الرحلة اليوم شمال أوروبا.

توجد فعلًا ست طائرات خاصة صغيرة على ممر الإقلاع العشبي لمطار «روم» في الدنمارك، مصطفة كالكتاكيت في انتظار عودة الدجاجة الأم. إنها طقوس تتكرر عدة مرات شهريًّا في كل مطار، دون خوف من تدخل الحكومة، وذلك بفضل الرشاوى القيمة التي تُدفَع.

التوزيع يعد إجراء أبسط بكثير من عمليات التفكيك الفعلية. تهبط «ليدي لوكاريتسيا»، وتُفتَح مقدمتها، ليظهر عنبر الشحن الضخم، وتُحمَّل الصناديق -التي صُنِّفَت فعلًا وفق وجهاتها المختلفة- على متن طائرة أصغر، تخص المشترين الذين ينتظرون مشترياتهم بفارغ الصبر.

لا توجد خدمة توصيل عالمية أكثر كفاءة. ولا يوجد رجل أعمال يفخر بعمله أكثر من ديفان أوماروف.

***

52 - ريسا

راقبت ريسا نشاط التفريغ من نافذة غرفة الضيوف، ولم تر إلا لمحة صغيرة منه. هذه هي المرة الثالثة التي يهبطون فيها منذ أفاقت. في المرتين الأوليين، ظلت الطائرات على الأرض لمدة تقل عن عشر دقائق، قبل التسارع على الممر مرة أخرى، وتخيَّلت أن هذه المرة أيضًا سيحدث الشيء نفسه. لكن ديفان يرسل شحنته بشكل أسرع مما يفككها.

استدارت عندما سمعت صوت أحدهم عند الباب، توقعت رؤية ديفان. ربما باعها في نهاية الأمر، والمشتري ينتظر على الممر لتقييم البضاعة. تساءلت هل ركلة سريعة في الفخذ ستقلل من قيمتها في عيني المتلقي الجاحظتين. لكن بدلًا من ديفان، وجدت شقيق جرايس ذا نصف الوجه.

- ما لم تأتِ إلى هنا لتفزعني، فلا أهتم.

قال آرجان: "لا يمكنني فعل ذلك، لكن يمكنني اصطحابك لرؤية كونر".

وفجأة أصبح آرجان صديقها الجديد المفضل، الذي قال -بصوت يشبه صوت جرايس قليلًا- وهو يقودها خارج الغرفة: "يجب أن تهدَئي، وتسرعي. ديفان بالخارج يشرف على التفريغ، لكنه سيعود في غضون بضع دقائق فقط".

قادها آرجان إلى مؤخرة الطائرة، وتحديدًا إلى غرفة نوم أخرى للضيوف، مجهزة بفخامة مقاربة لغرفتها. للوهلة الأولى، بدا كونر راقدًا

على سرير مرتب جيدًا، إلى أن أدركت أن ما يغطيه ليست بطانيات، بل عشرات الأشرطة القماشية السميكة التي تلتف حوله، مربوطة في فتحات فولاذية مثبتة في ألواح الأرضية، على جانبي السرير. هذه الأشرطة لا تمنعه من الهرب فحسب، بل تمنعه أيضًا من الحركة.

لكن رغم كل هذا، ظل كونر قادرًا على الابتسام لها، وقال: "وهكذا، بدأت أعتقد أن هذا المنتجع الصحي ليس ما وعد به المنشور الدعائي".

أقسمت ريسا إنها لن تدعه يرى الدموع، لكنها لم تعرف إلى متى يمكنها الصمود.

قالت، وهي تركع لترى كيف تُثَبَّت الأربطة: "سنخرجك من هنا. ساعدني يا آرجان!".

لكن آرجان لم يتحرك، وقال: "لا يمكنني ذلك. وحتى لو تمكنا من تحريره، فلن نبقى على الأرض لفترة كافية لإخراجه".

- هذا ليس سببًا لعدم المحاولة!

قال كونر بهدوء: "كفى يا ريسا".

- لو أن لدي سكينًا حادة للغاية ...

قال كونر بصوت أعلى قليلًا: "كفى يا ريسا! أريدك أن تهدئي وتستمعي إلي!".

لكن الدموع التي منعت ظهورها في عينيها، بدت وكأنها تغمر أفكارها، وتملؤها بالذُّعر، فقالت: "هذا لن يحدث لك! لن أسمح بذلك!".

وأخذت تقاوم قيوده وتحاول فكها، حتى قال آرجان لكونر: "لقد أخبرتك أنها معدومة الفائدة".

هذا القول -أكثر من أي شيء آخر- جعل ذهنها صافيًا بما يكفي للاستماع إلى ما سيقوله كونر.

- لدي خطة يا ريسا.

تنفست بعمق حتى تهدأ، وقالت: "أخبرني. كلي آذان مصغية".

- الخطة هي ... أن تظلي مكتملة، وأتفكك أنا.

صرخت: "هذه ليست خطة!".

قال آرجان: "صه! ستسمعك الطائرة بأكملها!".

هنا، بدا وكأن الطائرة بأكملها ترتجف وتطلق أصواتًا ميكانيكية ردًا على ذلك.

- إنها خطة يا ريسا. ليست خطة كبيرة، لكنها على الأقل شيء ما. آرجان يعرف التفاصيل. سيطلعك على كل شيء.

تذمر آرجان: "مقدمة الطائرة تُغلَق! سيعود ديفان إلى الطائرة في أي ثانية، إن لم يكن قد عاد بالفعل. لا يمكنه أن يُمسِك بي هنا!".

لكن ريسا لم تستطع المغادرة بعد. ليس دون أن تقول تلك الكلمات التي يصعب نطقها، لكنها تعني أكثر من أي شيء آخر الآن. الكلمات التي تخشى ألا تتمكن من قولها مرة أخرى: "كونر، إنني...".

ارتجفت شفة كونر السفلية، وهو يقاطعها: "لا تكملي! لأنك لو نطقتِها، ستبدو أقرب إلى عبارة تودعينني بها، ولا أعتقد أنني أستطيع تحمل ذلك".

لذا لم تنطقها ريسا بصوت مرتفع، لكن العبارة جمعتهما تحت مظلتها، بشكل أقوى من أي شيء يمكن لأي منهما قوله.

انحنت وقبّلته، ثم سارعت إلى الباب حيث ينتظرها آرجان، وقد احتقن نصف وجهه خوفًا. وحال مغادرتهما، انهار كونر ونطق الكلمات التي لم يستطع تحمل سماعها منها: "أحبك يا ريسا.. وسأظل أحبك حتى آخر جزء يبقى مني".

***

53 - كونر

- آمل أنك جائع.

مد كونر عنقه، ليرى ديفان قادمًا إلى الغرفة ومعه صينية، فأجابه بنظرة غاضبة.

قال ديفان: "لا، أعتقد أنك لست جائعًا، لكني أتمنى أن تتناول هذه الوجبة على أي حال. وأتمنى لك الاستمتاع بها".

جلس ديفان على الكرسي الوحيد في الغرفة، ووضع الصينية على مكتب صغير، مزيلًا تغليفها الفضي، فانطلق عمود من البخار نحو السقف.

قال كونر: "حسنًا. وبعد أن أتناولها، لن تتمكن من تفكيكي لأربع وعشرين ساعة، أليس كذلك؟ لا يمكن تفكيكي ومعدتي ملأى".

قال ديفان، وهو يخرج أدوات المائدة من المنديل الذي يلفها: "آه.. فهمت ما تعنيه. توجد العديد من القواعد واللوائح الخاصة بسلطة الأحداث. حسنًا، إن لنا قواعد مختلفة هنا".

- لاحظت ذلك.

الآن، امتلأت الغرفة برائحة الزبد والثوم. وجد كونر لعابه يسيل لا إراديًّا، واحتقر ديفان أكثر، لأنه جعل حواسه تتمرد عليه.

- هل سبق لك أن تناولت سرطان البحر يا كونر؟

- ظننت أنه قد انقرض.

- ما زالت له مزارع خاصة، لو أن المرء يعرف أين يجدها.

من زاوية عينه، رأى كونر ديفان يُجري عملية جراحية لصدفة حمراء، ويزيل كتلة بحجم قبضة اليد من اللحم الأبيض المتصاعد منه البخار.

- عليك تحرير يديَّ إذا أردت أن أتناول هذا الطعام.

ضحك ديفان، قائلًا: "إن تحرير يديك من شأنه أن يوحي لك بأفكار، والأفكار من شأنها أن تمنحك الأمل في موقف ميؤوس منه. من القسوة أن أمنحك الأمل في هذه المرحلة، لذلك لا، ستظل يداك مقيدتين مثل بقية جسدك".

قطع ديفان اللحم، ثم -باستخدام شوكة صغيرة- دفع قطعة من سرطان البحر نحو فم كونر، مضيفًا: "سأطعمك. عليك فقط الاستمتاع بالتجربة".

ورغم أن كونر أبقي شفتيه مطبقتين، فإن ديفان انتظر بصبر، والشوكة فوق فمه مباشرة. لم يقل شيئًا، بل انتظر فحسب. ومثل التفكيك نفسه، أدرك كونر أن هذه الوجبة حتمية. بعد بضع دقائق، فتح فمه، وسمح لديفان بإطعامه أغلى شيء تناوله على الإطلاق.

- يجب أن تفهم أنني لست عدوك يا كونر.

وجد كونر هذا أصعب كثيرًا من ابتلاع سرطان البحر، فسأله: "كيف ذلك؟".

- لأن على الرغم من الخسارة التي كبدتني إياها بفعلتك مع ستاركي، فإنني لا أحمل لك في قلبي سوى الإعجاب. ربما يحمل نيلسون

ضغينة ضدك، لكنني لا أفعل. في الواقع، لولا أنني سأربح ملايين كثيرة من بيعك، لفكرت جديًّا في إطلاق سراحك.

فكرة أن أجزاء كونر المفككة تساوي ملايين، أمر لا يمكنه تصوره، حتى إنه نظر إلى ديفان ليتأكد هل يمزح. لكن وجه ذلك الأخير ظل جادًّا، وهو يضع قطعة أخرى من سرطان البحر في فم كونر.

- تبدو عليك الدهشة. لا تُدهَش. إنك بطل شعبي عالمي. في الواقع، لقد حصد مزادك ضعف ما توقعته تقريبًا.

- إذن، فقد بعتني فعلًا بالمزاد؟

- لقد انتهى الأمر منذ ساعة. والمشترون من جميع القارات.

ثم ابتسم ديفان، مضيفًا: "لن تغرب عليك الشمس أبدًا يا كونر لاسيتر. القليلون يمكنهم قول مثل هذا الشيء".

وكوالد محب، داعب شعر كونر، الذي أدار رأسه محاولًا الابتعاد، لكن هذا لم يمنعه، فقال كونر: "سمحت لك أن تطعمني. لم أقل إن بإمكانك لمسي".

قال ديفان، وهو يطعمه بعض الخضراوات التي تحتوي على الثوم: "سامحني، أشعر بألفة تجاه مفككيَّ، لا أعتقد أن بإمكانك فهمها. هل تعلم أنني أجلس بجوارهم أحيانًا، وأواسيهم في أثناء إدخالهم غرفة التفكيك؟ في الغالب لا يمكن مواساتهم. لكن من حين لآخر، ينظرون إليَّ بأعين التقبل والتفهم. توجد أشياء قليلة تسعدني".

- ماذا عن المفككين الآخرين الذين بعتهم بالمزاد اليوم؟ هل ستغرب عليهم الشمس؟

شرح ديفان: "كل مفكك يُقسَّم بشكل مختلف. عرضت خمسة مفككين للبيع اليوم، وبعتهم جميعًا بسرعة". ثم أضاف: "بعتُ الصبي

الذي سبقك قطعة قطعة لثلاثة مشترين فقط. سيعيدون بيع الأجزاء طبعًا، لكن ما داموا قد دفعوا الثمن، فإن ما يفعلونه بالبضائع هو شأنهم".

أخذ كونر نفسًا عميقًا مرتجفًا، آملًا ألا يلاحظ ديفان ذلك، وهذا ما حدث، لأن اهتمامه انصب أكثر على الوجبة، حيث أطعم كونر قطعة أخرى من اللحم الأبيض اللزج.

- كيف تجد سرطان البحر؟

قال كونر: "إنه أشبه بجمبري له شخصية مستقلة"، ثم أضاف: "لكن في النهاية، رغم مظهره المهيب، فإنه ليس سوى أحد كائنات القاع".

مسح ديفان شفتي كونر بفوطة حريرية، وقال: "حسنًا، حتى نحن كائنات القاع لنا مكاننا في النظام البيئي".

منطقيًّا، أدرك كونر أنه كلما طالت مدة الوجبة، وطالت مدة حديثه مع ديفان، سيتأجل تفكيكه. لكنه وجد فضوله بشأن ديفان حقيقيًّا. كيف يمكن لرجل أن يفعل ما يفعله، ويعتقد أنه أي شيء ما عدا الشيطان متجسدًا؟

قال ديفان: "إنني أكره العنف، كما تعلم. لقد نشأت محاطًا به. أنتمي إلى عائلة تجار أسلحة. لكن عندما جاء دوري، قررت إعادة توجيه إرثي، والابتعاد عن صنع الموت، متجهًا إلى دعم الحياة".

قال كونر: "ما زلت تاجر أسلحة، وأرجل. وكل شيء آخر".

أومأ ديفان برأسه، لا شك أنه سمع ذلك من قبل. وقال: "يسعدني أنك قادر على الاحتفاظ بروح الدعابة في هذه اللحظات قبل الأخيرة".

أطعم كونر مرة أخرى، ومسح فمه مجددًا، ثم طوى الفوطة بدقة مَرَضيَّة، مضيفًا: "أريدك أن تعرف أنه ليس عليك أن تقلق بشأن ريسا. ستحظى برعاية جيدة".

سخر كونر: "ستحظى بالرعاية؟ أمن المفترض أن يشعرني هذا بتحسن؟ أنك ستعتني بها؟".

- يوجد ما هو أسوأ.

أجابه كونر: "الدرك الأعلى من الجحيم، يظل جحيمًا".

نظر ديفان إلى الصينية ووضع الشوكة، قائلًا: "تهانينا يا كونر. لقد أنهيت طبقك. ستفخر بك والدتك".

أغمض كونر عينيه، مفكرًا: *والدتي. كم مترًا فصلني عن الباب الأمامي، قبل اختطافي؟ كم اقتربت من معرفة كيف تراني، مصدر عار، أم شيء آخر خلاف ذلك؟ الآن لن أعرف أبدًا.*

عندما فتح عينيه مرة أخرى، مال ديفان مقتربًا منه أكثر، وفي عينيه نظرة غريبة، كما لو أنه مفكك يائس، وقال: "لا أريدك أن تُسِئ الظنَّ بي يا كونر".

ومن بين كل الأحاسيس التي يشعر بها كونر، طفا الغضب على السطح، فصاح: "لماذا تهتم برأيي؟ إنك على وشك تمزيقي وبيعي. هل تعتقد أنني لو سامحتك -أو لو سامحك أي منا- سيجعلك هذا تستحق المغفرة؟ يؤسفني إخبارك أن هذا ليس صحيحًا".

مال ديفان بعيدًا، وبدلًا من أجواء الرقي والتفرد التي غلفته في السابق، كساه يأس بارد وفارغ، أشبه بالهواء خارج الطائرة. لم يرَ كونر ذلك إلا لحظة، لكنه رآه على أي حال. وفي تلك اللحظة، أدرك أنه يمتلك

شيئًا يمكن لهذا الرجل أن يتطلع إليه فحسب، لكن من المستحيل أن يحصل عليه، إنه احترام الذات.

قال كونر: "لقد انتهى حديثنا".

أدرك أن قوله هذا سيُعجِّل بالمحتوم، لكنه اكتشف أنه لم يعد يهتم حقًّا، فأضاف: "لقد سئمت النظر إليك. فلتفككني!".

فيما يقف ديفان، بدت وضعيته المثالية وحضوره الطاغي متعثرين. أشاح بنظره بعيدًا عن كونر، بعد أن عجز حتى عن النظر إلى عينيه بثبات، وقال: "كما تريد".

***

54 - ريسا

بعد ساعة، جلست ريسا أمام الأرغن العضوي، واستمعت إلى مقطوعة رائعة لموتسارت في رأسها. حافظت على يديها إلى جانبيها، وتمسكت بآخر خيوط الأمل، فيما اتكأ ديفان خلفها على الأريكة، وهو يراقبها. اهتزت الطائرة في اضطراب، فسألت ريسا: "هل يحدث التفكيك الآن؟".

رفضت النظر إلى ديفان، كما رفضت رفع رأسها إلى الوجوه الماثلة أمامها، وعليها نظرة اتهام. أبقت عينيها فحسب على مفاتيح الآلة ذات اللونين الأسود والأبيض، في عالم رمادي بلا هوادة.

قال لها ديفان: "سيدخل غرفة التفكيك قريبًا، إن لم يكن قد دخلها فعلًا. حاولي ألا تفكري في الأمر. اعزفي شيئًا مبهجًا".

جاء صوتها هامسًا بالكاد، وهي تقول: "لا".

تنهد ديفان، قائلًا: "يا لها من مقاومة معدومة الفائدة. هذه الأرضية الأخلاقية العالية التي تقفين عليها ليست سوى رمال متحركة".

- دعها إذن تجرفني إلى أسفل.

- هذا لن يحدث. لن تسمحي له بالحدوث ـ وستعزفين. ربما ليس اليوم، بل غدًا، أو بعد غد. لأن البقاء حية من طبعك. كما ترين يا ريسا، البقاء على قيد الحياة هو الرقص بين احتياجاتنا

وضمائرنا. عندما تصبح الحاجة كبيرة بما يكفي، والموسيقى عالية بما يكفي، يمكننا أن نسحق ضمائرنا حتى الموت.

أغمضت ريسا عينيها. إنها تعرف ذلك الرقص. لقد رقصت لروبرتا في منظمة المواطنة الاستباقية عندما وافقت على التحدث لصالح التفكيك. صحيح أنها قد تعرضت للابتزاز، وفعلت ذلك لحماية صبية المقبرة، لكنها -مع ذلك- رقصت.

واصل ديفان: "هكذا يسير العالم. انظري إلى التفكيك، إنه رقصة الإنكار الكبرى للمجتمع. سيأتي وقت -بلا شك- ينظر فيه الناس إلى بعضهم ويقولون: "يا إلهي، ماذا فعلنا؟"، لكنني لا أعتقد أن هذا سيحدث في أي وقت قريب. حتى ذلك الحين، يجب أن تصاحب الرقصَ موسيقى، ويجب أن يعلو صوت الجوقة. أعطها هذا الصوت يا ريسا. اعزفي لي".

لكن أصابع ريسا لم تعزف له شيئًا، واحتفظ الأرغن العضوي بصمت القبر العنيد الذي لا يلين.

***

55 - يونيس

الصندوق الأسود ساطع من الداخل. ساطع لدرجة أجبرت كونر أن يحدق، منتظرًا أن تتكيف عيناه.

- مرحبًا يا كونر لاسيتر. أهلًا بك في تجربة انقسامك! أنا نظامك الذكي الآلي بالكامل، لكن يمكنك أن تدعوني يونيس.

إنه صوت غير محدد الجنس، ويتحدث بصدق وبراءة. إن يونيس يريد حقًّا أن يجعل هذا أسعد يوم في حياة كونر.

- قبل أن نبدأ يا كونر لاسيتر، لدي بعض الأسئلة ليصبح هذا انتقالًا سلسًا وإيجابيًّا إلى الحالة المنقسمة. أولًا، اسمح لي بتأكيد مستوى راحتك. يرجى تقييم مستوى راحتك الحالي على مقياس من واحد إلى عشرة، حيث الرقم عشرة هو الأقل إزعاجًا.

قرر كونر عدم منح الآلة شرف الحصول على رده.

- أعتذر، لم أفهم ذلك. يرجى تقييم مستوى راحتك الحالي على مقياس من واحد إلى عشرة، حيث الرقم عشرة هو الأقل إزعاجًا.

تسارعت نبضات قلبه لا إراديًّا، فحاول تهدئتها بتذكير نفسه بأنه مجرد واحد من العديدين الذين سلكوا هذا الطريق. وأنه نجا لأكثر من عامين بعد توقيع أمر تفكيكه. هذا أكثر مما يمكن للأغلبية قوله.

- حسنًا، سأفترض أنك تشعر براحة كافية. في غضون اللحظات القليلة القادمة ستشعر بوخزات خفيفة على جانبَي رقبتك، فيما أحقنك بالبلازما الاصطناعية المخدِّرة لتسهيل تقسيمك، وبحيث لا تعاني أي ألم. بينما أفعل هذا، دعنا نأخذ الوقت الكافي لتخصيص تجربتك. يمكنني أن أعرض لك مجموعة متنوعة من المناظر الطبيعية الخلابة. يرجى الاختيار من بين ما يلي: التحليق فوق الجبال، أو هدوء المحيط، أو المناظر الطبيعية النابضة بالحياة في المدينة، أو معالم العالم.

أراد أن ينكر خوفه، لكنه لم يستطع. اعتقد أنه أقوى من ذلك. تمنى لو يجد من يفعل له ما فعله بستاركي. يقتله قبل أن يتمكن يونيس من إنشاب مخالبه في جسده.

- أتريدني أن أكرر الخيارات؟ من فضلك قُل نعم أو لا.

صرخ كونر، وقد عجز عن التحكم في أعصابه: "اصمت! اصمت فحسب بحق الجحيم!".

- يؤسفني أن هذه ليست إجابة صحيحة. بما أنك تبدو كمن يواجه مشكلة في الاختيار، فسأختار نيابة عنك. اختيارك هو ... معالم العالم.

أخذت الصور تحلق أمامه، وتتغير بإيقاع بطيء لا هوادة فيه. جبل راشمور، برج إيفل، جسر البوابة الذهبية. طمس التخدير الخط الفاصل بين ما هو جزء منه، وما ليس كذلك. غزت الصور عقله وكأنها تُعرض داخل رأسه.

- قد تبدأ الآن في الإحساس بنشاط هائل في أطرافك، وبشكل أكثر وضوحًا في معصميك ومرفقيك وركبتيك وكاحليك. هذا أمر طبيعي تمامًا، ولا داعي للقلق.

سور الصين العظيم. صخرة جبل طارق. معبد أنكور وات. أخذ يفكر: *إن الشمس لا تغرب أبدًا على كونر لاسيتر. آلاف الأميال بين كل جزء مني. الحائط الغربي. برج بيزا المائل. شلالات نياجرا. هل سأذهب إلى تلك الأماكن؟ ليس إن كان بوسعي منع ذلك.*

- يمكنني أيضًا عزف نوع الموسيقى الذي تفضله. أرجوك حدد اختيارك الآن يا كونر لاسيتر. يمكنك أن تقول أشياء مثل "رقص تكنو" أو "روك ما قبل الحرب".

كل الأمل الآن في آرجان، وريسا... ريسا...

تَمسَّك بصورتها، وعرَضها، حتى فيما ينعكس العالم بداخله. في الغرفة التي زاره بها ديفان، قُيِّدَ بإحكام إلى ذلك السرير، ولم يستطع لمسها. كان مستعدًّا لفعل أي شيء، ليربت وجنتها للمرة الأخيرة، دون أن يهتم أهي يده أم يد رولاند التي ستفعل ذلك.

- من فضلك، حدد اختيارك الموسيقي الآن.

أدرك أن حياته استحقت أن تُعاش، وقد عاشها بروعة في خلال العامين الماضيين، رغم الأوراق القاتمة التي وُزعت عليه. إنه يعلم ما يعنيه إنقاذ أرواح لا حصر لها. إنه يعلم ما يعنيه إنهاء حياة. لكن أكثر من أي شيء آخر، يعلم ما يعنيه الحب. يجب أن يؤمن بأنه سيأخذ ذلك معه أينما ذهب الآن، سواء إلى طي النسيان، أو إلى "مكان أفضل" أو حتى إلى شبكة مستحيلة من الوجهات العالمية.

- حسنًا، يمكنني الاختيار لك. النوع الموسيقي الذي تفضله هو... «ديسكو القرن العشرين».

يجب أن يترك المعركة الآن. فليتولَّ الآخرون زمام الأمور نيابة عنه. طوال هذا الوقت استنكر وصفه بـ "إوُول آكرون". الآن تقبَّله، وفي تحدٍّ

لتفكيكه، حوَّل هويته من نفسه إلى أسطورته. لن يؤدي غيابه إلا إلى زيادة حضوره.

"ألن تأخذني إلى.. "مدينة فانكي"؟".

لا يعرف كونر ما حدث لطابعة الأعضاء. لا يسعه إلا أن يأمل إصلاحها وأن تجد طريقها إلى الأيدي الصحيحة. وأن يقضي كام على المواطنة الاستباقية، وأن يجد ليف سلامه. كل الأشياء التي تستحق الأمل. لقد دُهِش لأنه حتى هنا -في أحشاء الوحش- وجد طريقة للإحساس بالأمل.

- قد تشعر بالقلق بسبب عدم القدرة المفاجئة على التنفس. لا تنزعج؛ لم تعد بحاجة إلى التنفس.

ربما حدث ذلك بسبب التخدير، لكن إحساسًا بالهدوء بدأ ينتابه. وبدلًا من اليأس بسبب ابتعاد الأشياء عنه، شعر كونر بقوة التخلِّي.

- سننهي قريبًا الجزء السمعي والبصري من تجربتك. اسمح لي أن أغتنم هذه الفرصة لأقول إن من دواعي سروري خدمتك في يومك الخاص يا كونر لاسيتر.

توقف عن تخيل أجزاء من نفسه لم يعد بوسعه الإحساس بها، وركز على ما يزال يستطيعه، سيعيش كل لحظة حتى تنتهي اللحظة. حتى يصبح نبض قلبه ذكرى. حتى تصبح الذكرى محض ذكرى. حتى ينقسم جوهر كل ما يمثله، مثل الذَّرة، ويطلق طاقته في كون منتظر.

***

56 - حركة العين السريعة

هل يحلم المُفَكك؟ هناك، في الشفق البارد بين الوجود والكون، وبعد أن أصبح جزءًا من شخص آخر، هل يقاوم عقل المُفَكك المنقسم ويحاول رأب الصدع وتقليص المسافة بين شظاياه؟ بالنسبة إلى المُفَكك، لا بد أن هذه المسافة أكبر من المسافة بين النجوم.

ومع ذلك، لو أن المُفَككين ما زالوا أحياء -كما يصر القانون أنهم كذلك- فلا بد أنهم يحلمون، تمامًا مثل أي شخص آخر. يصر العديدون من "التقليديين" على أنهم لا يحلمون، لكن هذا فقط لأنهم يرفضون تذكر عوالمهم السريالية الخاصة من الآمال والمخاوف والذكريات المُفَككة.

بالنسبة إلى ريسا، فإن الليلة التي تلت تفكيك كونر أتت بسرعة بسبب توجه «ليدي لوكاريتسيا» شرقًا. أحلام ريسا في تلك الليلة جاءت متقطعة ومفعمة باليأس. حلمت بأنها تتناول الشاي مع سونيا في منتصف متجرها، وسط الزلازل. سقطت التماثيل الخزفية الهشة من أرففها وتحطمت، لكن سونيا لم تُعِرْها أي اهتمام. في كل مكان توجد ساعات قديمة من كل شكل وحجم، وكلها تدق بإيقاع قلِق.

قالت ريسا لسونيا بين الاهتزازات: "لقد فكّكوه. لقد فكّكوا كونر".

جاء صوت سونيا متعاطفًا ومريحًا: "أعرف يا عزيزتي، أعرف". لكن كل هذه المواساة ابتلعها جوف محنة ريسا.

أضافت سونيا: "في بعض الأحيان، تعمل الأحداث العشوائية التي تحدثُ عنها ضدنا، ولا يوجد شيء يمكن عمله".

أصرت ريسا، رغم ضجيج الساعات وضوضائها: "يجب أن أحصل على الطابعة! هذا ما يريده".

قالت لها سونيا: "لم يعد هذا الأمر يخصك، لكن اطمئني يا عزيزتي، سأقاتل من أجل الخير ما بقيَ هواءٌ في رئتيَّ".

وجدت ريسا قلقًا أعمق يملؤها، لأنها أدركت فجأة أن رئتي سونيا لم يعد بهما هواء. لقد ماتت فعلًا، والمهاجم من النوع الذي لا يترك شهودًا.

ذكَّرتها سونيا الميتة: "لا تنسي أن كونر ما زال يعتمد عليكِ. الأمر متروك لكِ ولشقيق جرايس الذي لا يصلح لأي شيء. لقد وضع كونر خطة. تجاوزي الصعوبات من أجله!".

اهتزت الأرض مرة أخرى، ورنَّت الثريات فوق الرأس، وهددت بالسقوط، وفجأة ظهر بوضوح شيء آخر في متجر التحف. لاحت وجوه آلة ديفان الرهيبة الثمانية والثمانون خلف سونيا.

- أحدَثَ أمرٌ ما يا عزيزتي؟

لكن قبل أن تتمكن ريسا من التحدث، فُتِحت كل الأعين في انسجام تام، لتحدق إليها باتهام صامت.

استيقظت فجأة غير قادرة على التقاط أنفاسها، لتجد نفسها وحيدة في ليلة مظلمة، تحلق في الجو، المملوء بالاضطرابات.

***

في العادة، تكون أحلام كام غير مترابطة أكثر من أحلام الآخرين، وتشمل قصاصات الذاكرة معدومة المعنى لمجتمعه الداخلي، لكنها الليلة تحولت إلى شيء ملموس تقريبًا. رأى أمامه سلمًا رخاميًّا بدا بلا نهاية. صعد درجاته حتى وصل إلى معبد، «بارثينون» أبيض لامع، أعمدته متباعدة بالتساوي ومنحوتة بمثالية. بدا الهيكل بأكمله وكأنه قطعة واحدة منحوتة في أحجار الجبل. في الداخل، وجد تماثيل ذهبية شديدة الضخامة لآلهة المواطنة الاستباقية، وهناك -في الطرف البعيد- رأى تمثالًا لروبرتا.

أمرته: "ارقد على مذبحي. يجب سفك دم العديدين، وأنت يا كام، تحمل دماء الكثيرين". جاء صوتها مقنعًا للغاية، ولم يعرف كام إلى متى يمكنه مقاومته.

***

حلمت جرايس بأنها على منصة الغوص مرة أخرى -تلك التي رفضت القفز منها في طفولتها- لكن هذه المرة، وجدتها عالية جدًّا، ووجدت جرايس نفسها على ارتفاع شاهق، فيما يقف آرجان بأسفل، يحثها على القفز، لكنها لا تستطيع لأنها تحمل طفلًا بين ذراعيها. لقد تخلى عنه أحدهم عند باب منزلها. لماذا قد يفعل أحدهم ذلك؟ اقتربت من حافة المنصة، وفي هذه الأثناء، أدركت أن ما تحمله بين ذراعيها ليس طفلًا على الإطلاق. إنها تحمل طابعة الأعضاء.

صرخ آرجان، من مسافة بعيدة جدًّا بحيث لا يمكن رؤيته: "اقفزي يا جرايسي. إنك تفسدين الأمر على الجميع".

وهكذا -وهي تمسك بالطابعة- قفزت نحو بركة مياه بعيدة جدًّا، تبدو بحجم طابع بريد.

***

جاء حلم ليف أبسط كثيرًا من أي حلم آخر في هذه الليلة. وجد نفسه على قمم الأشجار المُصفرَّة في حديقة حضرية، فوق مقعد الحديقة الذي ينام عليه فعلًا. في حلمه، قفز بلا وزن من فرع إلى فرع حتى لم يبق مكان يذهب إليه، لأن الأشجار أفسحت المجال لمساحة واسعة من الماء. لذلك تمسَّك بإحكام بالشجرة الأخيرة، وراقب ضوء القمر الراقص على المياه، وعيناه منجذبتان إلى التمثال الموجود على جزيرته الصغيرة في الميناء، مدركًا أن الفجر سيأتي قريبًا جدًّا.

***

57 - بث إذاعي

"أصدقائي، بعميق الأسى والأسف أبلغكم أن مشروع قانون تجاوز الوالدين قد مُرِّرَ للتو من قِبل مجلس النواب، وهو الآن في طريقه إلى مجلس الشيوخ، حيث من المتوقع أيضًا تمريره. بالنسبة إلى أولئك الذين يعيشون تحت صخرة، أو يختبئون أسفلها، أو يُضرَبُون على رؤوسهم بها، فهذا يعني أن سلطة الأحداث قد اقتربت خطوة من القدرة على دخول منزل -أي منزل- واعتقال أي شخص بين عيد ميلاده الثالث عشر والسابع عشر، وتفكيكه دون موافقة والديه. كل ما على رجالها فعله هو إثبات "عدم قابلية الإصلاح"، وفقًا لتعريف قانوني فضفاض.

الخبر السار هنا -لو أن أيًّا من هذا يمكن أن يسمى خبرًا سارًّا- هو أن تجاوز الوالدين ما زال مجرد مشروع قانون. ما زال بحاجة إلى إقراره في مجلس الشيوخ، وتوقيعه كقانون من جانب الرئيس. لكني أؤكد لكم أنه سيصبح قانونًا للبلاد إذا لم نفعل شيئًا لإيقافه.

اليوم لا أتحدث إلى أنصار قانون تجاوز الوالدين. ولا أتحدث إلى معارضيه أيضًا. إنني أتحدث إلى أولئك الذين يجلسون صامتين منكم، ويسمحون بحدوث هذا.

إنكم جميعًا هناك تدركون أن هذا خطأ، لكنكم تخافون -من المصفقين والمراهقين الغاضبين من حولكم، وربما حتى تخافون من أطفالكم أنفسهم- إلى الحد الذي يمنعكم من التحدث ضد هذا القانون. إنكم تعتقدون أن الأمر خارج عن إرادتكم، لكن هذا ليس صحيحًا! هذه الأمور لا تحدث بسبب مؤامرة حكومية. أعني أن من المؤكد أن مصالح الأموال الضخمة تحاول تمريرها، لكن توجد دائمًا جماعات ضغط من أصحاب الأموال الضخمة للحصول على النفوذ في واشنطن. وهذا ليس بالأمر المستغرب، ولا الجديد. لا، إذا حدث هذا، فنحن من جعله يحدث. لقد فضَّلنا الخوف على الأمل. واخترنا أن نجبر أطفالنا على الخضوع. أهذا هو العالم الذي تريدون العيش فيه؟

لن يشق مشروع القانون طريقه إلى التصويت في مجلس الشيوخ حتى نوفمبر المقبل، وهذا يعني أننا سنحظى بفرصة للتعبير عن رأينا. والآن -أكثر من أي وقت مضى- نحن بحاجة إلى التجمع. تذكروا إننا سنجتمع عند الفجر يوم الاثنين، الأول من نوفمبر -عيد جميع القديسين- في متنزه «ناشيونال مول»، بين مبنى «الكابيتول» ونصب واشنطن التذكاري. سواء اصطف في انتفاضتنا عشرة أشخاص، أو عشرة آلاف شخص، فإننا بحاجة إلى جعل أصواتنا مسموعة. وإلا، ففي المرة القادمة التي يسمع فيها أحدهم صوتك، سيكون في حلق شخص آخر".

***

58 - فتاة جيرسي

لم تتغير العبَّارة المتجهة إلى جزيرة الحرية كثيرًا خلال مئة عام. ربما أصبحت السفن أحدث، لكن حتى السفن الجديدة تبدو وكأنها من عصر مضى. انتشر حديث عن بناء خط مترو أنفاق تحت الخليج، يربط تمثال السيدة العظيمة بالبر الرئيسي، لكن -للمرة الأولى- سادت العقلانية، ودُفِن المشروع، ليظل الوصول إلى التمثال متاحًا فقط عن طريق العبَّارة المزدحمة ذات الأجرة المبالغ في سعرها، التي بقيت من الطقوس الأساسية لتجربة السائح في نيويورك.

كما هو الحال في جميع المواقع البارزة، توجد الكثير من التدابير الأمنية المعمول بها، ضباط شرطة نيويورك، ورجال شرطة الأحداث، ورجال شرطة مستأجرون منتشرون في جميع أنحاء «باتري بارك»، حيث مرسى العبَّارات، وكذلك على العبَّارات نفسها، وبالطبع، في جزيرة الحرية، لكن على الجزيرة، تحل شرطة نيو جيرسي محل شرطة نيويورك، لأن تمثال الحرية من الناحية الفنية جزء من ولاية نيو جيرسي. إنه شيء ينكره سكان نيويورك، أن جزيرة الحرية في الواقع جزء من نيو جيرسي. بغض النظر عن ذلك، لا يوجد نقص في القوة النارية المخيفة، لأن الحرية لا تحميها المهدئات. في الغالب تحميها الرصاصات الخزفية القاتلة، من النوع المصمم خصيصى لقتل المصفقين دون تفجيرهم.

لسنوات، سادت مخاوف من هجوم المصفقين على التمثال، لكنهم تركوه وشأنه حتى الآن. تفترض السلطات أنه من خلال إبقاء الخوف من هجوم المصفقين، فإن حركة المصفقين تخلق رعبًا أكبر من نظيره لو تعرض التمثال للتفجير فعلًا. الحقيقة أن منظمة المواطنة الاستباقية تعتبر نفسها وطنية للغاية، لذلك لا تفعل شيئًا شنيعًا مثل تحويل "الآنسة حرية" إلى شظايا.

يوجد دائمًا احتجاج أو آخر على الجزيرة. يتجمع الناس هناك لأسباب لا حصر لها. إنها عادة احتجاجات سلمية بطبيعتها. بضع عشرات من الأشخاص يحملون لافتات ومكبر صوت، ويجذبون القليل من اهتمام وسائل الإعلام. يعرف المتظاهرون المتسمون بالعنف أنه من الأفضل عدم جلب غضبهم إلى هناك. يميل المتسمون بالعنف إلى الغضب ضد النظام في أماكن أقل رمزية وأكثر فاعلية.

في الثالثة من عصر يوم مشمس من أوائل أيام أكتوبر، صعد صبي برأس محلوق وأسماء موشومة على جسده إلى العبارة المتجهة إلى جزيرة الحرية.

***

59 - ليف

من «باتري بارك»، بدت أصغر كثيرًا وأبعد مما اعتقد. كما أن رحلة العبارة أطول بكثير مما ظن.

طُلِب منه إظهار هويته ثلاث مرات. مرة في «باتري بارك»، ومرة أخرى قبل ركوب العبَّارة، وثالثة على متنها. في كل مرة تراجع الضابط عند رؤية الهوية واكتشافه أن الفتى من أراباتشي. لا أحد منهم يريد إثارة غضب القبيلة.

مع اقتراب العبَّارة، دارت حول جزيرة الحرية، مما وفر رؤية رائعة بزاوية 360 درجة للتمثال، وفرص التقاط الصور للجميع. لم يحمل ليف كاميرا لتسجيل الزيارة، لكنه استمتع بالمشهد تمامًا مثل الآخرين.

من طيات النحاس الخضراء لرداء التمثال الفضفاض، امتدت ذراع جديدة تمامًا من الألومنيوم والتيتانيوم، تلمع باللون الفضي في الشمس الساطعة وتحمل شعلة جديدة. يبلغ وزن الذراع الجديدة والشعلة نصف وزن الذراع القديمة. نصت الخطة -كما قرأ ليف- على رش الذراع الجديدة بطلاء أكسيد النحاس حتى تتطابق مع بقية التمثال. لكن الاختبارات أثبتت أن الطلاء معيب. لن يلتصق بالسبائك، وبالتالي سيتقشر سريعًا، مما يجعل ذراع الآنسة حرية تبدو وكأنها لحم متعفن.

لذا تقرر ترك ذراعها مطلية بالفولاذ المقاوم للصدأ حتى يتمكنوا من إيجاد طريقة تجعلها متناسقة مع بقية الجسد، أو حتى يعتاد الناس شكلها كما هو. صُمِّمَت السبائك بحيث لا تصدأ أبدًا، ومع ذلك، من دون الطلاء الواقي، تتعرض المسامير -التي تربط الألواح معًا- بشدة لهواء البحر المسبب للتآكل.

عندما اقتربت العبَّارة التي استقلها ليف من الجزيرة، رأى تلك المسامير قد بدأت تصدأ فعلًا. فبعد أقل من شهر من التركيب، رأى طبقات متغيرة اللون على طول الذراع الجديدة، حتى أطراف الأصابع، ووصولًا إلى الشعلة. ربما يعمل المهندسون بجد في محاولة لإيجاد حل.

رست العبَّارة، تاركة السائحين المتحمسين لاستكشاف الجزيرة والانتظار في صف طويل للصعود داخل التمثال، وحتى التاج، والشعلة الجديدة يمكن الصعود إليهما، وهو ما كان محظورًا لسنوات عديدة، بسبب عدم استقرار الذراع القديمة. انضم ليف إلى مسيرة السائحين خارج العبَّارة.

قال مجهول يختبئ بين الحشود من خلفه: "يا له من فن جسد لطيف أيها الفتى غريب الأطوار!".

يعتقد الكثيرون أنهم يستطيعون الإفلات من العقاب لو احتموا بحشود مجهولة. حسنًا، فليسخروا منه. فليحتقروه. لقد توقف عن الاهتمام برأي الناس فيه منذ وقت طويل جدًّا. أو على الأقل، رأي الغرباء.

توجد مسيرة احتجاجية اليوم في ظل الآنسة حرية. تجمع ما يقرب من خمسين شخصًا من أجل حقوق الألبان[1]. لا يعرف ليف بالضبط

(1) - الألبان: حاملو الجنسية الألبانية. «المترجم».

من الذي سلب حقوق الألبان، لكن لا بد أن أحدهم فعلها. يوجد طاقم إخباري صغير. قبل البث، طلبت المراسلة من خادمها رش شعرها بنوع من الضباب الصناعي الضخم حتى يتمكن من مقاومة الرياح المستمرة التي تهب في أنحاء الجزيرة. واصل الخادم الرش حتى أصبح شعر المراسلة صلبًا كالبلاستيك.

توجد منصة صغيرة للمتحدثين الرئيسيين في المسيرة. شق ليف طريقه عبر الحشد نحو المنصة.

لم يستطع مساعدة كونر. وأخفقت محاولته للتأثير على مجلس قبيلة أراباتشي. لكن هنا، واليوم، سيثبت موقفه. سيحدث فرقًا. سيصبح اليوم تتويجًا لجميع جهود حياته. لم يشعر بالخوف أو الغضب. هكذا أدرك أنه على الطريق الصحيح. وفيما يشق طريقه وسط الحشود، تذكر الكينكاج الذي رآه في أحلامه وهو يقفز فوق مظلة الغابة المطيرة، بهدف بهيج.

النسيم قوي وبارد، لكنه -مع ذلك- خلع قميصه، متجاهلًا ارتفاع قشعريرة جسده عندما كشف عن مئة وستين اسمًا آخرين على كتفيه وصدره وظهره. وفيما يقترب من المنصة، خلع حذاءه الرياضي وفتح أزرار سرواله الجينز، واستلزم الأمر لحظة لخلعهما دون أن يتعثر. والآن لاحظ الأشخاص الذين يمر بهم وجود صبي بجسد موشوم يتجرد من ملابسه ويتجه نحو المنصة. لا أحد يعرف ماذا يفعل حتى الآن. ربما هذا جزء من الاحتجاج.

وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى المنصة، أصبح في ملابسه الداخلية فحسب، ومعظم -إن لم يكن كل- الأسماء الـ 312 المكتوبة على جسده مكشوفة للعالم، ولطاقم التصوير، الذي اهتم به فجأة، وصوره وهو يصعد إلى المنصة. قطع المتحدث الألباني عبارته. ضحك

الحاضرون، أو لهثوا، أو تمتموا لبعضهم... حتى فتح ليف ذراعيه على اتساعهما. لم ينبس ببنت شفة. مد يديه فقط... ولوح بهما معًا.

جاء رد الفعل فوريًّا. أصيب الجمهور بالذعر وبدأ يفر.

فتح ليف ذراعيه مرة أخرى، وكطائر يرفرف بجناحيه ضد الريح، لوح بهما معًا مرة أخرى، وثالثة. صرخ الحاضرون، وأخذوا يدعسون بعضهم. لا يمكنهم الفرار بسرعة كافية.

ظل يُلَوِّح بذراعيه معًا، لكن لم يحدث شيء. لأنه لا يوجد شيء في عروقه سوى الدم. لا مواد كيميائية ولا متفجرات. لم ينفجر، لكن هذا لم يمنع قوات الأمن من اتخاذ الإجراءات، تمامًا كما عِلِم أنهم سيفعلون.

انطلقت أول رصاصة من أحد رجال شرطة الأحداث الذين يحمون الجزيرة. اخترقت الرصاصة الخزفية الجانب الأيمن من صدر ليف، فأفقدته توازنه. لم يعرف من أطلق الرصاصتين الثانية والثالثة، لأنهما أصابتاه في ظهره. خارت ركبتاه، وسقط. أصابته رصاصة رابعة في أمعائه، ومرت خامسة بجوار أذنه، لكنها أخطأته. لا بأس، لأن الرصاصات الأربع الأولى أدت المهمة. سيعرف العالم ما حدث هنا اليوم. أن صبيًّا أعزل أُطلق عليه الرصاص في وضح النهار أمام مئات الشهود. وعندما يعرفون هوية ذلك الصبي، سيتوقف الجميع عن مساراتهم للحظة مؤلمة طويلة.

"لماذا يا ليف، لماذا؟".. هكذا ستكتب عناوين الصحف مرة أخرى، لكن هذه المرة سيعرف الناس الإجابة، والإجابة هي الأسماء المكتوبة على جسده. ثم سيتحول غضب الناس إلى أولئك الذين أطلقوا النار عليه تحت عينَي سيدة الحرية التي لا ترمش. وستُغير تضحيته العالم.

مع تدفق الدم من جروحه، رقد على ظهره، وعيناه مفتوحتان على مصراعيهما من الألم، ونظر إلى السماء فوقه، حيث أشارت شعلة التمثال العظيم نحو القمر، وهو شبح شاحب يكاد يظهر فوق رأسه مباشرة.

مد يده إليه، وأصابعه ملطخة بالدماء. بدا أن القمر ينتفخ، فيما يحاول هو تركيز انتباهه المتلاشي عليه.

شعر ليف بالسعادة.. لأنه يعلم أنه أخيرًا أمسك بالقمر، وانتزعه من السماء.

***

60 - بريد

2162 رسالة كانت في صندوق سونيا. فُقِدَت 751 منها في الحريق، لكن 1411 رسالة خُتِمَت وأرسلتها جرايس سكينر، ثم سلمتها خدمة البريد من الساحل إلى الساحل، لأن الهاربين من التفكيك الذين سكنوا قبو سونيا على مر السنين جاؤوا من كل مكان.

فتحت امرأة في مدينة أستوريا بولاية أوريجون الخطاب -الذي لا يحمل عنوان المرسل- ولم تتعرف على خط اليد، لأن ابنتها وجدت أمر التفكيك وهربت منذ ما يقرب من ثلاث سنوات.

بدأت المرأة تقرأ، ومن أول سطر عرفت الكاتب. وبقدر ما أرادت الهرب من المكان، وجدت نفسها ملتصقة بكرسي المطبخ، عاجزة عن التوقف عن القراءة. عندما انتهت، جلست هناك صامتة، غير واثقة مما يجب أن تفعله بعد ذلك، لكنها علمت أنها يجب أن تفعل شيئًا.

***

وصل رجل في مونبلييه بولاية فيرمونت إلى المنزل قبل زوجته اليوم. تصفح الفواتير والطلبات المختلفة، حتى عثر على مظروف غريب، وتعرَّف على خط يد ابنه، الابن الذي أرسله للتفكيك منذ ما يقرب من خمس سنوات. ورغم أن سلطة الأحداث لم تعترف رسميًّا بذلك،

فقد اكتشف الرجل وزوجته أنه قد هرب قبل وصوله إلى مخيم الحصاد المخصص له.

وضع الرجل المظروف أمام مزهرية في غرفة الطعام، وجلس هناك يحدق إليه عشر دقائق كاملة، قبل أن يستجمع شجاعته لفتحه.

عندما بدأ القراءة، اعتقد أن الخطاب قد كُتِبَ مؤخرًا، لكن لا، يوجد تاريخ مكتوب على الصفحة الأولى. كتب ابنه هذا منذ أكثر من ثلاث سنوات. ربما ما زال هاربًا في مكان ما. أهو خائف من العودة إلى المنزل؟ أم رافض العودة؟ أم إنهم أمسكوا به في نهاية الأمر؟ لبعض الوقت، فكر الرجل وعائلته في الانتقال خوفًا من عودته وانتقامه منهم. كم يشعر بالخجل الآن لمجرد التفكير في ذلك.

ستعود زوجته إلى المنزل من العمل في أي لحظة الآن. أيجب أن يُريها الخطاب؟ أيجب أن يُريه لابنته عندما تعود من تدريب السباحة؟ إنه لا يعرف حتى هل تتذكر شقيقها أم لا.

رغم عدم وجود أحد في الغرفة سوى الكلب، فقد أخفى عينيه وهو يبكي، ويذرف الحزن الذي أنكره منذ اليوم الذي جاؤوا فيه لأخذ ابنه.

***

جلس زوجان في مدينة آيوا بجوار المدفأة، وتقاسما مهمة فتح الرسائل التي تراكمت في أثناء سفرهما. صادف الرجل رسالة بدت غير ضارة. فتحها وبدأ يقرأ، ثم توقف فجأة، وطوى الرسالة، وأعادها إلى المظروف.

سألته زوجته، بعد أن رأت كيف شحب وجهه فجأة: "ما هذا؟".

قال: "لا شيء. بريد عشوائي فحسب".

لكنها قرأت الحقيقة على وجهه بوضوح كما لو أنها فتحت الرسالة بنفسها. إنها تعلم أن شيئًا واحدًا يجب فعله. قالت: "ألقها في النار".

وهذا ما فعله، منهيًا الأمر إلى الأبد.

***

في إنديانابوليس، وصلت الرسالة في اليوم نفسه الذي أصبح فيه طلاق المرأة نهائيًّا. قرأتها، ويداها عاجزتان عن منع ارتجافهما. لقد وقَّعت أمر التفكيك بعد مشاجرة ابنها المروعة مع زوجها، زوج أمه. لقد استغرق الأمر ما يقرب من عامين حتى أدركت أنها اتخذت الجانب الخطأ من تلك المعركة. لكن هذه الرسالة منحتها الأمل. هذا يعني أن ابنها ربما ما زال مكتملًا، وفي مكان ما. لو أنه كذلك، فسترحب به فورًا، بوشم سمكة القرش وكل شيء.

***

من بين الأشخاص المختلفين الذين تأثروا بالـ 1411 رسالة، ظل البعض قاسي القلب، أو في حالة إنكار صارم، لكن أكثر من ألف شخص وجدوا قراءة كلمات أبنائهم أو بناتهم المفقودين حدثًا غيَّر حياتهم. في تعداد سكاني يبلغ مئات الملايين، يعتبر مثل هذا العدد الصغير من الناس مجرد قطرة في نهر، لكن القطرات الكافية يمكن أن تجعل أي نهر يفيض.

***

61 - نيلسون

انتظرت أكثر من اثنتي عشرة طائرة نفاثة خاصة صغيرة على ممر الطائرات في مطار بعيد خارج كالجاري في كندا. في هذا الشمال البعيد، ذَبُلَت الأوراق تمامًا وبدأت تتساقط. تموجت الغابة المحيطة بالمطار باللون البرتقالي الناري والأصفر والأحمر مع هبوب الرياح. ثم سكن الهواء. بدا أن الرياح نفسها تتوقع وصول الشحنة «4832»: كونر لاسيتر، مُقسمًا.

في مكان غير مناسب بين الطائرات النفاثة الأنيقة وقفت سيارة بورش، راقب سائقها طائرة ديفان العملاقة وهي تهبط بين السحب المنخفضة المعلقة باتجاه ممر الهبوط، وبدت ضخمة حتى من بعيد.

انتظر جاسبر نيلسون بفارغ الصبر -في السيارة التي أعطاه إياها ديفان كمكافأة لصيده إوُول آكرون- الحصول على زوجين جديدين من الأعين. فلتتشتت بقية كونر لاسيتر بين مختلف المليارديرات في جميع أنحاء العالم، أما نيلسون فيسعده امتلاك رؤيته. إنه يعلم أنها ستجعل كل شيء مكتملًا. بمجرد أن يرى العالم من خلال تلك العينين، سيستطيع إعادة حياته من الهامش الملوث، إلى مكان محترم أخيرًا. اليوم، سيسلك الشاب المزعج كونر لاسيتر طريق ذبول أوراق الغابة،

لكن الشتاء الطويل الذي شعر فيه جاسبر نيلسون بالاستياء، سيتحول إلى صيف مجيد حال حصوله على عيني الصبي الذي دمر حياته.

أصدرت الطائرة هديرًا هائلًا في أثناء هبوطها، وحال توقفها، بدأ طاقم ديفان الأرضي يعمل على تزويدها بالوقود، وفُتح باب الركاب الجانبي، مع مد السلم لديفان. إنها المرة الثانية فحسب التي يأتي فيها نيلسون إلى مطار ديفان في أمريكا الشمالية. إما أن العمل نشط للغاية حتى إن ديفان يجب أن يتابعه بنفسه، وإما أن لديه أسبابًا لعدم البقاء في مكان واحد طويلًا. ظهر ديفان بعد لحظة، برفقة طبيب الحصاد، الذي حمل مُبرِّدًا طبيًّا صغيرًا، وتوجها مباشرة إلى نيلسون.

قال له ديفان فيما بدأت مقدمة الطائرة تُفتح، لنقل الشحنة المتبقية: "استخدمهما وابق بصحة جيدة يا صديقي".

لكن قبل حتى ارتفاع بوابة مقدمة الطائرة بالكامل، أصبح من الواضح وجود خطأ كبير للغاية.

اندفع طوفان من الصبية من عنبر الشحن، أخذوا يركضون ويركضون ويتعثرون في كل اتجاه. ليس القليل منهم، بل العشرات.. جميعهم!

فجأة، وجد ديفان أشياء يفعلها أهم من الاهتمام بنيلسون. أمر حارسه الشخصي: "أوقفهم! الآن!".

تحسس الرجل الضخم مسدسه المهدئ، وركض وهو يطلق النار في الوقت نفسه، ويخطئ التصويب كثيرًا إلى أن يسقط أحدهم. إن تخدير الهاربين من التفكيك ليس ما يبرع فيه هذا الرجل، بل هو تخصص نيلسون، الذي قال لديفان: "سأتولى أنا هذه المهمة"، ثم أخرج مسدسه المهدئ وصوبه، مضيفًا: "إنني أحب الرماية".

من المؤكد أن كل رصاصة أطلقها نيلسون أصابت هدفها، وفي غضون عشر ثوانٍ أسقط عشرة أطفال، لكن يوجد الكثير جدًّا منهم، لذا حتى نيلسون لم يستطع إيقافهم.

سأل ديفان، وهو يعدو للحصول على المزيد من المساعدة من موظفيه: "من المسؤول عن هذا؟".

رأى نيلسون إجابة هذا السؤال. من السهل رصدها، لأنها الوحيدة بين كل الصبية الهاربين التي لا ترتدي حلة رمادية. لقد عادت ريسا وورد إلى حيلها القديمة. لكنها لن تستمر فيها طويلًا.

تجاهل نيلسون الآخرين، واستهدف الجائزة.

لكن فيما يوشك على ضغط الزناد، أمسكه أحدهم من الخلف. انطلقت الرصاصة عشوائيًّا عندما خنقه المهاجم بإحكام ومهارة، لدرجة منعت وصول الدم إلى دماغ نيلسون. ساد الظلام أمام عينيه، وتراخت ساقاه تحته، وقبل أن يغيب عن الوعي، لمح وجه مهاجمه لوهلة.

وأصابه الرعب عندما لم يرَ وجهًا مطلقًا.

***

62 - آرجان

ما زال الطبيب لا يعرف أن آرجان أخذ مفتاحه الاحتياطي لدخول عيادة الحصاد.

ديفان أيضًا لا يملك أي فكرة عن معرفة آرجان لرمز الوصول إلى لوحة التحكم في يونيس، الذي نسخه من دفتر ملاحظات صغير على الطاولة المجاورة لفراش ديفان.

في مرات عديدة على مدار حياته، وجد آرجان أن الناس لا تتصرف بحماقة وإهمال، إلا عندما تعتقد أنك غبي.

قبل ثلاثين دقيقة من هبوط «ليدي لوكاريتسيا»، ترك الطبيب حجرة الشحن مع مُبرِّد حِفْظ صغير كوده (LOt 4832-ey-L/R). لم يستطع آرجان منع نفسه من الضحك. بصفته موظف تسجيل مبيعات البقالة، فهو يعرف أفضل من أي شخص آخر أن جودة الملصقات تتناسب طرديًّا مع نسبة ذكاء الأحمق الذي يضعها. عندما بدأ هبوط الطائرة، تسلل آرجان إلى عيادة الحصاد، مدركًا أنه رغم أن الطبيب التعس عاش حياته على ارتفاع سبعة وثلاثين ألف قدم، فإنه مصاب برهاب الطيران، واعتاد دائمًا الجلوس في صالة طاقم الطائرة، مع إحكام حزام مقعده. لقد أعطى ذلك آرجان فرصة لتنفيذ ما يجب فعله، وما كان كونر لاسيتر

ليفعله، لو لم يُفكك إلى عدد كبير من القطع. أوقف آرجان نظام التخدير لجميع المُفككين، وأدار كاميرا المراقبة لتواجه الحائط، تحسبًا لأن يصاب أحدهم بنوبة ذكاء مفاجئة ويقرر مشاهدة ما تلتقطه من صور. انتظر حتى أفاق أول مفكك، وهو صبي آمبر، جحظت عيناه قليلًا عندما علم بمكانه وما يحدث له.

قال له آرجان: "عندما يستيقظ الآخرون، أبقِهم هادئين. لا تدعهم يصابون بالذعر. ثم عندما تُفتح مقدمة الطائرة، اركضوا وكأنكم تشهدون نهاية العالم، لأن هذا ما سيحدث لو لم تفعلوا".

ثم غادر عيادة الحصاد، وجلس بجوار الطبيب، كما يفعل في أي يوم آخر.

لكن مهمته لم تنته بعد.

بمجرد هبوط الطائرة -ثم ديفان- على الممر، فتح باب غرفة ريسا وقادها إلى عيادة الحصاد، وأخبرها بما ذكره للفتى الآمبر نفسه. بحلول ذلك الوقت، امتلأ المخزن بأكمله بالأطفال الخائفين اليقظين، لكن ريسا تتمتع بحضور مهيب، جعل أعصابهم تهدأ وتصبح تحت السيطرة.

سألت ريسا آرجان: "ماذا عن كونر؟"، لكن الوقت ليس مناسبًا للأسئلة.

- لقد توليت الأمر، ثقي بي فحسب.

قالت ريسا: "هذه هي المشكلة. إنني لا أثق بك".

- حسنًا، يؤسفني هذا للغاية.

لم يستطع البقاء، ففي أي ثانية، سيطلب ديفان منه شيئًا. كأسًا من مياه «بيلجرينو» المعدنية، أو واقيًا من الشمس لبشرته الرقيقة. دائمًا ما يريد ديفان شيئًا.

قال لريسا: ”لو حصلتِ على حريتك، ورأيتِ شقيقتي، أخبريها أنني أنقذتك. ستستمتع بذلك“.

- انتظر، ألن تأتي معنا؟

غادر آرجان دون أن يجيبها، لأن الإجابة واضحة. لقد عقد صفقة مع ديفان. ستة أشهر مقابل وجه. ليس عليه أن يصبح أفضل صديق لديفان، عليه فقط الالتزام بجانبه من الصفقة. وما دام يلعب دور الخادم الأحمق، فلن يشك ديفان أبدًا أنه وراء ما حدث اليوم. بالنسبة إلى آرجان سكينر، الغباء أفضل تمويه.

ومع اختفاء جميع الهاربين من التفكيك، لم يلحظ ديفان حتى أن آرجان قد خنق نيلسون.

***

63 - ديفان

في خلال سنوات عمله بتجارة لحوم البشر، واجه ديفان أوماروف العديد من المواقف السيئة. المشترون ذوو الطباع الخطرة الذين يصعب إرضاؤهم. المنافسون معدومو الضمير الذين اضطر إلى القضاء عليهم. وطبعًا مخيم «داه زي»، الذي يشكل تهديدًا مستمرًّا لأعماله ورفاهيته الشخصية. انتصر ديفان على كل هذه الأشياء، وتمكن من البقاء رجلًا نبيلًا. عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع الشدائد، يعرف ديفان أن الموضوعية الهادئة ستنقذ الموقف دائمًا. صحيح أنه فقد أعصابه عند وفاة ستاركي، لكنه عازم على ألا تحكمه عواطفه اليوم.

استوعب الصورة الكبيرة. الصبية يركضون في كل مكان. طاقمه الأرضي يطاردهم. نصف الصبية عبر السياج فعلًا.

قال ديفان: "دعوهم يذهبوا"، ثم كرر بصوت أعلى: "**دعوهم يذهبوا!**".

التفت إليه حارسه الشخصي، وقال مرتبكًا: "لكنهم يهربون".

قال ديفان: "لماذا نطارد الفضة، عندما يوجد لدينا ذهب لننقله؟".

توجه إلى خادمه، الذي يراقب المشهد بعجز أحادي العين. كل ما استطاع ديفان فعله هو ألا يصفعه، وصاح به: "سكينر! اذهب وساعدنا

في جمع الصبية الذين تمكنا من تخديرهم، وأعدهم إلى مكانهم بالطائرة. أما الباقون، فلم يعد أمرهم يعنينا".

ثم نظر إلى أسفل ليرى نيلسون متكومًا على الأرض، فسأل: "ماذا حدث له؟".

قال سكينر: "لا أعرف. لا بد أن رصاصة تهدئة قد أصابته".

حسنًا، نيلسون لا يعنيه أيضًا. سأل خادمه: "ماذا تنتظر؟ ابدأ العمل!".

انطلق سكينر، وركز ديفان انتباهه الكامل على العمل الحقيقي لهذا اليوم. أشرف على إزالة مبردات الحفظ النشطة، مع الانتباه الشديد إلى تلك التي تحمل علامة (LOt 4832). إنها أغراضه باهظة الثمن. أجزاء كونر لاسيتر المختلفة والمتنوعة.

لم يسترخِ إلا عندما انتهى تحميل جميع الصناديق على الطائرات المتجهة إلى المشترين. ذكر سكينر استعادة تسعة عشر من أصل مئة وسبعة عشر مفككًا، وأنهم قد عادوا إلى الداخل. أما بالنسبة إلى المفككين المفقودين، فقد يسببون ألمًا لديفان في تلك اللحظة، لكنهم لن يتسببوا في كارثة مطلقًا. رحلة واحدة حول العالم، وسيملأ موردوه عيادة حصاده مرة أخرى. نظر ديفان حوله، فبدا له أن كل شيء على ما يرام. اصطفت الطائرات النفاثة الأصغر استعدادًا للإقلاع، ورغم أن سيارة نيلسون ما زالت هناك، فإن صاحبها تعذرت رؤيته في أي مكان. لم يكلف ديفان نفسه عناء البحث عنه. لقد انتهى عمله هنا. أمسك كتف سكينر، قائلًا: "أحسنت. والآن من فضلك جهز لي الحمام".

سارع سكينر بصعود الدرج لتنفيذ الأمر، لكن قبل أن يصعد ديفان بدوره إلى الطائرة، أخذ يفكر لحظة في الأحداث التي وقعت للتو. من الواضح أنه تخريب متعمد نفذه مخيم «داه زي». لا شك في ذلك. هذا

يعني وجود خائن وسط طاقمه. هذه هي القشة الأخيرة من وجهة نظر ديفان. إذا أراد القائمون على «داه زي» الحرب، فسيحصلون عليها. سيجند ميليشيا من المرتزقة المهرة ويقاتلهم حتى الموت.

ولكن في هذه الأثناء، يجب عليه التعامل مع الخائن، وهو واثق تمامًا من هويته. إن الطبيب هو الوحيد الذي لديه حق الوصول إلى عيادة الحصاد، سواء في اليوم الذي مات فيه ستاركي أو اليوم. يفخر ديفان بمكافأة الولاء والعمل الجاد. ومع ذلك، يجب مواجهة الخيانة والتخريب بإجراءات سريعة وحاسمة. لا وقت لصنع بونساي هذه المرة. لذا، فقبل أن يستقل الطائرة، طلب الآتي من حارسه الشخصي: "أريدك أن تفصل الطبيب من عمله لديَّ، اعتبارًا من الآن".

كرر حارسه: "فصله من العمل؟ هل أستخدم رصاصات التهدئة؟".

قال ديفان: "رصاصات التهدئة مخصصة للصبية الهاربين من التفكيك وغيرهم من الأشقياء، لكن الطبيب يحتاج إلى شيء دائم. ما محطتنا التالية، كوريا؟ سنستقبل طبيبًا جديدًا هناك".

ثم صعد ديفان -الذي يكره العنف- إلى الطائرة، وهو سعيد لأنه ترك حارسه يهتم بهذا بالأمر، ما دام سيفعل ذلك في غيابه.

***

64 - نيلسون

بعد خنقه، غاب نيلسون عن وعيه لمدة عشرين دقيقة كاملة. الآن لم يعد على ممر الطائرات، ولا في أي مكان مألوف على الإطلاق. استعاد وعيه، ليجد نفسه مستلقيًا في مساحة خانقة أكبر من التابوت، لكنها أسوأ بكثير.

قال صوت كمبيوتر مَرِح: "مرحبًا، أيها الأحمق القذر. أهلًا بك في تجربة تقسيمك! أنا نظامك الذكي الآلي بالكامل، لكن يمكنك أن تدعوني يونيس".

- لا! لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا!

حاول رفع ذراعيه وساقيه، لكنهم لم يتحركوا. ارتدى الحلة الرمادية المعدنية نفسها التي ارتداها المفككون. الآن فقط أدرك أنها مصنوعة من خيوط معدنية، وأنه مثبت مغناطيسيًّا في مكانه.

- قبل أن نبدأ، أيها الأحمق القذر، لدي بعض الأسئلة حتى نجعل هذا انتقالًا سلسًا وإيجابيًّا إلى الحالة المنقسمة.

- أيوجد أحد هناك! أخرجوني من هنا!

استطاع إمالة عنقه بما يكفي لرؤية شخص ينظر من خلال النافذة الصغيرة لغرفة التفكيك، فصاح: "ديفان، أهو أنت؟ ساعدني أرجوك!".

قال يونيس: ”في البداية، دعني أتأكد من مستوى راحتك. من فضلك، قيِّم مستوى راحتك الحالي على مقياس من واحد إلى عشرة، حيث عشرة هو الأقل إزعاجًا“.

وهنا، أدرك نيلسون -بما يتجاوز الانزعاج- من هو المراقب.

صرخ: ”آرجان! آرجان، لا يمكنك فعل هذا!“.

لكن آرجان لم يجبه سوى بنظرة جامدة.

قال يونيس: ”أعتذر، لم أفهم ذلك. من فضلك، قيِّم مستوى راحتك الحالي على مقياس من واحد إلى عشرة، حيث عشرة هو الأقل إزعاجًا“.

- سأفعل أي شيء يا آرجان! سأعطيك أي شيء!

لكن نيلسون يعرف ما يريده آرجان. إنه يريد النصف الأيمن من وجهه مرة أخرى. الآن.

قال يونيس: ”حسنًا.. سأفترض أنك تشعر بالارتياح بدرجة كافية. أرى أن أدوات التحكم لديَّ معدة للتفكيك السريع دون استخدام بلازما التخدير. هذا يعني أنه يمكننا البدء على الفور!“.

أطلق الذعر الأدرينالين في جسده كله، فارتجف وصرخ: ”ماذا؟ ما هذا؟ انتظر. توقف! توقف!“.

- أخشى أيها الأحمق القذر، أنك من دون تخدير، ستشعر بعدم راحة شديد، بدءًا من معصميك ومرفقيك وكعبيك وركبتيك، ثم سينتقل الإحساس بسرعة إلى الداخل. هذا أمر طبيعي تمامًا بالنسبة إلى إعدادات الجهاز الحالية.

عندما بدأت العملية، نظر نيلسون بثبات إلى عين آرجان اللامبالية، وأدرك فجأة أنه لن يفككه فحسب، بل سيشاهد أيضًا كل دقيقة من هذه العملية. وسيستمتع بذلك.

قال يونيس: ”لإبعاد ذهنك عن الانزعاج، يمكنني أن أعرض لك مجموعة متنوعة من المناظر الطبيعية. يرجى الاختيار من بين ما يلي: التحليق فوق الجبال، أو هدوء المحيط، أو المناظر الطبيعية النابضة بالحياة في المدينة، أو معالم العالم“.

لكن كل ما صدر عن نيلسون صرخة حادة ومرعبة.

قال يونيس: ”أعتذر، هذه ليست إجابة صالحة“.

***

65 - بث إذاعي

”هنا إذاعة هايدن الحرة، نبث على الهواء مباشرة مرة أخرى، حتى طردنا من المحطة. اليوم لديَّ شيء خاص لأشاركه مع المستمعين. يأتي هذا من مقال في صحيفة وطنية كبرى. ظهرت مقالات أخرى مثله مطبوعة وعلى الإنترنت في كل مكان هذا الصباح. دفنت بعض الصحف القصة -طبعًا- في الصفحة الثانية عشرة بجوار إعلانات بيع المراتب، لكن تحية لمن نشروها على الصفحة الأولى، بعنوان لطيف، كهذا:

”أراباتشي تمنح حق اللجوء للمفككين“

بإجماع أصوات مجلس قبيلة أراباتشي أمس، أعلنت أثرى قبائل شعب المحظوظين وأكثرهم نفوذًا في البلاد رسميًّا أنها ستمنح ملاذًا وحماية لجميع المفككين الذين يسعون إلى البقاء مكتملين. صرح متحدث باسم سلطة الأحداث أنهم لا يعترفون بحق القبيلة في منح الملاذ للمفككين، وتعهد باستعادة أي مفكك هارب من أراضي أراباتشي. رد تشال تاشين، محامي القبيلة، قائلًا: ”يجب اعتبار أي غزو من قِبل سلطة الأحداث على أرض قبلية ذات سيادة بمنزلة حرب ضد شعب أراباتشي، وسنرد عليه بقوة مميتة“.

بغض النظر عن الجانب الذي تتبناه، عليك أن تعترف بأن الأمر استغرق الكثير من الشجاعة من إحدى قبائل شعب المحظوظين للمخاطرة بكل شيء. لو أن سلطة الأحداث تعتقد أن قبيلة أجدادها من المحاربين العظماء سترتجف خوفًا، فالمفاجأة ستصبح من نصيبها.

لذا، فإننا نهدي أغنية هذا الأسبوع -كما تعلمون- إلى أصدقائنا في أراباتشي. نأمل أن نرى واحدًا أو اثنين منكم في تجمعنا في نوفمبر. ولكن حتى ذلك الحين...

"إنك موجود... في أعماقي".

***

66 - كام

تضفي شجيرة الراهب الأرجوانية الرائعة لمسة جمالية على الحدائق المزخرفة في مجمع مولوكاي التابع لمؤسسة المواطنة الاستباقية. يرتدي البستانيون قفازات، ليس فقط لحمايتهم من أشواك شجيرات الورد، لكن أيضًا بسبب شجيرة الراهب، التي يعرفون أنها ملأى بالـ «أكونيت»، وهو سمٌّ قاتلٌ يوقف عمل الجهاز التنفسي. جذور النبات هي الأخطر، وبخاصة عند غليها وتقطيرها إلى سم مركَّز.

مرة أخرى، هزم كامو كومبري نظام الأمن في مجمع مولوكاي من خلال النقر على جهاز الكمبيوتر الأمني على الجانب الخطأ وجعله ينظر في الاتجاه الآخر. لقد جاء الليل الآن. الوقت ليس متأخرًا للغاية؛ الساعة العاشرة تقريبًا، لكنه متأخر بما يكفي لخفض النشاط في مبنى الأبحاث الطبية إلى أدنى حد. لم يكتشفوا قط كيف اخترق نظام المراقبة بالفيديو في المرة الأولى، لذلك فعلها مرة أخرى، الآن يتجه إلى هدف مختلف.

لقد أخَّر إشارة بث الكاميرات لمدة خمس عشرة دقيقة. إنها المدة التي يجب أن يُنهي فيها عمله، قبل أن يرى أحدهم ما يجري.

تسلل إلى جناح المُجمَّعين في مرحلة ما قبل الوعي دون أن يلاحظه أحد، وحمل في يده حقيبة بها محقنات وقوارير من إكسير «الأكونيت» الخاص. عند حقنه مباشرة في منفذ خطوط محاليلهم الوريدية، سيموتون في غضون دقيقة. قدَّر كام أن الأمر سيستغرق اثنتي عشرة دقيقة لقتل الخمسين جميعًا.

ظن كام أنه يسيطر على كل شيء. شعر بالثقة في أن خطته لا يمكن أن تفشل. لكنه ارتكب خطأً فادحًا. فبدلًا من البدء من الطرف البعيد للغرفة، حيث يوجد أحدث المُجمَّعين، الذين ما زالوا ملفوفين بضمادات ثقيلة وغائبين عن الوعي، بدأ بأولئك الأقرب إلى الباب، الذين أُزيلت عنهم الضمادات، وقطع المُجمَّعون شوطًا كبيرًا على طريق الاكتمال، شوطًا كبيرًا للغاية.

فيما يملأ المحقن الأول بالسائل القاتل، تصادف أن نظر إلى المُجمع الراقد أمامه.

ففوجئ بالمُجمَّع يبادله النظرات، ويتأمله في يقظة ورعب، كأرنب قبل لحظة من انطلاقه هاربًا. شعر كام وكأنما عينا المُجمَّع غير المتطابقتين قد نوَّمتاه مغناطيسيًّا. إحداهما خضراء، والأخرى بنية داكنة جدًّا، تكاد تصبح سوداء. خطوط الندوب على وجهه تشبه طرق المدينة القديمة، عشوائية، ولا معنى لها. يداه، إحداهما سيينا، والأخرى آمبر، تختبر مدى قوة القيود التي تربطه بالسرير.

قال متوسلًا: "الذبابة؟ الذبابة؟ في شبكة العنكبوت؟ الذبابة؟".

قد لا يبدو هذا منطقيًّا لمعظم الناس، لكن كام يعرف الطريقة التي اعتاد أن يفكر بها في الماضي. إنه يفهم الروابط الغريبة التي يصنعها دماغه المرقَّع من أجل التواصل، وذلك بالقفز فوق الحواجز الخرسانية،

والتشبث فقط بالانطباعات، والاستعارات. من بين اللغات العديدة التي يعرفها كام، جاءت هذه اللغة أولًا. اللغة الداخلية للعقل المُجمَّع.

عرف كام المرجع الذي استخدمه المُجمَّع. إنه فيلم قديم. رأس رجل على جسد ذبابة. قالت الذبابة ذات الرأس الآدمي فيما تقاوم بعد السقوط في شبكة العنكبوت: "ساعدني، ساعدني، ساعدني"، لكنها التُهِمَت.

قال له كام: "نعم. إنني هنا لمساعدتك.. بطريقة ما".

ضغط الهواء خارج المحقن، فتدفق السائل السام الموحل قليلًا من طرف الإبرة. وجد منفذ الحقن واستعد لإنهاء حياة هذا المُجَمَّع المسكين.

قال المُجَمَّع: "سِرْ في الغابة. أخبرتك أن ترتدي سروالًا طويلًا. سائل وردي في كل مكان".

قال له كام: "نعم، إنك تشعر بالحكة، لكنها ليست بسبب نبات اللبلاب السام. يؤسفني أنك تشعر بالحكة في كل مكان. هذه طبيعة الأمور".

ثم تشكلت دمعة في عين المُجَمَّع الداكنة، تدفقت على تلال الندبة الخشنة الطويلة بعرض وجهه، حتى انسكبت في أذنه، وقال: "ظهر قميصي؟ بطاقة في حافظتي؟ هناك، على كعكة عيد الميلاد، باللون الأزرق؟".

قال كام في غضب أدهشه: "لا! لا، لا أعرف من أنت. لا يمكنني أن أخبرك باسمك. لا أحد يمكنه ذلك!".

وجد يده التي تحمل المحقن قد بدأت ترتجف. من الأفضل أن يفعلها بسرعة. فليُنهِ الأمر الآن، لماذا ينتظر إذن؟

- الذبابة... الذبابة...

أصبح اليأس والعجز المطلق في عينَي المُجَمَّع أكثر مما يمكن لكام تحمله. إنه يعرف ما يجب فعله.. لكنه لا يستطيع أن يفعله. لا يمكنه ذلك. أبعد المحقن، ووضع عليه الغطاء، غاضبًا من شفقته، وتساءل: "أهذا يعني أنني مكتمل حقًّا؟ هل الشفقة فضيلة من فضائل الروح؟".

ثم قال للمُجَمَّع: "لا بأس. لن يمسك بك العنكبوت".

اتسعت عينا المُجَمَّع قليلًا، ليس خوفًا، بل أملًا، وسأله: "الذهاب إلى المنزل؟ تسجيل النقاط؟".

قال له كام: "نعم. أنت في أمان".

***

67 - روبرتا

أحيانًا يجب أن نقتل أطفالنا. إنه مبدأ أساسي لكل مسعى إبداعي أو علمي. إذا ارتبطتَ بجانب واحد من جوانب عملك، فإن هذا قد يعرضك لخطر الإخفاق. هذه نتيجة السعي خلف الأشجار وعدم القدرة على رؤية الغابة.

تزعزع الأمل في مستقبل كام منذ ذلك الاجتماع المزعج الذي عقداه مع كوب وبوديكر في واشنطن. الاجتماع الذي اتسم فيه كام بالعنف -إن لم يكن في العمل، ففي الفكر- ورغم تظاهرهما بتصديق القصة الكاذبة حول احتجاز كام في مولوكاي طوال هذا الوقت، فإن روبرتا تشك في وجود جاسوس بين الموظفين أبلغ السيناتور والجنرال أن كام قد هرب.

قال لها بوديكر في وقت سابق اليوم: "لقد قررنا أن ذلك "الشيء" غير مستقر نفسيًّا للغاية ولا يناسب أهدافنا".

إنه يشير دائمًا إلى كام بوصفه "شيء" غير عاقل، وهو ما أزعج روبرتا دائمًا، لكنها بدأت الآن تفهم تفكيره العملي بشدة.

أضاف بوديكر: "إننا نفضل توجيه استثمارنا كاملًا إلى قوات المشاة المعاد تجميعها". هذا هو التعبير المخفف الذي يستخدمه بوديكر لوصف جيش المُجَمَّعين الذي طلبت قيادات الجيش صنعه. وفهمت

روبرتا أن قوات المشاة المعاد تجميعها سوف تُقدَّم بعناية إلى الجمهور باعتبارها «فريق موزاييك»، وهو مصطلح ألطف لتقديم قوات المُجَمَّعين بطريقة أكثر جاذبية.

أما بالنسبة إلى كام، فهو كإصبع قدم مغموسة في ماء حوض الاستحمام الساخن. لقد فُتِنَ به العامة، بل وأصابهم الذهول أيضًا. وبفضل كام، أصبح العامة يشعرون بأن الماء جيد وحرارته معتدلة. والآن كل ما تبقى هو إدخالهم إلى حوض الاستحمام بتدابير محسوبة، خشية أن يترددوا في مواجهة الحرارة. وبفضل هذا التنظيم الماهر، سيصبح فريق «موزاييك» جانبًا مقبولًا من جوانب الجيش، دون أن يدرك أحد على وجه التحديد كيف حدث ذلك.

قال بوديكر لروبرتا: "أنت تستحقين الثناء على رؤيتك الثاقبة، لكن كامو كومبري لم يعد جزءًا من معادلتنا. لقد انتهت مهمته".

لم تعرف روبرتا لماذا تشعر بهذا الندم. إنها طبيعة كل شيء. يجب أن يفسح الاختبار التجريبي دائمًا المجال أمام المنتج النهائي. صحيح أن المنتج النهائي له مميزات ووظائف أقل، لكن لا ينبغي أن يثير هذا قلقها. يجب دائمًا إجراء التعديلات العملية.

وهكذا، عندما اتصل بها رجال الأمن في ذلك المساء لإبلاغها بأن كام تمكّن مرة أخرى من اقتحام وحدة التجميع، أصبح مسار عملها واضحًا. ارتدت سترة من الكتان، ثقيلة للغاية ولا تناسب الحرارة الاستوائية، لكنها تحتوي على جيب خارجي عميق يكفي لإخفاء أي عدد من الأشياء. تعرف روبرتا ما يجب عمله. لن يكون هذا سهلًا بأي حال من الأحوال، لكنه ضروري، وكيف توصف بصاحبة رؤية ثاقبة، إذا لم تتخذ كل الخطوات اللازمة لتنفيذ رؤيتها؟

وصلت روبرتا إلى مبنى التجميع، لتجد العديد من الحرس وفنيي التكنولوجيا الطبية يقفون حول باب جناح إعادة التأهيل في حرج. وحال رؤيتها قادمة، تراجعوا جميعًا بعيدًا عن الباب.

سألتهم: "ما الوضع؟".

قال أحد فنيي التكنولوجيا الطبية: "إنه يجلس هناك فحسب". وعندما رأى تعبير وجهها المعبر عن الشك، أضاف: "انظري بنفسك".

نظرت من خلال النافذة الصغيرة في الباب المغلق. من المؤكد أن كام يجلس على الأرض في منتصف الغرفة الطويلة، وذراعاه ملفوفتان حول ركبتيه، ويتأرجح برفق ذهابًا وإيابًا. أخرجت بطاقتها الخاصة لفتح الباب.

قال أحد الحرس: "لا فائدة. لقد أُغْلِقَ الباب أمام الجميع".

ومع ذلك، مررت بطاقتها، ففُتِح قفل الباب. قالت: "لقد أغلق الباب بالنسبة إليكم جميعًا. عودوا إلى مواقعكم. سأتولى هذا الأمر".

بدا واضحًا أنه ينتظرها، وحدها. على مضض، غادر الآخرون، فدفعت الباب وخطت بحذر إلى الداخل.

غمرت الغرفة ضوضاء رتيبة ثابتة تصدر عن أجهزة المراقبة الطبية، إضافة إلى صوت أجهزة التنفس الاصطناعي المتصلة بالمُجَمَّعين الجدد الذين ما زالوا متصلين بالأنبوب التنفسي. فاحت من الغرفة رائحة مطهر البيتادين، ورائحة الخل الغامضة المتصاعدة من الضمادات التي تأخر تغييرها. يجب أن تتذكر معاقبة الممرضات وفنيي التكنولوجيا الطبية.

نادته بلطف وهي تقترب منه: "كام؟".

لم يجبها. حتى إنه لم ينظر إلى أعلى.

عندما اقتربت منه، رأت الحقيبة بجواره، ومحقنًا على الأرض به سائل معتم. الإبرة مغطاة. للحظة خشيت الأسوأ، ونظرت حولها إلى أجهزة المراقبة. لم تجد أي اضطراب ظاهر على الأجهزة الطبية، لكن ربما سيطر على أجهزة مراقبة العلامات الحيوية أيضًا.

هنا -وكأنه يقرأ أفكارها- قال: "لم أستطع قتلهم. لقد أتيت إلى هنا لأقتلهم، لكني لم أستطع".

أدركت ضرورة التعامل معه بحذر، وبمنتهى الحساسية واللطف. قالت: "لا يمكنك ذلك طبعًا. إنهم إخوتك روحيًّا. إنهاء حياتهم يعتبر بمنزلة إنهاء حياتك أنت".

ردد: "روحيًّا؟ لم أتصور أن هذه الكلمة جزء من معجمك".

قالت له: "أنا لا أنكر وجود شرارة الحياة، لكن مناقشة ماهية تلك الشرارة وما تعنيه يمكن أن يستمر إلى الأبد".

نظر إليها أخيرًا، وقال متوسلًا بعينين حمراوين: "نعم، أعتقد ذلك. أعرف أشياء كثيرة لا أريد أن أعرفها. هل يمكنك محوها من ذاكرتي، كما فعلتِ مع الفتاة؟".

- هذا يعتمد على طبيعة الأشياء التي تعنيها.

قال لها: "إنني أتحدث عن المواطنة الاستباقية، وحقيقتها. لقد اخترقتُ شبكة الكمبيوتر الخاصة بها، وعرفت كل شيء. أعلم أن منظمة المواطنة الاستباقية تسيطر على سلطة الأحداث. وأنهم يريدون توسيع نطاق التفكيك حتى يمكن استخدام أجزاء كل هؤلاء الصبية المحكوم عليهم بالإعدام، لتجميع هذا الجيش الذي تصنعونه".

تنهدت روبرتا، وقالت: "إننا لا نسيطر على سلطة الأحداث، لدينا نفوذ كبير فحسب".

قال كام: "إننا؟ لقد عدتِ إذن إلى استخدام ضمير "نحن" مرة أخرى، وليس "هم". لا بد أنكِ قد خرجت من المطهر الاستباقي".

قالت له: "لطالما كنتُ موضع تقدير يا كام. إن عملي يتحدث عن نفسه، دائمًا".

سألها: "هل يشمل عملك المصفقين؟ إنك تعلمين أن منظمة المواطنة الاستباقية هي التي صنعتهم أيضًا، أليس كذلك؟".

علِمَت أن إنكار ذلك لن يؤدي إلا إلى إحداث شرخ في علاقتهما، وهي الآن بحاجة إلى هذه العلاقة. إنها بحاجة إلى أن يثق بها دون قيد أو شرط. لذلك انتهكت جميع البروتوكولات، وأخبرته الحقيقة.

- أولًا وقبل كل شيء، هذا ليس قسمي. وثانيًا، إننا لم نصنعهم. لقد فجَّر المصفقون أنفسهم قبل فترة طويلة من أي علاقة لنا بهم. إن المواطنة الاستباقية لا تمنحهم سوى المال والتوجيه. ونحن نشكل عنفهم لتحقيق غرض ما، لخدمة الصالح العام.

هز رأسه موافقًا، حتى إن لم يتفق تمامًا، وقال: "توجد بلا شك سوابق تاريخية للتلاعب بالعامة باستخدام الخوف".

- أُفضِّل أن أرى ذلك كتوعية للناس، وفتح أعينهم كي يواصلوا رؤية أهمية التفكيك.

خفض كام عينيه مرة أخرى، وهز رأسه ببطء، قائلًا: "لا أريد أن فتح عينيَّ ـ أريدهما مغمضتين. لا أريد أن أعرف أي شيء من هذا. رجاءً، هل يمكنك أن تخدعيني مرة أخرى يا روبرتا؟ هل يمكنك أن تعطيني دودة جديدة تجعل كل هذا يختفي من عقلي؟".

جلست إلى جواره وأحاطت كتفه بذراعها، وضمته إليها، قائلة: ”يا لك من مسكين يا كامو! إنك تعاني ألمًا شديدًا. سوف نجد طريقة حتى يختفي هذا الألم“.

أراح رأسه على كتفها، وشعرت بارتياحه. إنه كما ينبغي أن يكون. كما تريد بالضبط.

قال لها: ”شكرًا لك يا روبرتا. أعلم أنك ستعتنين بي“.

مدت يدها إلى جيب سترتها، قائلة: ”ألم أفعل ذلك دائمًا؟“.

قال: ”أعلم أنك بجانبي دائمًا. عندما ضلت أفكاري، أصلحتِها. عندما هربت، وجدتِني وأعدتِني إلى المنزل“.

- وأنا هنا من أجلك الآن.

قالتها وهي تخرج مسدسها. المسدس الذي تحتفظ به دائمًا على الطاولة الجانبية المجاورة لفراشها، لكن حتى الآن، لم تحتج قط إلى استخدامه.

- عديني أنكِ ستصلحين كل شيء.

- أعِدُك يا كام.. أعِدُك.

ووضعت فوهة المسدس على جبهته، وهي تعلم أن هذا سيصلح كل شيء.

ثم ضغطت على الزناد.

***

68 - كام

لم يعرف كام على وجه اليقين كيف سينتهي الأمر، حتى رأى وميض المسدس المعدني عندما أخرجته من جيبها. الآن، فيما تتحدث إليه محاولة تهدئة أعصابه، وتضع المسدس على جبهته، أغمض عينيه. راوده الشك في أن الأمر قد يصل إلى هذا الحد، لكنه لم يرغب في تصديق ذلك. لكن الآن ليس لديه خيار. لقد اتخذ قراره. لن يوقفها. لن يقاوم. سيتركها تكمل نيتها القاتلة.

ضغطت على الزناد، لكن بدلًا من خروج طلقة نارية من المسدس، صدر صوت "تكة" خافتة غير ضارة. ومع ذلك، مزق الصوت الصغير العاجز دماغ كام بفاعلية الرصاصة نفسها. لقد خذلته روبرتا. لم يشعر بالدهشة، لكن بخيبة أمل عميقة.

وقبل أن تتاح لروبرتا فرصة إصدار رد فعل، انتزع المسدس من يدها.

- أتظنين حقًّا أنني محطم ومثير للشفقة لدرجة تجعلني أجلس هنا مستسلمًا، وأتركك تقتلينني؟

نهض واقفًا، فيما جلست روبرتا -التي فقدت توازنها- في وضع القرفصاء القاتل، فتعثرت، وكُسِر كعب فردة حذائها، قبل أن تنهض لمواجهته.

- لم يحمل مسدسك رصاصات حقيقية منذ وصولنا إلى هنا. لقد حرصتُ على ملئه بذخيرة مزيفة.. مثلك.

- أرجوك يا كام، دعني أشرح.

قال لها: "لا داعي لذلك. أفعالك تتحدث بصوت أعلى من أكاذيبك، إنها تفعل ذلك دائمًا. لكن يوجد ما أريد شرحه لك".

لوح بالمسدس، واستخدمه للإشارة إلى أرجاء الغرفة، مضيفًا: "هذه الغرفة ملأى بكاميرات المراقبة. لو لاحظتِ، فقد أُعِيد وضع العديد منها في هذا المكان بالذات، مما يوفر زوايا تصوير مختلفة لما حدث هنا للتو. باقي الكاميرات ما زالت موجهة إلى المُجَمَّعين... وكل كاميرا تبث الآن مباشرة إلى عامة الناس".

لهثت بصوت مسموع، لكنها لم تنبس ببنت شفة. روبرتا جرايسوولد لا تتكلم! من الرائع رؤيتها صامتة، حتى إن كام ابتسم، وشعر بكل غرزة في وجهه تنتفض بنشوة الانتصار.

- لقد تأكدتُ فعلًا أن وسائل الإعلام التقطت البث. وطبعًا، ليس من الجيد بث فيديو صامت فقط. لهذا، أعددت هاتفك لبث الصوت أيضًا. كل ما قلتِه للتو -عن إنشاء المواطنة الاستباقية هذا الجيش وحول كيفية تمويلها و"توجيهها" للمصفقين- أصبح الآن معروفًا للعامة، ويسمعه الآلاف، وربما الملايين من الناس، فيما نتحدث. لقد أردتِ أن تصلي إلى العالم بعملكِ. حسنًا يا أمي العزيزة اللطيفة، لقد نجحتِ في ذلك للتو.

فتحت فمها وأغلقته عدة مرات، كسمكة ذهبية قفزت من وعائها، ثم قالت أخيرًا بصوت مرتجف: "إنني لا أصدقك. لستَ مخادعًا إلى هذا الحد!".

اعترَفَ: "لم أكن كذلك في البداية، لكني تعلمت منك". نظر إلى المُجَمَّعين المصطفين على جانبيهما، وأضاف: "لم أستطع قتلهم، لكن ليس من الضروري أن يموتوا لقتل البرنامج، أليس كذلك؟".

في هذه اللحظة رن هاتفها.

غمز لها كام، وقال: "لقد بدأ فعلًا رد الفعل العنيف. هيا، ردي على المكالمة، التي ستُبَث على الهواء مباشرة أيضًا، وأثق أن الكثير من الناس يتابعون البث ويريدون سماع ما يريد رؤساؤك قوله في هذا الشأن".

أخرجت هاتفها وتحققت من الرقم. لم يعرف كام هوية المتصل، لكن أيًّا كان، فلا بد أن هذا الأمر يرعبها، لأنها أسقطت الهاتف وسحقته تحت كعب حذائها السليم.

قال كام وقد رفع حاجبه: "انتهى البث، لكن لا بأس، لقد وقع الضرر فعلًا".

استغرق لحظة لإخراج خزانة الرصاصات الفارغة من المسدس، ثم أخرج من جيبه أخرى جديدة ملأى بالرصاصات الحقيقية. وضعها في مكانها، فأحدثت صوتًا مرضيًا أكثر من الصوت الضعيف، الذي صدر عندما وضعت روبرتا المسدس على جبهته.

- هل تسمعينه ينهار يا روبرتا؟ ليس عملك فحسب، بل تلك الأعمدة المرمرية التي تحمل المواطنة الاستباقية، تلك المنظمة التي أصابكم جميعًا الغرور الشديد لدرجة الاعتقاد أنها لن تسقط أبدًا؟ وكل ذلك بسببك. لا أستطيع حتى أن أتخيل ما سيفعلونه بكِ. ليس عامة الناس فحسب، بل شركاؤك في المواطنة الاستباقية أيضًا.

ثم ألقى إليها المسدس المملوء بالرصاصات، مضيفًا: "لكنك محظوظة. ما زالت تلك الكاميرات تبث، مما يعني أن العرض لم ينته بعد"، ثم أومأ برأسه. لا شماتة بعد ذلك. لقد أقر الآن رسميًّا بمسؤوليتها النهائية تجاه العالم، وتجاه نفسها، وأنهى حديثه: "امنحيهم نهاية مناسبة يا روبرتا".

ثم استدار وسار نحو الباب دون أن ينظر إلى الخلف.

***

69 - روبرتا

راقبته وهو يرحل، لكن قبل أن يغادر مباشرةً، صوبت المسدس إلى مؤخرة رأسه. أمسكت به بثبات... لكنها لم تطلق النار. إذا قتلته الآن، فكل ما سيحدث هو أن يصبح الوضع أسوأ بالنسبة إليها.

لذا تركته يرحل. أغلق الباب، وبقيت وحيدة.

لا، ليست وحيدة، لأنها محاطة بثمار عملها. خمسون مُجَمَّعًا بشعًا لن يصبحوا الآن جزءًا من أي جيش. لن يقدمهم أحد إلى عامة الناس. لا يمكن لأي من خبراء العلاقات العامة إصلاح هذا الأمر وتجميله ليبدو أقل فظاعة مما هو عليه. سينظر الشعب إلى صنعهم كأمر فظيع، وليس كفرصة. سيتجنب الجميع هؤلاء المُجَمَّعين، وسيحتقرون روبرتا، وستتركها منظمة المواطنة الاستباقية تتعفن، هذا لو تركوها تعيش على الإطلاق.

أصاب كام عندما منحها المسدس. إنه بمنزلة عمل من أعمال الرحمة المريرة، لأن حياتها -بطريقة أو بأخرى- قد انتهت.

وهكذا، وفيما تراقبها أعين العالم، ركعت روبرتا جرايسوولد على ركبتيها، ووضعت فوهة المسدس على صدغها... وظلت على هذا الوضع.. طويلًا، إلى أن أدركت أن ما تفعله معدوم الفائدة. لا يمكنها استجماع

شجاعتها للضغط على الزناد. وبقيت هكذا إلى أن جاؤوا لاصطحابها، وجدوها راكعة على ركبتيها وقد امتصت موجات القلق والخوف طاقتها، وهي عاجزة عن إنقاذ نفسها من مصير أسوأ من الموت. مصير يطاردها وسينال منها بالتأكيد كموجات تسونامي تشق البحر.

***

70 - جرايس

- اسمي جرايس إليانور سكينر، لكن يمكنك أن تدعوني الآنسة سكينر، أو الآنسة جرايس، لكن استخدام كلمة "آنسة" إجباري من باب الاحترام، ويجب عليك أن تحترمني بسبب ما أحمله إليك.

جلس جون ريفكين -نائب مدير المبيعات- على كرسي مكتب جلدي كبير، ليس فاخرًا للغاية فتنبعث منه رائحة المال، بل تنبعث منه رائحة المكتب فحسب. ومكتبه لطيف أيضًا، لكنها أدركت أنه مُجمَّع بمفتاح ربط على شكل حرف "L". كل هذه أشياء جيدة في رأي جرايس. يجب أن تكون الشركة متعطشة للنجاح، لتصبح الخيار الصحيح.

بدا الرجل مستمتعًا بوجودها في مكتبه. لا بأس. لقد سمحوا لها بدخول مكتبه لأن مرؤوسيه ظنوا أن لقاءها سيمثل لحظة ترفيه وسط يوم ممل. إنهم لا يعلمون شيئًا عن حقيقة الأمر.

- أخبريني إذن، ماذا يوجد في الصندوق يا آنسة سكينر؟

بدأت جرايس تخرج القطع بعناية وتضعها مرتبة حسب الحجم على المكتب، من اليسار إلى اليمين. دار الرجل في مقعده، محتفظًا بابتسامة خفيفة. ربما ظن أن هذه مزحة عملية. لا بأس بذلك، ما دام يسمح بها.

قال جون ريفكين -نائب مدير المبيعات- مستخدمًا النبرة المتعالية التي يخصصها الناس للأطفال والبالغين المصابين بضعف القشرة الدماغية: "تبدو كأجزاء مكسورة من طابعة قديمة الطراز. بما أني لست من هواة جمع مثل هذه الأشياء، فأعتقد أنكِ ربما أتيتِ إلى المكان الخطأ".

- لا يوجد خطأ في الأمر. لقد أتيت إلى شركتك لوجود ست شركات أكبر وأنجح منها تصنع الآلات الطبية. لقد بحثت في الأمر.

بدا القليل من الدهشة على وجه الرجل، وسألها: "هل بحثتِ في الأمر؟".

- نعم، بحثت. وأيضًا -على عكس تلك الشركات الأخرى- لا تربط شركة «ريفكين للأدوات الطبية» أي علاقة بمنظمة المواطنة الاستباقية.

اعترف في انزعاج: "لا، لا تربطنا بها أي علاقات. وربما لهذا السبب نحتل المرتبة السابعة".

واصلت جرايس: "لقد أجريت بحثًا بشأنك أيضًا. الشركة تحمل اسمك -«ريفكين للأدوات الطبية»- لكن شخصًا لا يحمل اسمك أصبح الآن رئيسًا للشركة، مما يعني أنك تحارب من أجل هذه الوظيفة، وقد تحتاج إلى دفعة للترقي في السلم الوظيفي، أليس كذلك؟".

هنا، بدا عدم الارتياح على وجه الرجل، وصاح: "من الذي دفعك لفعل هذا؟ أهو بوب؟ إنه بوب، أليس كذلك؟".

- لا يوجد بوب، إنها أنا فحسب.

ثم أشارت إلى مجموعة الأجزاء المصفوفة أمامها، وأضافت: "هذه طابعة أعضاء. إنها مفككة نوعًا ما الآن، لكنها حقيقية".

استرخى جون ريفكين قليلًا، ومنحها ابتسامة ساخرة، قائلًا: "آنسة سكينر، لقد فُضِح أمر طباعة الأعضاء باعتبارها احتيالًا منذ سنوات. إنها فكرة لطيفة، لكنها لم تنجح".

همست: "هذا ما يريدون أن يعتقده الناس، لكن جينسون راينشيلد عرف الحقيقة".

فجأة، جلس منتصبًا، كطفل في أول أيامه بالمدرسة، وسألها: "هل قلتِ جينسون راينشيلد؟".

- هل سمعتَ به؟

- لقد سمع به والدي. إنه عبقري، لكنه جُنَّ، أليس كذلك؟

- أو ربما قاده البعض إلى هذا الطريق. لكن ليس قبل أن يصنع هذه الطابعة.

الآن أصبح جون ريفكين مهتمًّا. بدأ ينقر بقلمه على الطاولة، وأخيرًا فكر في أن جرايس ربما تستحق أن تؤخذ على محمل الجد، فسألها: "لو أن راينشيلد هو من صنع هذه، فلماذا توجد معكِ؟".

- حصلت عليها من أرملته. امرأة عجوز في أوهايو، أدارت متجرًا للتحف.

أمسك هاتفه.

- لا تتجشم العناء، لقد ماتت. حريق كبير. لكن من بين كل شيء في متجرها، عرفتُ أنها تريدني أن أنقذ هذه الطابعة، ففعلت. وأنا هنا لأعطيها لك.

مد يده إلى أحد الأجزاء، لكنه تردد، وسأل: "أتسمحين لي؟".

أومأت جرايس برأسها موافقة، فالتقط برفق أحد أجزاء الطباعة، وقلبه بين يديه لاستكشافه من جميع الزوايا، ثم عاد يسألها: "أتقولين إنها عمِلَت يومًا".

- لقد رأيت ذلك بنفسي، قبل أن تسقط مني الطابعة سهوًا على السلم.

ثم أخرجت من جيبها شيئًا سيحسم الأمر. كيس بلاستيكي صغير يحتوي على أذن متحللة، وأضافت: "لقد شاهدتها تصنع هذه".

نظر ريفكين إلى الأذن في رهبةٍ واشمئزاز، ومدَّ يده إلى الكيس.

حذرته جرايس: "ربما ينبغي ألا تخرجها من الكيس، لأنها لم تُحفَظ جيدًا".

سحب يده، وواصل التحديق إلى الكيس، فأضافت: "أراهن أنك تستطيع إصلاح الطابعة وصنع المزيد من هذه في جميع الأشكال والأحجام والألوان".

تأملته جرايس وهو يفحص الأذن وأجزاء الطابعة، وحتى الصندوق الفارغ. بالنسبة إلى رجل أعمال، لم يحمل وجهًا جامدًا. أدركت أنه يجري حساباته، قبل أن يسألها: "كم تطلبين مقابلها؟".

- ربما أمنحك إياها بلا مقابل.

تأملها لحظة، ثم ألقى نظرة على الباب وكأن أحدًا قد يراقبه، ثم دار حول المكتب، وجلس على المقعد المجاور لها مباشرة.

- جرايس...

- الآنسة جرايس.

- لو أن ما تقولينه صحيح يا آنسة جرايس، فيجب ألا تتنازلي عن الطابعة. سأخبرك شيئًا: سأسلمها إلى قسم البحث والتطوير

لدينا، ولو أن "الصفقة حقيقية ورابحة" -كما تقولين- فسأعطيكِ سعرًا عادلًا للغاية مقابلها.

تراجعت جرايس إلى الخلف واتكأت على ظهر مقعدها في رضا عنه، ورضا أكبر عن نفسها. ثم صافحته بقوة، قائلة: "تهانينا يا سيد جون ريفكين. لقد اجتزت اختباري".

- عفوًا؟

- لو أنك وقح بما يكفي لخداعي، لتركتك وغادرت، لكنك لم تفعل. هذا يعني أن شركتك تستحق الصعود إلى المرتبة الأولى. وإذا لعبت أوراقك بشكل صحيح، فسيحدث ذلك. ربما ستصبح رئيس الشركة أيضًا.

ثم أخرجت هاتفها، فأصيب جون ريفكين ببعض الارتباك، وسألها: "مهلًا.. بمن تتصلين؟".

قالت وهي تغمز بعينها: "بالمحامي.. إنه ينتظر بالخارج للتفاوض على الصفقة".

***

71 - البث

”هنا «راديو فري هايدن» الذي يبث من مكان نرى فيه الأبقار. هل أنا فحسب، أم إن مقاطع الفيديو الخاصة بمُجَمَّعي الجيش في هاواي تجعلك ترغب في تقيؤ كل الأعضاء التي ربما حصلت عليها من أشخاص مثلي؟ في حال فاتتك تلك المقاطع، فإليك مقطع صوتي قصير لما قاله الجنرال إدوارد بوديكر، رئيس المشروع، عن ذلك:

”«فريق موزايك» هو برنامج تجريبي للتأكد من جدوى إنشاء قوة عسكرية دون التأثير على موارد المجتمع من خلال استخدام الفائض من الأجزاء غير المخصصة وتجميعها“.

يا له من بيان مهم مثير للإعجاب! وبعد قليل من تصريحه بهذه الكلمات، قُدِّمَ إلى محاكمة عسكرية، وأصدر البنتاجون[1] بدوره البيان التالي:

”تلك المغامرة غير المصرح بها نتاج عمل الجنرال بوديكر، وحدثت دون علم أو موافقة الجيش الأمريكي. ولا شك في أن الأطراف المشاركة

(1) - البنتاجون: وزارة الدفاع الأمريكية. «المترجم».

-بما في ذلك الجنرال بوديكر والسيناتور بارتون كوب- ستخضع للتحقيق والملاحقة القضائية إلى أقصى حد يسمح به القانون".

يا للهول! الشظايا ما زالت تتطاير. لقد غطى الجيش عورته بالإنكار المقبول، وألقى باللوم في الأمر برمته على بوديكر -وهو ما قد يكون صحيحًا أو خاطئًا- لكن على الأقل لن يبحثوا عن قلة من المُجَمَّعين الجيدين الذين أُعيد تأهيلهم. ومع ذلك، فإن الفضل يُنسب إلى رجل مُجَمَّع -كامو كومبري- في فضح هذه الفكرة السيئة قبل أن تتجذر. لكن ماذا عن الفكرة السيئة التالية؟ يمكنني رؤيتها الآن، فئة كاملة من موظفي الخدمة المُجَمَّعين، مخصصة لأداء كل تلك المهام الصغيرة القذرة التي لا يريد أحد آخر عملها.

لو لم يكن هذا هو العالم الذي تريدون العيش فيه، فلنصنع بعض الضوضاء معًا! سأراكم في متنزه «ناشيونال مول» يوم الاثنين، الأول من نوفمبر. لكن لو قررتم ألا تنضموا إلينا في انتفاضتنا، حسنًا، ربما يكون التفكيك هو خياركم الأفضل. وأُنهي البث بأغنية الجميع المفضلة. وتذكروا أن الحقيقة ستبقيكم مكتملين".

"إنك موجود... في أعماقي".

***

72 - الغرباء

إنه محاسب يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا. اعتاد في الماضي ممارسة رياضة الجري لصالح جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، لكن بطنه ترهَّل وامتلأ بالدهون، وهي المتلازمة المرتبطة بالمهنة المستقرة. إنه الآن يركض بانتظام على جهاز المشي في صالة الألعاب الرياضية المحلية بجوار الغرباء، ولا يقترب أبدًا من أشجار النخيل خارج النافذة.

قال العدَّاء على جهاز المشي المجاور: "إنه أمر مجنون، أليس كذلك؟ أعني ذلك الفتى المسكين".

قال المحاسب لاهثًا، وهو يعرف ما يشير إليه الرجل بالضبط: "نعم، أتفق معك تمامًا. لقد سمعت عن ذلك، وكيف أطلقوا عليه النار ببساطة".

إنهما يتحدثان طبعًا عن ذلك الفتى العُشر المصفق -ليفي الذي لا يعرفان لقبه- الذي ظهر فجأةً بعد اختفاء طويل، ليطلق عليه رجال الشرطة النار. وما زالت نصف أجهزة التلفاز المعلقة فوق رأسيهما في صالة الألعاب الرياضية تعرض ما حدث بعد مرور أيام من الحدث الفعلي.

قال الغريب: "لو سألتني عن رأيي، سأقول إنه يجب التحقيق مع هيئة الأحداث بأكملها. يجب قطع الرؤوس الفاسدة".

- أتفق معك تمامًا.

ورغم أن واحدًا فقط من الضباط الثلاثة الذين أطلقوا النار عليه شرطي الأحداث، فإن هيئة الأحداث تتلقى اللوم كله على ذلك، وهذا هو العدل. على الشاشات بأعلى، عرضت أجهزة التلفاز احتجاجات مختلفة في أعقاب إطلاق النار. يبدو أن الناس يحتجون في كل مكان.

حاول المحاسب التقاط أنفاسه حتى يتمكن من طرح سؤال على زميله في العدو: "هل منحوه تلك الأعضاء أخيرًا؟".

- أتمازحني؟ إن هيئة الأحداث غبية، لكن ليس إلى هذا الحد.

في البداية، ولتهدئة الحشد الغاضب، وعَدَتْ هيئة الأحداث بمنحه الأعضاء اللازمة لإنقاذه، لكنها طبعًا كلها أجزاء من المفككين. أصبح الأمر أشبه بإلقاء البنزين على النار. أن يمنحوا صبيًّا يحتج على التفكيك أجزاءً من صبية آخرين فُكِّكُوا؟ فيمَ يفكرون؟

قال أحد العدائين على جانبه الآخر: "لا، سيبقونه متصلًا بكل أجهزة الإعاشة تلك، إلى أن ينسى الناس أمره، ثم يفصلون عنه الأجهزة بهدوء. يا لهم من أوغاد!".

- أتفق معك تمامًا.

قالها المحاسب، رغم أنه لا يعتقد أن الناس سينسون الأمر بهذه السرعة.

***

جلست امرأة في قطار ركاب متجه إلى شيكاغو لقضاء يوم آخر من الاجتماعات غير المجدية مع أشخاص مهمين يعتقدون أنهم يعرفون كل ما يجب معرفته عن العقارات.

لكن شيئًا غريبًا يحدث في القطار اليوم. شيء لم يسمع به أحد على الإطلاق في وسائل النقل العام. إن الناس يتحدثون. ليسوا أشخاصًا يعرفون بعضهم ويتجاذبون أطراف الحديث، بل غرباء تمامًا. في

الواقع، رفع غريب يجلس أمامها عينيه عن جريدته، وقال لأي شخص يستمع: "لم أتخيل قط أنني سأقول هذا، لكني سعيد بهجوم المصفقين أمس في وسط المدينة".

قالت راكبة بلا مقعد، تقف ممسكة بعمود: "حسنًا، لا يمكنني أن أقول بالضبط إنني سعيدة، لكني بالتأكيد لن أذرف أي دموع".

وأضاف آخر: "يجب أن يذهب كل من نجا من هذا الهجوم إلى السجن مدى الحياة".

بغرابة، وجدت الوكيلة العقارية نفسها مجبرة على المشاركة في النقاش، فقالت: "لا أعتقد حتى أنه هجوم حقيقي، بل زيفوه ليبدو كذلك. الكثيرون غاضبون بما يكفي ليرغبوا في تفجير المواطنة الاستباقية وإرسال شظاياها إلى عنان السماء".

قال آخر: "هذا صحيح. ولو أن المواطنة الاستباقية تسيطر على المصفقين، فلماذا تستهدف مقرها الرئيسي؟ لا بد أنها جهة أخرى!".

صاح شخص في مقدمة عربة القطار: "من فعل ذلك يجب أن يُمنح ميدالية".

قالت المرأة الواقفة: "حسنًا، العنف لا يمكن تبريره أبدًا، لكن كما تدين، تُدان".

واتفقت الوكيلة العقارية بالضرورة مع هذا الرأي، فالطريقة التي تلاعبت بها الجمعية الخيرية "المفترضة" بهيئة الأحداث، واشترت السياسيين، ودفعت الجمهور إلى دعم التفكيك، لم تترك مجالًا آخر للتفكير... شكرًا للسماء أن كل هذا قد انكشف قبل انتخابات هذا العام!

لم تستطع كبح جماح غضبها، فوجهت حديثها إلى الرجل المخيف الذي يرتدي سترة بغطاء رأس إلى جوارها، وهو الذي كانت لتتجاهل

وجوده قبل بضعة أيام: "هل رأيت صور أولئك المُجمعين البائسين الذين صنعوهم في هاواي؟".

هز الرجل رأسه في حزن، قائلًا: "يقول بعض الناس إنه يجب إعدامهم بالقتل الرحيم".

هذا الاقتراح جعل المرأة تشعر بعدم الارتياح، فجادلته: "ألا يتمتعون بحقوق؟ في نهاية المطاف، إنهم بشر، أليس كذلك؟".

- القانون يقول غير ذلك.

وجدت الوكيلة العقارية نفسها تمسك بحقيبتها بالقرب منها، وكأنها قد تُنتزَع منها، لكنها أدركت أن الحقيبة ليست ما تخشى فقده، وقالت: "إذن، فالقانون يحتاج إلى تغيير".

***

إن عامل البناء عاطل عن العمل منذ أشهر. جلس في مقهى يبحث في إعلانات الوظائف الشاغرة. أول مقابلة عمل له منذ أسابيع ستحدث هذا المساء. إنها مع شركة تعاقدت لبناء مخيم حصاد في ريف ألاباما. من المفترض أن يشعر بالسعادة، لكن مشاعره مختلطة. لماذا يحتاجون إلى بناء مخيم حصاد آخر؟ ألم تعلن إحدى الشركات للتو عن وجود طريقة لزراعة جميع أنواع الأعضاء؟ لو أن هذا صحيح، فلماذا تُمزَّق أوصال المراهقين؟ حتى لو أنهم يسيؤون الأدب؟

حاول أن يقنع نفسه: "إنها مجرد وظيفة، وسأغادر المكان قبل وقت طويل من تفكيك أي صبي هناك. ومع ذلك، سأصبح شريكًا صامتًا لسلطة الأحداث"... ربما لم يفكر في الأمر منذ أسبوع، لكن الآن؟!

على الطاولة المجاورة له، رفع رجل أكبر سنًّا رأسه عن حاسبه المحمول، وهز رأسه في اشمئزاز، قائلًا: "إنه أمر لا يُصدَّق!".

لم يعرف عامل البناء بالضبط عن أي شيء لا يُصدَّق يتحدث الرجل، فيوجد الكثير من الخيارات هذه الأيام. نظر إليه الرجل، وقال: "لقد مرت خمس سنوات -أو نحو ذلك- منذ أن حصلت على كبد أحد المفكّكين. لكن الحق يُقال، لو عاد بي الزمن، لتوقفت عن شرب الخمر، واكتفيت بالكبد الذي وُلِدت به".

منحه عامل البناء إيماءة تفهُّم، واستغرق لحظة للنظر في خياراته الخاصة. ثم أخرج هاتفه وألغَى مقابلة العمل المقررة له. قد يؤلمه الأمر اليوم، لكنه يعلم أنه لن يندم بعد خمس سنوات.

***

بعد التمرين، وصل المحاسب إلى المنزل في وقت متأخر، فلم يتمكن من تمني ليلة طيبة لطفليه قبل نومهما. توقف عند باب غرفتهما، وتأملهما وهما نائمان. إنه يحبهما كثيرًا، ليس فقط طفله البيولوجي، بل أيضًا طفله الآخر المنقول. لقد جعلته الأخبار والمحادثات التي دارت في ذلك اليوم يفكر أنه لن يتخلى عن طفليه أبدًا. لكن أليس هذا ما يقوله كل أب عندما يكون أطفاله صغارًا؟ وهل سيفكر بشكل مختلف عندما يصبحان متمردين وغير عقلانيين، ويثيران الغضب بتصرفاتهما وخياراتهما، كما يفعل معظم الأبناء في مرحلة ما من حياتهم؟

لقد أحس بتغير في نفسه، نوع من الصحوة جلبته كل الأحداث من حوله.

لو أن الأمر يتعلق فقط بالصبي الذي أطلقوا عليه النار...

لو أن الأمر يتعلق فقط باكتشاف أولئك المُجمَّعين التابعين للجيش...

لو أن الأمر يتعلق فقط بالإعلان عن تكنولوجيا طباعة الأعضاء، التي يبدو أنها أُخفيت عمدًا لسنوات...

لو أن الأمر يتعلق بأيٍّ من هذه الأشياء فحسب، فربما أثار انتباهه ليوم أو اثنين، ثم واصل حياته كالمعتاد. لكن الأمر لم يتعلق بشيء

واحد، بل بكل هذه الأشياء في وقت واحدـ وبصفته من هواة الحساب والأرقام، فهو يعرف أن الأرقام لا "تُقسم" دائمًا. بل إنها تُضرب أحيانًا، بل وتتضاعف أيضًا. إن هذه الأحداث التي تبدو غير مترابطة في مجملها قد حرَّكت في نفسه شيئًا هائلًا.

اقتربت زوجته منه، فأحاطها بذراعه، وسألها: "حسنًا، أليس من المفترض تنظيم نوع من المظاهرات ضد التفكيك في واشنطن في غضون أسابيع قليلة؟".

نظرت إليه، محاوِلةً استنتاج سبب سؤاله، وقالت: "إنك لا تفكر في الذهاب، أليس كذلك؟".

قال: "لا"، ثم أضاف: "ربما".

ترددت، لكن للحظة واحدة فقط، ثم قالت: "سأذهب معك. يمكن لأختي أن ترعى الطفلين".

- أعتقد أنهما سيفضلان التفكيك في هذه الحالة.

ضربته بخفة، ثم منحته ابتسامة دافئة، قائلة: "هذا ليس مضحكًا".

ثم بينما ذهبت للاستعداد إلى النوم، توقف المحاسب عند باب غرفة طفليه لحظة أخرى، واستمع إلى إيقاع تنفسهما الهادئ، فشعر بشيء بارد يتحرك خلال جسده، كمرور شبح، لكنه يعرف أن هذا ليس شبحًا. إنه أشبه بنذير مستقبلي يجب ألا يتحقق أبدًا...

وللمرة الأولى، أثيرت فكرة ترددت في صمت في ملايين المنازل في تلك الليلة.

"يا إلهي... ماذا فعلنا؟".

***

الجزء السادس

الذراع اليمنى لتمثال الحرية

الطباعة ثلاثية الأبعاد باستخدام الخلايا الجذعية قد تؤدي إلى أعضاء قابلة للطباعة

قد تصبح عملية الطباعة ثلاثية الأبعاد الرائدة باستخدام الخلايا الجذعية البشرية بمنزلة مقدمة لطباعة الأعضاء من خلايا المريض نفسه.

بقلم أماندا كوسير، 5 فبراير 2013، الساعة 4:31 مساءً بتوقيت المحيط الهادئ

يومًا ما في المستقبل، عندما تحتاج إلى عملية زرع كلية، قد تحصل على عضو مطبوع ثلاثي الأبعاد أُنشئَ خصيصى لك. إذا تمكن العلماء من تحقيق

هذا الإنجاز، فقد يتذكرون بحنين عملية الطباعة الرائدة التي ابتكرها باحثون في جامعة «هيريوت وات» في إسكتلندا بالتعاون مع شركة تكنولوجيا الخلايا الجذعية «روزلاين سيلاب».

تنشئ الطابعة كرويات ثلاثية الأبعاد باستخدام مزارع خلايا جنينية دقيقة تطفو وسط "الحبر الحيوي". وتبدو في النهاية كفقاعات صغيرة. كل قطرة يمكن أن تحتوي على خمس خلايا جذعية فحسب. في الأساس، يتلخص هذا في أن "حبر" الطابعة عبارة عن خلايا جذعية وليس من البلاستيك أو مادة أخرى.

الدكتور ويل شو جزء من فريق البحث الذي يعمل على المشروع. قال شو في بيان صادر عن جامعة «هيروت وات»: "على المدى البعيد، نتصور أن التكنولوجيا ستُطوَّر بشكل أكبر لإنشاء أعضاء حية ثلاثية الأبعاد من خلايا المريض نفسه وقابلة للزرع طبيًّا، مما يلغي الحاجة إلى التبرع بالأعضاء، وقمع المناعة، ومشكلة رفض عملية الزرع".

نُشِرَت نتائج البحث للتو في مجلة «بيوفابريكان» الأكاديمية، تحت عنوان "تطوير طابعة خلايا تعتمد على الصمام لتشكيل مجموعات كروية من الخلايا الجذعية الجنينية البشرية".

... [إن] تطبيقات مثل هذه يمكن أن تحول الطباعة ثلاثية الأبعاد حقًّا إلى عامل تغيير عالمي.

يمكنكم قراءة المقال كاملًا على:

http://news.cnet. com/8301-17938_105-57567789-1/3d-printing-with-stem-cells-could-lead-to-printable-organs/

***

73 - ليف

يوجد أنبوب في حلقه يضخ الهواء إلى داخله، ثم يسمح لحجابه الحاجز بضخه إلى الخارج. يرتفع صدره وينخفض بإيقاع منتظم. لقد شعر بهذا الإحساس لبعض الوقت، لكنها المرة الأولى التي يدرك فيها ما هو. إنه على جهاز التنفس الصناعي. ينبغي ألا يحدث ذلك. لا يمكن لشهيد القضية أن ينجو، وإلا فهو ليس شهيدًا. هل فشل حتى في ذلك؟

فتح عينيه، ورغم أنه لا يرى سوى جزء بسيط من المساحة التي يوجد فيها، فقد عرف بالضبط أين هو. عرف بسبب شكل وتصميم الغرفة، مساحة دائرية كبيرة بها نوافذ تسمح بدخول ما يشتبه في أنه ضوء الصباح الباكر، لأن زهور «مجد الصباح» المزروعة عند النافذة متفتحة على أقصى اتساع بتلاتها في اتجاه الشمس. في أرجاء الغرفة الدائرية توجد أَسِرَّة متعددة للمرضى، وتواجه مؤخرة كل سرير نافورة تبعث على الاسترخاء في وسط الغرفة. إنه في وحدة العناية المركزة في مركز أراباتشي الطبي. بالنسبة إلى ليف، يبدو أن كل الطرق -حتى طريق الموت- تؤدي إلى المحمية.

أغمض عينيه، وأخذ يعدُّ الأصوات الرتيبة الصادرة من جهاز التنفس الصناعي حتى نام مرة أخرى.

عندما فتح عينيه في المرة التالية، وجد الأزهار قد أغلقت بتلاتها، وآخر إنسانة توقع رؤيتها تجلس بجانب فراشه، وتقرأ كتابًا. راقبها، وانتابه شك أنه يهلوس.

عندما لاحظت استيقاظه، أغلقت ميراكولينا روزيلي كتابها، وقالت: "هذا جميل! لقد أفقت. هذا يعني أن بإمكاني أن أصبح أول من يخبرك رسميًّا أنك أحمق".

إنها ميراكولينا! العُشر المخلصة للفكرة، التي أنقذها من التفكيك. الفتاة التي وقع في حبها رغم مدى كرهها له، أو ربما بسبب مدى كرهها له. الفتاة التي -في أثناء اختبائهما بمقصورة الأمتعة المظلمة الخانقة- منحته السماح على كل ما فعله. لقد خشي حتى التفكير بها، خوفًا من أن تكون قد ألقي القبض عليها وفُككت، لكن ها هي أمامه!

حاول التحدث، ناسيًا جهاز التنفس الصناعي. لكنه سعل فحسب، وأصدر الجهاز صوتًا، مسجلًا تنفسًا مندفعًا غير منتظم.

- انظر إليك! كدت لا أتعرف عليك في وجود كل تلك الأسماء الموشومة على وجهك، وشعرك المحلوق.

رفع يده بضعف، واضعًا إبهامه وسبابته معًا في إشارة عالمية تعني: دعيني أُدوِّن هذا.

تنهدت باستياء مصطنع، وقالت: "انتظر". غادرت الوحدة، وعادت تحمل مفكرة وقلمًا، وأضافت: "بما أنهم لم يطلقوا النار على رأسك، أفترض أنك ما زلت تمتلك قوة عقلية كافية للكتابة بوضوح".

أمسك القلم والمفكرة وكتب: لماذا أنا حي؟

نظرت إلى المفكرة، ورمقته بنظرة غاضبة، قائلة: "أوه، صحيح، الأمر كله يتعلق بك، أليس كذلك؟ لا بأس بقول: تسعدني رؤيتك يا ميراكولينا. لقد افتقدتك. أنا سعيد لأنك حية".

أخذ المفكرة وكتب كل ذلك، لكن فات الأوان طبعًا.

قالت له: "الجزء الأكثر إزعاجًا في الأمر الغبي الذي فعلته هو أنه نجح. فجأة، أصبح الناس ينظرون إلى سلطة الأحداث كعدو، لكن لا تعتقد ولو لحظة أن هذا يمنحك العذر!".

وثق أن ميراكولينا تستمتع بحقيقة أنه لا يستطيع الرد عليها، وأن بإمكانها توبيخه بحرية.

- لعلمك، لقد كلفتك حيلتك كبدك وبنكرياسك وكلتا كليتيك ورئتيك.

بالنظر إلى عدد الرصاصات التي اخترقته، يبدو هذا صحيحًا، لكن مهلًا... لو أنه فقد كلتا رئتيه، فكيف يتنفس؟ كيف ما زال حيًّا على الإطلاق؟ توجد طريقة واحدة فقط يمكنه من خلالها البقاء حيًّا بعد فقدان العديد من الأعضاء، وبدأ يتخبط في سريره في حالة من الذعر الغاضب، ثم أمسك القلم وكتب بأحرف كبيرة: **أرفض تلقي أي أجزاء من مفككين! أخرجيها من جسدي!**

نظرت إليه ببعض السخرية، وقالت: "آسفة أيها الفتى الانتحاري، لكنك لم تتلقَّ أي أجزاء مفككة. لقد منحك تشارلز كوفاك -من مونتبيلير في فيرمونت- الرئة الوحيدة الموجودة حاليًّا في صدرك".

رفع يده ليكتب، لكن ميراكولينا أوقفته، قائلة: "لا تسألني من هو، لأنني لا أعرف. إنه مجرد رجل يفضل أن يعيش حياته برئة واحدة على أن يراك تموت. لقد تبرعت امرأة من ولاية يوتا بجزء من كبدها، ورجل تعرض لحادث سيارة وهب لك بنكرياسه بكلماته الأخيرة. وفي اليوم

الذي أحضروك فيه إلى مستشفى نيويورك، بدا أن نصف سكان المدينة قد حضروا للتبرع بالدم".

وأخيرًا، منحته ابتسامة، رغم شكه أنها تسللت من دفاعاتها فحسب، وقالت: "لا أعرف كيف حدث هذا، لكن فجأة، أعلن الناس حبهم لك يا ليف، رغم مظهرك هذا".

حاول أن يبتسم، رغم أنبوب التنفس الصناعي الخارج من فمه، لكنه وجد الأمر صعبًا للغاية.

قالت: "على أي حال، كل من تبرع بجزء من جسده لإنقاذ حياتك غريب تمامًا، باستثناء شخص واحد".

لم يفهم قولها -ربما بسبب الدواء الذي يتناوله، أو لكونه غبيًّا حقًّا- إلى أن نهضت ميراكولينا، واستدارت، ورفعت قميصها لإظهار جرح يبلغ طوله ست بوصات على الجانب الأيسر من ظهرها، قائلةً: "أعتقد أن منحك كليتي اليسرى يمنحني الحق في إخبارك أنك أحمق".

كتب ليف: نعم، هذا صحيح. ونعم، أنا أحمق.

• • •

تحول باقي اليوم إلى استقبال متتالٍ للزوار. في البداية، جاءت إلينا، التي هي بالطبع طبيبته الأساسية. عندما غادرت ميراكولينا، أخبرته إلينا أن الفتاة لم تفارق سريره تقريبًا منذ اليوم الذي وصلت فيه منذ أسبوعين.

- لقد عرضت منحك كليتها، على أن تضمن أنها وعائلتها يمكنهم القدوم إلى المحمية لزيارتك في أثناء تعافيك.

ثم أضافت إلينا: "إنها فتاة لطيفة، رغم أنها تحاول ألا تُظهر ذلك".

خصص تشال وقتًا من يوم مزدحم للغاية، ليقدم له إحاطة قانونية ما. وأخبره أن مجلس القبيلة أعاد التصويت على التماسه لمنح الهاربين من التفكيك ملاذًا رسميًّا، ووافق أعضاء المجلس على ذلك. والآن تهدد القبيلة بحرب حقيقية ضد سلطة الأحداث. أراد ليف تصديق أن محاولته الانتحارية هي السبب، لكنهم اتخذوا القرار قبل يوم واحد من فعلته، عند تمرير مشروع قانون تجاوز الوالدين في الكونجرس. لكن ليف هو من زرع الفكرة في رؤوسهم، رغم ذلك.

قال له تشال: "يوجد شيء آخر. لكي نعيدك إلى المحمية هنا، استلزم الأمر تجاوز بعض العقبات القانونية، وأن نصبح أنا وإلينا الوصيين الرسميين عليك. أسهل طريقة لذلك هي التبني (وأضاف مازحًا) أخشى أنك ستضطر إلى تغيير بطاقات عملك، لأن اسمك الآن أصبح ليف تاشين".

وعلقت إلينا: "إنك بالتأكيد تهوى جمع بطاقات الهوية".

جاء بيفان، وجلس إلى جواره في صمت صارم لمدة، ثم في وقت لاحق من العصر، زارته أونا مع كيلي. لقد أحضرا معهما شيئًا لم يتوقع ليف رؤيته قط. في الحقيقة، لم يتوقع قط رؤية أي شيء في هذا العالم مرة أخرى، لكن هذا شيء لم يتوقع رؤيته حقًّا. إنه مخلوق صغير يكسوه الفرو متشبث بكتف كيلي. عيناه الكبيرتان والعاطفيتان أخذتا تتجولان في كل مكان بالغرفة، قبل التواصل البصري مع ليف.

لقد أحضرا له حيوان الكينكاج.

قالت أونا: "إنها فكرة كيلي".

قال كيلي: "حسنًا، إنه مرشدك الروحي من الحيوانات، والناس تربيه كحيوان أليف أحيانًا".

نزع كيلي ذراعي الكينكاج من حول رقبته، ووضعه على السرير بجوار ليف، فتسلق الحيوان رأسه فورًا، وشعر بالارتياح هناك، حتى إنه تبول!

أمسك كيلي الحيوان، صائحًا: "أوه!"، لكن الأوان قد فات. الغريب أن ما حدث رفع روح ليف المعنوية فعلًا، ولو بإمكانه أن يضحك، لفعل!

كتب ليف: أعتقد أنه يطالب بحقه فيَّ.

فردت أونا: "أعتقد أنك طالبت بحقك فيه أولًا".

دخلت إلينا وحدة العناية المركزة بعد لحظة، واستشاطت غضبًا: "أخرجا هذا من هنا! فيم تفكران؟ الآن سنضطر إلى تعقيم كل شيء، وتحميمه مرة أخرى، وتطهير جميع جروحه. اخرجا! اخرجوا جميعًا!".

لكن قبل أن تغادر أونا، قالت أغرب شيء!

- قد لا يكون صديقك الجديد موضع ترحيب هنا، لكني سأسمح لك بإحضاره إلى حفل الزفاف.

راجع ليف الأمر في ذهنه مرة أخرى ليتأكد أنه سمعها بشكل صحيح، ثم كتب: أي حفل زفاف؟

قالت له أونا، بابتسامة تحمل قدرًا متساويًا من الحزن والفرح: "حفل زفافي. سأتزوج ويل".

***

74 - كونر

في سرير مستشفى آخر على بعد ألف ميل، رقد كونر مستيقظًا. لم يتذكر كيف ومتى استيقظ، إنه موجود فحسب. وعلم أن شيئًا غير طبيعي قد حدث. ليس خطأ تمامًا، لكنه مختلف. مختلف جدًّا.

لاح أمامه وجه يفحصه. إنه يعرف هذا الوجه. عجوز، متغضن، صارم، له أسنان مثالية. إنه الأدميرال، الذي قال: "لقد حان الوقت لتخرج من هذه الحالة. لقد أوشكت على صب جام غضبي على الجراحين بعد تجميعك، لأنك لا تحرك ساكنًا كالجثة".

دخلت كل الكلمات من أذن واحدة، لكنها لم تخرج من الأخرى تمامًا، بل تشابكت في الداخل فحسب. إنه يعرف ما قاله الأدميرال، لكنه يواجه صعوبة في فهمه بمجرد الانتهاء من الحديث.

سأله الأدميرال وهو يضحك في سخرية على مزحته السمجة: "هل يمكنك الكلام؟ أم إن القطة قد أكلت لسانك؟".

فتح كونر فمه ليتحدث، لكنه شعر وكأن فمه مقلوبٌ رأسًا على عقب. إنه يعلم أنه ليس مقلوبًا -لا يمكن أن يكون كذلك- لكن هذا ما شعر به. أراد أن يسأل أين أنا؟ لكن عقله لم يستطع العثور على الكلمات. أغمض عينيه، وبحث في عقله، لكن كل ما تبادر إلى ذهنه هو صورة

الكرة الأرضية التي يتذكرها من مكتبة مدرسته الابتدائية، واسم الشركة التي صنعتها مكتوبًا بحروف سوداء داكنة فوق المحيط الهادئ. أراد أن يسأل أين أنا؟ لكن ما خرج من فمه بدلًا من ذلك هو: "راند؟ ماكنالي؟ «راند ماكنالي»[1]؟".

قال الأدميرال: "ليس لدي أي فكرة عما تتحدث عنه!".

- «راند ماكنالي»!

أغلق فمه، مصدرًا صوتًا يعبر عن الإحباط، ثم أغمض عينيه، محاولًا استيعاب ما يحدث له. هنا، قفزت صورة أخرى إلى ذهنه.

قال: "حديقة الحيوان... حيوانات مسجونة في قفص في حديقة الحيوان[2]".

إنها أفكاره وذكرياته، كلها ما زالت موجودة، لكنها معزولة وبعيدة عن بعضها.

- إنك تهذي يا فتى.

ردد كونر: "أهذي".

حسنًا، على الأقل يمكنه ترديد الكلام. بدا الأدميرال منزعجًا بعض الشيء من ردود كونر، وهو ما أزعج هذا الأخير.

صرخ الأدميرال في وجه ممرضة لم يرها كونر في الغرفة قبل لحظة: "اللعنة! أريد الأطباء هنا. الآن!".

---

(1) - «راند ماكنالي»: دار نشر أمريكية عريقة متخصصة في الخرائط والأطلس والمنتجات التعليمية، ومع التطور أصبحت كذلك شركة تكنولوجية تنتج أيضًا أجهزة وتطبيقات الملاحة. «المترجم».

(2) - يقصد أفكاره الحبيسة داخل أسوار عقله. «المترجم».

دخل طبيب، ثم آخر. لم يرهما كونر، لكنه سمعهما، ولم يستوعب سوى جزء مما يقولانه. شيء عن "إهانة شديدة لدماغه"[1]. و "آليات النانو تعمل على إصلاحات داخلية". كما تكررت كلمة "الصبر" عدة مرات. تساءل كونر كيف يمكن إهانة دماغ شخص ما!

عندما عاد الأدميرال إلى سرير كونر، بدا هادئًا، وقال: "حسنًا، لو لم يوجد شيء آخر، فأنت بالتأكيد تجمع هويات".

وجه إليه كونر نظرة استفهام، أو هكذا تمنى. لا بد أنه نجح، لأن الأدميرال بدأ يشرح.

- في البداية، كنت إوُول آكرون، ثم أصبحت روبرت إلفيس مولارد في المقبرة، والآن أنت برايس بارلو.

صمت مؤقتًا، وبدا واضحًا أن نيته إرباك كونر، والمزيد من الإرباك ليس شيئًا يحتاج إليه بالتأكيد.

- إنه الاسم المُدوَّن على جميع الصناديق الستة والأربعين التي أتيت فيها. برايس بارلو هو الصبي الذي اشتريناه في المزاد، قبل أن ينفذ صديقك آرجان الخدعة القديمة، ويبدل جميع ملصقات الأسماء على الصناديق.

الآن، بدأ كونر يتذكر كل شيء، وترك الفهم يتدفق في كيانه.

تذكر تفكيكه، وصوت يونيس المبتهج.

والخطة المجنونة، الطائشة، واليائسة ـ التي وضعها.

بصراحة، لم يثق كونر كثيرًا في تلك الخطة، لأنها احتوت على الكثير من الأجزاء المطاطة. أجزاء كثيرة جدًّا منها كان من الممكن ألا يحالفها التوفيق. أولًا، توجب على ريسا الاتصال بالأدميرال، الشخص الوحيد

(1) - المقصود: قصور مفاجئ وشديد في عمل أعصاب الدماغ. «المترجم».

الذي يعرفونه ويملك ما يكفي من المال لدخول مزاد ديفان. ثم أتى دور آرجان ليجد طريقة لإدخاله المزاد بهوية مزيفة مختلفة، دون إثارة شكوك ديفان. ثم توجب على الأدميرال الفوز بالمزاد على كل قطعة من صبي مسكين آخر فُكِّكَ للتو. وكأن كل هذا ليس صعبًا بما يكفي، اضطر إلى الاعتماد على آرجان -الذي لا يتمتع بقدر كبير من الذكاء والمهارة- لتبديل الملصقات، وهو الأمر الذي لم يقتصر على تغيير الملصقات فحسب، لأن جميع حاويات الحفظ مشفرة رقميًا. لا بد من تبديل الشحنة 4832 بالشحنة 4831. كل صندوق على حدة.

وحتى لو نجحت كل هذه الأمور، فلا أحد يمكنه أن يجزم هل سيعود كونر أم لا. لم يحاول أحد قط إعادة تجميع مفكك باستخدام أجزائه نفسها. سيصبح كونر "همفري دونفي[1]" الحقيقي، بطريقة لم يحظ بها هارلان دونفي قط.

شرح الأدميرال: "لقد حصلنا على مساعدة طبعًا. لقد جمعت فريقًا جراحيًا من الدرجة الأولى يمكنه تجميع كونر من أجزاء كونر".

قال كونر: "لقد عاد معجون الأسنان إلى الأنبوب".

سعِد الأدميرال لأن كونر قال شيئًا يفهمه، وأجابه: "نعم، هذا ملخص الأمر".

وجد كونر تفكيره منصبًا على برايس بارلو المسكين. لم يجد من يقاتل لإعادة تجميعه. لم يجد من يُجَمِّعه. ما الذي جعله هو يستحق الإنقاذ أكثر منه؟

وماذا عن ريسا؟ مجرد وجوده هنا لا يعني أنها حصلت على حريتها من أسر ديفان.

(1) - راجع «مُفَرَّغ»، الكتاب الثالث من دستوبيا التفكيك. «المترجم».

صاح: ”بيانو! كرسي متحرك! نبض القلب! قبلة!“.

أخذ يئن في إحباط، وبذل مجهودًا أكبر للتركيز، فشعر بألم في رأسه، لكنه توصل إلى اسمها، فصاح منتصرًا: ”ريسا! ريسا! راند ماكنالي ريسا؟“.

وهنا سمع صوتًا هادئًا يقول من مكان ما في الغرفة: ”إنني هنا يا كونر“.

لقد كانت هنا طوال الوقت، وتحافظ على مسافة بينهما. كم يبدو بشعًا لدرجة تجعلها تستجمع شجاعتها للاقتراب منه؟ أو ربما تحاول فقط السيطرة على عواطفها، لأنه رأى الدموع في عينيها. لو وُجِد شيء تكرهه ريسا، فهو أن يراها الناس تبكي.

عندما ظهرت ريسا في مجال رؤيته، ابتعد الأدميرال. أو ربما حدث هذا لأن عقل كونر -في حالته الحالية- قادر فقط على استيعاب وجود أحدهما فحسب. فكر: ”إنه عقل مهان“.

أمسكت يده، فشعر بالألم، لكنه تركها تمسكها. قالت ريسا: ”أشعر بسعادة بالغة لأنك استيقظت. لقد شعرنا جميعًا بالقلق. إنها معجزة أنك هنا“.

قال: ”إنها معجزة. تشعرين بالسعادة. معجزة“.

- ستجد الأمور صعبة في البداية. أعني الحركة والتفكير. ستحتاج إلى إعادة تأهيل، لكني أعلم أنك ستعود إلى ذاتك القديمة في وقت قصير.

فكَّر: *ذاتك القديمة*، وأصابته فجأة موجة من القلق، فقال: ”آلة أكل! دماء في الماء! جزيرة أميتي!“.

هزت ريسا رأسها، وهي لا تفهم منه شيئًا. لذا رغم ألمه، رفع ذراعه اليمنى، ووجد ما يبحث عنه: القرش.

ما زال في مكانه! شعر بالامتنان لأنه ما زال هناك! لم يعرف السبب، لكن حقيقة أن هذا الشيء ما زال جزءًا منه، منحته راحة كبيرة.

تنفس بعمق في ارتياح، وقال: "مدفأة.. كاكاو.. بطانية".

- هل تشعر بالبرد؟

قال: "لا"، وسعِدَ لأنه وجد الكلمة الصحيحة. ألهمه هذا لاختراق الغابة والعثور على المزيد من الكلمات، فقال: "أنا دافئ وآمن وممتن". لقد بدأت أقفاص حديقة الحيوان تُفتَح، وبدأت أفكاره تتحرر.

واصلت ريسا سرد ما حدث في أثناء "عبوره"، وكيف ظل في غيبوبة لمدة أسبوعين منذ تجميعه.

قال: "خدعة أم حلوى".

قالت له ريسا: "ليس بعد. سيحل موعد عيد جميع القديسين بعد أسبوعين آخرين".

أخبرته كيف تحررت مع مفككي ديفان الآخرين، لكن آرجان لم يخرج قط. أخبرته كيف توقفت مزادات ديفان في السوق السوداء بغموض، وقالت: "نعتقد أنه يركز انتباهه على محاربة مخيم «داه زي» البورمي".

تأمل كونر الأمر، وقال: "جودزيلا.. جودزيلا ضد موثرا".

قال الأدميرال من مكان ما خارج مجال رؤيته: "هذا صحيح. أفضل طريقة لإنقاذ البشرية هي أن تنقلب الوحوش على بعضها".

حاولت ريسا تشجيعه بالحديث عن كام، وما حققه بمفرده، فقالت: "إنه بطل الآن! لقد أسقط المواطنة الاستباقية -تمامًا كما قال إنه

سيفعل- وتلك المرأة الرهيبة التي ابتزتني تُحاكَم الآن بتهمة "ارتكاب جرائم ضد الإنسانية". إنهم يدعونها في الواقع "السيدة مينجيل[1]"، ولا أعتقد أن أي شخص يستحق هذا اللقب أكثر منها".

يوجد المزيد عن ليف، الذي كاد يموت كالعادة لكنه لم يفعل، وجرايس، التي عقدت صفقة جيدة باستخدام طابعة الأعضاء، وهايدن، الذي دعى إلى مسيرة في واشنطن، لكن كونر وجد نفسه عاجزًا عن متابعة التفاصيل، لذا أغمض عينيه وترك كلماتها تغمره كتعويذة شفاء.

عَلِم أن الأمر لن يدوم على هذا النحو. سوف تتحسن حالته كل يوم. ربما لن يصبح الأمر أسهل، لكن أفضل... ومع ذلك، شعر أن التفكيك في حد ذاته قد سلبه شيئًا. بغض النظر عن مقدار شفائه، سيعاني دائمًا جرح حرب عميقًا ودائمًا. الآن عرف ما يشعر به كام. ليس فراغًا كبيرًا، لكن توجد فجوة بين ما كانه وما أصبحه، فجوة أشبه بهواء محبوس بين طبقات روحه. حاول التعبير عن ذلك لريسا، فأمسك يدها بقوة، وتحدث، لكن الكلمة الوحيدة التي خرجت من فمه هي: "ثقب.. ثقب يا ريسا.. ثقب".

لكنها فهمت شيئًا آخر، فابتسمت، قائلة: "نعم يا كونر، لقد اكتملتَ. أصبحت مكتملًا أخيرًا".

***

(1) - نسبة إلى جوزيف مينجيل، الطبيب الألماني المختل، الذي أجرى تجارب سادية مجنونة على أسرى الحرب العالمية الثانية. «المترجم».

إعلان

بعد إصابتي بنوبة قلبية، أخبرني أطبائي أن أيامي معدودة لو لم أحصل على قلب بديل، لكن فكرة القلب المفكك أشعرتني بعدم الارتياح. أعتقد أنني كنت سأقبل ذلك لو لم أجد بديلًا آخر... لكن الآن يوجد بديل!

يستخدم جهاز «رافكين-سكينر للبناء الحيوي» أحدث التقنيات الطبية لطباعة الأعضاء المخصصة، وأفضل ما في الأمر أنه يستخدم خلاياك الجذعية المزروعة. الآن يمكنني الاسترخاء بسهولة، وأنا أعلم أن قلبي ملكي وحدي، ولا ضرورة لتفكيك أحد كي أحصل على قلبه.

لذا لو فكرت في إجراء عملية زرع، أو ترقيع، فلا تكتفِ بالأجزاء المفككة عتيقة الطراز، واسأل طبيبك اليوم عن جهاز «رافكين-سكينر للبناء الحيوي».

قل وداعًا للتفكيك، ومرحبًا بما هو من ذاتك حقًّا!

***

75 - تجمعات

إن علامات التاريخ المصنوعة من الجرانيت والرخام تحمل ذكريات لا يمكن تفكيكها، وبخاصة آثار العاصمة واشنطن. فقد شهدت التغيير والركود، ومآثر العدالة المجيدة، فضلًا عن الفشل المُخزي للديمقراطية. لقد رأت أعين تمثالَي لينكولن وجيفرسون خطوات كبيرة في حلم مارتن لوثر كينج، ورحبت به وهو يتقدم على الحجر بينهما. ومع ذلك، فقد شهدت الأعين نفسها التي لا ترمش متظاهري حرب فيتنام وهم يتعرضون للغاز المسيل للدموع، وآلاف الأشخاص الذين تعرضوا للتهدئة في أثناء الانتفاضة الأولى للمراهقين. لا يمكن لأي من هذه الأشياء أن تُنسى، تمامًا كالنصب التذكارية للحرب التي لا يمكن أن تنسى الأسماء التي تحملها في هيبة.

بدأ تجمع يتشكل أمام تلك الأعين اليقظة في الأيام القليلة الأخيرة من شهر أكتوبر. سارعت شركات الطيران إلى إضافة رحلات إلى جداولها، وعمِل المترو بكامل طاقته، وأكد ازدحام شوارع العاصمة بالسيارات أن المشي أسرع طريقة للوصول إلى أي مكان فوق الأرض.

بدأت المساحات الخضراء الشاسعة في متنزه «ناشيونال مول» تتشبع بالخيام في احتلال بطيء لكن لا هوادة فيه، قبل أيام من الحدث

الفعلي، الذي -نظرًا لأن موعده أول نوفمبر- وصفته وسائل الإعلام بأنه "انتفاضة جميع القديسين"[1].

من مبنى «الكابيتول»، لا يمكن أن يرى المرء نذيرًا أكثر شؤمًا من الجدار الأسود الداكن لعاصفة رعدية تتقدم من خليج تشيسابيك.

***

في أقصى الغرب، يوجد تجمع آخر أصغر حجمًا. هذا التجمع في بلدة خارج أوماها، بولاية نبراسكا. التجمع عبارة عن حفل زفاف أفضل وصف له هو أنه جميل ومرير في الوقت نفسه، وذلك بسبب الأطراف المعنية. أونا جاكالي ستتزوج ويل تاشين بالطريقة الوحيدة التي تستطيعها.

لقد منع مجلس قبيلة أراباتشي حدوث ذلك على أرض قبلية. ورغم أن عائلة تاشين تحب أونا بشدة، فإنها لم تستطع دعم ذلك أيضًا، واختارت عدم الحضور.

ليف هو من جاء لمساعدة أونا، واقترح اللجوء إلى «مجتمع البعث»[2] -مكان مخصص للاتحاد الافتراضي لشخص منقسم- لأنه سيتعامل بعقلية منفتحة مع مفهوم أونا عن "الزواج الانقسامي". وليف يعرف الرجل المناسب الذي يجب أن يستشيره.

وفعلًا، سَعِد ساي-فاي ووالداه للغاية، ليس فقط بتوفير المكان، لكن أيضًا بتعقب المستفيدين من أجزاء ويل تاشين، وهي مهمة أصبحت أسهل كثيرًا الآن، بعد فتح آخر مخابئ قاعدة بيانات المواطنة الاستباقية للتدقيق العام.

---

(1) - انتفاضة جميع القديسين: لأنها ستندلع في يوم عيد جميع القديسين، أول نوفمبر.

(2) - راجع «مُفَرَّغ»، الجزء الثالث من دستوبيا التفكيك.

لن يأتي كل من يحملون أجزاء ويل، لكن وافق عدد كافٍ منهم. ربما وافقوا على الحضور بدافع الفضول، أو من أجل الحداثة، أو للحصول فحسب على فرصة لمقابلة كامو كومبري، الذي من المتوقع حضوره كواحد منهم. في المجموع، سيوجد سبعة وعشرون عريسًا، يمثلون ما يقرب من ثلثي ويل تاشين. أشار والد ساي-فاي: «المسار سريالي مثل «سلم إيشر»[1]، لكن ما معنى الحياة من دون القليل من الدوار؟».

***

(1) -«سلم إيشر»: سلم صممه الألماني موريتس إيشر عام 1953، بتصميم يجعله لا ينتهي أبدًا، ويعود بصاعده إلى نقطة البداية. «المترجم».

76 - ليف

- يجب أن أخبرك يا صوص، لقد ألحقت الضرر بنفسك بهذه الوشوم، وهذه القبعة المصنوعة من الفرو معدومة الفائدة.

أنزل ليف الكينكاج عن رأسه، حيث يذهب غالبًا، لكنه نادرًا ما يتبول الآن. تركه متشبثًا بكتفه بدلًا من رأسه، ثم قال لساي-فاي: «أولًا وقبل كل شيء، إنها ليست أضررًا، إنها أسماء. ثانيًا، لا تهن ماهبي، وإلا فقد يخمش عينيك».

- ماذا؟ هل يملك "إلمو" الصغير بُنيُّ اللون مخالبَ؟

ابتسم ليف. أسعدته رؤية ساي-فاي مرة أخرى، حتى لو حدث ذلك في ظروف غير عادية. لكن أي ظروف أفضل طبعًا من آخر مرة تقابلا فيها.

مازحه ساي-فاي: «سمعت أنك قد حصلت على حبيبة».

قال له ليف: "نوعًا ما، أعتقد ذلك. إنها علاقة عن بعد. لقد عادت إلى إنديانا مع عائلتها، لكنني ما زلت في المحمية في كولورادو".

رفع ساي-فاي حاجبيه، قائلًا: «كان من الممكن أن يصبح الأمر أسوأ، لو أنك تفهم ما أعنيه».

خرجت الشمس من خلف سحابة عابرة، وأضاءت الحديقة. ولأن اليوم دافئ على غير العادة، فقد قرروا تنظيم حفل الزفاف في الهواء الطلق، داخل دائرة الحجارة في وسط الحديقة، على أن يقف المشاركون داخل الدائرة، والضيوف خارجها مباشرة. وفي غياب التقاليد لهذا النوع من الأشياء، فإن القواعد والنظام العام كلها وليدة اللحظة. في الوقت الحالي، تجمع جميع "العرسان" في الدائرة الداخلية ليتعارفوا، ويطرحوا أسئلة لوجستية على الكاهن، الذي لم يتوقف عن تقديم التهاني.

ثم -قبل بدء الحفل مباشرة- سمع ليف صوتًا مألوفًا خلفه.

- أقسم إنني لا أستطيع تركك بمفردك لخمس دقائق، دون أن تُقدِم على فعل جنوني.

التفت، ليرى كونر يقف خلفه، وبصحبته ريسا أيضًا. رؤيتهما خطفت أنفاسه حرفيًّا، وبدأ ليف يسعل ويلهث. إنه الإزعاج الناتج عن امتلاك رئة واحدة فقط. من المفترض أن إلينا ستحصل على واحدة من تلك الطابعات الجديدة في المحمية حتى يمكنها إنتاج رئة ثانية له، لذلك لن يبقى الوضع دائمًا هكذا.

قال كونر: "أوه، لم أنوِ إصابتك بنوبة قلبية".

قال ليف، بعد أن انتظم تنفسه أخيرًا: "أنا بخير، أنا بخير"، لكن عندما نظر إلى كونر، أدرك أنه يعاني مشكلاته الخاصة. إنه يسير متكئًا على عصا، ورغم أنه يرتدي سترة رياضية، فإن ليف رأى مواضع الالتحام على معصميه، وعلى طول خط عنقه، وحتى على خط فكه. شك في وجود المزيد تحت ملابسه التي لا يمكنه الرؤية من خلالها، فسأله: "ماذا حدث؟".

تبادل كونر مع ريسا نظرة محملة بالمعاني، ثم قال: "دعنا نقول فقط إنني تعرضت لحادث في أثناء العناية بالحديقة".

تقبل ليف الإجابة، دون توجيه المزيد من الأسئلة، مدركًا أن من الأفضل أحيانًا عدم التحقيق مع كونر. فجأة، تساءل ليف كم مر من الوقت منذ أن اجتمعوا معًا هو وكونر وريسا، لكن بطريقة ما، وجد أن هذه هي المرة الأولى، لأن حتى اليوم، لم يسبق أن اجتمعوا معًا حقًّا. عندما اختطفه كونر، كان ليف عُشرًا، هرب من كليهما في أول فرصة سنحت له. ثم عندما التقى كونر مرة أخرى في المقبرة، كان قد انفصل فعلًا عن الجميع وكل شيء، وأصبح مصفقًا لم يصفق. لكن الآن، خرج ثلاثتهم من حوادث العناية بالحديقة، وهم حقًّا في المكان نفسه.

قال ليف: "حسنًا، المهم في الأمر هو أنكما هنا"، ثم أدرك شيئًا، فأضاف: "لكن ... لماذا أتيتما إلى هنا؟".

قالت له ريسا: "لرؤيتك طبعًا. أخبرني سايرس أننا سنجدك هنا"، ثم التفتت إلى ساي-فاي، قائلة: «مرحبًا يا سايرس. تسعدني رؤيتك مرة أخرى».

قال ليف: "انتظري لحظة! هل تعرفان بعضكما؟".

لكن قبل أن تتمكن ريسا من الإجابة، بدأ أحدهم يعزف على القيثارة، ولهث ليف وكاد يدخل في نوبة سعال أخرى، لأنه تعرَّف على الموسيقى فورًا. إنه عزف ويل! استدار ليف، ليرى كامو كومبري جالسًا في وسط الدائرة، وهو أحد العرسان القلائل الذين يرتدون حلة سهرة رسمية. أكثر من أي وقت مضى، عبَّر كام عن روح موسيقى ويل بمثالية، جعلت ليف يكاد يقسم إن ويل موجود حقًّا في الحفل.

بعد لحظة، نزلت أونا من المنزل الرئيسي، وقد تخللت الزهور وشرائط الزينة شعرها الطويل، وارتدت ثوبًا محليًّا تقليديًّا. لم تبتسم،

لكنها حافظت على تعبير لا يوصف، يشي بأحاسيس أكثر مما يمكن مزجه معًا.

دخلت الدائرة، وأمام الكاهن، أمسك كام يد أونا. لكن عندما حان الوقت، نطق شخص آخر العهود بصوت ويل، ونظرت أونا إلى عيني ثالث عندما نطقت بعهودها. ورغم تبادلها الخاتمين مع كام، فعندما قال الكاهن: "يمكنك الآن تقبيل العروس"، ذهب هذا الشرف إلى شخص آخر تمامًا. وجد ليف بوصلته الداخلية تدور، وتساءل كيف يمكن لشيء أن يبدو جميلًا وبشعًا في الوقت نفسه.

قال كونر مازحًا: "سيكون فراش الزوجية مزدحمًا للغاية"، فلم يستطع ليف منع نفسه من الضحك، لكنه سرعان ما مال مرة أخرى إلى الكآبة. هذه الجماعة، هذا الزفاف، كل هذا أعراض جانبية للتفكيك. حتى لو حدث المستحيل، وأُلغيَت اتفاقية التفكيك، فسيظل الجميع يحصي الخسائر النفسية لسنوات قادمة.

قالت ريسا، فيما تقود أونا حاشيتها من العرسان، متوجهين إلى المنزل الرئيسي لحضور حفل استقبال صغير: "أردت أن أريك هذا"، ومدت ريسا ذراعها اليمنى لتريه اسمًا موشومًا على معصمها.

لم يفاجئه الأمر، بل قال: "هل فعلتِها أنت أيضًا؟ لقد أصبح هذا ما يجب فعله. يضع الجميع وشمًا باسم أحد المفككين على الذراع اليمنى. والفكرة هي وشمه في مكان سيرونه كل يوم. والمزحة المتداولة حاليًّا هي أن السياسيين في واشنطن يجب وشم أسماء المفككين على قولونهم".

سألها ليف: "هل تعرفين برايس بارلو؟".

نظرت ريسا بحزن إلى الاسم الموجود على معصمها، وأجابت: "إنه فتى لن أقابله أبدًا، تمامًا مثل أصحاب الأسماء الموجودة على جسدك".

سأل كونر: ”هل سمعتما آخر الأخبار؟ أحدهم يقترح بناء نصب تذكاري من الذراع القديمة لتمثال الحرية، ونقش أسماء كل من فككته هيئة الأحداث عليه“.

وضع ليف ماهبي على كتفه وابتسم لكونر وريسا، محاولًا التقاط صورة ذهنية لهذه اللحظة، حتى يمكنه الاحتفاظ بها إلى الأبد، وقال: ”آمل أن يفعلوا ذلك. ويسعدني أن أسماءنا لن تُدوَّن على النصب“.

***

77 - كام

تحرك العريس الذي حصل على الخاتم في أرجاء حفل الاستقبال، مستمعًا إلى محادثات الآخرين.

- إذا مُرِّرَ قانون تجاوز الوالدين في مجلس الشيوخ، سمعت أن الكونجرس القبلي بأكمله يهدد بالانفصال عن الاتحاد، وليس قبيلة أراباتشي فحسب.

قال من يعتقد كام أنه يمتلك كبد ويل تاشين: "هذا يعني العشرات من قبائل شعب المحظوظين. قد تندلع حرب جوهر ثانية في البلاد على أيدينا".

قال والد ساي-فاي: «لن يحدث هذا أبدًا. لقد تعهد الرئيس باستخدام حق النقض «الفيتو»، إذا مُرِّرَ القانون».

يرتبط العديد من المشاركين في حفل الزفاف -أولئك الذين يشتركون في أجزاء من قشرة ويل الدماغية- بذكريات متصلة. تساءل كام هل تنتابهم أحاسيس رائعة بوجود ويل بينهم. بالنسبة إليه، مع كل قلق اليوم -وضع خاتم في يد أونا، ووضعها خاتمًا في يده- لا يمكنه التأكد مما يشعر به. يعلم أنه يشعر بوجود ويل في كل مرة يعزف فيها على القيثارة، وهذا يكفيه.

حاول الانضمام إلى اجتماع العقول، لكن كما يحدث دائمًا، في لحظة اشتراكه في المحادثة، يتحول التركيز بالكامل إليه.

- أعتقد أن ما فعلته رائع يا كامو. هل يمكنني أن أدعوك كامو؟

- أولئك الأوغاد في المواطنة الاستباقية يستحقون ذلك حقًّا.

- يجب إلقاء تلك المرأة الرهيبة في السجن مدى الحياة.

اعتذر بتهذيب وتسلل مبتعدًا، واختار الاستماع إلى المحادثات، آملًا ألا يروه ويحولوا محادثتهم إليه. في الماضي، ربما انتفخت أوداجه وأصابه الغرور بسبب كل الاهتمام المنصَب عليه، لكنه تعرَّض للكثير ومرَّ بمواقف عديدة، جعلته الآن محصنًا.

أخذ كونر يراقبه منذ بدء حفل الاستقبال، وأخيرًا اقترب منه. بدا عليه الألم وبعض الحرج، وهو يقول: "أصبحت متعاطفًا معك"، ثم ازدرد لعابه، مضيفًا: "ما أريد قوله هو إنني فهمت الأمر الآن، وأردت فقط أن تعلم ذلك".

لم يدرِ كام ما "الأمر" الذي فهمه، حتى شرح كونر مواجهته مع نظام آلي صغير يدعى يونيس، وخبرته الكاملة في تمزيق الأوصال، ثم تفكيكها، انتهاءً بإعادة تجميعها. ثم أمسك كونر ذراعه ونظر إلى عينيه مباشرة، وسأله سؤالًا ربما لن يفهمه أحد سوى كام.

- كيف تملؤها؟.. كيف تملأ ... المساحة الفارغة بداخلك؟

وشعر كام نفسه بالذهول، عندما وجد إجابة، وقال: "شيئًا فشيئًا، وليس بمفردي".

أمسك كونر ذراعه لحظة أخرى، تاركًا الإجابة تغوص في ذهنه، ثم ابتعد راضيًا. في تلك اللحظة، أدرك كام أنه لا يستطيع التمسك بأي قدر

من الكراهية التي كنَّها لكونر. الآن لا يسعه إلا الإعجاب به. اختفى كل سياق التنافس بينهما، حتى إنه تساءل لماذا كرِهَهُ منذ البداية.

لم يدرِ كام أن الفتاة التي أحبها موجودة هنا. كيف يمكنه ذلك؟ حتى لو رآها عن بعد، فسينساها حال ابتعاد عينيه عنها. جاءت إليه وهو يلتقط بقايا البوفيه، الذي بدا كما لو أن النسور قد هاجمته في لحظة انتهاء المراسم.

- أردت أن أشكرك يا كام، على ما فعلته من أجلنا تلك الليلة في آكرون.

تذكر تلك الليلة. تذكر جرايس وكونر، لكن...

بمجرد أن استدار ليواجهها، ورآها عن قرب، بدأ رنينٌ يَدْوي في دماغه، مصحوبًا بتشنجات. شعر بألم شديد للغاية، اضطره إلى النظر بعيدًا. امتزج عذاب الشوق بألم آليات النانو التي تؤدي وظيفتها الملعونة، واضطر إلى الإمساك بالحائط للحفاظ على توازنه. هكذا أدرك من هي.

- هل أنت بخير يا كام؟

- نعم، نعم، إنني بخير.

قالها وهو يحرص على التركيز على نقطة على الحائط فوق كتفها، بحيث يلمحها بطرف عينه فقط. وحتى في ذلك الوضع، شعر بألم كبيرًا جدًّا. في النهاية، اضطر إلى الابتعاد عنها تمامًا.

- لا تكن فظًّا هكذا يا كام!

قال: "لا، لا، إنك لا تفهمين. لقد جعلوني... لقد جعلوني...".

لكن حتى وهو يحاول أن يشرح، وجد أفكاره مشوشة لدرجة جعلته لا يدري ما سيقوله. إنه لا يعرف حتى اسمها. كيف يمكنه التحدث إليها

وهو لا يعرف حتى اسمها؟ لذا، أغمض عينيه، ورتب القطع، وأخبرها بما يستطيع، بأفضل ما يمكنه.

قال لها: "أنتِ الدافع خلف كل ما فعلته، لكني الآن بحاجة إلى دافع جديد".

ساد الصمت لحظة، ثم قالت: "لقد فهمت".

وجد صوتها جميلًا للغاية. ومؤلمًا للغاية.

- لكن... لكن...

عليه أن يقولها، لأنه يعلم أن هذه هي الفرصة الوحيدة التي سيحصل عليها على الإطلاق. قال: "لكني ما زلت أتذكر كيف شعرت... بحبك".

شعر بها وهي تقبِّله على وجنته. وعندما فتح عينيه، لم يجد أحدًا بجواره، وتساءل لماذا يقف بجانب البوفيه بعينين مغمضتين.

لم يَدُم حفل الاستقبال أكثر من ساعة. أول المغادرين هو حامل العينين، على ما يبدو بعد أن رأى ما يكفي، ثم تبِعَهُ حاملو القطع الأخرى من ويل تاشين بسرعة. طوال حفل الاستقبال، تغيبت أونا بشكل ملحوظ. وجدها كام جالسة على الدرج الخلفي للمنزل الرئيسي وحدها، وقد سحبت شعرها -المربوط بشريط- إلى الأمام في محاولة لإخفاء دموعها.

جلس بجوارها. لم تجفل في وجوده، وهي علامة طيبة.

سألها: "هل حقق لكِ الحفل كل توقعاتك؟".

قالت بمرارة: "ماذا ترى؟".

- أرى أنك إنسانة مخلصة وعنيدة للغاية، أيتها السيدة أونا تاشين.

ثم أخرج شيئًا من جيبه، مضيفًا: "هذا يذكرني، أريد أن أُريكِ شيئًا".

سلَّمها رخصة قيادته الصادرة من هاواي. نظرت إليها دون انبهار، وقالت: "يمكنك القيادة إذن. هذا عظيم".

- إنه أمر عظيم فعلًا. إنها بطاقة هوية رسمية. بعد ما حدث في مولوكاي، أقر المجلس التشريعي للولاية استفتاءً خاصًّا منحني صفة إنسان رسميًّا. وهكذا، أصبحت الآن موجودًا فعلًا. على الأقل في هاواي. لكني غير واثق من ذلك بالنسبة إلى بقية العالم.

أعادتها إليه، قائلة: "إنك لا تحتاج إلى رخصة لإثبات وجودك. أنا أعلم أنك موجود".

قال، رغم أنه غير واثق أنها تصدقه: "شكرًا لكِ يا أونا. هذا يعني الكثير بالنسبة إليَّ".

- ماذا ستفعل الآن إذن؟

هز كتفيه، مجيبًا: "أشياء عديدة. لقد طُلب مني العزف في قاعة «كارنيجي»، وأن أصبح رئيس لجنة مهرجان الورود".

- ما زلت نجمًا لامعًا إذن.

- أعتقد ذلك، لكن الآن بسبب ما فعلته، وليس بسبب شخصيتي. يوجد فرق كبير.

فكرت أونا في الأمر، وقالت: "إنك على حق، يوجد فرق".

- لم تعد روبرتا معي طبعًا لتنظم أموري. لدي الآن وكيلة أعمال، وهي مخيفة بعض الشيء.

ضحكت أونا، فشعر كام بسعادة. لو أنه قادر على إضحاكها في يوم الزفاف الغريب الحزين هذا، فقد ربح نصف المعركة. نظر لحظة إلى الخاتمين المتطابقين على إصبعيهما. رأته ينظر، وأصبحت اللحظة محرجة.

قال كام: ”على أي حال، سأعود إلى مولوكاي لمدة. يبدو أن لا أحد يعرف ماذا يفعل بكل هؤلاء المُجمَّعين الآن، بعد أن صادرتهم الدولة. إنهم بحاجة إلى من يدافع عنهم ويساعدهم على دمج أنفسهم وعقولهم وأجسادهم“.

- أتعني أنهم سيتركونهم هناك؟

- لا أحد يريد التعامل معهم، أو الاعتراف بوجودهم، وقد ثار العامة ثورة عارمة، عندما اقترح أحدهم قتلهم بالموت الرحيم.

تنهد كام، مضيفًا: ”لقد كانت مولوكاي يومًا مستعمرة للمصابين بالجذام. يبدو أن الجزيرة ستتمسك بتقاليدها“.

ثم صمت، وفكر: ”إنك تملأ الفراغ شيئًا فشيئًا، وليس بمفردك“.

أمسك يدها، وداعب خاتمها بين أصابعه، وعندما لم تبتعد، قال: ”سأصبح في غاية السعادة، لو عدتِ معي إلى مولوكاي“.

تأملته طويلًا، ثم سألته: ”لماذا أفعل ذلك؟“

قال: ”لأني طلبت ذلك.. أو لأنك تريدين ذلك“.

- لقد وضعت هذا الخاتم في يدك. لكنني لم أتزوج بقيتك.

قال لها: ”أعلم ذلك. لكن يدي تأتي متصلة بجسدي“.

ابتسمت ساخرة: ”ليس إذا أحضرتُ منشاري الكهربائي“.

قال كام: ”آه.. ذكرتِني بالأيام الخوالي الجميلة“.

ساد الصمت مرة أخرى، لكنه لم يعد محرجًا كما حدث منذ قليل.

أطاحت أونا بشعرها إلى الخلف بعيدًا عن وجهها، وقد كادت دموعها تجف، وسألته: ”كيف حال الطقس في مولوكاي؟ حار ورطب؟ ماذا يجب أن أرتدي؟“.

سأل كام، متحمسًا بعض الشيء: ”أيعني هذا أنك ستأتين؟“.

بدلًا من الإجابة، انحنت إلى الأمام وقبَّلته. ثم مررت أصابعها في شعره متعدد الأنواع، وبابتسامة خفيفة، نظرت إلى عينيه اللتين لا تقاوَمان، وهمست بلطف: "كم أحتقرك يا كامو كومبري".

ثم قبَّلته مرة أخرى.

***

78 - كونر

حال مغادرة العرسان وعودة سكان مُجمع بعث تايلر ووكر إلى أعمالهم، امتلأ الغسق بذلك الحزن الرقيق الذي يتبع أي حدث كبير.

علق ساي-فاي، فيما يساعد كونر وريسا وليف في تنظيف المنزل الرئيسي: «إنه عيد جميع القديسين. إذن هل يعتبر حفل الزفاف اليوم خدعة أم هدية؟».

اقترحت ريسا: "أفضل ما في الأمرين؟".

أمسكت يد كونر بقوة شديدة، فارتجف ألمًا، فقالت: "آسفة".

بدت الغرز عميقة، ورغم أن معززات الشفاء تسرع عملية التعافي، فلا مفر من آلام التجميع.

نقل ليف الكينكاج من خصره إلى ظهره وهو يقترب من كونر، ويسأله: "أخبرني إذن، بماذا أحسست؟".

لم يجرؤ أحد على طرح هذا السؤال على كونر. لكن ليف -بعد أن وصل إلى حافة الموت أيضًا- يعتبر من القلائل الذين يحق لهم السؤال.

قال له كونر: "إحساس أقرب إلى ... الزفير بلا توقف أبدًا في أثناء الاستماع إلى موسيقى الديسكو".

- لا، لا أقصد إحساسك في أثناء التفكيك. بماذا أحسست عند تقسيمك؟

الطريقة الوحيدة التي يمكن لكونر من خلالها رؤية ليف الآن هي النظر مباشرة إلى عينيه، وإلا فكل ما يراه هو الأسماء الموشومة على وجهه. ما رآه في هاتين العينين هو الشوق. حاجة شديدة إلى المعرفة، لدرجة أن كونر لم يستطع إبعاد عينيه عنهما.

سأله ليف: "هل ذهبت إلى النور؟ هل رأيت وجه الرب؟".

قال له كونر: "أعتقد أن عليك عبور البوابة، قبل أن تراه. إن الانقسام يشبه إلى حد ما التخلِّي عنك عند بوابة المنزل".

فكر ليف في الأمر وأومأ برأسه، قائلًا: "هذا مثير للاهتمام. أعتقد أن الباب كان ليُفتَح لو علم صاحب المنزل أنك ستبقى هناك".

ابتسم كونر، قائلًا: "من الجيد أن نؤمن بذلك".

سأله: "بمَ تؤمن؟".

بقدر ما أراد كونر تجنُّب السؤال، رغب في منح ليف إجابة صحيحة، فقال: "أومن بأنني هنا. أنا هنا حتى لو لم ينبغِ لي أن أصبح هنا بعد ما حدث. لا بد أن لذلك أهمية أو معنى ما، لكني الآن لن أفكك عقلي مرة أخرى متسائلًا عن طبيعة ذلك. دعني أفكر في الماء لفترة، قبل أن أفكر في تحويله إلى نبيذ، اتفقنا؟".

ظن أن ليف قد يبتسم لقوله هذا، لكنه لم يفعل، بل قال: "هذا عادل بما يكفي".

هنا نظر الكينكاج -قرد حقيقي على ظهره- من خلف ليف بعينين بريئتين واسعتين، لكنه تشبث بظهره بمخالب يمكن أن تقتل. ذكَّر هذا

كونر بأنه مهما تغير ليف، فإنه سيحمل دائمًا في مكان ما بداخله العُشر واسع العينين، إضافة إلى المصفق.

***

اصطحب كام وأونا ليف إلى المحمية، قبل المغادرة إلى مولوكاي. في الفناء الأمامي قبل أن يذهبوا، عانقت ريسا ليف بقوة، حتى إنها رفعته عن الأرض. ثم فجأةً لهثت واعتذرت، مدركةً أنها ربما سببت له الأذى. لكن ليف ابتسم. نادرًا ما يبتسم حتى إنه عندما يفعل، تحمل ابتسامته سعادة كبيرة يمكن لكونر أن يشعر بها من مسافة خمسة أقدام.

عانق كونر ليف برفق شديد، وقال: "هكذا لن تنفجر، ولن أتحطم".

وجد عينيه تدمعان، ورأى دمعة على وجنة ليف تنحدر فوق اسم جاستن ليفيتز، متجهةً إلى مارلا ميندوزا، مرورًا بسيدريك بيك، ثم تصل إلى ذقنه.

قال كونر بصعوبة شديدة، وبدا كمن يوشك على الانهيار: "شكرًا لك على إنقاذي يا ليف".

- لقد أنقذتني أولًا.

هز كونر رأسه نفيًا، وقال: "لقد استخدمتك كدرع بشري".

أوضح ليف: "كان بإمكانك أن تدعني أذهب حال وصولك إلى الغابة، لكنك لم تفعل، لأنك لم تردني أن أعود. لم تردني أن أنفذ نذر العُشر".

لم يستطع كونر مجادلته. ربما أمسك بليف يأسًا، لكنه تمسك به من باب الشفقة، رغم أنه لم يدرك ذلك حقًّا وقتها.

سأله ليف: "أما زالت الندبة موجودة حيث عضضتك؟".

نظر كونر إلى ساعده الأيمن. لم يجد طبعًا أثر العضة.

- يؤسفني أن الندبة ذهبت مع الذراع.

لكنه لاحظ لأول مرة أن أسنان القرش موجودة بالضبط في موضع ندبة عضة ليف نفسه.

يبدو أن الكينكاج أراد بعض الاهتمام، فتسلق من فخذ ليف إلى كتفه، وبدأ يجذب أذن ذلك الأخير. بدا متلهفًا لأن يواصل ليف يومه.. وحياته.

قال كونر: "اعتنِ به".

أجابه ليف: "سأفعل".

- لقد وجهت حديثي إلى القرد.

فارتسمت ابتسامة عريضة على شفتَي ليف.

***

بناءً على إصرارساي-فاي، بقي كونر وريسا ليقضيا ليلتهما. عانى جسد كونر الكثير في هذا اليوم، لأنه ما زال في مرحلة الشفاء، وفيما يستلقي على السرير، دلَّكت ريسا جميع جروحه بلطف بمرهم علاجي خاص، منحهما كام إياه قبل مغادرته، قائلًا: «إنها هدية مبكرة بمناسبة عيد الميلاد. إنه منتجي المفضل الثاني من صنع المواطنة الاستباقية».

سأله كونر بغباء شديد عن منتجه المفضل الأول.

فأجاب كام: "أنا طبعًا!".

إن المرهم مهدئ، ودافئ. لكن الفضل ليس له فحسب، بل أيضًا للمسة يدَي ريسا.

- هل تذكرين عندما اعتدتُ تدليك ساقيكِ في المقبرة؟

قالت ريسا: "شعرت وقتها أنه أفضل جزء من يومي".

- هكذا شعرت أنا أيضًا.

وبعد تدليك جميع جروحه بلطف، تقلب على السرير ليواجهها. قبَّلته، فاحتواها بين ذراعيه، ولم يتردد لحظة في معانقتها. فكل ما هو خطأ في العالم يذوب وسط وسائد من الريش وملاءات من الكتان الناعم، ووجد ريسا تملأ الفراغ الموجود بداخله بعد تفكيكه ثم تجميعه.

ظل كونر مستيقظًا حتى وقت متأخر من الليل وريسا بين ذراعيه، متمنيًا تفكيك الوقت، حتى يتمكن من تجربة هذه الليلة من كل زاوية ممكنة، ليس فقط المرور باللحظة، بل عيشها.

تمسك بهذا الإحساس حتى الصباح، عندما جاءت السلطات للقبض عليهما.

***

الجزء السابع

جميع القديسين

مظاهرة مجهولة الهوية ضد صناعة "المراهقين المضطربين" المروعة الملأى بالإساءة

بقلم روي كلابين، 27 مارس 2013، ونُشِرَ بموقع (PolicyMic.com)

بدأ أعضاء في مجموعة "المجهولين" المتنوعة للغاية على الإنترنت في استهداف "صناعة المراهقين المضطربين"، في محاولة لكشف حالات إساءة معاملة الأطفال الشديدة، والإساءات الجنسية، والتعذيب النفسي، وحتى الوفيات في مرافق مختلفة تدَّعي "تصحيح السلوك السيئ".

إن خطاب المبيعات بسيط: "لو أن ابنك المراهق يعاني مشكلات عاطفية، أو يتعاطى المخدرات، أو يمارس الجنس عشوائيًّا، فإن المساعدة

على بعد مكالمة هاتفية فقط. تَعِد برامجنا بإصلاح السلوك السيئ من خلال تعليم طفلك مهارات الحياة وبناء احترام الذات"... في بعض الأحيان، يصطحبونك إلى هذه المرافق في منتصف الليل، حيث ينتزعك موظفو المخيم -الذين سمح لهم والداك بدخول منزلك- من سريرك.

إن فضح انتهاكات صناعة تعديل السلوك يكتسب زخمًا بطيئًا... لكن يبدو أن الآباء في مختلف أنحاء البلاد ما زالوا يصدقون الضمانات المضللة التي تقدمها هذه الشركات، رغم أن كل موقع إلكتروني تابع لشركة تعد بالشمس والسعادة، يقابله مواقع أخرى ملأى بقصص الرعب التي يرويها الناجون.

... [في] عالم كاميرات البث عبر الإنترنت، لم يعد من الممكن إخفاء الضحايا... لكن توجد أماكن لا يُسمح فيها باستخدام الهواتف المحمولة أو الإنترنت. أماكن معزولة في البرية على بعد أميال من أي شكل من أشكال الحضارة، حيث يؤخَذ الأطفال لتصحيح سلوكهم، ويعانون مجموعة واسعة من العذابات الوحشية.

إن هاشتاج (#OpTTIAbuse) يمثل مخترقي الشبكات والناشطين والضحايا والآباء والناجين الذين يحاولون فضح الانتهاكات المروعة التي يعانيها الأطفال في جميع أنحاء هذا البلد في مرافق مختلفة تختفي عن التدقيق العام...

نادرًا ما توجد أي عواقب لحالات موت الأطفال بسبب سوء المعاملة أو الإهمال الطبي أو الجوع. ويرجع هذا جزئيًا إلى الافتقار إلى أي إشراف تنظيمي، إضافة إلى أن بعض الولايات لا تشترط حتى أي نظام ترخيص لمثل هذه البرامج...

كما أن التصميم الشبيه بالسجن لبعض هذه المرافق يحد من قدرة الأطفال على الإبلاغ عن الانتهاكات...

إن الأطفال نادرًا ما يحصلون على هواتف، وعندما يستخدمونها، تُراقَب محادثاتهم بعناية. وإذا قالوا أي شيء "سلبي" للوالدين، مثل "أفتقدكما، أريد العودة إلى المنزل"، فإنهم يعاقبون بتهمة "الخداع".

تواصل مجموعات مجهولة الهوية محاولة كشف قصص الناجين من داخل النظام، لكن مع الاهتمام المحدود من جانب الصحافة، أصبح نجاحهم هامشيًّا. حتى إن بعض الشركات الكبرى المشاركة نجحت في الضغط ومنع الإصلاح في مراكز "العلاج" السكنية الخاصة...

يمكن الاطلاع على المقال كاملًا على:

http://www.policymic. com/articles/31203/anonymous-rallies-against-hor-rific-abuse-riddled-troubled-teen-industry

***

79 - كونر

حدثت الغارة بعد ذهاب كونر وريسا لتناول الإفطار. ساد الهدوء كل شيء، ثم فجأة، هاجمت وحدة تكتيكية المنزل، وتجاوز عنفها الحد. حدث ذلك بسرعة كبيرة، ووجد كونر نفسه محاصرًا وهو يحمل ملعقة حبوب الإفطار التي لم يجد الفرصة لتناولها. لم يوجد وقت للذعر أو المقاومة. شُهِرَت في وجهيهما أسلحة عديدة عجز كونر عن إحصائها. نظر إلى ريسا على الجانب الآخر من الطاولة، فبادلته النظرة الصادمة نفسها. كان يجب أن يعرف أن القدوم إلى هنا ليس آمنًا. ربما يعتبر ساي-فاي ووالداه جديرين بالثقة، لكن في وجود كل أولئك العرسان، والأجزاء المختلفة من تايلر ووكر التي تعيش في المجتمع، من المؤكد أن أحدهم قد أبلغ عنهما للحصول على المكافأة.

قال لمجموعة المسلحين: "لماذا تأخرتم كل هذا الوقت؟".

لم يجيبوا، ولم يتحركوا للقبض عليه. انتظروا فحسب. ثم دخل رجل يرتدي حُلَّة داكنة. للمرة الأولى، تمنى كونر أن يتمكن هؤلاء الأشخاص من العثور على خزانة ملابس ملهمة أكثر من ذلك.

قال مُرتدي الحُلَّة: "يبدو أننا حصلنا عليهما معًا!".

أشار إلى أفراد فريقه لخفض أسلحتهم، فنفذوا الأمر. ردًا على ذلك، وضع كونر ملعقته، قائلًا: "سأصحبكم بهدوء، لو تركتها وشأنها".

قالت ريسا: "إياك أن تفعل ذلك يا كونر!".

ظل اهتمام مُرتدي الحُلَّة منصبًّا على كونر، وقال: "إنك لست في وضع يسمح لك بالتفاوض حقًّا".

ثم قفزت ريسا وانقضت عليه.

- لا يا ريسا!

هدأها أحد المسلحين قبل أن تصل إلى منتصف الطريق، وأمسك بها آخر قبل أن تسقط على الأرض.

إنها طريقتها للتأكد أن أينما ذهب كونر، ستذهب معه. عليها اللعنة!

أحضر المسلحون ساي-فاي ووالديه إلى الطابق السفلي. تصادف أن والده محامٍ، فأخذ يجادلهم بشأن انتهاك حقوقهم.

قال مُرتدي الحُلَّة: «لا نملك وقتًا لهذا»، ثم التفت إلى كونر، مضيفًا: «أتريد عقد صفقة؟ ما رأيك في هذه؟ أنت والجميلة النائمة ستأتيان معنا بسلام، وإلا سنقبض عليهم لإيواء هاربين معروفين».

ورغم أن كونر لم يصدق ولو لحظة أنهم سيتركون ساي-فاي ووالديه، فإن خياره الآخر الوحيد هو القتال والإصابة برصاصة تهدئة مثل ريسا. ما الفرصة التي قد يحظى بها للتفاوض إذن؟ إلى جانب ذلك، شعر بشيء بشأن هذا الرجل. إنه يحاول أن يبدو مؤثرًا، حتى لو أنه غير مبالٍ بعض الشيء، لكنه يبدو كمن يشعر في داخله بعدم الارتياح. إن الرجل الذي يرتدي الحُلَّة خائف، لكن ماذا يخيفه؟

التفوا حول كونر لتقييده بالأصفاد، وأداروا ذراعيه خلف ظهره، فتجهم، وصاح بهم: "احترسوا! ستمزقون مواضع التحامي!".

قال مُرتدي الحُلَّة: "ماذا؟... انسَ الأمر، لا أريد أن أعرف".

أمر رجاله بإدارة كونر حول نفسه مرة أخرى، وقيدوه من الأمام بدلًا من الخلف، ثم قادوه وحملوا ريسا إلى طائرة نفاثة تقبع في حقل مملوء بالأعشاب على الطريق، ولا يوجد به أي شيء يشبه الممر. لقد رأى كونر طائرات مثل هذه في المقبرة.

- أهي طائرة «هاريير ويسبر بومبر»؟

قال مُرتدي الحُلَّة: "إنك تعرف آلاتك. إنها الطائرة الأساسية التي اعتمدت عليها «حرب الجوهر». تقلع وتهبط عموديًّا، وفي صمت كامل".

- إذن، لا بد أنني وريسا القنابل.

تحرك مُرتدي الحُلَّة في عدم ارتياح، وقال: "سنرى".

وضعوه بالداخل وركب الرجل، وحمل البوف المخيف ريسا برفق وربط لها حزام الأمان في تمهل وعناية. احتل الثلاثة المقصورة الأمامية المنفصلة عن الفريق التكتيكي.

سأل كونر الرجل الذي يغادر للانضمام إلى رفاقه: "هل ستعود بعربة المشروبات؟".

ارتفعت الطائرة مثل المروحية، ولم تصدر محركاتها سوى أنين خافت، ثم تسارعت، متجهة نحو شروق الشمس. جلست ريسا -الغائبة عن الوعي- بلا حراك في المقعد المجاور لكونر، حيث كتفه وحزام الأمان هما الشيئان الوحيدان اللذان يمنعانها من السقوط. وفي الجهة المقابلة لهما، بدا الرجل مُرتدي الحُلة راضيًا عن نفسه للغاية. فكر كونر في كيفية طرد الرجل من الطائرة، حتى وهو مقيد بالأصفاد. لكن الرجل قال: "تهانينا، أنت في الحجز الوقائي للحكومة الفيدرالية. لقد أخذناك كإجراء احترازي، تحسبًا لأن تسعى هيئة الأحداث للنيل منك".

مضت لحظة، إلى أن حلل كونر الأمر في ذهنه واستوعبه، ثم قال: "انتظر! ألستم من شرطة الأحداث؟".

- لو أننا كذلك، لما ظللت حيًّا حتى الآن.

لم يقتنع كونر، فجادله: "لو أن هذا حجز وقائي، فلماذا قيدتموني بالأصفاد؟".

ابتسم الرجل، وأجاب: "لأن عدم الثقة متبادل بيننا".

قدم نفسه بصفته العميل الخاص الإشرافي أراجون، مظهرًا شارة مكتب التحقيقات الفيدرالي تلقائيًّا، كما لو أن هذا يعني أي شيء لكونر في هذه المرحلة.

قال: "إننا لسنا العدو".

- هذا ما يقوله العدو دائمًا.

نظر إلى كونر، متأملًا إياه، كما لو أنه يريد العينين اللتين لم يحصل عليهما نيلسون قط.

- هل تؤمن بالديمقراطية يا كونر؟

ليس هذا نوع الأسئلة الذي توقعه كونر، فقال: "آمنتُ بها في الماضي. إنني أومن بالطريقة التي من المفترض أن تعمل بها".

قال أراجون: "إنها تعمل دائمًا بالطريقة التي من المفترض أن تعمل بها. الكثير من الشكوى والتذمر حتى يحصل أحدهم على ما يريده".

ثم أخرج حاسبًا لوحيًّا ومسح الشاشة حتى وجد ما يبحث عنه، فأضاف: "اعتبارًا من صباح اليوم، أصبح أربعة وأربعون بالمئة من الشعب الأمريكي مستعدين لرفض فكرة التفكيك".

- ما زالت هذه النسبة لا تعتبر أغلبية.

رفع أراجون حاجبيه، قائلًا: "هذا فقط لأنك لا ترى الصورة كاملة"، ثم قلب الجهاز اللوحي حتى يتمكن كونر من رؤيته. ظهر على الشاشة مخطط دائري بسيط، علق عليه أراجون مبتسمًا وهو يغمز بعينه: "هذا الصباح، وصل دعم التفكيك إلى أدنى مستوى له على الإطلاق عند سبعة وثلاثين بالمئة، مع نسبة تسعة عشر بالمئة لم تحسم رأيها. ولدي خبر يهمك، التسعة عشر بالمئة سيظلون **دائمًا** محايدين. وهذا يعني يا كونر، أنه بعد كل هذا الاعتراض والتذمر، يبدو أنك قد حصلت على ما تريده".

لا يثق كونر بمن يغمزون، فقال: "الأمر إذن بهذه السهولة؟".

- أنت من بين كل الناس لا بد أنك تعرف أنه لم يكن سهلًا على الإطلاق.

إنه محق في ذلك. التفكير في كل ما مر به كونر جعل جروحه تؤلمه من الداخل والخارج.

- يعرف الكثير من الناس أنك لست مايسون ستاركي، لذا -رغم أن ذلك الوغد مريض نفسيًّا- فقد قدم لك خدمة. الآن أنت الأقل شرًّا في نظر العامة.

التفكير في ستاركي جعل معدة كونر ترغب في إفراغ الحبوب التي تناولها قبل القبض عليه.

قال لأراجون: "لقد مات ستاركي. لقد قتلته".

تأمله أراجون، وهو يشك أنه يمزح، وقال: "حقًّا؟ إن كل من أرادوا قتله بأنفسهم سيصابون بخيبة أمل كبيرة!".

تحركت ريسا المتكئة على كتف كونر، لكنه شك أنها ستظل غائبة عن الوعي لمدة ساعة على الأقل أو أكثر، اعتمادًا على قوة المهدئات. حرَّك كتفه بصعوبة لإبقائها جالسة في وضع مستقيم، ثم مد يديه إلى

أراجون، آملًا أن يزيل الأصفاد حتى يتمكن كونر من إحاطة ريسا بذراعه بشكل صحيح.

قال له أراجون: "ستُنزع الأصفاد في الوقت المناسب".

مرة أخرى، شعر كونر بتوتر الرجل، وهو يقول: "إنك لا تدري شيئًا عما ينتظرك، أليس كذلك؟".

- لا أعرف أبدًا ما ينتظرني. منذ أسبوعين كنت أربعين قطعة، والآن أنا مكتمل. منذ عشر دقائق، جلست في المطبخ، والآن أطير في السماء. أخبرني أنني ذاهب إلى القمر، ولن أجد ذلك مفاجئًا.

قال أراجون: "أوه، ستذهب إلى ما هو أبعد من ذلك. مع تدمير المواطنة الاستباقية تمامًا، وظهور طابعات الأعضاء في الأفق، سيتغير كل شيء. إذا نجحتما اليوم، ستصبح أنت والسيدة وورد من نجوم المجتمع. وستُدهش من عدد الأصدقاء في المناصب العليا الذي ستحصلان عليه فجأة".

- لا أريد هذا النوع من الأصدقاء.

- بل تريده، لأنه ما زال يوجد الكثير من الكارهين الذين يطالبون برأسك. لكن الطفيليات يمكن أن تحميك من آكلي اللحوم.

لا يمكنه احتمال ذلك. شعر بنزاع عميق داخل جمجمته، وكأن فصوص دماغه المختلفة تتناحر معًا وترفض التعافي.

- من أنت؟

- كما أخبرتك، أنا مجرد ضابط ميداني عادي تابع لمكتب التحقيقات الفيدرالي. لكنني -مثل الجميع- أطمح في أشياء أكبر.

- إذن، فأنت أول طفيلي أقابله.

منحه أراجون تلك الغمزة المزعجة مرة أخرى، وقال: ”لقد فهمتني الآن“.

واجها بعض التقلبات الهوائية، وألقى كونر نظرة من النافذة ليرى الأرض قد اختفت تحت غطاء من السحب.

نظر أراجون إلى ساعته، وقال: ”إنها التاسعة صباحًا حيث نذهب، يجب أن نصل إلى هناك بحلول الحادية عشرة“.

- إلى أين نتجه؟

لم يجبه أراجون فورًا. بدأ الخوف الذي أحس به كونر يطفو على السطح. لن يصاب بالدهشة إذا بدأ الرجل يرتبك ويتصبب عرقًا.

- لا أعرف هل تعلم أم لا، لكن قبيلة أراباتشي -إضافة إلى كل قبائل شعب المحظوظين الأخرى- مستعدة لإعلان الحرب. اندلعت أعمال شغب بسبب التفكيك في كل المدن الرئيسية. إننا على أعتاب شيء يمكن أن يجعل «حرب الجوهر» تبدو كنزاع محلي.

كرر كونر سؤاله: ”إلى أين نتجه إذن؟“.

تنفس أراجون بعمق وفك أصفاد كونر، مجيبًا: ”ستزوران صديقًا قديمًا“.

***

80 - ريسا

استيقظت بين ذراعَي كونر وظنت لحظة أن الأمور تسير على ما يرام، إلى أن استعادت تركيزها، ورأت أين هي وتذكرت ما حدث. لقد قُبِض عليهما، ومع ذلك فإن ذراع كونر تضمها. ابتسم عندما رآها مستيقظة. ترى ما السبب؟

قال لها الرجل الجالس أمامهما، الذي أسرهما: "لقد اقتربنا. ألقي نظرة".

استدارت ببطء -وهي تعلم أن المهدئات ستسبب لها المعاناة لو استدارت بسرعة كبيرة- ونظرت من النافذة.

أول ما رأته البرج الأبيض الواضح لنصب واشنطن التذكاري. اعتقدت أنهم في طائرة، لكن سرعة ومسار اقترابهم أشبه بأداء مروحية، ومع ذلك، لم تسمع طنين المروحة الدوارة. عندما اقتربوا، أدركت وجود خطأ ما. من المفترض أن العشب في حديقة متنزه «ناشيونال مول» -التي تمتد شرقًا إلى مبنى «الكابيتول»، وغربًا إلى نصب لنكولن التذكاري- أخضر اللون أو في أسوأ الأحوال أصفر في هذا الوقت من العام. لكنه على العكس، امتلأ بالألوان والحركة، مثل اللوحة التي اعتادت الظهور على شاشة تلفاز عتيق عند توقف الإرسال. مضت بضع لحظات حتى

أدركت وجود أشخاص يتزاحمون في الحديقة التي يبلغ طولها ميلين. آلاف وآلاف الأشخاص!

قال لها كونر: "إنها التظاهرات التي دعا إليها هايدن".

سألت، وهي ما زالت عاجزة عن استيعاب ما يحدث في محيط متنزه «ناشيونال مول» بأكمله: "هايدن؟ صديقنا هايدن؟".

قدمها كونر إلى العميل أراجون، لكنها ليست مستعدة لمصافحته بعد، وشرح لها بسرعة ما يجري، لكن هذا الأمر أكثر مما تستطيع ريسا تحمله بعد إفاقتها من التخدير مباشرة. أراها كونر رسالة. في البداية، اعتقدت أنها الرسالة نفسها التي حملها في متجر سونيا، لكنها ليست هي. نظرت من كثب قليلًا، لتجد أن الرسالة ممهورة بخاتم رسمي.

قال أراجون: "الإعلان سيحدث عند الظهر. لكن هؤلاء المحتشدين بحاجة إلى سماعه الآن، ومنكما تحديدًا".

- انتظر! أي إعلان؟

ثم التفتت إلى كونر، وسألته: "هل ستسمح لهذا الرجل أن يُملي عليك ما تقوله؟".

قال لها كونر: "لا تقلقي، إنني أعرف فعلًا ما يجب أن أقوله، في وجود هذا الرجل أو من دونه".

انعطفوا حول نصب واشنطن التذكاري، واقتربوا قليلًا مما أزعج ريسا، ثم هبطوا نحو الطرف البعيد من الحديقة المزدحمة، على مسافة قريبة من مبنى «الكابيتول».

ظلت ريسا تشعر بتوتر شديد وألم في رأسها، وسألت: "كيف يمكننا الهبوط في وجود كل هؤلاء الناس في طريقنا؟".

قال أراجون: "لا تقلقي. عندما تهبط الطائرة، ابدئي التحرك".

عند هبوطهم، أصبح المشهد أوضح. الازدحام شديد، وفي الوقت نفسه، شرطة مكافحة الشغب في كل مكان، استعدادًا لأول بادرة على العنف. ووسط حشد كبير بهذا الحجم، ومتحمس، من المؤكد أن يحدث ذلك.

قالت ريسا: "يا إلهي، إنه ليس تجمُّعًا، بل برميل بارود".

قال أراجون: "لهذا جئتما إلى هنا، كي يتصرف الجميع بلطف".

لمحت ريسا قميصًا مكتوبًا عليه بحروف بارزة: "أين هما؟"، وليس قميصًا واحدًا فحسب، بل المئات، ولافتات أخرى مماثلة انتشرت في جميع أنحاء الحشد. بدأت ريسا تشعر بدوار، عندما أدركت من تتحدث عنه القمصان.

قال أراجون: "توجد شائعة متزايدة الانتشار، مفادها أن سلطة الأحداث قد دفنتكما في مقبرة مجهولة. يجب أن تُرِيا الناس أن هذا ليس صحيحًا، قبل أن يقرروا أن وقت الانتقام قد حان".

قال كونر: "يبدو أنهم سيضطرون إلى الحصول على قمصان جديدة".

عندما فُتح الباب، اتضحت كيفية هبوطهم. أدى هبوطهم العمودي إلى إسقاطهم مباشرة في مسبح «الكابيتول». وخلف حافة المسبح، حاول المحتشدون النظر لمعرفة من وصل للتو. نهض كونر أولًا، ثم التفت إلى أراجون، الذي لم يتحرك من مقعده، وسأله: "ألن تأتي؟".

هز أراجون رأسه، قائلًا: "لو أن هذا العرض سينجح، فيجب أن تكونا بطليه، وليس أنا. حظًّا سعيدًا".

مد كونر يده إلى ريسا، ورغم أنها غير مستعدة لمواجهة الحشد، فقد أمسكت يده ونزلت إلى الماء.

قال كونر: ”يا إلهي، هذا بارد“.

جاء رد فعل الحشد فوريًّا: ”إنهما هما! إوُول آكرون! وريسا وورد!“.

انتشرت الأخبار وسط الحشد، وبطول الحديقة الضخمة كموجة كهربائية. هل قالت ريسا الآلاف؟ لا بد أن الموجودين هنا أكثر من مليون! ليس المراهقون فقط، بل يوجد أيضًا أشخاص من جميع الأعمار، وجميع الأجناس، وربما من جميع أنحاء البلاد. نزل هايدن في المسبح واتجه نحوهما، قائلًا: ”يا له من دخول مذهل! أنتما الوحيدان من معارفي اللذان يمكنهما الوصول فجأة وبشكل غير متوقع وإنجاز المهمة رغم كل الصعوبات“.

ثم عانقهما بسرعة، مضيفًا: ”يسعدني أن تقارير وفاتكما ليست سوى كذبة مبالغ فيها“.

أخرجهما من المسبح، ومروا وسط الحشد، متجهين نحو درجات سلم مبنى «الكابيتول». انقسم الحشد أمامهم، والناس ما زالوا يهمسون بأسماء كونر وريسا بحماس مشحون. حاول بعض الناس لمسهما فعلًا، فقد قبضت امرأة على قميص ريسا، وكادت تمزقه.

صاح هايدن بمن يمدون أيديهم: ”كفوا أيديكم عنهما!“.

قد يبدو الأمر للناظر وكأنهم يسيرون على الماء، لكن عمق المسبح يبلغ قدمًا واحدة فقط.

وقف متحدث على المنصة بالقرب من أعلى درجات مبنى «الكابيتول»، يدعو إلى العدالة والإنصاف والشفافية وكل الأشياء الأخرى التي يطالب بها الناس، لكنهم نادرًا ما يحصلون عليها من حكومتهم. سمعت ريسا كلماته تُذاع في أنحاء التجمع بواسطة أنظمة صوتية تبدو وكأنها ظهرت تلقائيًّا. أدركت ريسا أن المتحدث ليس سوى نجم الروك

بريك ماكدانييل، ويوجد المزيد من المشاهير يصطفون، انتظارًا لدورهم في الحديث.

قال هايدن: "عندما دعوت إلى هذا، لم أثق حتى أن أحدًا يستمع".

عند قاعدة درجات سلم «الكابيتول»، سد صف من رجال شرطة مكافحة الشغب الطريق، وسخر المحتشدون منهم، وتحدوهم أن يواجهوهم. شعرت ريسا كمن خطت للتو في مصيدة فئران على وشك الانفجار. ألا يرى هايدن ذلك؟ كيف يمكن أن يتحمس إلى هذا الحد؟

علق كونر: "لم أر أيًّا من رجال شرطة الأحداث".

نظرت ريسا حولها لتدرك أنه على حق. توجد شرطة مكافحة الشغب، وشرطة الشوارع، والبوف العسكريون المدججون بالسلاح، وحتى رجال الخدمة الخاصة، لكن لا توجد شرطة أحداث.

قال هايدن: "الشائعات تقول إن هيرمان الذي لا أعرف لقبه -تلك الأداة الكاذبة التي تدير سلطة الأحداث- قد عُزِلَ من منصبه".

قال كونر: "هل فُصِل شاربلي؟".

- من المرجح أن هذا ما حدث.

قالت ريسا: "إنه دمية المواطنة الاستباقية المفضلة".

منحهما هايدن ابتسامته الشهيرة، وقال: "اعتقدت أنني سأُعتَقَل في اللحظة التي أظهر فيها، لكن أصحاب السلطة جميعهم يفرون كالهاربين من التفكيك. لا أحد يعرف إلى أين سيستقر بهم المقام، لكنني آمل أن يتحطموا جميعًا وتتناثر أشلاؤهم مثل الطماطم في لعبة «كرة الطماطم»".

وعندما وصلوا إلى صف رجال شرطة مكافحة الشغب، قال هايدن: "افتح يا سمسم"، فسمحوا له بالمرور، لكنهم أغلقوا صفوفهم مرة أخرى وأمسكوا بأسلحتهم قبل أن يتمكن كونر وريسا من المرور.

قال هايدن: "أوه، أرجو المعذرة. ألا ترون من هما؟".

نظر أحد الحرس إلى كونر، ثم إلى ريسا، وفي اللحظة التي تعرف عليهما فيها، سحب مسدسه من جرابه. لم تعرف ريسا أهو ممتلئ بالمهدئات أم الرصاص الحقيقي، لكن هذا لا يهم. لو أطلق النار عليهما، ستشن الجماهير هجومها على الشرطة، وتتحول الساحة إلى حمام من الدماء. لذا نظرت إلى عينَي الضابط الغاضبتين، وسألته: "هل أنت على استعداد لأن تصبح الرجل الذي يشعل شرارة الحرب؟ أم تريد أن تصبح الرجل الذي يمنعها؟".

ورغم أن الغضب لم يفارق وجهه قط، فقد تخلله القليل من الإنسانية، وربما القليل من الخوف. ظل في موقعه لحظة أخرى، ثم تنحى جانبًا للسماح لهما بالمرور.

بدا واضحًا أن صعود درجات مبنى «الكابيتول» أمر صعب بالنسبة إلى كونر، فقد تجهم وجهه مع كل خطوة، وساعدته ريسا بقدر ما تستطيع. عندما رآهم بريك ماكدانييل يقتربون، توقف عن الحديث في منتصف عبارته، وسلم الميكروفون، وقد بدا عليه القليل من الرهبة، كما صمت الحشد بأكمله من «الكابيتول» إلى نصب لنكولن التذكاري في ترقب.

توقفت ريسا على بعد بضع خطوات من المنصة، ووقفت إلى جوار هايدن، قائلة لكونر: "إنهم بحاجة إلى سماعك أنت.. لقد سبق لي فعلًا الوجود في دائرة الضوء الإعلامية. الآن حان دورك".

قال لها: "لا يمكنني ذلك بمفردي".

ابتسمت ريسا: "وهل ترى نفسك وحيدًا؟".

***

81 - كونر

أمسك كونر الرسالة في يده حتى كاد يسحقها، واقترب من المنصة، محاولًا منع أنفاسه من التسارع. لم ير قط مثل هذا العدد من الناس في حياته. مال إلى الأمام باتجاه الميكروفون، قائلًا: "مرحبًا... أنا كونر لاسيتر".

طغى صوته على صوت الحشد، وكاد يصاب بصدمة عندما جاء رد فعل الجماهير في صورة هتاف جماعي هادر، تردد صداه من مبنى «الكابيتول» خلفه، حتى بدا وكأنه يهز الأشجار. تخيل هذا الهدير يندفع بطول نهر بوتوماك، وصولًا إلى خليج تشيسابيك، ومنه إلى المحيط الأطلسي، حيث يمكن سماعه في جميع أنحاء العالم. ثم أدرك أن هذا سيتحقق! كل ما يحدث هنا اليوم سيراه ويسمعه الجميع في كل مكان!

- أتيت إلى هنا لأخبركم أنني ما زلت حيًّا، وكذلك ريسا وورد.

توقف عندما علا صوت المزيد من الهتافات، وانتظر مرة أخرى إلى أن يهدأ الحشد، قبل أن يقول: "ويوجد ما أريد أن أخبركم به".

نظر إلى الرسالة الموجودة بين يديه، ثم أدرك أنه ليس مضطرًّا إلى النظر إليها. لقد قرأها مرات عديدة منذ أعطاه إياها أراجون، حتى

حفظها عن ظهر قلب. استلزم الأمر أن يفعل ذلك، لأنها الطريقة الوحيدة التي تمكِّنه من إقناع نفسه بأنها حقيقية.

- يسعدني أن أعلن أن رئيس الدولة قد استخدم حق النقض ضد مشروع قانون تجاوز الوالدين.

هذه المرة بدأ الهتاف بتردد، لكنه ارتفع إلى درجة مجمومة. لم ينتظر أن يهدأ الحشد ليواصل حديثه، وقال: "ولديَّ المزيد. يدعو الرئيس أيضًا الهيئة التشريعية إلى فرض وقف مؤقت على التفكيك. وإغلاق مرائب التفكيك في جميع مخيمات الحصاد، لحين الاستماع لأصوات الجميع!".

شعر بصوته يكتسب القوة من الحشد، ومن أعماقه أيضًا، فصرخ: "وسنبقى هنا! أمام «الكابيتول»! إلى أن يسمعونا!".

أصبح هدير الجماهير المحتشدة أشبه بزلزال يهز سلم المبنى. شعر به يهتز تحت قدميه، ويهز أسس المبنى الضخم ذي القبة من خلفه. لم يعرف هل هذا ما أراده أراجون أم لا، لكنه ما يريده هو: حشد الملايين، ليس لشن أعمال عنف أو انتقام، لكن للصمود في وجه القتل المؤسسي الذي كاد يمحو جيلًا بأكمله.

أمرهم كونر: "انضموا إليَّ! **وأقسم لكم إن كل شيء سيتغير!**".

في الأعلى، حلقت مروحيات إخبارية، وفي الأسفل، أخذت طواقم وسائل الإعلام تبث رسالته إلى كل منزل، وكل مكان عمل، وكل موجز إخباري. وهو يعلم أن في مقابل كل فرد موجود هنا اليوم، يوجد ألف شخص آخر ينهضون في هذه اللحظة للانضمام إليهم. ليست انتفاضة مراهقين كما تصور هايدن، بل صحوة أمة من كابوسها الأشد ظلامًا.

ثم سمع كونر وسط صخب الحشد من ينادي اسمه. ليس نداءً عشوائيًّا، بل حمل صوتًا مألوفًا. ربما أعمق قليلًا، أكبر سنًّا قليلًا مما

يتذكره، لكنه صوت لا يمكنه أن ينساه أبدًا. نظر إلى مقدمة الحشد، ورأى صبيًّا يظهر. صبي طويل القامة، يماثله طولًا تقريبًا.

- لوكاس؟

وخلفه، رآهما كونر. والدته ووالده. استقتلا ليشقا طريقهما إلى الأمام بين الحشود. لقد جاؤوا إلى التجمع. لم يعلموا حتى أنهم سيجدونه هنا، لكنهم جاؤوا رغم ذلك!

عندئذٍ، بدأ الناس يتعرفون على والديه. أدركوا أنهما من وقَّعا أمر تفكيك إوُول آكرون.

بدأ الحشد يلتف ليواجههما.

صرخ المحتشدون: "إنهما من المُفكِّكِين! فكِّكُوا المُفكِّكِين!".

وبقدر ما ارتفعت الروح المعنوية منذ لحظة، تحولت الطاقة إلى غضب، وهاجم المحتشدون والديه.

- **لا!**

اندفع كونر نازلًا درج «الكابيتول»، ومتجاهلًا آلام مفاصله. لقد جن جنون الجماهير المحيطة بوالديه! لم يعد بإمكانه رؤيتهما الآن؛ لقد سقطا في معركة صراخ مميتة.

- **توقفوا!**

لكن الغضب منعهم من سماعه.

تحرك رجال شرطة مكافحة الشغب نحو المحتشدين، وهم يحملون أسلحتهم. اخترق كونر صفوفهم ووصل إلى الغوغاء المشاغبين أولًا.

توسل لوكاس: "أوقفهم يا كونر!".

ركض كونر أمامه وألقى بنفسه بين كومة من الأجساد، ودفع الناس بعيدًا. عندما رأوه، أخذوا يتراجعون واحدًا تلو الآخر، حتى وصل إلى مركز الهجوم، ووجدهما.

وجد والديه ملقيين على الأرض، وقد تمزقت ملابسهما، ولطخت الدماء وجهيهما وجسديهما.

لكنهما حيان! ما زالا على قيد الحياة.

أمسك كونر يد أمه وساعدها على الوقوف، ثم مد يده إلى والده، الذي أمسكها ونهض. بدا كلاهما مثل اللاجئين. يائسين، ووحيدين في مواجهة قوة تفوقهم عددًا. بدوَا كهاربين من التفكيك.

ظل الحشد ثائرًا من حولهما، وأوشكت شرطة مكافحة الشغب على الهجوم. إن برميل البارود على وشك الانفجار، ومن يدري كم سيصبح الأمر سيئًا بمجرد انفجاره؟ كل شيء يتوقف على هذه اللحظة.

عرف كونر ما يجب فعله لنزع فتيل هذا الموقف. إنه يعرف ما يحتاج الحشد إلى رؤيته.

أحاط والدته ووالده بذراعيه وعانقهما بكل ما أوتي من قوة. انضم إليهم لوكاس -الذي جذبته عاطفتهم- في هذه العناق العائلي الغريب. بالنسبة إلى كونر، بدا الأمر وكأن الحشد والشرطة والعالم قد رحلوا. لكنه يعلم أنهم لم يرحلوا. إنهم جميعًا موجودون، ينتظرون ليعرفوا كيف سينتهي هذا اللقاء المثير. همس والد كونر في أذن ابنه: "أيمكنك أن تسامحنا؟".

أدرك كونر أنه لا يملك إجابة، ففي هذه اللحظة طغى ذلك الجزء منه الذي لم يحسم قراره بعد، على الإجابتين الحاسمتين بنعم أو لا.

قال له كونر: "إنني أفعل هذا لإنقاذ حياتكما"، لكنه علِم أن الأمر أكثر من ذلك. بدا له أن عناقه لهما يمكن أن يجمعهم، لن يعيدهم إلى الأسرة التي ضمتهم ذات يوم، بل إلى الأسرة التي ربما توجد فرصة لأن تضمهم من جديد. علم كونر أنه لا يستطيع أن يسامحهما اليوم، فسيكون عليهما الاستقتال للحصول على سماحه. وعليهما أن يعملا بجد لينالاه. لكن إذا نجوا جميعًا اليوم، فسيوجد وقت لحدوث ذلك.

بكى والده بلا سيطرة على كتفه، وحدقت إليه والدته كما لو أن النظر إليه يمنحها القوة. راقبهم المحتشدون، وانتظروا. ومرت لحظة الأزمة.

وهنا أدرك كونر أن أراجون محق تمامًا. لقد فاز كونر. وهذا يعني أنهم جميعًا قد ربحوا.

سأل لوكاس: "هل يمكننا العودة إلى المنزل الآن؟".

قال له كونر بلطف: "قريبًا.. قريبًا جدًّا".

وهكذا، فيما يتراجع العامة لإفساح المجال لهم، وفيما يعيد رجال مكافحة الشغب أسلحتهم إلى غمدها، ويقفون هادئين، وفيما تصعد ريسا إلى المنصة، وتهدئ الحشد بصوت هادئ كعزف البيانو، عانق كونر لاسيتر أفراد عائلته كأنما لن يفلتهم أبدًا.

***

نهاية الكتاب الرابع

شكر وتقدير

لقد كانت دِستوبيا التفكيك رحلة مذهلة! آمن مُحرري -ديفيد جيل- والناشر جاستن تشاندا بهذه الكتب منذ البداية، ودعمها الجميع في (Simon & Schuster) بشكل لا يصدق، بما في ذلك جون أندرسون، وآن زافيان، وليز كوسنار، وبول كرايتون، وكاتي هيرشبيرجر، وميشيل ليو، وكانديس جرين، وأنتوني باريسي، وكاترينا جروفر، وشافا وولين، وكلوي فوجليا. تحمَّل أطفالي بريندان وجارود وجويل وإيرين -الذين لن أتصور أبدًا تفكيكهم!- جولات بشأن الكتب، وكل الأوقات التي غاب فيها أبوهم في غياهب عقله الغريب. أحظى بأفضل أبناء على الإطلاق! ولم أكن لأجد الوقت الكافي للكتابة، لولا مساعدايْ مارسيا بلانكو وبارب سوبيل. لديَّ أيضًا أفضل "الأشخاص" على الإطلاق! وكيل كتبي، أندريا براون؛ وكيلي للحقوق الأجنبية تارين فاجرنيس؛ وكيلاي لصناعة الترفيه، ستيف فيشر وديبي دوبل هيل، ومدير أعمالي تريفور إنجلسون، ومحامي العقود، شيب روزنمان، ولي روزنباوم، وجيا بالادينو. أود أن أشكر كل من سعى إلى إخراج «مُفكك» كفيلم روائي طويل: جوليان

ستون، وكاثرين كيميل، وشارلوت ستاوت، ومارك بيناردوت، وفابر ديوار. لم أحلم بمنتجين أو أصدقاء أفضل منهم. أتوجه بالشكر أيضًا إليكما يا روبرت كولزر ومارجو كليوانس من شركة (Constantin Films)، على رؤيتكما وشغفكما بعملي. شكرًا لميشيل نولدن على تعاونها في «ممتد» والقصص القصيرة القادمة التي تدور أحداثها في عالم التفكيك. كما أشكر ماثيو لوري، سيمون باول، سيمون واتسون، تايلر هوتزمان، آني ويلسون، ميرا ماكنيت، ماثيو سيتزكورن، وناتالي سومورز، لكل المساعدات التي قدموها على وسائل التواصل الاجتماعي! والأهم من ذلك، أود أن أشكر معجبيَّ، الذين ساهمت كلماتهم في نشر هذه الكتب حول العالم. آمل أن تحمل هذه النهاية كل ما تمنيتموه وأكثر!

***

مُكتمل

UNDIVIDED

وصل قطار دستوبيا التفكيك إلى محطته الرابعة، التي لا تقل إثارة وتشويقًا عن المحطات الثلاث السابقة «مفكك»، و«منقوص»، و«مفرَّغ».

في هذا الكتاب الرابع، تفرقت مسارات أبطالنا من جديد، لكن ظل هدفهم واحدًا، وهو القضاء على التفكيك. اكتشف كونر وريسا وجرايس وجود حل سري وعبقري يمكنه أن يصبح بديلًا رائعًا وأخلاقيًّا للتفكيك، لكنَّ حادثًا مفاجئًا وغير مقصود يهدد بقتل هذا الحل في مهده، وقبل أن يعرفه العالم.

أما كام، فبعد تضحيته الكبيرة بنفسه لإنقاذ حبيبته ورفاقها، يقع من جديد في يد روبرتا، التي تتلاعب بدماغه، وتمحو ريسا وكل ذكرياته معها من ذاكرته.

في اتجاه ثالث، يكافح ليف بلا كلل لإقناع قبائل شعب المحظوظين بإعلان إيوائهم الهاربين من التفكيك ورعايتهم رسميًا ورفض التفكيك، لكنه يواجه الإخفاق. فهل يستسلم، أم يبتكر وسيلة غير متوقعة لإصابة هدفه؟



وهل تتجمع مسارات الأبطال المختلفة من جديد، ويشعرون أخيرًا بالاكتمال، ويجدون شعاعَ نورٍ يوقظ ضمير العالم في نهاية النفق المظلم، أم تفككهم المواطنة الاستباقية وشرطة الأحداث؟

غلاف: محمود هشام



aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
AseerAlkotb
AseerAlkotb
AseerAlkotb